كاتب حقَقت رواياته مرتبة الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

ستيفن كينغ

STEPHEN KING

ظلام دامس، لا نجوم

FULL DARK, NO STARS

رواية

مكتبة 464

ثلاث من القصص القصيرة الأربعة تحولت إلى أفلام سينمائية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

ظلام دامس، لا نجوم

FULL DARK, NO STARS

مكتبة | 464

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
Full Dark, No Stars
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من
The Lotts Agency, Ltd.
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع مع الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 2010 by Stephen King
All Rights Reserved
Arabic Copyright © 2018 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: أيلول/سبتمبر 2018 م – 1439 هـ

ردمك 978-614-01-2616-9

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة ، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 1102-2050 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الانترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

مكتبة ١٥٦١٩٢٠

ظلام دامس، لا نجوم

FULL DARK, NO STARS

ستيڤن كينغ

STEPHEN KING

مكتبة | 464

ترجمة

اوليغ عوكي

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

المحتويات

1922 7
السائق الكبير 195
تطويل معقول 357
زواج جيد 405
كلمة ختامية 525

مكتبة
جديد الكتب والروايات
تابعنا اضغط اللينك
t.me/ktabpdf
t.me/ktabrwaya
facebook.com/newpdf

1922

11 أبريل 1930

فندق مغنوليا

أوماها، نبراسكا

مكتبة

إلى من يهمّه الأمر:

إسمي وِيلفْرَد ليلاند جايمس، وهذا اعترافي. في يونيو 1922 قتلتُ زوجتي، أرليت كريستينا وينترز جايمس، وأخفيتُ جثتها برميها في بئر قديم. وقد ساعَدني إبني، هنري فريمان جايمس، في هذه الجريمة، رغم أنه لم يكن مسؤولاً في سنّ الرابعة عشرة؛ خدَعتُه ليفعل ذلك، حيث لعبتُ على مخاوفه وبدَّدتُ اعتراضاته الطبيعية تماماً طيلة شهرين. هذا شيء أندم عليه بمرارة حتى أكثر من الجريمة نفسها، لأسباب ستبيِّنها هذه الوثيقة.

المسألة التي أدّت إلى جريمتي وخطيئتي المميتة هي 100 فدان من الأرض الجيدة في هيمينغفورد هوم، نبراسكا كانت زوجتي قد ورثتها من أبيها جون هنري وينترز. أردتُ إضافة تلك الأرض إلى مزرعتنا، التي كانت مساحتها 80 فداناً في العام 1922. لكن زوجتي، التي لم تحبّ حياة الزراعة أبداً (أو أن تكون زوجة مُزارع)، أرادت بيعها إلى شركة فارينغتون لقاء مبلغ نقدي. وعندما سألتُها إن كانت تريد حقاً أن تعيش باتجاه الرياح القادمة من مَسلَخ فارينغتون، أخبَرَتني أنه يمكننا بيع المزرعة وكذلك أرض أبيها – مزرعة أبي، وأبيه من قبله! وعندما سألتُها ماذا سنفعل بالمال ودون أرض، قالت إنه يمكننا الانتقال إلى أوماها، أو حتى سانت لويس، وافتتاح متجر.

"لن أعيش أبداً في أوماها"، قلتُ. "المدن للمغفَّلين".

هذا مثير للسخرية، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المكان الذي أعيش فيه الآن، لكنني لن أعيش هنا طويلاً؛ أعرف ذلك مثلما أعرف ما الذي يُصدر الأصوات التي أسمعها في الجدران. وأعرف أين سأجد نفسي بعد انتهاء حياتي الأرضية هذه. أتساءل إن كان الجحيم يمكن أن يكون أسوأ من مدينة أوماها. ربما هو مدينة أوماها، لكن من دون ريف جيد يحيط بها؛ مجرد فراغ يعبق بالدخان ورائحة الكبريت النتنة ومليء بنفوس تائهة مثلي.

تجادَلنا بمرارة حول تلك الفدادين المئة خلال شتاء وربيع 1922. وعلق هنري في وسطنا، رغم أنه انحاز إلى رأيي أكثر؛ كان يشبه أمه في الشكل لكنه يشبهني في حبّه للأرض. كان فتى مُطيعاً وليست لديه أي من غطرسة أمه. أخبَرَها مراراً وتكراراً أنه لا يرغب أن يعيش في أوماها أو أي مدينة، وأنه سيذهب فقط إذا اتفقت معي، وهذا لم يحصل أبداً.

فكَّرتُ باللجوء إلى القضاء، وأنا على ثقة، بما أنني الزوج في هذه المسألة، أن أي محكمة ستؤيِّد حقي بتقرير طريقة استخدام تلك الأرض. لكن شيئاً منعني. لم يكن خوفاً من ثرثرة الجيران، لا يهمّني تبادل الإشاعات في الريف؛ بل شيئاً آخر. بدأتُ أكرهها. بدأتُ أريد رؤيتها ميتة، وهذا ما منعني.

أنا مقتنع أن هناك رجلاً آخر - رجلاً غريباً، رجلاً متآمراً - داخل كل رجل. ومقتنع أنه في مارس 1922، عندما كانت سماء مقاطعة هيمينغفورد بيضاء وكل الحقول مكسوة بالثلوج، كان الرجل المتآمر داخل المُزارع وِيلفْرَد جايمس قد اتّخذ قراره بشأن زوجتي وقرَّر

مصيرها من قبل. كانت عدالة من الصنف الأسود أيضاً. تقول حكمة قديمة إن الولد الجاحد يشبه سن الثعبان، لكن الزوجة المتذمِّرة والجاحدة أكثر حدّة بكثير من ذلك.

لستُ وحشاً؛ حاوَلتُ إنقاذها من الرجل المتآمر. أخبَرتُها أننا إذا لم نتوافق، عليها أن تذهب إلى أمها في لينكولن، التي تبعُد مئة كيلومتر غرباً – وهذه مسافة جيدة لانفصالٍ ليس طلاقاً بحد ذاته لكنه يعني اضمحلال الشراكة الزوجية.

"وأترك لك أرض أبي، أليس كذلك؟"، سألت، وشمخت برأسها. آه كم كنتُ أكره تلك الحركة الوقِحة، والتي تشبه حركة حصان سيئ التدريب، والشخر الخفيف الذي يرافقها دائماً. "هذا لن يحصل أبداً يا وِيلف".

أخبَرتُها أنني سأشتري الأرض منها، إذا أصرَّت. سأقسِّط لها ثمنها – على امتداد ثماني سنوات، وربما عشرة – لكنني سأدفع لها كل قرش.

"مبلغ صغير كل شهر أسوأ من عدم تلقي أي مبلغ"، ردَّت (مع شخر وشموخ بالرأس آخرَين). "هذا شيء تعرفه كل امرأة. ستدفع شركة فارينغتون الثمن دفعة واحدة، وفكرتهم حول الثمن الأعلى مناسبة لأن تكون كريمة أكثر بكثير من فكرتك. ولن أعيش أبداً في لينكولن. إنها ليست مدينة بل مجرد قرية تضم معابد أكثر مما تضم منازل".

هل ترى حالتي؟ ألا تفهم "الموقع" الذي وَضَعتني فيه؟ ألا يمكنني أن أتّكل على تلقي ولو قليلاً من تعاطفك؟ لا؟ إذاً اسمع هذا.

في أوائل أبريل من تلك السنة – ثماني سنوات حتى يومنا هذا، على حد علمي – أتت إليَّ بكامل إشراقها. فقد أمضت معظم اليوم

في "صالون التجميل" في ماكوك، وكان شعرها يتدلّى حول خدَّيها في لفائف سميكة ذكَّرتني بلفّات أوراق المرحاض التي يجدها المرء في الفنادق والأنزال. قالت إن لديها فكرة، وهي أن نبيع الفدادين المئة مع المزرعة إلى شركة فارينغتون. كانت مقتنعة أن الشركة ستشتري كل ذلك لمجرد الحصول على قطعة أرض أبيها، لأنها قريبة من خط السكة الحديدية (وهي محقّة في ذلك على الأرجح).

"ثم"، قالت هذه المرأة الصفيقة المشاكسة، "نقتسم المال، ونتطلَّق، ونبدأ حياتنا من جديد بعيداً عن بعضنا البعض. كلانا نعرف أن هذا ما تريده". كما لو أنها لا تريده هي أيضاً.

"آه"، قلتُ (كما لو أنني أفكِّر بالفكرة جدّياً). "ومع مَن سيعيش الفتى؟".

"معي بالطبع"، قالت مُبرِقة عينيها. "أي فتى في الرابعة عشرة من عمره يحتاج إلى أن يكون مع أمه".

بدأتُ "أعمل على" هنري منذ ذلك اليوم بالذات، وأُخبره بأحدث خطط أمه. كنا جالسين في كومة القش. فرسمتُ أتعس تعبير على وجهي وتكلَّمتُ بأتعس صوت لديَّ، ورسمتُ له صورة عما ستكون عليه حياته إذا سُمح لأمه بأن تنفّذ خطتها: كيف لن يعود لديه أب أو مزرعة، وكيف سيجد نفسه في مدرسة أكبر بكثير، تاركاً كل أصدقائه (ومعظمهم منذ الطفولة) خلفه، وكيف أنه سيضطر في تلك المدرسة الجديدة أن يحارب ليحجز مكاناً له بين غرباء سيسخرون منه ويسمّونه ريفياً ساذجاً. من جهة أخرى، قلتُ، إذا استطعنا الاحتفاظ بكل الأراضي، فأنا مقتنع أنه يمكننا تسديد القرض المصرفي بحلول العام 1925 ونعيش بسعادة بلا ديون، ونتنفّس هواءً عذباً بدلاً

من مشاهدة أحشاء الأبقار تعوم من الشروق إلى الغروب في نهرنا الذي كان صافياً في السابق. "ماذا تريد الآن؟"، سألتُ بعد أن رسمتُ له هذه الصورة بقدر ما أستطيع من التفاصيل.

"أن أبقى هنا معك يا بابا"، قال. كانت الدموع تنهمر على خدّيه. "لماذا عليها أن تكون... أن تكون...".

"أكمِل"، قلتُ. "الحقيقة ليست شتماً أبداً يا بُنَيّ".

"حقيرة إلى هذا الحد!".

"لأن معظم النساء هكذا"، قلتُ. "هذا جزء من طبيعتهن يُتعذَّر إستئصاله. السؤال هو ماذا سنفعل حيال ذلك".

لكن الرجل المتآمر داخلي كان قد فكَّر من قبل بالبئر القديم الموجود خلف حظيرة الأبقار، والذي كنا نستخدم ماءه لإزالة الغائط فقط لأنه ضحِل وموحِل – عمقه ستة أمتار فقط ولا يزيد عن كونه بوابة للتحكّم بتدفّق المياه. كانت المسألة تقتصر على إقناعه. وكان *عليَّ* فعل ذلك، بالتأكيد أنك ترى هذا؛ يمكنني أن أقتل زوجتي لكن عليَّ إنقاذ إبني الجميل. ما فائدة امتلاك 180 فداناً – أو ألف فدان – إذا لم يكن لديك أحدٌ لتتشاركها معه وتورثه إياها؟

تظاهرتُ أنني أفكِّر بخطة أرليت المجنونة لرؤية أرض صالحة لزراعة الذرة تتحوَّل إلى مَسلَخ. طلبتُ منها إعطائي بعض الوقت لأعتاد على الفكرة. فوافقت. واصلتُ العمل على هنري خلال الشهرين التاليين، لكي *أعوِّده* على فكرة مختلفة جداً. لم يكن ذلك صعباً مثلما كنتُ أتوقع؛ كان لديه جمال أمه (جمال المرأة هو العسل الذي يجذب الرجال إلى القفير اللاسع) لكن ليس عنادها المريع. لم أحتج سوى إلى أن

أرسم له صورة عما ستكون عليه حياته في أوماها أو سانت لويس. وطرحتُ احتمال أنه حتى قريتَي النمل الشديدتَي الازدحام تلك قد لا تُرضيانها؛ وقد تقرّر أن فقط شيكاغو ستناسبها. "ثم"، قلتُ، "قد تجد نفسك تذهب إلى ثانوية تضم زنوجاً".

قلّت حماسته تجاه أمه؛ وبعد جهود قليلة منها - كلها خرقاء، وصدَّها كلها - لكي تسترد مَوَدّته، بدأت تبادله الجفاء. ابتهجتُ (أو بالأحرى الرجل المتآمر) من هذا. وأخبَرتُها في أوائل يونيو أنني قرَّرتُ، بعد تفكير مليّ، أنني لن أسمح لها أبداً ببيع تلك الفدادين المئة من دون معركة؛ وأنني سأُسبِّب الإفلاس والخراب لنا جميعاً إذا كان هذا ما يلزم.

بقيت هادئة. وقرَّرت أن تطلب نصيحة قانونية (لأن القانون، مثلما تعرف، سيصادق أي شخص يدفع له). كنتُ قد توقَّعتُ ذلك. وابتسمتُ! لأنه لا يمكنها أن تدفع ثمن هكذا نصيحة. وكنت وقتها أشدّد كثيراً على السيولة النقدية القليلة التي كنا نملكها. حتى إن هنري سلّمني حصّالته عندما طلبتُ منه ذلك، لكي لا تتمكن من أن تسرق من ذلك المصدر، مهما يكن تافهاً. ذهبَت، بالطبع، إلى مكاتب شركة فارينغتون في ديلاند، وكلها ثقة (مثلي) أنهم سيدفعون كلفة رسومها القانونية بما أن لديهم الكثير ليكسبوه من تلك الصفقة.

"سيفعلون ذلك، وستربح الدعوى"، أخبَرتُ هنري في ما أصبح مكاننا الاعتيادي للمحادثة في كومة القش. لم أكن متأكداً كلياً من هذا، لكنني كنتُ قد اتّخذت قراري من قبل، والذي لن أذهب بعيداً جداً في تسميته "خطة".

"لكن هذا ليس عدلاً يا بابا!"، صاح. بدا يافعاً جداً أثناء جلوسه على القش هناك، أشبه بـ 10 وليس بـ 14.

"الحياة ليست عادلة أبداً"، قلتُ. "الشيء الوحيد الذي يمكن فعله أحياناً هو أن تأخذ الشيء الذي يجب أن يكون لديك. حتى ولو تأذّى أحدهم". ثم صمتُ قليلاً، ورحتُ أتمعّن في وجهه. "حتى ولو مات أحدهم".

ابيضَّ لونه. "بابا!".

"إذا اختفت"، قلتُ، "ستبقى الأمور على حالها. وسيتوقف كل الجدال. يمكننا العيش هنا بسلام. لقد عرضتُ عليها كل شيء أستطيع أن أعرضه لكي تذهب، ورفضت. هناك فقط شيء واحد آخر أستطيع أن أفعله. يستطيع *كلانا* أن يفعله".

"لكنني أحبها!".

"وأنا أحبها أيضاً"، قلتُ. ورغم أنكم لن تصدّقوا هذا كثيراً، إلا أنه صحيح. كان الكره الذي شعَرتُ به تجاهها في تلك السنة 1922 أكبر من أي كره يستطيع أن يشعر به الرجل تجاه أي مرأة إلا إذا كان الحب جزءاً منه. ورغم مرارتها وعنادها، إلا أن أرليت كانت امرأة ذات طبيعة دافئة. "علاقاتنا الزوجية" لم تتوقَّف أبداً، رغم أنه منذ بدء الجدال بشأن الفدادين المئة، بدأت صراعاتنا في الظلمة تصبح أشبه بحيوانين يتعاركان.

"لا داعي لأن يكون مؤلماً"، قلتُ. "وعندما ينتهي... حسناً...".

أخذتُه إلى خلف الحظيرة وأريتُه البئر، حيث أجهش بالبكاء. "لا يا بابا. ليس هذا. مهما يكن".

لكن عندما عادت من ديلاند (نقلها هارلان كوتيري، أقرب جار لنا، معظم مسافة الطريق في سيارته الفورد، وتركها تسير آخر ثلاثة

كيلومترات) وتوسَّلها هنري أن "تُقلع عن قرارها لكي نستطيع أن نعود عائلة مرة أخرى"، فقدت أعصابها، وضربته على فمه، وأخبَرته أن يتوقف عن توسّلها مثل كلب.

"لقد أصابك بعدوى خجله. والأسوأ أنه أصابك بعدوى طمعه".

كما لو أنها بريئة من *هذه* الخطيئة!

"أكّد لي المحامي أن الأرض مُلكي وأنا حرة في أن أفعل ما أشاء بها، وسأبيعها. أما بالنسبة لكما، فيمكنكما أن تجلسا هنا وتشمّا رائحة شواء الأبقار معاً، وتطبخا طعامكما وترتّبا سريركما. وأنت، يا بُنَيّ، فيمكنك أن تحرث طوال اليوم وتقرأ كتبه الأبدية طوال الليل. لم تنفعه كثيراً، لكنها قد تنفعك أكثر قليلاً. مَن يدري؟".

"ماما، هذا ليس عدلاً!".

نظَرَت إلى إبنها مثلما قد تنظر امرأةٌ إلى رجل غريب تجرّأ على أن يلمس ذراعها. وكم ابتهج قلبي عندما رأيته يشيح بنظره ببرودة مماثلة. "تباً لكما، أنتما الاثنان. أما بالنسبة لي، فسأذهب إلى أوماها وأفتتح متجر فساتين. هذا هو العدل *بنظري*".

جرت هذه المحادثة في الفناء المليء بالغبار بين المنزل والحظيرة، وكان العدل بنظرها آخر كلمة. سارت في الفناء، مُثيرة الغبار بحذائها الأنيق الذي اشترته من المدينة، ودخلت المنزل، وخبطت الباب. استدار هنري لينظر إليَّ. كان هناك دم عند طرف فمه، وشفته السفلى متورِّمة، والغضب في عينيه من النوع الخام الذي فقط يستطيع أن يشعر به المراهِقون. كان غضباً لا يقيِّم العواقب. أومأ لي برأسه. وأومأتُ له برأسي بنفس الرصانة، لكن الرجل المتآمر داخلي كان يبتسم.

تلك الصفعة كانت أمر إعدامها.

بعد يومين، عندما أتى هنري إليَّ في حقل الذرة الجديدة، رأيت أنه ضعف مرة أخرى. لم أكن مرتعِباً أو متفاجئاً؛ فالسنوات الفاصلة بين الطفولة وسن البلوغ سنواتٌ عاصِفةٌ، والذين يمرّون بها يدورون حول أنفسهم مثل دوّارات الريح التي كان بعض المُزارعين في الغرب الأوسط يضعونها على قمة صوامع حبوبهم.

"لا يمكننا"، قال. "إنها مُخطئة يا بابا. وشانون تقول إنه عندما يموت الأشخاص المُخطئون فإنهم يذهبون إلى الجحيم".

تباً للفلسفة الفارغة وما تزرعه في عقول الشباب، فكّرت في سرّي... لكن الرجل المتآمر ابتسم فقط. تكلَّمنا بعض الفلسفة خلال الدقائق العشرة التالية عند محصول الذرة بينما كانت أوائل سُحُب الصيف – وهي أفضل السُحُب، السُحُب التي تطوف مثل مراكب شراعية – تُبحِر فوقنا ببطء، وتجرجر ظلالها مثل أذيال. شرَحتُ له أن العكس صحيح، لأننا لن نرسل أرليت إلى الجحيم، بل إلى مكان جميل. "لأن"، قلتُ، "الرجل المقتول أو المرأة المقتولة يكون قد مات غدراً. لذا تُصفَح له كل ذنوبه". عندما تفكّر بالمسألة بهذه الطريقة، سترى أن كل قاتل يُعتبر فاعل خير".

"لكن ماذا بشأننا يا بابا؟ ألن نذهب إلى الجحيم؟".

أومأتُ له إلى الحقول الممتلئة بمحصول جديد. "كيف يمكنك أن تقول ذلك، عندما ترى كل هذا الجمال حولنا؟ ومع ذلك فهي تنوي أن تُبعدنا عن كل هذا مثلما يُبعَد طفلٌ جائعٌ عن طعامه".

راح يحدِّق فيَّ منزعجاً. مكفهرّاً. كرِهتُ نفسي من تشويه إفكار

إبني بهذه الطريقة، لكن جزءاً مني صدَّق وقتها ولا يزال يصدِّق أنني لستُ مَن فعل به ذلك، بل هي التي فعلته.

"وانتبه"، قلتُ، "إلى أنها إذا ذهبت إلى أوماها، فستحفر لنفسها حفرة أعمق في الجحيم. وإذا أخذتك معها، ستصبح فتى مدينة –".

"لن يحصل هذا لي أبداً!"، صاح بصوتٍ عالٍ لدرجة أن الغربان طارت عن السياج وحامت في السماء الزرقاء مثل ورق متفحِّم.

"أنت شاب وستفعل ذلك"، قلتُ. "ستنسى كل هذا... ستتعلَّم طرق المدينة... وتبدأ بحَفر حفرتك الذاتية".

لو ردَّ عليَّ قائلاً إن القتلة لا يملكون أي أمل في الانضمام إلى ضحاياهم في المكان الجميل، لكنتُ ارتبكتُ. لكن إما أن فلسفته لم تتمدَّد إلى ذلك الحدّ أو أنه لم يرغب بالتفكير بهكذا أمور. وهل نحن نحوِّل حياتنا على الأرض إلى جحيم؟ تزداد قناعتي بهذا عندما أفكّر بالسنوات الثمانية الأخيرة من حياتي.

"كيف؟"، سأل. "متى؟".

أخبَرتُه.

"ويمكننا مواصلة العيش هنا بعد ذلك؟".

قلتُ إنه يمكننا ذلك.

"ولن تتألم؟".

"لا"، قلتُ. "سيتم الأمر بسرعة".

بدا راضياً. وكان من الممكن ألا يحصل الأمر، لولا أرليت نفسها.

اتفقنا على ليلة سبت في منتصف يونيو كانت ليلة ممتازة حسبما

أتذكَّر. كانت أرليت معتادة على تناول كوب شراب عنب في أمسيات الصيف أحياناً، رغم أنها نادراً ما عادت تفعل ذلك. وهناك سبب وجيه لذلك. فهي أحد أولئك الأشخاص الذين لا يستطيعون أبداً تناول كوبَين من دون تناول أربعة أكواب، ثم ستة، ثم الزجاجة بأكملها. وزجاجة أخرى، إذا كانت هناك واحدة أخرى. "يجب أن أكون حذرة جداً يا وِيلف. فأنا أحبّه كثيراً. لحسن حظي أن إرادتي قوية".

جلَسنا على الشرفة في تلك الليلة، نراقب آخر خيوط الضوء تتلكَّأ فوق الحقول، ونستمع إلى أصوات الجداجد النعسانة. كان هنري في غرفته. بالكاد لمَس عشاءه، وبينما كنتُ جالساً مع أرليت على الشرفة على كرسيينا الهزّازين المتطابقين والمدروزة على وسادة أحدهما كلمة "بابا" وعلى الوسادة الأخرى كلمة "ماما"، اعتقَدتُ أنني سمِعتُ صوتاً خافتاً يمكن أن يكون صوت تقيؤ. أتذكَّر أنني قلتُ لنفسي إنه عندما تأتي اللحظة، لن يكون قادراً على تنفيذ الخطة. ستستيقظ أمه معكَّرة المزاج في الصباح التالي مع "دوار من أثر الشراب" ولا تعرف كم كانت قريبة من عدم رؤية فجر نبراسكا آخر أبداً. ومع ذلك تابعتُ السير بالخطة. لأنني كنتُ مثل إحدى تلك الدمى الروسية المتداخلة بعضها؟ ربما. ربما كل رجل هو هكذا. كان الرجل المتآمر داخلي، لكن داخل الرجل المتآمر كان هناك رجلٌ متفائلٌ. مات ذلك الزميل ما بين 1922 و1930. والرجل المتآمر، بعد أن أدّى دوره، اختفى. من دون مشاريعه وطموحاته، كانت حياته مكاناً مجوَّفاً.

أحضَرتُ الزجاجة معي إلى الشرفة، لكن عندما حاوَلتُ أن أملأ كوبها الفارغ، غطّته بيدها. "لا داعي لأن تجعلني أثمل لكي تحصل على

ما تريده. أنا أريده أيضاً. لديَّ حكّة". وباعدت رجلَيها عن بعضهما ووضعت يدها على منفرج ساقيها لتُظهر مكان الحكّة. كانت هناك امرأة سوقيّة داخلها - وربما حتى بائعة هوى - وشراب العنب يُطلق لها العنان دائماً.

"تناولي كوباً آخر على أي حال"، قلتُ. "لدينا شيء لنحتفل به".

نظَرَت إليَّ بحذر. حتى كوب واحد من شراب العنب يجعل عينيها رطبتين (كما لو أن جزءاً منها يبكي على كل شراب العنب الذي أرادته ولم تتمكن من الحصول عليه)، وبدتا برتقاليتين في ضوء الغروب، مثل عينَي قرعة مضيئة بشمعة داخلها.

"لن تكون هناك دعوى"، قلتُ لها، "ولن يكون هناك طلاق. إذا كانت شركة فارينغتون تستطيع أن تتحمَّل أن تدفع لي ثمن فداديني الثمانين وكذلك فدادين أبيك المئة، يكون جدالنا قد انتهى".

للمرة الأولى والوحيدة في زواجنا المضطرب، *فغَر فمها* فعلياً. "ماذا تقول؟ هل تقول ما أعتقد أنك تقوله؟ لا تخدعني يا وِيلف!".

"لا أخدعك"، قال الرجل المتآمر. تكلَّم بصدق من صميم قلبه. "أجريتُ عدة محادثات مع هنري حول هذا -"

"تربطكما مَوَدّة وثيقة، هذا صحيح"، قالت. رفعت يدها عن أعلى كوبها واغتنمتُ الفرصة لأملأه لها. "تجلسان دائماً على كومة القش أو كومة الحَطَب أو تتشاوران في الحقل الخلفي. اعتقَدتُ أن المسألة تتعلق بشانون كوتيري". شخر وشموخ بالرأس. لكنني شعرتُ أنها بدت حزينة قليلاً، أيضاً. رَشَفت من كوب شراب العنب الثاني.

رشفتان من كوبٍ ثانٍ ولا يزال بإمكانها أن تضع الكوب من يدها وتذهب إلى السرير. أربعة أكواب والأحرى بي أن أعطيها الزجاجة. ناهيك عن الزجاجتين الأخريين الاحتياطيتين.

"لا"، قلتُ. "لم نكن نتكلم عن شانون". رغم أنني *رأيتُ* هنري يمسك لها يدها أحياناً بينما يسيران الكيلومترات الثلاثة إلى مبنى مدرسة هيمينغفورد هوم. "كنا نتكلّم عن أوماها. أظن أنه يريد أن يذهب إلى هناك". لن يفيدني أن أتملَّقها كثيراً، ليس بعد كوب واحد من شراب العنب ورشفتين من كوب آخر. كانت شكّاكة بطبيعتها، وتبحث دائماً عن دافع أعمق. وبالطبع كان لديَّ هكذا دافع في هذه الحالة. "من باب التجربة على الأقل. وأوماها ليست بعيدة جداً عن هيمينغفورد...".

"لا. ليست بعيدة. مثلما قلتُ لك ألف مرة". رَشَفت شراب عنبها، وبقيت تُمسك الكوب بدلاً من أن تضعه من يدها مثلما فعلت سابقاً. كان الضوء البرتقالي فوق الأفق الغربي يزداد عمقاً إلى أرجواني أخضر باهت بدا كأنه يحترق في الكوب.

"لو كانت سانت لويس، لكان الوضع اختلف".

"لقد تخلّيتُ عن تلك الفكرة"، قالت. وهذا يعني، بالطبع، أنها درست الاحتمال ووجدت أنه مسبّب للمشاكل. من خلف ظهري، بالطبع. كل شيء من خلف ظهري ما عدا مسألة محامي الشركة. وكانت لتفعل *ذلك* من خلف ظهري أيضاً لو لم تكن تريد استخدامه كهراوة لتضربني بها.

"هل تعتقدين أنهم سيشترون الأراضي كلها؟"، سألتُ. "كل

الفدادين المئة والثمانين؟".

"كيف سأعرف؟". رشفة أخرى. الكوب الثاني نصف فارغ. إذا أخبرَتُها أنها شربت ما يكفي وحاوَلتُ أن آخذ الكوب من يدها، سترفض أن تتخلّى عنه.

"ستعرفين، ليس لديَّ شك في ذلك"، قلتُ. "تلك الفدادين المئة والثمانين هي مثل سانت لويس. لقد تحقّقتي من هذا".

فرمقتني بنظرة جانبية متبصّرة... ثم انفجرت في ضحك حاد. "ربما فعلتُ ذلك".

"أفترض أنه يمكننا البحث عن منزل في ضواحي البلدة"، قلتُ. "حيث يوجد حقل أو حقلان على الأقل للتمتّع بمنظرهما".

"وحيث ستُمضي يومك كله جالساً على كرسي هزّاز على الشرفة، وتدع زوجتك تعمل هذه المرة؟ هيا، املأ لي هذا. إذا كنا نحتفل، فلنحتفل".

ملأتُ كوبَينا. لم يحتج كوبي إلا للقليل، بما أنني لم أكن قد شربتُ إلا رشفة واحدة منه.

"فكّرتُ أن أبحث عن عمل كميكانيكي. للسيارات والشاحنات، لكن للآلات الزراعية في الأغلب. إذا تمكّنتُ من إبقاء ذلك الجرّار القديم يعمل" - وأومأتُ بكوبي نحو الهيكل الداكن للجرّار الواقف بجانب الحظيرة - "لكنني أظن أنني قادر على إبقاء أي شيء يعمل".

"وقد أقنَعك هنري بهذا".

"أقنَعني أنه سيكون من الأفضل المجازفة بأن نكون سعداء في البلدة من أن نبقى بؤساء هنا".

"الفتى يملك حسّاً منطقياً ويُنصت جيداً! وأخيراً! الحمد لله!". أفرغت كوبها ومدَّت يدها للمزيد. أمسكت ذراعي وانحنت لتقترب مني بما يكفي لكي أشمّ رائحة العنب الحامض في أنفاسها. "قد تحصل على ذلك الشيء الذي تحبّه الليلة يا وِيلف". ومدَّت لسانها الملطَّخ بالأرجواني ولمَست وسط شفتها العليا. "ذلك الشيء *البغيض*".

"سأتطلّع إلى ذلك"، قلتُ. لو كان القرار لي، كان هناك شيء بغيض أكثر حتى سيحصل تلك الليلة في السرير الذي تشارَكناه لخمس عشرة سنة.

"هيا ننادي هنري لينزل"، قالت. بدأت تربط كلماتها ببعضها. "أريد تهنئته على رؤية الضوء أخيراً". (هل ذكَرتُ أن فعل *نشكر* لم يكن في معجم زوجتي؟ ربما لا. ربما لم أعد بحاجة إلى فعل ذلك الآن). لمعت عيناها بفكرة خطرت على بالها. "سنعطيه كوب شراب عنب! لقد أصبح كبيراً كفاية!". دفعتني بمرفقها مثل أحد العجائز الذين تراهم يجلسون على المقاعد التي تطوّق سلالم المحكمة، ويُخبرون بعضهم البعض نكاتاً قذرةً. "إذا أرخينا لسانه قليلاً، فقد نعرف حتى إن كان قد أمضى أي وقت مع شانون كوتيري... بائعة هوى صغيرة، لكن شعرها جميل، سأعترف لها بهذا".

"تناولي كوباً آخر من شراب العنب أولاً"، قال الرجل المتآمر.

تناولت كوبَين آخرين، وهذا فرَّغ الزجاجة. (الأولى). كانت قد أصبحت وقتها تغني "أفالون" بأفضل صوت شاعري لديها، وتقلب عينيها بأفضل طريقة شاعرية. كان مؤلماً رؤية ذلك وحتى مؤلماً أكثر سماعه.

دخلتُ المطبخ لإحضار زجاجة أخرى من شراب العنب، ووجدتُ أن الوقت مناسب لمناداة هنري. رغم أنني، مثلما قلتُ، لم تكن آمالي كبيرة عليه. أستطيع تنفيذ العملية فقط إذا كان شريكاً متعاوناً، وكنتُ مقتنعاً في الصميم أنه سيتراجع عندما ينتهي وقت الكلام ويحين وقت الجدّ. إذا كان الأمر كذلك، سنضعها في سريرها ببساطة. وسأُخبرها في الصباح أنني غيَّرتُ رأيي بشأن بيع أرض أبي.

أتى هنري، ولا شيء في وجهه الأبيض المثير للأسى يُظهر أي تشجيع بالنجاح. "بابا، لا أعتقد أنني قادر"، همَس. "إنها *ماما*".

"إذا لم تكن تستطيع، لا بأس"، قلتُ، ولم يكن هناك شيء من الرجل المتآمر في ذلك. كنتُ مستقيلاً؛ ما سيكون سيكون. "على كل حال، إنها سعيدة لأول مرة منذ أشهر. ثملة، لكن سعيدة".

"ليست ثملة قليلاً فقط؟ إنها ثملة *حقاً*؟".

"لا تتفاجأ؛ سير الأمور على هواها هو الشيء الوحيد الذي يُسعدها. بالتأكيد أن أربع عشرة سنة معها مدة طويلة كفاية لتعلّمني ذلك".

عابساً، أمال أذناً إلى الشرفة حيث انطلقت المرأة التي أنجبته في أداء مزعج لكن حرفي لأغنية "ماكغي القذرة". عبَس هنري من هذه الأغنية الشعبية، ربما بسبب الجوقة ("كانت مستعدة لمساعدته على إدخاله/لأنها ماكغي القذرة مرة أخرى")، والأرجح على طريقة ربطها الكلمات ببعضها. كان هنري قد أنجز مراسم انتسابه إلى جمعية الشباب الريفية في نهاية أسبوع يوم العمال السنة الفائتة. وقد استمتعتُ بصدمته. عندما لا يكبر المراهقون ليصبحوا مثل دوّارات الريح في الرياح

العاتية، يصبحون متزمّتين.

"تريدك أن تنضم إلينا وتتناول كوب شراب عنب".

"بابا أنت تعرف أنني قررتُ ألا أتناول أي شراب في حياتي".

"سيكون عليك تناول ذلك الكوب معها. تريد أن تحتفل. سنبيع كل شيء وننتقل إلى أوماها".

"لا!".

"حسناً ... سنرى. الأمر يتوقف عليك حقاً يا بُنيّ. أخرج إلى الشرفة".

نهضت أمه إلى قدميها بترنّح عندما رأته، ولفّت ذراعيها حول خصره، وضغطت جسمها بقوة على جسمه، وأمطرت وجهه بقبلات حارّة. قبلات كريهة الرائحة بشكل بغيض، من طريقة تكشيره. في غضون ذلك، ملأ الرجل المتآمر كوبها، الذي كان فارغاً مرة أخرى.

"أخيراً، نحن جميعاً معاً! لقد تعقَّل رَجلاي!"، ورفعت كوبها في الهواء تعبيراً عن تحيتها لنا، وسكبت جزءاً ضخماً منه على صدرها. ضحِكت وغمزتني. "إذا أحسنتَ التصرّف يا وِيلف، يمكنك مصّه عن ثيابي لاحقاً".

نظر إليها هنري بنفور مرتبك بينما ألقت نفسها على كرسيها الهزّاز، ورفعت تنورتها، وحشرتها بين رِجليها. رأت النظرة على وجهه وضحِكت.

"لا داعي لأن تكون متزمتاً إلى هذا الحد. لقد رأيتك مع شانون كوتيري. يا لها من بائعة هوى صغيرة، لكن لديها شعر جميل وقوام لطيف". شرِبت بقية شراب عنبها وتجشأت. "إذا لم تكن تتذوّق ذلك،

فأنت مغفَّل. لكن من الأفضل لك أن تكون يقظاً. فسنّ الرابعة عشرة ليس يافعاً جداً للزواج. هنا في وسط البلاد، سنّ الرابعة عشرة لا يُعتبر يافعاً جداً لتتزوَّج *نسيبتك*". ضحِكت أكثر ومدَّت كوبها في الهواء. ملأته من الزجاجة الثانية.

"بابا، لقد شربت كفاية"، قال هنري مستنكراً. فوقنا، بدأت النجوم الأولى تتلألأ فوق ذلك الفراغ المسطَّح الشاسع الذي أحببته طوال حياتي.

"آه، لا أعرف"، قلتُ. "*شراب العنب يكشف الحقيقة*، هذا ما قاله پليني الأكبر... في أحد تلك *الكتب* التي تسخر منها أمك دائماً".

"يده على المحراث طوال اليوم، وأنفه في كتاب طوال الليل"، قالت أرليت. "ما عدا عندما يكون لديه شيء آخر فيَّ".

"*ماما!*".

"*ماما!*"، قالت مقلِّدة إياه بسخرية، ثم رفعت كوبها في اتجاه مزرعة هارلان كوتيري، رغم أنها كانت بعيدة جداً لكي نرى أنوارها. ولم نكن قادرين على رؤيتها حتى ولو كانت أقرب بكيلومتر، لأن الذرة كانت قد أصبحت عالية الآن. عندما يحلّ الصيف في نبراسكا، تصبح كل مزرعة سفينةً تُبحر في محيط أخضر شاسع. "تحياتي لشانون كوتيري وصدرها الجديد، وإذا كان إبني لا يعرف لون حلمتيها، فسيكون بطيئاً جداً".

لم تصدر أي ردة فعل عن إبني تجاه هذا، لكن ما رأيته على وجهه المظلّل جَعَل الرجل المتآمر يبتهج.

استدارت إلى هنري، وأمسكت ذراعه، وسكبت بعض شراب العنب على معصمه. متجاهلةً نفوره الصغير، وناظرةً إلى وجهه بكآبة مفاجئة، قالت: "فقط تأكد أنك لستَ بطيئاً عندما تستلقي معها على الذرة أو خلف الحظيرة". وكوَّرت يدها الحرة على شكل قبضة، ومدَّت إصبعها الوسطي، ثم استخدَمته لترسم دائرة حول منفرج ساقيها: الفخذ الأيسر، الفخذ الأيمن، البطن الأيمن، سُرَّة البطن، البطن الأيسر، ثم عودة إلى الفخذ الأيسر مرة أخرى. "استكشف كل ما يحلو لك، وافرك حوله إلى أن يشعر بالسعادة ويتقيأ، لكن ابقَ خارج المنزل مخافة أن تجد نفسك عالقاً هناك مدى الحياة، تماماً مثل أمك وأبيك".

نهض وغادر، دون أن ينطق بأي كلمة أيضاً، ولا ألومه. حتى بالنسبة لأرليت، كان هذا الأداء سوقيّاً جداً. لا شك أنه رآها تتغيَّر أمام عينيه من أمه – امرأة صعبة لكن محبّة أحياناً – إلى بائعة هوى كريهة الرائحة تُرشد زبوناً يافعاً. كل شيء سيئ بما فيه الكفاية، لكنه كان عذباً مع فتاة كوتيري، وهذا جَعَل الأمور أسوأ. لا يستطيع الشباب منع أنفسهم من إعطاء حبّهم الأول تقديراً كبيراً، وإذا أتى أحدهم وبصق على المثال... حتى ولو كان ذلك الشخص والدة الشاب...

سمِعتُ خبط باب غرفته بشكل باهت، وبكاءً باهتاً لكن مسموعاً.

"لقد أذيتي له مشاعره"، قلتُ.

عبَّرت عن رأيها بأن *المشاعر*، مثل *الاستقامة*، هي أيضاً الملجأ الأخير للضعفاء. ثم مدَّت كوبها. ملأته لها، وأنا أعرف أنها لن تتذكَّر أي شيء مما قالته في الصباح (على افتراض دائماً أنها سترى الصباح)، وستنكره – بشدة – إذا أخبَرتُها. لقد رأيتها في حالة الثمالة هذه من

قبل، لكن منذ سنوات.

أنهينا الزجاجة الثانية (أنهتها هي) ونصف الزجاجة الثالثة قبل أن يسقط ذقنها على صدرها الملطَّخ بشراب العنب وتبدأ بالشخير. خارجاً من حنجرتها المضيَّقة جداً، بدا ذلك الشخير مثل زمجرة كلب معكَّر المزاج.

وَضَعتُ ذراعي حول كتفَيها، وشبكتُ يدي بإبطها، وأنهضتها إلى قدميها. تمتمت احتجاجات وصفَعتني بضعف بيدٍ نتِنةٍ. "اتركني. أريد أن أنام".

"وستنامين"، قلتُ. "لكن في سريرك، وليس هنا على الشرفة".

أخذتها - وهي تتعثّر وتشخر، ومُغمضةً عيناً واحدةً وفاتحةً الأخرى في وهج مُتعَب حتى الإجهاد - عبر غرفة الجلوس. كان باب غرفة هنري مفتوحاً، ويقف عنده بوجه غير معبِّر وأكبر كثيراً من سنّه الحقيقي. أومأ لي برأسه. مجرد إيماءة واحدة من الرأس، لكنها أخبَرَتني بكل ما كنتُ أحتاج إلى معرفته.

وضعتها على سريرها، وخلعت لها حذاءها، وتركتها لتشخر هناك برجليها المتباعدتين ويدها المتدلّية خارج الفِراش. عدتُ إلى غرفة الجلوس ووجدتُ هنري واقفاً بجانب الراديو الذي بقيت أرليت تلحّ عليَّ لأشتريه السنة الفائتة.

"لا يمكنها أن تقول تلك الأشياء عن شانون"، همَس.

"لكنها قالتها"، قلتُ. "هذه طبيعتها".

"ولا يمكنها *إبعادي* عن شانون".

"ستفعل ذلك أيضاً"، قلتُ. "إذا تركناها".

"ألا يمكنك... بابا، ألا يمكنك توكيل محامٍ خاصٍ بك؟".

"هل تعتقد أن أي محامي أستطيع دفع كلفة خدماته بالمال القليل الذي لديَّ في المصرف يستطيع أن يواجه المحامين الذين سترميهم فارينغتون في وجهنا؟ لديهم علاقات على مستويات عالية في مقاطعة هيمينغفورد، وأنا ليس لديَّ أحد. يريدون تلك الفدادين المئة وهي تنوي إعطاءهم إياها. هذه هي الطريقة الوحيدة، لكن عليك مساعدتي. هل ستساعدني؟".

بقي صامتاً لفترة طويلة. ثم أخفَض رأسه، وكان بإمكاني رؤية دموع تنهمر من عينيه على السجادة. ثم همَس، "نعم. لكن إذا كان عليَّ مشاهدة العملية... لستُ أكيداً أنه يمكنني...".

"هناك طريقة يمكنك مساعدتي بها دون أن تضطر إلى المشاهدة. اذهب إلى الحظيرة وأحضر لي كيس خيش".

ففعل مثلما طلبتُ منه. دخلتُ المطبخ وأحضرتُ أكثر سكين جزّار حادّ لديها. عندما عاد مع الكيس ورأى السكين، شحب وجهه. "هل عليك استخدام *هذا*؟ ألا يمكنك... بوسادة...".

"سيكون بطيئاً جداً ومؤلماً جداً"، قلتُ. "ستقاومني". قَبِل ذلك كما لو أنني قتَلتُ عشر نساء قبل زوجتي ولذا أعرِف أنسب طريقة. لكنني لم أكن أعرف شيئاً. بل كل ما كنتُ أعرفه هو أنه في كل أنصاف خططي - أحلام يقظتي بالتخلّص منها، بمعنى آخر - رأيتُ دائماً السكين التي أحملها في يدي الآن. لذا سأستخدم طريقة السكين. السكين أو لا شيء.

وَقَفنا هناك في توهّج مصابيح الكاز - لن تكون هناك كهرباء ما

عدا من مولِّدات هيمينغفورد هوم حتى العام 1928 - ننظر إلى بعضنا البعض، ولم يكسر صمت الليل الرائع الذي تواجد هناك سوى صوت شخيرها المتقطِّع غير الجميل. ومع ذلك كان هناك حضور ثالث في تلك الغرفة: إرادتها الحتمية، التي تواجدت بشكل منفصل عن المرأة نفسها (اعتقَدتُ أنني شَعَرتُ بها وقتها؛ أنا أكيد بعد تلك السنوات الثمانية). هذه قصة شبح، لكن الشبح كان هناك حتى قبل وفاة المرأة التي ينتمي إليها.

"حسناً يا بابا. سوف... سوف نرسلها إلى مكانها الجميل". وسطَع وجه هنري من هذه الفكرة. كم يبدو لي هذا بشعاً الآن، خاصة عندما أفكِّر كيف أنهى جملته.

"سيكون الأمر سريعاً"، قلتُ. لكنني كنتُ مخطئاً.

لتُروى الرواية بسرعة. في الليالي التي لم أتمكن من النوم فيها - وهي كثيرة - بقيت الصور تتراءى لي مراراً وتكراراً، كل ضربة ونقطة دم بُصقَت ببطء شديد، لذا فلتُروى بسرعة.

دخلنا غرفة النوم، أنا في المقدمة حاملاً سكين الجزّار في يدي، وإبني حاملاً كيس الخيش. مشينا على رؤوس أصابعنا، لكن كان يمكننا الدخول على قرع الطبول من دون إيقاظها. أشرتُ لهنري أن يقف على يميني، بجانب رأسها. يمكننا الآن سماع تكتكة ساعة الإنذار الكبيرة على منضدة سريرها وكذلك شخيرها، وخطرت فكرة فضولية على بالي: كنا كطبيبين يقفان قرب فراش موت مريض مهم. لكنني لا أعتقد أن الأطباء يرتعشون ذنباً وخوفاً على فُرُش الموت.

أرجو ألا يكون هناك دم كثير، فكّرت في سرّي. *أرجو أن يسقط*

كل شيء في الكيس. وحتى أفضل، أرجو أن يعدِل عن رأيه الآن، في الدقيقة الأخيرة.

لكنه لم يفعل. ربما اعتقَد أنني سأكرهه إن فعل ذلك؛ ربما تذكَّر ذلك الإصبع الوسطي الفاسق يرسم دائرة حول منفرج ساقيها. لا أعرف. أعرف فقط أنه همَس، "وداعاً يا ماما"، ووضع الكيس فوق رأسها.

نخَرت وحاوَلت أن تُفلت رأسها. كنتُ أنوي مدّ يدي تحت الكيس لأقوم بدوري، لكن كان عليه أن يضغط بقوة ليثبِّت رأسها في مكانه، ولم أتمكن. رأيتُ أنفها يصنع شكلاً مثل زعنفة قرش في كيس الخيش. ورأيتُ الذعر يرتسم على وجهه، أيضاً، وعرَفتُ أنه لن يُمسكها لفترة طويلة.

وَضَعتُ ركبتي على السرير ويدي على كتفها. ثم شطَبتُ عبر كيس الخيش والحنجرة التي تحته. فصَرَخت وبدأت تركل بقوة. سال الدم عبر الشق إلى كيس الخيش. وارتفعت يداها وبدأتا تضربان الهواء. تراجع هنري عن السرير وهو يزعق. حاوَلتُ إمساكها. راحت تشدّ بيديها على الكيس المتدفّق منه الدم فشطَبتها لها، جارحاً ثلاثة من أصابعها حتى العظم. زعَقت مرة أخرى - بصوت رفيع وحادّ مثل شظية جليد - وسقطت اليد لترتعش على اللحاف. شطَبتُ شقاً نازفاً آخر في كيس الخيش، وآخر، وآخر. خمسة جروح بالإجمال قبل أن تدفعني بعيداً بيدها غير المجروحة ثم مزَّقت كيس الخيش عن وجهها. لم تتمكن من نزعه عن رأسها بالكامل - علق بشعرها - وأصبحت ترتديه كما لو أنه شبكة شعر.

لقد ذبحتُ لها حنجرتها بالشرطتين الأولين، وكانت المرة الأولى

عميقة كفاية لتُظهر غضروف قصبتها الهوائية. وفي الشرطتين الأخيرتين نَحَتُّ لها خدها وفمها، وكانت الشرطة الأخيرة عميقة لدرجة أن ابتسامتها أصبحت مثل ابتسامة المهرّج. ممتدّة حتى أذنيها وتبيّن أسنانها. أطلقت زئيراً حَلْقياً مختنقاً، مثل زئير الأسد عند تناول الطعام. تطاير الدم من حنجرتها وصولاً إلى أسفل اللحاف. أتذكّر أنني قلتُ لنفسي إنه يشبه شراب العنب عندما رفعت كوبها إلى آخر ضوء النهار.

حاوَلَت النهوض من السرير. صُعقتُ في البدء، ثم حنقتُ. لقد كانت مصدراً للمتاعب بالنسبة لي طوال أيام زواجنا وهي مصدر للمتاعب حتى الآن، في طلاقنا الدموي. لكن ماذا كان يجب أن أتوقّع غير ذلك؟

"آه بابا، اجعلها تتوقف!" ، زعَق هنري. *"اجعلها تتوقف يا بابا، بالله عليك اجعلها تتوقف!"* .

وَثَبتُ عليها مثل حبيب متحمِّس وأعدتُها إلى وسادتها المنقوعة بالدم. صدرَ المزيد من الزمجرات الحادّة من مكان عميق في حنجرتها المشوَّهة. انقلبت عيناها في محجريهما، وتدفّق الدمع منهما. لففتُ شعرها حول يدي، وجذبتُ رأسها إلى الوراء بعنف، وذبحتُ حنجرتها مرة أخرى. ثم مزّقتُ اللحاف من جهتي على السرير ولففته حول رأسها، ملتقطاً تقريباً النبضة الأولى من وريدها الوداجي. التقَط وجهي ذلك الرذاذ، وبدأ دمٌ حارٌّ الآن يسيل من ذقني وأنفي وحاجبيَّ.

خلفي، توقَّف زعيق هنري. استدرتُ ورأيتُ أنه نجا بريشه (على افتراض أنه لم يُدر وجهه عندما رأى ماذا كنا سنفعل): لقد أُغمي عليه. بدأت ضرباتها تضعف. ثم توقفت كلياً في الأخير... لكنني بقيتُ فوقها، أضغط عليها باللحاف، الذي أصبح مبللاً الآن بدمها كلياً.

ذكَّرتُ نفسي أنها لم تفعل أي شيء بسهولة أبداً. وكنتُ محقاً. بعد ثلاثين ثانية (أحصَتها الساعة الناشزة التي اشتريناها بالبريد)، أطلقت تنهيدةً أخرى، مُحنيةً ظهرها هذه المرة بشدة بحيث أنها كادت توقعني عنها. *تمسَّك بالثور يا راعي البقر*، فكّرت في سرّي. أو ربما قلتُ ذلك بصوتٍ عالٍ. لا يمكنني أن أتذكَّر. كل شيء آخر، لكن ليس ذلك.

هَمَدت. انتظرتُ ثلاثين تكّة ناشزة أخرى، ثم ثلاثين أخرى، من باب الاحتياط. على الأرض، كان هنري يتحرَّك ويتأوه. بدأ يستوي جلوساً، ثم عدل عن رأيه. زحَف إلى الزاوية البعيدة في الغرفة وكوَّر جسمه.

"هنري؟"، قلتُ.

لم يصدر شيء من الشكل المكوَّر في الزاوية.

"هنري، لقد ماتت. لقد ماتت وأحتاج إلى مساعدتك".

لا شيء أيضاً.

"هنري، لقد تأخر الوقت لكي نتراجع الآن. لقد تمت العملية. إذا كنت لا تريد دخول السجن - وإرسال أبيك إلى الكرسي الكهربائي - قف إذاً على قدمَيك وساعدني".

ترنَّح نحو السرير. كان شعره قد سقط على عينيه اللتين كانتا تلمعان عبر الخُصل الزاخرة بالعرق مثل عينَي حيوان مختبئ في الأجمات. لعَق شفتيه بشكل متكرر.

"لا تدُس في الدم. كمية الفوضى التي علينا تنظيفها هنا أكثر مما كنتُ أريد، لكن يمكننا تدبير أمرنا. إذا لم نلطِّخ بقية المنزل بأرجلنا".

"هل عليَّ أن أنظر إليها؟ بابا، هل عليَّ أن *أنظر*؟".

"لا. كلانا غير مضطر أن ينظر".

لففناها في لحافها جاعلين منه كَفَنها. بعد ذلك، أدرَكتُ أنه لا يمكننا حملها عبر المنزل بهذه الطريقة؛ في أنصاف خططي وأحلام يقظتي، لم أر أكثر من خيط رفيع من الدم على اللحاف حيث لامَسَ حنجرتها المذبوحة (المذبوحة بشكل *أنيق*). لم أتوقع أو حتى أفكِّر بالواقع: كان اللحاف الأبيض أرجوانياً مُسْوَدّاً في الغرفة المعتمة، يرشَح دماً مثلما يرشح الماء من إسفنجة منتفخة.

كان هناك لحاف في الخزانة. لم أتمكن من طرد الفكرة السريعة من بالي حول رأي أمي إذا رأت لماذا أستخدم هدية العرس تلك المُخيَّطة بمحبة. وضعته على الأرض. وأسقطنا أرليت عليه. ثم لففناها.

"بسرعة"، قلتُ. "قبل أن يبدأ الدم بالرشح من هذا أيضاً. لا... انتظر... اذهب وأحضر مصباحاً".

غاب لفترة طويلة لدرجة أنني بدأتُ أخشى أن يكون قد هرب. ثم رأيتُ الضوء يقترب متمايلاً من الردهة القصيرة بعد غرفة نومه إلى الغرفة التي تشاركتُها مع أرليت. كان يمكنني رؤية الدموع تنهمر على وجهه الشاحب مثل الشموع.

"ضعه على منضدة الملابس".

وضع المصباح من يده بجانب الكتاب الذي كنت أقرأه: "الشارع الرئيسي" تأليف سنكلير لويس. لم أُنهِ قراءته أبداً؛ لم *أتحمَّل* أبداً فكرة إنهائه. في ضوء المصباح، أشرتُ له إلى بُقع الدم على الأرض، وحوض الدم بجانب السرير مباشرة.

"المزيد يرشح من اللحاف"، قال. "لو كنتُ أعرف كمية الدم

فيها...".

نزعتُ الغطاء عن وسادتي ووضعته فوق طرف اللحاف مثل جورب فوق ساق نازفة. "أمسك قدميها"، قلتُ. "نحتاج إلى فعل هذا الجزء الآن. ولا تفقد الوعي مرة أخرى يا هنري، لأنني لا أستطيع أن أفعل هذا بمفردي".

"أتمنى لو كان هذا حلماً"، قال، لكنه انحنى ولفَّ ذراعيه حول أسفل اللحاف. "هل تعتقده أنه قد يكون حلماً يا بابا؟".

"سنعتقد أنه حلمٌ، بعد سنة من الآن عندما يصبح كل شيء خلفنا". كان جزء مني يصدِّق هذا في الواقع. "بسرعة الآن. قبل أن يبدأ الدم بالسيلان من غطاء الوسادة، أو من بقية اللحاف".

حَمَلناها إلى القاعة، وعبر غرفة الجلوس، وإلى الخارج عبر الباب الأمامي مثل رَجلين يحملان قطعة أثاث ملفوفة بسجادة. هدأت أنفاسي بعدما أصبحنا على سلالم الشرفة؛ فالدم في الفناء يمكن تغطيته بسهولة.

كان أداء هنري مقبولاً إلى أن وصلنا إلى زاوية حظيرة الأبقار وظهر لنا البئر القديم. كان مطوَّقاً بأوتاد خشبية لكي لا يدوس أحدٌ على غطائه الخشبي بالخطأ. بدت تلك الأوتاد متجهّمة ورهيبة في ضوء النجوم، وعند رؤيته لها، صاح هنري صيحةً مخنوقةً.

"هذا ليس قبراً لأمٍ... لأ...". هذا ما تمكّن من قوله، ثم أُغمي عليه في أجمّة الأعشاب الضارة التي نمت خلف الحظيرة. وجدتُ نفسي فجأة أحمل الوزن الثقيل لزوجتي المقتولة بمفردي. فكَّرتُ بوضع الحزمة البشعة أرضاً – كل أغطيتها منحرفة واليد المشطوبة ناتئة إلى الخارج –

لمدة تكفي لإعادة الوعي إليه. قرَّرتُ أنه سيكون أكثر رحمة له أن أتركه ممدداً على الأرض. سحَبتُها إلى طرف البئر، ووضعتها أرضاً، ورفعتُ الغطاء الخشبي. بينما كنتُ أسنده على وتدَين، زفر البئر في وجهي: نتانة الماء الراكد والأعشاب الضارة المتعفِّنة. حارَبتُ حلقي وخسرت. متمسّكاً بوتدَين لأحافظ على توازني، انحنيت عند خصري لأتقيأ عشائي وشراب العنب القليل الذي شربته. سمعتُ صدى الطرطشة عندما ارتطم القيء بالماء الموحل في الأسفل. بقيت تلك الطرطشة، مثل تفكيري *تمسَّك بالثور يا راعي البقر*، تراود ذاكرتي طوال السنوات الثمانية الأخيرة. سأستيقظ في منتصف الليل وذلك الصدى في ذهني وأشعر بشظايا الأوتاد تنغرس في راحتَي يديَّ بينما أُمسِك بها، متمسّكاً بالحياة العزيزة.

تراجَعتُ عن البئر وتعثَّرتُ بالحزمة التي تحتضن أرليت. سقَطتُ. كانت اليد المشطوبة على بُعد سنتيمترات عن عينيَّ. أعدتُ ثنيها إلى داخل اللحاف ثم ربَّتُّ عليها، كما لو أنني أواسيها. كان هنري لا يزال ممدداً على الأعشاب الضارة ورأسه مسنداً على إحدى ذراعيه. بدا مثل ولد نائم بعد يوم مرهق خلال موسم الحصاد. كانت النجوم فوقنا تلمع بالآلاف وعشرات الآلاف. يمكنني رؤية الكوكبات - الجبّار، ذات الكرسي، الدب الأكبر والأصغر - التي علَّمني إياها أبي. نبَح رَكس كلب آل كوتيري لمرة واحدة من بعيد ثم صمت. أتذكَّر قولي لنفسي، *هذه الليلة لن تنتهي أبداً*. وكان ذلك صحيحاً. فهي لم تنته أبداً في كل الطرق المهمة.

رفعتُ الحزمة بذراعيَّ، وارتعَشت.

فجمدتُ في أرضي، وانحبست أنفاسي رغم خفقان قلبي المدوّي.

بالتأكيد لم أشعر بذلك، فكّرت في سرّي. انتظَرتُ أن يتكرَّر ذلك. أو ربما أن تمدّ يدها من داخل اللحاف لتحاول أن تُمسك معصمي بأصابعها المشطوبة.

لم يحصل شيء. لقد تخيَّلتُه. بالتأكيد أنني تخيَّلتُه. لذا رميتُها في البئر. رأيتُ اللحاف يتفلّت عند الطرف غير المحصور بغطاء الوسادة، ثم سمعتُ الطرطشة. طرطشةٌ أكبر بكثير من التي أحدثها تقيؤي، لكن كان هناك أيضاً صوت خوض في الوحل. كنتُ أعرف أن منسوب المياه في الأسفل ليس عميقاً، لكنني كنتُ آمل أن يكون عميقاً كفاية ليغمرها. أخبَرَني صوت الخوض ذلك أنه لم يكن عميقاً كفاية.

لعلعَت موجة صاخبة من الضحك خلفي مثل صفارة إنذار، وكان الصوت قريباً جداً من حافة الجنون بحيث أحدثَ قشعريرةً في كل أنحاء جسمي. لقد استعاد هنري وعيه ووقف على قدمَيه. لا، أكثر من ذلك بكثير. كان يرقص بمرح خلف حظيرة الأبقار، ويلوِّح ذراعيه للسماء المرصَّعة بالنجوم، ويضحك.

"ماما في البئر ولا يهمّني!"، راح يغنّي بصوت رتيب. "ماما في البئر ولا يهمّني، لأن سيدي *سافرررر*!".

وَصَلتُ إليه في ثلاث خطوات وصفَعته بأقسى ما يمكنني، مخلّفاً آثار أصابعي الدموية على خدّه الناعم الذي لم يختبر شفرة الحلاقة بعد. "اصمت! سيصل صوتك إلى مسافة بعيدة! أيها – ها قد أيقظتَ ذلك الكلب اللعين مرة أخرى أيها الفتى المغفَّل".

نبَح رَكس مرةً، مرتين، ثلاث مرات. ثم صمت. وَقَفنا، وكنتُ ممسكاً كتفَي هنري، وأُنصت جيداً مميلاً رأسي. سال العرق على مؤخرة

عنقي. نبَح رَكس مرة أخرى، ثم توقف. إذا استيقظ أحد أفراد آل كوتيري، فسيظنّ أنه ينبح على راكون. أو هكذا كنتُ آمل.

"ادخل إلى المنزل"، قلتُ. "الأسوأ قد مرَّ".

"حقاً يا بابا؟"، نظَرَ إليَّ بوقار. "حقاً؟".

"نعم. هل أنت بخير؟ هل ستفقد وعيك مرة أخرى؟".

"هل فقدتُ وعيي؟".

"نعم".

"أنا بخير. أنا فقط... لا أعرف لماذا ضحِكتُ هكذا. كنتُ مرتبكاً. أظن لأنني مرتاح. لقد انتهى الأمر!". وفرَّت منه ضحكة خافتة، فغطى فمه بيديه مثل فتى صغير قال كلمة بذيئة أمام جَدّته عن غير قصد.

"نعم"، قلتُ. "لقد انتهى الأمر. سنبقى هنا. لقد هربت أمك إلى سانت لويس... أو ربما إلى شيكاغو... لكننا سنبقى هنا".

"هربت؟". وشَرَدت عيناه إلى البئر، والغطاء المتكئ على ثلاثة من تلك الأوتاد التي كانت متجهّمة جداً في ضوء النجوم بطريقة أو بأخرى.

"نعم يا هانك، لقد هربت". كانت أمه تكره أن تسمعني أناديه هانك، فبرأيها هذا الإسم شائع، لكن لا يمكنها فعل شيء حيال ذلك الآن. "هربت وتخلّت عنا. وبالطبع نحن حزينان، لكن في غضون ذلك، الأعمال لن تنتظر. ولا التعليم".

"وسأظل قادراً أن أكون... صديقاً لشانون".

"بالطبع"، قلتُ، وتخيّلتُ إصبع أرليت الوسطي يرسم دائرته الفاسقة حول منفرج ساقيها. "بالطبع يمكنك ذلك. لكن إذا شعرت

في يوم من الأيام بإلحاح كبير لكي تعترف لشانون – "

ارتسم تعبير رعب على وجهه. "لن أفعل ذلك أبداً!".

"هذا ما تظنه الآن، وأنا مسرور. لكن إذا انتابك الإلحاح يوماً ما، تذكَّر هذا: ستهجرك وتنبذك".

"بالطبع ستفعل ذلك"، تمتم.

"الآن ادخل إلى المنزل وأحضِر دلوَي الغسل من حجرة المؤن. ومن الأفضل أن تُحضِر دلوَين من دِلاء الحليب من الحظيرة أيضاً. املأها من مضخّة المطبخ وضع فيها بعض ذلك الصابون الذي تحتفظ به تحت المغسلة".

"هل يجب أن أسخِّن الماء؟".

لقد سمِعتُ أمي تقول، *ماء بارد للدم يا وِيلف. تذكَّر هذا.*

"لا داعي"، قلتُ. "سأنضم إليك قريباً بعد أن أعيد غطاء البئر إلى مكانه".

بدأ يهمّ بالانصراف، ثم أمسك ذراعي. كانت يداه باردتين بشكل مُرعِب. "لا أحد سيكتشف هذا أبداً!"، همَس بصوت أجش في وجهي. "لا أحد سيكتشف ما فعلناه أبداً!".

"لا أحد سيكتشفه"، قلتُ بنبرة أكثر جرأة بكثير من حقيقة شعوري. لقد ساءت الأمور من قبل، وكنتُ قد بدأتُ أدرك أن أي عمل لا يشبه حلم القيام به على الإطلاق.

"لن تعود، أليس كذلك؟".

"ماذا؟".

"لن يطاردنا شبحها، أليس كذلك؟". إلا أنه قال *يتاردنا*، بنوع اللكنة الريفية التي لطالما أزعجت أرليت وجَعَلتها تهزّ رأسها وتقلب عينيها. الآن فقط، وبعد ثماني سنوات، بدأتُ أدرك كم أن كلمة *يتاردنا* تبدو كأنها تعني *يكرهنا*.

"لا"، قلتُ.

لكنني كنتُ مخطئاً.

أخفَضتُ نظري إلى البئر، ورغم أن عمقه ستة أمتار فقط، لم يكن هناك قمر فيه وكل ما يمكنني رؤيته هو الصورة الضبابية الشاحبة للحاف. أو ربما كان غطاء الوسادة. أعدتُ غطاء البئر إلى مكانه، وقوَّمته قليلاً، ثم عدتُ إلى المنزل. حاوَلتُ اتباع المسار الذي سلكناه حاملين حزمتنا الفظيعة، ورحتُ أحفّ قدمَيَّ على الأرض عن قصد، محاولاً أن أطمس أي أثر للدم. سأفعل ذلك بشكل أفضل في الصباح.

اكتشَفتُ شيئاً تلك الليلة لن يضطر معظم الأشخاص إلى تعلّمه أبداً: القتل خطيئةٌ، القتل خطيئةٌ مميتةٌ (لذهن الشخص على الأقل)، لكن القتل عملٌ أيضاً. رحنا نفرك غرفة النوم إلى أن آلمنا ظهرانا، ثم انتقَلنا إلى القاعة، وغرفة الجلوس، والشرفة أخيراً. وكلما اعتقَدنا أننا انتهينا، يجد أحدنا بقعة أخرى. مع بدء بزوغ الفجر في الشرق، كان هنري على رُكبتيه يفرك التشقّقات بين ألواح أرضية غرفة النوم، وكنتُ على رُكبتيَّ في غرفة الجلوس، أفحص سجادة أرليت المغزولة سنتيمتراً سنتيمتراً باحثاً عن نقطة الدم الواحدة تلك التي قد تخوننا. لم أجد أي نقطة دم عليها – كنا محظوظين في هذه المسألة – لكنني وجدتُ نقطة بجانبها بحجم العشر سنتات. بدت كأنها نقطة دم من جرح أثناء

الحلاقة. نظَّفتها، ثم عدتُ إلى غرفة نومنا لأطمئن على هنري. بدا أفضل الآن، وشعَرتُ بتحسّن أنا أيضاً. أعتقد أن السبب هو ضوء النهار، الذي دائماً ما يبدو أنه يبدِّد أسوأ أهوالنا. لكن عندما أطلق جورج، ديكنا، أول صياح مُفعَم بالحيوية له في اليوم، جفل هنري. ثم ضحِك. كانت ضحكة صغيرة، ولم يكن هناك أي خطأ فيها، لكن لم تُرعِبني مثلما أرعبني ضحكه عندما استعاد وعيه بين الحظيرة وبئر الماشية القديم.

"لا يمكنني الذهاب إلى المدرسة اليوم يا بابا. أنا مُتعَب جداً. و... أعتقد أن الآخرين قد يرونه على وجهي. خاصة شانون".

لم أفكِّر بالمدرسة أبداً، وهذه دلالة أخرى على سوء التخطيط. سوء التخطيط *اللعين*. كان عليَّ تأجيل العملية إلى أن ينتهي العام الدراسي وتبدأ عطلة الصيف. وهذا يتطلّب الانتظار أسبوعاً واحداً فقط. "يمكنك أن تبقى في المنزل حتى الاثنين، ثم تُخبِر الأستاذ أنك مرضت بالإنفلونزا ولم ترغب أن تنقل العدوى إلى زملائك في الصف".

"ليس الإنفلونزا، لكنني *مريض*".

وأنا أيضاً.

بسطنا ملاءة نظيفة من خزانة كتّانها (أشياء كثيرة في ذلك المنزل كانت *لها*... لكن ليس بعد اليوم) وكوَّمنا أغطية السرير الدموية عليها. كان الفِراش ملطخاً بالدم أيضاً، بالطبع، وعلينا التخلّص منه. كان هناك فِراش آخر، ليس بنفس الجودة، في الحظيرة الخلفية. حزَّمتُ أغطية السرير مع بعضها، وحملَ هنري الفِراش. عدنا إلى البئر قبل شروق الشمس كلياً. كانت السماء فوقنا صافية تماماً. سيكون اليوم جيداً

لمحصول الذرة.

"لا يمكنني النظر إلى داخله يا بابا".

"لستَ مضطراً إلى فعل ذلك"، قلتُ، ورفعتُ الغطاء الخشبي مرة أخرى. كنت أفكِّر أنه كان عليَّ ألا أعيد الغطاء إلى مكانه من الأساس - *فكِّر مسبقاً، ووفِّر بعض الأعمال على نفسك*، كان والدي يقول دائماً - ومعرفة أنه لم يكن بإمكاني عدم فعل ذلك أبداً. ليس بعد شعوري (أو الظن أنني شعرتُ) بذلك الارتعاش الأعمى الأخير.

يمكنني رؤية القعر الآن، وما رأيته كان رهيباً. لقد حطَّت جالسةً ورجلاها مسحوقتان تحتها. وقد تمزَّق غطاء الوسادة وأصبح على حُضنها. واللحاف تحرَّر وانتشر حول كتفَيها مثل شال نسائي مطوي على نفسه. وكيس الخيش علق حول رأسها مُرجعاً شعرها إلى الخلف مثل شبكة شعر، ومُكملاً الصورة: بدت تقريباً كما لو أنها ارتدت لتمضية السهرة في البلدة.

نعم! تمضية السهرة في البلدة! لهذا السبب أنا سعيدة جداً! لهذا السبب أبتسم ملء شدقيَّ! وهل لاحظتَ مدى قوة أحمر شفتيَّ يا وِيلف؟ لن أضع هذه الدرجة من الأحمر أبداً إلى دار العبادة، أليس كذلك؟ لا، هذا هو نوع أحمر الشفاه الذي تضعه المرأة عندما تريد فعل ذلك الشيء البغيض لرجلها. هيا انزل يا وِيلف، لماذا لا تنزل؟ لا تتكبَّد عناء استخدام سُلَّم، اقفز فقط! أرني كم أنت مشتاق لي! لقد فعلتَ شيئاً بغيضاً لي، والآن دعني أفعل لك شيئاً بغيضاً أيضاً!

"بابا؟". كان هنري يقف مديراً وجهه نحو الحظيرة ومحدِّباً كتفَيه، مثل فتى يتوقع أن يُصفَع. "هل كل شيء على ما يرام؟".

"نعم". قذَفتُ حزمة الكتّان إلى أسفل، على أمل أن تحطّ فوقها وتغطي ابتسامتها المريعة المقلوبة إلى أعلى، لكن نسيماً فجائياً حطَّها على حُضنها بدلاً من ذلك. بدت الآن كما لو أنها تجلس على سحابة غريبة وملطَّخة بالدم.

"هل غطّتها؟ هل غطّتها يا بابا؟".

أمسَكتُ الفِراش ورميته أيضاً. فحطَّ على طرفه في الماء الموحل ثم سقط على الجدار الدائري المرصوف بالأحجار، مشكِّلاً سقيفة منحدرة صغيرة فوقها، ومُخفياً أخيراً رأسها المائل إلى الوراء وابتسامتها الدموية.

"الآن أصبحت مغطاة". أعدتُ الغطاء الخشبي القديم إلى مكانه، وأنا أعرف أنه لا تزال هناك أعمال كثيرة: يجب ملء البئر. آه، لكنني تأخرت على فعل ذلك كثيراً، على أي حال. كان خطيراً، لهذا السبب زرعتُ دائرة الأوتاد حوله. "هيا ندخل المنزل ونعدّ الفطور".

"لا يمكنني أن آكل لقمة واحدة!".

لكنه أكل. كلانا أكل. قليتُ بعض البيض، واللحم المقدَّد، والبطاطا، وأكَلنا الطبق حتى آخره. العمل الشاق يجعل المرء جائعاً. الجميع يعرف هذا.

مكتبة

نام هنري حتى وقت متأخر بعد الظهر. وبقيتُ مستيقظاً. أمضيتُ بعض تلك الساعات جالساً إلى طاولة المطبخ، أشرب كوب قهوة سوداء تلو الكوب. وأمضيتُ بعضها أتجوَّل بين صفوف الذرة، وأستمع إلى حفيف الأوراق في النسيم العليل الذي يشبه صوت مبارزة بالسيف. عندما يحلّ شهر يونيو ويحين حصاد الذرة، تبدو شتلات الذرة كما لو أنها ستنطق. هذا يُقلِق بعض الأشخاص (وهناك الحمقى

الذين يقولون إنه صوت الذرة الذي يرتفع في الواقع)، لكنني لطالما شعرتُ أن ذلك الصوت مهدّئ ومريح لأعصابي. يصفّي لي ذهني. أفتقده الآن جالساً في غرفة فندق المدينة هذه. حياة المدينة لا تلائم رجل الريف؛ لأن تلك الحياة لهكذا رجل نوعٌ من الخطيئة المميتة بحد ذاتها.

وجدتُ أن الاعتراف عمل شاق أيضاً.

رحتُ أسير، وأستمع إلى الذرة، وأحاول التخطيط، ووضعتُ خطة في النهاية. عليّ أن أفعل ذلك، وليس لنفسي فقط.

كان هناك زمن قبل أقل من عشرين سنة، عندما كان الرجل في وضعي غير مضطر أن يقلق؛ ففي تلك الأيام، كانت أعمال الرجل شأنه الخاص، خاصة إذا صدف وكان مُزارعاً محترَماً: رجلٌ يدفع ضرائبه، ويذهَب إلى دار العبادة أيام الأحد، ويشجّع فريق البيسبول هيمينغفورد ستارز، ويصوِّت للحزب الجمهوري. أعتقد أنه في تلك الأيام، كانت كافة أصناف الأشياء تحدث في المزارع في ما كنا نسمّيه "الوسط". أشياء تحدث دون أن يلحظها أحد، وحتى دون أن يبلِّغ عنها أحد. في تلك الأيام، كانت زوجة الرجل شأنه الخاص، وإذا اختفت، كانت الأمور تنتهي عند هذا الحد.

لكن تلك الأيام ولّت إلى غير رجعة، وحتى لو لم يحصل ذلك... كانت هناك الأرض. الفدادين المئة. لقد أرادت شركة فارينغتون تلك الفدادين لمسلَخها اللعين، وقد جعلتهم أرليت يصدِّقون أنهم سيحصلون عليها. هذا يعني خطراً، والخطر يعني أن أحلام اليقظة وأنصاف الخطط لن تكفي بعد اليوم.

عندما عدتُ إلى المنزل منتصف بعد الظهر، كنتُ مُتعَباً لكن صافي الذهن وهادئاً أخيراً. كانت أبقارنا القليلة تخور، فقد تأخر موعد حَلبها الصباحي. أنجزتُ هذا العمل، ثم أطلقتها إلى المرعى حيث سأتركها حتى الغروب، بدلاً من إدخالها لحَلبها للمرة الثانية بعد العشاء مباشرة. هي لا تهتمّ؛ فالأبقار تتقبَّل الواقع *كما* هو. لو كانت أرليت أشبه بإحدى أبقارنا، فكّرتُ في سرّي، لكانت لا تزال حيّة وتتذمَّر للحصول على غسّالة جديدة. وكنتُ لأشتريها لها على الأرجح. يمكنها إقناعي دائماً. ما عدا عندما تعلّقت المسألة بالأرض. كان الأجدر بها أن تكون أكثر إدراكاً. الأرض شأن خاص لكل رجل.

كان هنري لا يزال نائماً. أصبح ينام لفترات طويلة في الأسابيع التي تلت، وكنتُ أتركه، رغم أنني كنتُ سأملأ له أيامه في الصيف العادي بأعمال بعد انتهاء العام الدراسي. وكان سيملأ أمسياته إما بزيارة منزل آل كوتيري أو السير ذهاباً وإياباً على طريقنا الترابي مع شانون، وهما يُمسكان يدَي بعضهما ويراقبان بزوغ القمر. عندما لا يتبادلان القُبل، طبعاً. كنتُ آمل ألا يكون ما فعلناه قد أفسد عليه تلك الأوقات المرحة، لكنني أظن أن هذا ما حصل بالضبط. هذا ما فعلتُه به. وكنتُ محقاً بالطبع.

صفّيت ذهني من هكذا أفكار، وقلتُ لنفسي إنه يكفي الآن أنه نائم. عليَّ القيام بزيارة أخرى إلى البئر، ومن الأفضل أن أقوم بذلك بمفردي. بدا سريرنا المعرّى أنه يصرخ بحدوث جريمة قتل. ذهَبتُ إلى الخزانة ودَرَستُ ملابسها. تملك النساء الكثير من الملابس، أليس كذلك؟ تنانير وفساتين وبلوزات وكنزات وملابس داخلية - وبعض تلك الملابس الداخلية معقَّد وغريب لدرجة أن الرجل لا يستطيع حتى

معرفة أي جهة هي الأمامية. سيكون من الخطأ أخذها كلها، لأن الشاحنة لا تزال مركونة في الحظيرة وسيارة الفورد موديل تي تحت شجرة الدردار. لقد غادرت سيراً على الأقدام وأخذت فقط ما يمكنها حمله. لماذا لم تأخذ سيارة الفورد؟ لأنني كنتُ سأسمع صوت محرّكها فأمنعها من الذهاب. كان يمكن تصديق هذه الحجّة المنطقية. لذا... حقيبة سفر واحدة.

ملأتها بما اعتقَدتُ أن المرأة ستحتاج إليه ولا يمكنها أن تتحمَّل فكرة تركه وراءها. ووَضَعتُ بعض قِطع المجوهرات الجيدة وصورة أمها وأبيها ذات الإطار الذهبي. تناقشَتُ حول مستحضرات العناية الشخصية في الحمّام، وقرّرتُ ترك كل شيء ما عدا زجاجة عطرها فلوريان وفرشاة شعرها المصنوع مقبضها من قرن حيوان. كان هناك كتاب أدعية على منضدة سريرها، هدية من الموقَّر هوكنز، لكنني لم أرها تقرأ منه أبداً، لذا تركته في مكانه. لكنني أخذتُ زجاجة حبوب الحديد، التي كانت تحتفظ بها لفترات حيضها.

كان هنري لا يزال نائماً، لكنه يتقلَّب يميناً ويساراً الآن كما لو أنه في قبضة أحلام مزعجة. أسرعَتُ لإنهاء ما أفعله بأسرع ما يمكنني، لأنني أردتُ أن أكون في المنزل عندما يستيقظ. ذهَبتُ حول الحظيرة إلى البئر، ووضعت حقيبة السفر أرضاً، ورفعتُ الغطاء القديم المشقَّق للمرة الثالثة. الحمد لله أن هنري ليس معي. الحمد لله أنه لم ير ما رأيته. أعتقد أنه كان ليُفقده عقله. فقد أوشك على إفقادي عقلي.

كان الفِراش قد دُفعَ جانباً. وأول فكرة خطرت على بالي هي أنها دفَعته جانباً قبل أن تحاول التسلّق. لأنها لا تزال حيّة. لا تزال تتنفس. أو هكذا بدا لي في البدء. ثم، مع عودة قدرتي على التفكير السليم بعد

صدمتي الأولية - عندما بدأتُ أسأل نفسي عن نوع التنفّس الذي يجعل فستان المرأة يرتفع وينخفض ليس فقط عند مستوى الصدر بل على كل المسافة من فتحة العنق إلى الحاشية - بدأ فكّها يتحرّك، كما لو أنها تكافح لتتكلَّم. لكن لم تكن كلمات ما خرج من فمها المتوسِّع بشكل كبير، بل جرذاً كان يمضغ لسانها الشهي. ظهر ذيله أولاً. ثم تثاءب فكّها السفلي بشكل أعرض بينما تراجَع الجرذ إلى الخلف، غارساً مخالب قدمه الخلفية في ذقنها ليثبّت نفسه.

سقط الجرذ في حُضنها، وعندها، خرجت مجموعة كبيرة من إخوته وأخواته من تحت فستانها. كان هناك شيء أبيض عالق في شوارب أحدها - جزء من قميصها التحتي، أو ربما حمّالة صدرها. رميتُ حقيبة سفرها على الجرذان. لم أفكِّر بالمسألة - كان ذهني يهدر من الاشمئزاز والرعب - لكنني فعلتُها وحسب. فحطَّت على رجلَيها. تجنَّبتها معظم القوارض - وربما كلها - برشاقة كافية. ثم تدفّقت إلى داخل فجوة سوداء مستديرة غطّاها الفِراش (والذي لا شكّ أنها دفَعَته جانباً بسبب وزن عددها الكبير فحسب)، واختفت بلمح البصر. عرَفتُ بشكل جيد بما فيه الكفاية ما كانت تلك الفجوة؛ إنها فوهة الأنبوب الذي كان يزوِّد الماء إلى المجاري في الحظيرة إلى أن انخفض منسوب الماء بشكل كبير وأصبح عديم الجدوى.

تدلّى فستانها حولها. وتوقف التنفّس الزائف. لكنها كانت تحدِّق فيَّ، وما بدا أشبه بابتسامة مهرِّج أصبح يبدو الآن مثل حملقة غورغون. يمكنني رؤية عضّات جرذان على خدّيها، وكانت شحمة إحدى أذنيها قد اختفت.

"يا إلهي"، همَستُ. "أرليت، آسف جداً".

اعتذارك غير مقبول، بدا لي أن حملقتها تقول لي. *وعندما يعثرون عليَّ بهذه الحالة، مع عضّات جرذان على وجهي الميت وملابسي الداخلية تحت فستاني ممضوغة، ستُعدَم على الكرسي الكهربائي في لينكولن بالتأكيد. وسيكون وجهي آخر وجه تراه. ستراني عندما تقلي الكهرباء كبدك وتُضرِم النار في قلبك، وستجدني أبتسم لك.*

أرجعت الغطاء إلى مكانه وعدتُ مترنِّحاً إلى الحظيرة. خانتني رجلاي هناك، ولو كنتُ في الشمس، لكنتُ فقدتُ الوعي بالتأكيد على غرار هنري في الليلة السابقة. لكنني كنتُ في الظل، وبعد أن جلَستُ لخمس دقائق مُخفضاً رأسي إلى رُكبتيَّ تقريباً، بدأتُ أستعيد رباطة جأشي مرة أخرى. لقد تمكَّنت منها الجرذان - وما الضرر في ذلك؟ ألا تفعل الجرذان هذا معنا كلنا في نهاية المطاف؟ الجرذان والحشرات؟ حتى أقوى تابوت سينهار عاجلاً أم آجلاً ويُدخِل تلك المخلوقات لتتغذى على الجثة. هذه هي سنّة الحياة، وما الفرق؟ عندما يتوقف القلب ويختنق الدماغ، ستخرج روحنا من جسدنا. وبالتالي نحن لا نشعر بقضم لحمنا عن عظامنا.

توجَّهتُ إلى المنزل وعندما وصلتُ إلى سلالم الشرفة، استوقفتني فكرةٌ: ماذا بشأن الارتعاش؟ ماذا لو كانت حيّة عندما رميتُها في البئر؟ ماذا لو كانت *لا تزال* حيّة، مشلولة، غير قادرة على الحركة مثل أحد أصابعها المشطوبة، عندما خرجت الجرذان من الأنبوب وبدأت تقضمها؟ ماذا لو شعَرت بذلك الجرذ الذي حشر نفسه في فمها المتوسِّع بشكل مريح وبدأ -!

"لا"، همَستُ. "لم تشعر بذلك لأنها لم ترتعش. أبداً. كانت ميتة عندما رميتُها".

"بابا؟"، نادى هنري بصوت نعِس مشوَّش. "بابا، هل هذا أنت؟".

"نعم".

"مع مَن تتكلَّم؟".

"لا أحد. أكلِّم نفسي".

دخَلتُ. كان يجلس إلى طاولة المطبخ في قميصه الذي بلا أكمام وسرواله الداخلي، ويبدو مذهولاً وحزيناً. ذكَّرني شعره الواقف في خصلات مرفوعة بالطفل الذي كان عليه فيما مضى، يضحك ويطارد الدجاجات في الفناء وكلب صيده بُوو (كان قد مات منذ فترة طويلة في ذلك الصيف) وراءه مثل ظلّه.

"أتمنى لو لم نفعل ذلك"، قال بينما جلَستُ مقابله.

"ما حصل قد حصل ولا يمكننا إلغاءه"، قلتُ. "كم مرة قلتُ لك هذا يا فتى؟".

"حوالي مليون مرة". أخفَض رأسه لبضع لحظات، ثم رفع نظر إليَّ. كانت عيناه مُحتقِنتين بالدم. "هل سيُلقى القبض علينا؟ هل سندخل السجن؟ أو...".

"لا. لديَّ خطة".

"كانت لديك خطة بأنها لن تتألم! انظر كيف سارت الأمور!".

شعرتُ برغبة أن أصفعه لقوله ذلك، لكنني شبكتُ يديَّ ببعضهما متمالكاً نفسي. لم يكن هذا الوقت المناسب لتبادل الاتهامات. بالإضافة إلى ذلك، كان محقاً. فكل خطأ حصل كان ذنبي. *ما عدا الجرذان*، فكّرت في سرّي. *ليست ذنبي*. لكنها كانت ذنبي.

بالطبع هي ذنبي. لولاي، لكانت الآن أمام الموقد تحضّر العشاء. وربما تثرثر باستمرار بشأن تلك الفدادين المئة، نعم، لكن حيّة وبصحة جيدة بدلاً من أن تكون في البئر.

الأرجح أن الجرذان عادت إليها الآن، همَس صوتٌ عميقٌ في أذني. *تأكلها. ستقضي على أعضائها الجيدة، الأعضاء اللذيذة المذاق، الأطعمة الشهية، ثم...*

مدَّ هنري يده عبر الطاولة ليلمس يديَّ المتشابكتين. فجفلتُ.

"آسف"، قال. "نحن معاً في هذا".

أحببتُه لقوله هذا.

"سنكون بخير يا هانك؛ إذا حافظنا على هدوئنا، سنكون بخير. اسمعني الآن". فاستمَع. وبدأ يؤمئ برأسه في مرحلة من المراحل. عندما أنهيتُ كلامي، سألني سؤالاً واحداً: متى سنملأ البئر؟

"ليس بعد"، قلتُ.

"أليس هذا محفوفاً بالمخاطر؟".

"نعم"، قلتُ.

بعد يومين، وبينما كنتُ أصلِّح جزءاً من السور يبعُد حوالي أربعمئة متر عن المزرعة، رأيتُ سحابة كبيرة من الغبار فوق مسارنا من طريق أوماها-لينكولن العام. كنا على وشك تلقي زيارة من العالم الذي أرادت أرليت بقوة أن تكون جزءاً منه. عدتُ إلى المنزل معلّقاً مطرقتي بحلقة الحزام ومئزر النجارة الخاص بي حول خصري، وكيسه الطويل مليء بمسامير مجلجِلة. لم أر هنري في أي مكان. ربما ذهب إلى

النبع لكي يستحمّ؛ وربما كان نائماً في غرفته.

حين وصلتُ إلى الفناء وجلستُ على كتلة التقطيع، تعرَّفتُ على المركبة التي تثير الغبار وراءها: شاحنة لارس أولسن للتوصيل. كان لارس حدّاد هيمينغفورد هوم وموزِّع حليب القرية. كما كان، لقاء سعر محدَّد، يخدم كسائق، وهذه كانت الوظيفة التي يقدّمها في بعد ظهر يونيو هذا. توقفت الشاحنة في الفناء، دافعةً جورج، ديكنا المعكَّر مزاجه، وحريمه الصغير من الدجاجات إلى الفرار. قبل أن ينطفئ المحرّك، نزل رجل بدين ملفوف بمعطف طويل رمادي من جهة الراكب. خلعَ نظاراته الواقية ليكشف عن دائرتين بيضاوين كبيرتين (وهزليتين) حول عينيه.

"وِيلفْرَد جايمس؟".

"في خدمتك"، قلتُ وأنا أنهض. كنتُ أشعر بهدوءٍ كافٍ. كنتُ لأشعر بهدوء أقل لو أنه جاء في سيارة فورد المقاطعة التي تحمل نجمة على بابها. "وأنت -؟".

"أندرو لستر"، قال. "محامٍ في القانون".

مدَّ يده. ففكَّرتُ بالأمر.

"قبل أن أصافحك، من الأفضل أن تُخبرني محامي مَن أنت، يا سيد لستر".

"أنا حالياً أمثّل شركة فارينغتون للمواشي في شيكاغو وأوماها ودِمْوين".

نعم، فكّرت في سرّي، ليس لديَّ شك في ذلك. لكنني أكيد أن إسمك ليس حتى على الباب. فكبار الشأن في أوماها ليسوا مضطرين

أن يتحمّلوا غبار الريف ليكسبوا خبزهم اليومي، أليس كذلك؟ كبار الشأن يرفعون أقدامهم على مكاتبهم، ويشربون القهوة ويُبدون الإعجاب بكواحل سكرتيراتهم.

قلتُ، "في هذه الحالة، يا سيد، لماذا لا تُبعد يدك عني؟ لا أقصد التقليل من شأنك".

ففعل ذلك، وبابتسامة المحامين. كان العرق يخطّ خطوطاً واضحةً على خدّيه البدينين، وكل شعره متلبِّداً ومتشابكاً من الطريق. تجاوزته إلى لارس، الذي كان قد فتح غطاء محرّكه ويعبث بشيء في داخله. كان يصفِّر وبدا سعيداً مثل عصفور على سلك. حسَدتُه على ذلك. اعتقَدتُ أنني سأشهد يوماً سعيداً آخر مع هنري – في عالم متنوّع مثل هذا، أي شيء ممكن – لكنه لن يحصل في صيف 1922. أو في الخريف.

صافحتُ لارس وسألته عن أحواله.

"مقبولة جداً"، قال، "لكن جافة. يمكنني الاستعانة بكوب ماء".

أومأتُ برأسي نحو الجهة الشرقية للمنزل. "أنت تعرف مكانه".

"أجل"، قال، وأغلق غطاء المحرّك بقوة أجفلت الدجاجات، التي كانت قد عادت متسلّلة، وهرّبتها مرة أخرى. "عذب وبارد كالعادة، أظن؟".

"بالضبط"، قلتُ موافقاً، وأنا أفكّر: *لكن إذا كنت لا تزال قادراً على الضخّ من ذلك البئر الآخر يا لارس، لا أعتقد أنك ستهتم بالمذاق أبداً*. "جرّب ذلك وسترى".

سار ملتفّاً نحو الجهة الظليلة للمنزل حيث تقف المضخّة الخارجية

في سقيفتها الصغيرة. راقبه السيد لستر يذهب، ثم التفت نحوي. وفكَّ أزرار معطفه الطويل. ستحتاج بذلته تحت المعطف إلى تنظيف جاف عندما يعود إلى لينكولن، أو أوماها، أو ديلاند، أو أينما يعلِّق قبعته عندما لا يُنجز مهام كول فارينغتون.

"أنا أريد أن أشرب يا سيد جايمس".

"وأنا أيضاً. فإصلاح السور عمل مرهق". نظرتُ إليه بازدراء. "لكن بالتأكيد ليس مرهقاً مثل الركوب لثلاثين كيلومتراً في شاحنة لارس".

فَرَكَ مؤخرته وابتسم ابتسامة المحامين. كان فيها بعض الندم هذه المرة. يمكنني رؤية عينيه تتنقّلان من قبل إلى هنا وهناك وإلى كل مكان. لن يفيدني بشيء التقليل من شأن هذا الرجل لمجرد أنه طُلب منه تكبّد عناء قطع ثلاثين كيلومتراً إلى الريف في يوم صيفي حارّ. "قد لا تعود مؤخرتي إلى سابق عهدها أبداً".

كانت هناك مِغرفة مربوطة بسلسلة بجانب السقيفة الصغيرة. ملأها لارس بالكامل، وشرِبها كلها مع ارتفاع جوزة حلقه وانخفاضها في عنقه الهزيل المحترق من الشمس، ثم ملأها مرة أخرى وقدَّمها إلى لستر، الذي نظر إليها بارتياب مثلما نظرتُ إلى يده الممدودة. "ربما يمكننا شربها في الداخل، سيد جايمس. سيكون ذلك أبرد قليلاً".

"أجل"، وافقتُ، "لكنني لن أدعوك تماماً مثلما لن أصافحك".

رأى لارس أولسن كيف كانت الرياح تهبّ ولم يهدر وقته بالعودة إلى شاحنته. لكنه أعطى لستر المِغرفة أولاً. لم يشرب زائري بجرعات كبيرة، مثلما فعل لارس، بل في رشفات نيِّقة. بمعنى آخر، مثل محامٍ –

لكنه لم يتوقف إلى أن أفرغ المِغرفة، وهذا كان على غرار المحامين أيضاً. خُبِط باب المنخل وخرج هنري من المنزل بردائه السروالي وقدمَيه العاريتين. ألقى لمحة علينا بدت غير مبالية تماماً - فتى مؤدَّب! - ثم ذهَب إلى حيث يذهب كل فتى ريفي شجاع: لمراقبة لارس يعمل على شاحنته، ويتعلّم شيئاً إذا كان محظوظاً.

جلَستُ على كومة الحَطَب التي نحتفظ بها تحت رقعة قماشية في هذه الجهة من المنزل. "أتخيَّل أنك أتيت إلى هنا في رحلة عمل. أرض زوجتي".

"صحيح".

"حسناً، لقد شربتَ ماءك، لذا من الأفضل ألا نضيّع الوقت. لا يزال لديَّ عمل يوم كامل، وقد أصبحت الثالثة بعد الظهر".

"من الشروق إلى الغروب. الزراعة حياة صعبة". تنهَّد كما لو أنه يعرف ذلك جيداً.

"نعم صعبة، وبإمكان الزوجة الصعبة الإرضاء جعلها أصعب حتى. أظن أنها أرسَلتك، لكنني لا أعرف السبب - إذا كانت مجرد مستندات قانونية، أظن أن نائب المأمور كان سيأتي ويسلّمني إياها".

نظَرَ إليَّ متفاجئاً. "لم ترسلني زوجتك يا سيد جايمس. في الواقع، لقد أتيتُ إلى هنا لأبحث *عنها*".

كان الأمر أشبه بمسرحية، وكانت هذه الجملة إشارتي لكي أبدو مُحتاراً. ثم لكي أضحك ضحكة خافتة، لأن خطوة الضحك الخافت هي التالية وفق الإخراج المسرحي. "هذا يؤكّد ذلك".

"يؤكّد ماذا؟".

"عندما كنتُ فتى في فورديس، كان لدينا جار - عجوز متهتّك يدعى برادلي. يسمّيه الجميع برادلي الفوّار".

"سيد جايمس -"

"كان أبي يضطر إلى القيام بأعمال تجارية معه من وقت لآخر، ويأخذني معه أحياناً. كان هذا في أيام الحنطور. كانت ذرة البَذْر أغلبية الصفقات التجارية بينهما، في الربيع على الأقل، لكنهما كانا يتقايضان الأدوات أحياناً. لم تكن هناك خدمة الشراء بالبريد وقتها، والأداة الجيدة قد تجول في كل أرجاء المقاطعة قبل أن تعود إلى منزلها".

"سيد جايمس، بالكاد أرى العلا -"

"وكلما ذهَبنا لرؤية ذلك العجوز، تطلب مني ماما أن أسدّ أذنيَّ، لأن كل كلمة وأخرى تخرج من فم برادلي الفوّار كانت شتيمة أو شيئاً قذراً". كنت بدأتُ أستمتع بهذا بشكل فظّ نوعاً ما. "لذا كنتُ بالطبع أُنصت إليه جيداً. أتذكَّر أن أحد الأقوال المفضَّلة لدى الفوّار هو 'لا تركب الفرس من دون لجام أبداً، لأنه لا يمكنك أن تحزر أبداً في أي اتجاه ستركض الحقيرة'".

"وهل يُفترَض بي أن أفهم هذا؟".

"في أي اتجاه تظن أن حقيرتي ركضت يا سيد لستر؟".

"هل تقصد أن تقول لي إن زوجتك...؟".

"فرّت يا سيد لستر. ارتحَلت فجأة. انصرَفت بدون استئذان. رفرفت في منتصف الليل. بصفتي قارئاً شرِهاً وطالباً في التعابير العاميّة الأميركية، فإن هكذا مصطلحات تخطر على بالي بدون عناء. لكن لارس - ومعظم سكان البلدة الآخرين - سيقول فقط إنها 'فرّت

وهجرته' عندما ينتشر الخبر. أو هجرته والفتى، في هذه الحالة. اعتقَدتُ بالطبع أنها ذهبت إلى أصدقائها محبّي المواشي في شركة فارينغتون، وأن الخبر التالي الذي سأسمعه منها هو إشعار بأنها تبيع أرض أبيها".

"مثلما تنوي أن تفعل".

"هل وقَّعتْ عقد البيع؟ لأنني سألجأ إلى القضاء على ما أظن، إذا فعلت ذلك".

"في الواقع، لم توقِّعه. لكن عندما تفعل ذلك، لا أنصحك بأن تتكلّف أعباء أي إجراء قانوني لأنك ستخسره بالتأكيد".

نهضتُ. سقطت إحدى حمّالتَي ردائي السروالي عن كتفي، فأعدتها إلى مكانها بإبهامي. "حسناً، بما أنها ليست هنا، فإن وضعنا الحالي هو ما يسمّيه القانون 'سؤالاً افتراضياً'، ألا تعتقد ذلك؟ لو كنتُ مكانك لبحثتُ عنها في أوماها". وابتسمتُ. "أو سانت لويس. كانت تتكلم عن سانت لويس دائماً. ويبدو لي أنها ضجرت منكم مثلما ضجرت مني ومن الإبن الذي أنجبته. وقالت وداعاً إلى غير عودة للحياة التعيسة. وليُصِب الطاعون المنزلَين. هذا شكسبير، على فكرة. *روميو وجولييت*. مسرحية عن الحب".

"اعذرني على قولي التالي، لكن كل هذا يبدو لي غريباً جداً يا سيد جايمس". وأخرَجَ منديلاً حريرياً من جيب داخل بذلته - أنا أكيد أن المحامين المسافرين أمثاله لديهم الكثير من الجيوب - وبدأ يمسح وجهه به. لم يعد خدّاه متوهّجين بل حمراوين ساطعين. لم يكن حرّ اليوم هو الذي جعل وجهه بذلك اللون. "غريب جداً بالفعل، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المبلغ المستعد أن يدفعه عميلي ثمن ذلك العقار،

المجاور لنهر هيمينغفورد والقريب من سكة غرايت وسترن الحديدية".

"سأحتاج إلى بعض الوقت أنا أيضاً لأعتاد على المسألة، لكن لديَّ أفضلية وجودك".

"نعم؟".

"أنا أعرفها. وأنا أكيد أنك و*عملاؤك* ظننتم أن الصفقة في حُكم المعقودة، لكن أرليت جايمس... لنقل فقط إن إلزامها بشيء هو أشبه بمحاولة إلزام الهلام بالثبات على الأرض. علينا أن نتذكّر ما قاله برادلي الفوّار يا سيد لستر. لماذا، كان الرجل عبقرياً ريفيّاً".

"هل يمكنني أن أنظر داخل المنزل؟".

ضحِكتُ مرة أخرى، ولم تكن ضحكة مصطنعة هذه المرة. الرجل وقح، سأُقرّ له بذلك، وأتفهّم عدم رغبته بالعودة خالي الوفاض. لقد قطع ثلاثين كيلومتراً في شاحنة مليئة بالغبار ومن دون أبواب، وأمامه ثلاثون كيلومتراً أخرى قبل أن يعود إلى هيمينغفورد سيتي (ورحلة في القطار بعد ذلك، بلا شك)، ومؤخّرته تؤلمه، ولن يُسرَّ الأشخاص الذين أرسلوه إلى هنا بتقريره عندما يصل أخيراً إلى نهاية كل ذلك السفر المرهق. مسكين!

"سأجيبك بسؤال: هل يمكنك أن تُنزل بنطلونك لكي أتمكن من رؤية بضاعتك؟".

"أجد هذا مهيناً".

"لا ألومك. اِعتبره... وهذا ليس تشبيهاً، فهذا لن يكون صحيحاً، بل نوعاً من *الحكايات الرمزية*".

"لا أفهمك".

"حسناً، لديك ساعة للعودة إلى المدينة لكي تفكِّر فيها - ساعتين، إذا انثقبت إحدى عجلات شاحنة لارس. ويمكنني أن أؤكِّد لك، سيد لستر، أنه إذا سمحتُ لك بالبحث بفضول في منزلي - مملكتي الخاصة، حصني، بضاعتي - فلن تجد جثة زوجتي في الخزانة أو...". مرَّت لحظة فظيعة كدتُ أقول فيها *أو في البئر*. شعَرتُ بالعرق يسيل على جبهتي. "أو تحت السرير".

" لم أقل أبداً -"

"هنري!"، ناديتُ. "تعال إلى هنا لدقيقة!".

جاء هنري مُخفضاً رأسه ويجرّ قدمَيه في الغبار. بدا قلقاً، وربما حتى مذنباً، لكن كان لا بأس بذلك. "نعم سيدي؟".

"أخبِر هذا الرجل أين أمك".

"لا أعرف. عندما ناديتني إلى الفطور صباح الجمعة، كانت قد اختفت. وضّبت أمتعتها وغادرت". كان لستر ينظر إليه بتركيزٍ عالٍ. "هل هذه الحقيقة يا بُنيَّ؟".

"نعم سيدي".

t.me/ktabpdf t.me/ktabrwaya

"الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة؟".

"بابا، هل يمكنني أن أعود إلى المنزل؟ لديَّ واجبات مدرسية متأخرة بسبب مرضي".

"هيا اذهب"، قلتُ، "لكن لا تكن بطيئاً. تذكَّر، إنه دورك في الحَلب هذه المرة".

"نعم سيدي".

صعد السلالم ودخلَ. كان لستر يراقبه، ثم التفتَ إليَّ. "هناك

أكثر مما تراه العين".

"أرى أنك لا ترتدي خاتم زواج يا سيد لستر. إذا صدفَ وارتديتَ واحداً في يوم من الأيام لنفس المدة التي ارتديتُه خلالها، فستعرف أنه في العائلات، هناك دائماً أكثر مما تراه العين. وستعرف شيئاً آخر أيضاً: لن تعرف أبداً في أي اتجاه ستركض الحقيرة".

نهض. "لم ينته هذا".

"بلى انتهى"، قلتُ وأنا أعرف أنه لم ينته. لكن إذا سارت الأمور على ما يرام، فنحن أقرب إلى النهاية من أي وقت مضى. *إذا*.

بدأ يسير عبر الفناء، ثم اِلتفتَ. استخدَم منديله الحريري ليمسح وجهه مرة أخرى، ثم قال، "إذا كنت تعتقد أن تلك الفدادين المئة مُلكك لمجرد أنك جعلت زوجتك تهرب خوفاً... جعلتها توضّب أمتعتها وتذهب إلى عمّتها في ديموين أو أختها في مينيسوتا –"

"ابحث في أوماها"، قلتُ مبتسماً. "أو سانت لويس. لم تكن تستخدم روابطها العائلية، لكنها كانت مهووسة بفكرة العيش في سانت لويس. لا أعلم لماذا".

"إذا كنت تعتقد أنه يمكنك أن تزرع وتحصد هناك، من الأفضل لك أن تعيد التفكير. فتلك الأرض ليست مُلكك. وإذا رميتَ ولو بذرة واحدة هناك، ستراني في المحكمة".

قلتُ، "وأنا أكيد أنها ستتصل بك حالما تُصاب بحالة إفلاس سيئة".

ما أردتُ قوله كان، *لا، ليست مُلكي... لكنها ليست مُلكك أيضاً. ستبقى جالسة هناك. ولا بأس بهذا، لأنها ستصبح مُلكي بعد*

سبع سنوات، عندما أذهب إلى المحكمة لأُعلنها ميتة قانونياً. يمكنني الانتظار. سبع سنوات من دون أن أشتمّ رائحة روث الأبقار كلما هبّت الرياح من الغرب؟ سبع سنوات من دون أن أسمع صرخات المواشي المُحتضَرة (التي تشبه صرخات امرأة تُحتضَر إلى حد بعيد) أو رؤية أمعائها تعوم في نهر محمّر من الدم؟ تبدو لي هذه السنوات السبعة سنوات رائعة.

"أتمنى لك يوماً سعيداً يا سيد لستر، وانتبه من الشمس أثناء العودة. فهي تصبح شرسة جداً بعد الظهر، وستضرب وجهك مباشرة".

ركب الشاحنة من دون أن يردّ عليَّ. لوَّح لي لارس وعبسَ لستر في وجهه. نظرَ إليه لارس نظرةً قد تعني *اعبس وانبح قدر ما تشاء، لا يزال أمامنا ثلاثون كيلومتراً للعودة إلى هيمينغفورد سيتي.*

عندما غادرا وسحابة الغبار وراءهما، عاد هنري إلى الشرفة. "هل أدّيتُ دوري بشكل جيد يا بابا؟".

أمسكتُ معصمه، وشددتُ عليه، وادَّعيتُ عدم ملاحظة عصر اللحم للحظة تحت يدي، كما لو أن عليه تخطي الحافز للابتعاد. "بشكل صحيح. بشكل مثالي".

"هل سنملأ البئر غداً؟".

لقد فكَّرتُ بذلك بعناية، لأن حياتنا قد تعتمد على ما قرَّرتُه. كان المأمور جونز يتقدَّم في السنّ وفي الوزن. لم يكن كسولاً، لكن كان من الصعب جعله يتحرّك من دون سبب وجيه. وسيُقنِعه لستر في نهاية المطاف بالقدوم إلى هنا، لكن على الأرجح ليس قبل أن يتمكن لستر من جعل أحد إبنَي كول فارينغتون اللعينَين يتصل بالمأمور ويذكِّره أي

شركة هي أكبر دافع للضرائب في مقاطعة هيمينغفورد (ناهيك عن المقاطعات المجاورة كلاي، وفيلمور، ويورك، وسيوارد). ومع ذلك، رأيتُ أنه لا يزال لدينا يومان على الأقل.

"ليس غداً"، قلتُ. "بعد غد".

"بابا، *لماذا؟*".

"لأن المأمور جونز سيكون هنا، وهو عجوز لكنه ليس غبياً. وبئرٌ مملوءٌ قد يثير شكوكه عن سبب ملئه حديثاً. لكن بئراً لا يزال يتم ملؤه... ولسبب وجيه...".

"أي سبب؟ أخبرني!".

"قريباً"، قلتُ. "قريباً".

انتظَرنا طوال اليوم التالي رؤية الغبار يتطاير على الطريق نحونا، ليس من عجلات شاحنة لارس أولسن بل من سيارة مأمور المقاطعة. لم يأت الغبار. بل ما أتى كان شانون كوتيري، وهي تبدو جميلة في بلوزة قطنية وتنورة من الجنهام، لتسأل إن كان هنري بخير، وإن كان يمكنه أن يتناول العشاء معها ومع أمها وأبيها إذا كان بخير؟

قال هنري إنه بخير، وراقَبتُهما يسيران صعوداً على الطريق، يداً بيد، مع هواجس عميقة. كان يحتفظ بسر فظيع، والأسرار الفظيعة ثقيلة. والرغبة بمشاركتها هي أكثر شيء طبيعي في العالم. وهو يحبّ الفتاة (أو يظنّ أنه يحبّها، وهو الشيء نفسه عندما تكون في الخامسة عشرة من عمرك). ولجعل الأشياء أسوأ، عليه أن يكذب عليها، وقد تعرف أنها كذبة. يُقال إن العيون المُحبَّة عمياء، لكن هذه نظرية

مغفَّلة. فتلك العيون ترى أحياناً وكثيراً.

نكَشتُ الحديقة (مُزيلاً حبوب بازلاء أكثر مما أزلتُ أعشاباً ضارةً)، ثم جلستُ على الشرفة، أدخِّن غليوناً وأنتظر عودته. عاد قبل بزوغ القمر بقليل. كان مُخفضاً رأسه، ومُرخياً كتفَيه، ويمشي بتثاقل. كرِهتُ رؤيته في هذه الحال، لكنني ارتحتُ. لو فضح لها سره - ولو حتى جزءاً منه - لما كان يسير هكذا. لو فضح لها سره، لربما لما عاد من الأساس.

"هل أخبَرَتها بالأسلوب الذي قرَّرناه؟"، سألتُه عندما جلَس.

"الأسلوب الذي قرَّرته *أنت*. نعم".

"ووعَدت ألا تُخبر والدَيها؟".

"نعم".

"لكن هل ستُخبرهما؟".

تنهَّد. "على الأرجح، نعم. فهي تحبهما وهما يحبانها. سيرون شيئاً على وجهها، حسب تقديري، وسيُخرجون منها الخبر. وحتى لو لم يفعلا ذلك، فستُخبِر المأمور على الأرجح. هذا إذا تكبَّد عناء التكلم مع آل كوتيري من الأصل".

"سيضمَن لستر أن يفعل ذلك. سينبح على المأمور جونز لأن مدراءه في أوماها ينبحون عليه. ستدور الأمور وتدور، ولا أحد يعرف أين ستتوقف".

"لم يكن ينبغي أبداً أن نفعل ذلك". فكَّر قليلاً، ثم قال هذا مرة أخرى بهمس شرس.

لم أقل شيئاً. وهو أيضاً، لبرهة. راقَبنا القمر يبزغ من بين الذرة،

أحمر ومُثقلاً.

"بابا؟ هل يمكنني تناول كوب شراب شعير؟".

نظَرَتُ إليه، متفاجئاً وغير متفاجئ. ثم دخلتُ المنزل وصببتُ كوبَي شراب شعير لكلينا. أعطيتُه كوباً وقلتُ له، "لا شيء من هذا غداً أو بعد غد، مفهوم؟".

"لا". أخذ رشفةً، وكشَّر، ثم رشفة أخرى. "كرِهتُ أن أكذب على شان يا بابا. كل شيء بشأن هذا قذرٌ".

"القذارة تزول".

"ليس هذا النوع"، قال، وأخذ رشفة أخرى. لم يكشِّر هذه المرة.

بعد قليل، بعد أن أصبح لون القمر فضياً، ذهبتُ لأستخدم المرحاض، وأستمع إلى الذرة ونسيم الليل يُخبِران بعضهما البعض الأسرار القديمة للأرض. عندما عدتُ إلى الشرفة، كان هنري قد ذهب، وكوب شراب شعيره يقف نصف ممتلئ على الدرابزين قرب درجات السلالم. ثم سمِعتُه في الحظيرة يقول، "إذاً أيها المدير. إذاً".

خرَجتُ لأرى. كان يضع ذراعيه حول عنق ألفِس ويملّس لها شعرها. أعتقد أنه كان يبكي. راقَبتُه لبرهة، لكنني لم أقل شيئاً. عدتُ إلى المنزل، وخلعتُ ملابسي، واستلقيتُ على السرير الذي ذبحتُ زوجتي عليه. احتجتُ إلى وقت طويل لكي أغفو. وإذا كنت لا تفهم السبب - *كل* الأسباب - فإن قراءة هذا لن يفيدك بشيء.

لقد سمَّيتُ كل أبقارنا بأسماء الرموز اليونانية القديمة، لكن تبيَّن أن ألفِس إما خيار سيئ أو نكتة سخيفة. في حال كنتَ لا تتذكَّر قصة

الشر في عالمنا الحزين، دعني أُنعش لك ذاكرتك: تطايرت كل الأشياء السيئة عندما تغلَّبت حشرية باندورا على تفكيرها السليم وفتحت المرطبان الذي تُرك في عهدتها. والشيء الوحيد الذي بقي عندما استعادت ما يكفي من فطنة لتعيد إغلاق المرطبان كان ألفِس، رمز الأمل. لكن في صيف 1922، لم يبقَ هناك أي أمل لألفِس. كانت عجوزاً وغريبة الأطوار، ولم تعد تدرّ الكثير من الحليب، وقد استسلَمنا تقريباً من محاولة الحصول على الكمية القليلة التي تدرّها؛ فهي تحاول أن ترفسك حالما تجلس على الكرسي لتحلبها. كان علينا أن نحوِّلها إلى أطعمة قبل سنة، لكنني عدلتُ عن رأيي بسبب كلفة توكيل هارلان كوتيري بذبحها، ولم أكن بارعاً في ذبْح أكثر من دجاجة... وهذا تقييم ذاتي لا بدّ أن توافقني عليه الآن يا عزيزي القارئ.

"وستكون قاسية"، قالت أرليت (التي أظهرت مَوَدّة عابرة لألفِس، ربما لأنها الوحيدة التي لم تحلبها أبداً). "الأفضل أن تتركها وشأنها". لكن يمكننا الاستفادة من ألفِس الآن – في البئر – وموتها قد يفيدنا أكثر بكثير من بضع شرحات لحم.

بعد يومين من زيارة لستر، وَضَعتُ وإبني رسناً على أنفها وأخذناها إلى جانب الحظيرة. في منتصف الطريق إلى البئر، توقف هنري. ولمعت عيناه من الرعب. "بابا! إنني *أشتمها!*".

"ادخل إلى المنزل إذاً، وأحضِر بعض الكُرات القطنية لأنفك. إنها على خزانة ملابسها".

رغم أنه كان مُخفضاً رأسه، إلا أنني رأيت النظرة الجانبية التي رمقني بها أثناء ذهابه. *هذا كله غلطتك*، كانت تقول تلك النظرة. *كله غلطتك لأنك لم تقدر أن تترك الأمور تسير على طبيعتها.*

ومع ذلك لم يكن لديَّ شك أنه سيساعدني في العمل الذي ينتظرنا. ومهما يكن رأيه عني الآن، كانت هناك فتاة في الصورة أيضاً، ولم يُردها أن تعرف ما الذي فعله. لقد أجبَرتُه عليه، لكنها لن تفهم ذلك أبداً.

أخذنا ألفِس إلى غطاء البئر، حيث تردَّدت إلى حد معقول. ذهَبنا إلى الجهة البعيدة، ممسكين حبال الرسن مثل أشرطة في رقصة سارية مايو، وجررناها بالقوة إلى الخشب المتعفِّن. طقطقَ الغطاء تحت ثقل وزنها... وانحنى إلى أسفل... لكنه صمد. وَقَفت البقرة العجوز عليه، مُخفضةً رأسها، وتبدو غبية وعنيدة كالمعتاد، وتُظهر أسنانها الصفراء المائلة إلى الخضرة.

"ماذا الآن؟"، سأل هنري.

بدأتُ أقول إنني لا أعرف عندما انكسر غطاء البئر بصوتٍ صاخبٍ وجافٍ. تمسّكنا بحبال الرسن، رغم أنني شعرتُ للحظة أنني سأُسحَب إلى ذلك البئر اللعين بذراعَين مخلَّعَين. ثم تحرَّرت قطعة الأنف وطارت خلفياً نحونا. لقد انقسمت عند الجانبين. في الأسفل، بدأت ألفِس تخور من الألم وتطرق حوافرها على جوانب البئر الصخرية.

"بابا!"، صَرَخ هنري. كانت يداه قبضتين على فمه، ومفاصل أصابعه تحفر في شفته العليا. *"اجعلها تتوقف!"*.

تأوهت ألفِس تأوهاً طويلاً تردَّد صداه في المكان. وتابَعت تطرق حوافرها على الحجر.

أمسكتُ ذراع هنري وجررته، متعثّراً، عائدين إلى المنزل. دفَعتُه على أريكة أرليت التي اشتريناها بالبريد وأمرتُه أن يبقى هناك إلى أن

أعود. "وتذكَّر، لقد أوشك هذا على الانتهاء".

"لن ينتهي أبداً"، قال، واستدار وطمر وجهه في الأريكة. وَضَع يديه على أذنيه، رغم أنه لا يمكنه سماع ألفِس من هنا. ما عدا أن هنري كان *لا يزال* يسمعها، وأنا أيضاً.

أحضرتُ بندقيتي من الرف العالي في حجرة المؤن. كان عيارها 22. فقط، لكنها ستفي بالغرض. وإذا سمع هارلان صوت الطلقات عبر الفدادين التي تفصل بين أرضي وأرضه؟ هذا سيلائم قصتنا أيضاً. هذا إذا استطاع هنري الحفاظ على فطنته لمدة تكفي لكي يرويها.

إليك شيئاً تعلَّمتُه في العام 1922: هناك دائماً أشياء أسوأ تنتظر. تعتقد أنك رأيت أفظع شيء، الشيء الذي يجمع كل كوابيسك في رعب فظيع يتواجد في الواقع، والعزاء الوحيد هو أنه لا يمكن أن يكون هناك شيء أسوأ. وحتى لو كان هناك شيء أسوأ، فإن ذهنك سيتهشَّم من ذلك المنظر، ولن تعرف أكثر. لكن *هناك* شيء أسوأ، وذهنك لا يتهشَّم، وتواصل عملك بطريقة أو بأخرى. قد تفهم أن كل الفرح قد زال من عالمك، وأن ما فعلته أبعَدَ عنك كل ما كنت تتمنى أن تكسبه، وقد تتمنى لو كنت الشخص الذي تُوفِّي - لكنك تستمر. وتُدرِك أنك في جحيم خاص من صنعك، لكنك ومع ذلك تستمر. لأنه ليس هناك شيء آخر لتقوم به.

لقد حطَّت ألفِس على جثة زوجتي، لكن وجه أرليت المبتسم كان لا يزال مرئياً تماماً، لا يزال مائلاً إلى أعلى، إلى العالم فوق المُنار بضوء الشمس، لا يزال يبدو أنه ينظر إليَّ. وقد عادت الجرذان. لا شك أن سقوط البقرة إلى عالمها جعلها تنسحب إلى الأنبوب الذي أصبحتُ

أعتبره بولفار الجرذان في نهاية المطاف، لكنها شمَّت عندها رائحة لحم طازج، وأسرعت في القدوم للتحقّق من ذلك. وبدأت تقضم ألفِس المسكينة بينما كان تخور وترفس (بضعف أكثر الآن)، وجلس أحدها على رأس زوجتي الميتة مثل تاج مُوحِش. كان قد اختار فجوة في كيس الخيش وسحَب خصلة من شعرها بمخالبه الذكية. وتدلّى خدّا أرليت، اللذان كانا مستديرين وجميلين فيما مضى، في أشلاء.

لا شيء يمكن أن يكون أسوأ من هذا، فكّرت في سرّي. *بالتأكيد وصلتُ إلى نهاية الرعب.*

لكن هناك دائماً أشياء أسوأ تنتظر. عندما حدَّقتُ إلى أسفل، مشلولاً من الصدمة والاشمئزاز، رفست ألفِس مرة أخرى، وارتطم أحد حوافرها بما بقي من وجه أرليت. سمعت صوت انكسار فكّ زوجتي، واندفع كل شيء تحت أنفها إلى اليسار، كما لو أنه موصول بمِفصَلة. وبقيت الابتسامة من الأذن إلى الأذن. عدم تراصفها مع عينيها جَعَلها أسوأ حتى. كما لو أنه أصبح لديها وجهان الآن لتطاردني بهما بدلاً من وجه واحد. تحرّك جسمها على الفِراش، مما جعله ينزلق. وهروَل الجرذ الواقف على رأسها نزولاً إلى خلفه. خارت ألفِس مرة أخرى. شعرتُ أنه إذا عاد هنري الآن ونظر إلى البئر، فسيقتلني لجعله يشارك في هذا. إنني أستحق القتل على الأرجح. لكنّ ذلك سيتركه وحيداً، وبالتالي سيكون أعزل.

كان جزء من الغطاء قد سقط في البئر؛ وجزء لا يزال معلَّقاً. لقَّمتُ بندقيتي، وأسندتُها على هذا المنحدر، وصوَّبتُ نحو ألفِس، التي كانت جالسة بعنقها المكسور ورأسها المائل على الجدار الصخري. انتظَرتُ حتى تهدأ يداي، ثم ضغطتُ على الزناد.

طلقة واحدة كانت كافية.

عدتُ إلى المنزل، ووجَدتُ أن هنري نام على الأريكة. كنتُ مصدوماً جداً لأعتبر هذا الأمر غريباً. بدا لي في تلك اللحظة كأنه الشيء الوحيد الواعد حقاً في هذا العالم: متسخ، لكن ليس قذراً جداً بحيث لا يمكن تنظيفه مرة أخرى أبداً. انحنيتُ وقبَّلتُ خدّه. فأنَّ وأدار رأسه. تَركتُه هناك وذهَبتُ إلى أدواتي في الحظيرة. عندما انضم إليَّ بعد ثلاث ساعات، كنتُ قد نزعتُ القطعة المحطَّمة والمعلَّقة من غطاء البئر وبدأتُ أملأه.

"سأساعدك"، قال بصوت خافت وكئيب.

"جيد. أحضِر الشاحنة وقُدها إلى الكومة الترابية عند السور الغربي –"

"بمفردي؟". كان عدم التصديق في صوته باهتاً فقط، لكنني تشجّعتُ من سماع إحساسٍ فيه.

"تعرف كل تروس القيادة إلى الأمام، ويمكنك إيجاد ترس القيادة إلى الخلف، أليس كذلك؟".

"نعم –"

"ستكون بخير إذاً. لديَّ ما يكفي من أمور في غضون ذلك، وعندما تعود، سيكون الأسوأ قد انتهى".

انتظَرتُه أن يُخبرني مرة أخرى أن الأسوأ لن ينتهي أبداً، لكنه لم يفعل ذلك. استأنَفتُ الجرْف. كنتُ لا أزال قادراً على رؤية أعلى رأس أرليت وكيس الخيش مع خصلة الشعر الفظيعة تلك الناتئة منه. قد

تكون هناك من قبل مجموعة من الجرذان الصغيرة المولودة حديثاً في الأسفل على فخذَي زوجتي الميتة.

سمِعتُ الشاحنة تسعل مرةً، ثم مرتين. كنتُ آمل ألا ينتفض ذراع التدوير إلى الخلف ويكسر ذراع هنري.

المرة الثالثة التي أدار فيها ذراع التدوير، استفاقت شاحنتنا القديمة. أخَّر الشرارة، وضغط الخانق مرة أو مرتين، ثم قاد مبتعداً. غاب لحوالي ساعة، لكن عندما عاد، كانت الشاحنة مليئة بالصخور والأتربة. قادها إلى حافة البئر وأطفأ المحرّك. كان قد خلعَ قميصه، وبدا جذعه اللامع من العرق نحيلاً جداً؛ أستطيع أن أعدّ أضلاعه. حاوَلتُ أن أتذكَّر متى كانت آخر مرة رأيتُه فيها يأكل وجبة طعام كبيرة، ولم أستطع في البدء. ثم أدرَكتُ أنها كانت بلا شكّ على الفطور في الصباح بعد أن قتلناها.

سأتأكد من حصوله على عشاء جيد هذه الليلة، فكّرت في سرّي. *سأتأكد أن يتم هذا لكلينا. هناك لحم بقر في الثلاجة –*

"انظر هناك"، قال بصوته الخافت الجديد، وأشار بيده.

رأيتُ سحابة غبار قادمة نحونا. أخفَضتُ النظر إلى البئر. لم يكن جيداً كفاية، ليس بعد. كان نصف ألفِس لا يزال ظاهراً. لا بأس بهذا، بالطبع، لكن طرف الفِراش الملطَّخ بالدم كان لا يزال ظاهراً أيضاً.

"ساعدني"، قلتُ.

"هل لدينا الوقت الكافي يا بابا؟". بدا مهتماً قليلاً فقط.

"لا أعرف. ربما. لا تقف خاملاً، ساعدني".

كان الرفش الآخر يتكئ على حائط الحظيرة بجانب البقايا المشظّاة لغطاء البئر. أمسَكه هنري، وبدأنا نجرف الأتربة والصخور من

مؤخرة الشاحنة بأسرع ما يمكننا.

عندما توقفت سيارة مأمور المقاطعة ذات النجمة الذهبية على بابها والضوء الكشّاف على سقفها بجانب كتلة التقطيع (دافعةً جورج والدجاجات إلى الفرار مرة أخرى)، كنتُ أجلس وهنري على سلالم الشرفة خالعَين قميصينا ونتشارك آخر شيء صنعته أرليت جايمس: إبريق ليموناضة. خرَج المأمور جونز من سيارته، ورفَع حزامه، وخلعَ قبعته، ومسَّد شعره الرمادي إلى الخلف، وأعاد ارتداء قبعته عند خط انتهاء البشرة البيضاء لحاجبه وبدء اللون الأحمر النحاسي. كان لوحده. واعتبرتُ هذا علامة جيدة.

"طاب يومكما". ونظر إلى صدرينا العاريين، وأيدينا القذرة، ووجهينا المبلَّلين بالعرق. "أعمال شاقة بعد ظهر اليوم؟"، قال.

"ذنبي اللعين".

"حقاً؟".

"سقطت إحدى أبقارنا في بئر الماشية القديم"، قال هنري.

فسأل جونز مرة أخرى، "حقاً؟".

"نعم"، قلتُ. "هل تريد كوب ليموناضة أيها المأمور؟ إنها صنع أرليت".

"أرليت؟ هل قرَّرت العودة؟".

"لا"، قلتُ. "أخذت ملابسها المفضَّلة لكنها تركت الليموناضة. تناول بعضه".

"سأفعل. لكنني أحتاج إلى استخدام المرحاض أولاً. يبدو أنني

أحبّ أن أبوّل على كل أجمّة منذ أن أصبحتُ في الخامسة والخمسين تقريباً. هذا أمر مزعج جداً".

"إنه خلف المنزل. فقط اتبع المسار وابحث عن صورة القمر على الباب". ضحِك كما لو أنها أطرف نكتة سمعها طوال السنة، وذهَب إلى خلف المنزل. هل سيتوقف في طريقه لينظر إلى داخل النوافذ؟ سيفعل ذلك إذا كان بارعاً ولو قليلاً في عمله، وقد سمعتُ أنه بارع. في أيام شبابه على الأقل.

"بابا"، قال هنري. تكلّم بصوت منخفض.

نظَرتُ إليه.

"إذا اكتشف، لن نستطيع أن نفعل أي شيء آخر. يمكنني أن أكذب، لكن لا يمكن أن تحصل جريمة قتل أخرى".

"حسناً"، قلتُ. كانت محادثة قصيرة، لكنها محادثة فكّرتُ فيها ملياً في السنوات الثمانية الفائتة.

عاد المأمور جونز، وهو يُغلق سحّاب سرواله.

"ادخل وأحضِر كوباً للمأمور"، قلتُ لهنري.

دخلَ هنري. انتهى جونز من إغلاق سحّابه، وخلعَ قبعته، ومسَّد شعره إلى الخلف قليلاً، وأعاد ارتداء قبعته. لمعت شارته في شمس الوقت المُبكر من بعد الظهر. كان المسدس على وركه كبيراً، ورغم أن جونز كان عجوزاً جداً ليكون قد شارك في الحرب العُظمى، إلا أن القِراب بدا تابعاً لقوات الاستطلاع الأميركية. ربما كان إبنه. فقد مات إبنه هناك.

"رائحة المرحاض لطيفة"، قال. "لطيفة دائماً في اليوم الحارّ".

"كانت أرليت معتادة أن تضع الكلس الحيّ فيه باستمرار"، قلتُ. "سأحاول مواصلة هذه العادة إذا بقيت غائبة. اصعد إلى الشرفة وسنجلس في الظل".

"تبدو فكرة الظل جيدةً، لكنني سأبقى واقفاً. عليَّ أن أمطِّط عمودي الفقري". جلَستُ على كرسيٍّ الهزّاز المدروزة كلمة "بابا" على وسادته. وَقَف بجانبي، ونظرَ إليَّ من فوق. لم يعجبني أن أكون في تلك الوضعية، لكن حاوَلتُ ان أتحمَّل ذلك بصبر. ظهر هنري حاملاً كوباً. صبَّ المأمور جونز عصير الليموناضة بنفسه، وتذوَّقه، ثم ابتلَع معظمه دفعة واحدة وتلمَّظ بشفتيه.

"لذيذ، أليس كذلك؟ ليس حامضاً جداً، ولا حلواً جداً". ضحِك. "أنا مثل ذات الشعر الذهبي، أليس كذلك؟". شرِب الباقي، لكنه هزَّ رأسه عندما عرض عليه هنري أن يعيد ملء كوبه. "هل تريدني أن أبوِّل على كل عمود سور في طريق عودتي إلى هيمينغفورد هوم؟ ثم على طول الطريق إلى هيمينغفورد سيتي بعد ذلك؟".

"هل نقَلت مكتبك؟" سألتُ. "اعتقَدتُ أنك هناك في هيمينغفورد هوم".

"أنا هناك فعلاً. اليوم الذي يجعلونني فيه أنقل مكتب المأمور إلى مقرّ المقاطعة هو اليوم الذي أستقيل فيه وأترك هاپ بيردْوَل يتولى زمام الأمور، مثلما يريد. لا، لا، مجرد جلسة استماع في المحكمة في المدينة. وتقتصر على أوراق ومستندات فقط لا غير. وأنت تعرف كيف هو القاضي كريس... أو لا، أظن أنك لا تعرف، بما أنك شخص يحترم القانون. يبقى معكَّر المزاج دائماً، وإذا لم يحضر المرء على الموعد، يتعكَّر مزاجه أكثر. لذا رغم أن المسألة تقتصر على أدائي القَسَم ثم

توقيع إسمي على مجموعة مستندات قانونية تافهة، إلا أن عليَّ أن أُسرِع في الوصول إلى هناك، أليس كذلك؟ وآمل ألا تتعطَّل سيارتي اللعينة في طريق العودة".

لم أقل شيئاً ردّاً على هذا. لم يتكلم مثل رجل على عجلة من أمره، لكن ربما هذه هي طريقته المعهودة في الكلام.

خلعَ قبعته ومسَّد شعره إلى الخلف قليلاً، لكنه لم يُعد ارتداءها هذه المرة. نظَرَ إليَّ بجد، ثم إلى هنري، ثم إليَّ مرة أخرى. "أظن أنك تعرف أنني لستُ هنا من تلقاء نفسي. وأعتقد أن ما يجري بين الرجل وزوجته هو شأنهما الخاص. يجب أن تكون الأمور بهذه الطريقة، أليس كذلك؟ تقول حكمة قديمة إن الرجل رأس المرأة، وأنه إذا كان يجب أن تتعلَّم المرأة أي شيء، فيجب أن يعلِّمها إياه زوجها في المنزل. لو كانت الحِكم القديمة مديري الوحيد، لكنتُ عشتُ حسب أقوالها ولكانت الحياة أبسط بكثير".

"أنا متفاجئ أن السيد لستر ليس معك هنا"، قلتُ.

"آه، أراد أن يأتي، لكنني وَضَعتُه عند حدّه. أرادني أن أحصل على أمر تفتيش أيضاً، لكنني أخبَرتُه أنني لستُ بحاجة إلى واحد. قلتُ له إنك إما ستسمح لي بالتفيش أو لن تسمح". هزَّ كتفيه. كان وجهه هادئاً، لكن عينيه ثاقبتان وفي حركة دائمة: تختلسان النظر وتتطفّلان، تتطفّلان وتختلسان النظر.

عندما سألني هنري عن البئر، قلتُ إننا *سنراقبه ونقرِّر مدى دقّة ملاحظته. إذا كان دقيق الملاحظة، سنريه إياه بأنفسنا. لا يمكننا أن نبدو كما لو أن لدينا أي شيء لُنخفيه. وإذا رأيتني أنقف إبهامي، فهذا*

يعني أنني أعتقد أن علينا أن نغتنم الفرصة. لكن علينا أن نتفق يا هانك. إذا لم أرك تنقف لي إبهامك، سأُبقي فمي مغلقاً.

رفعتُ كوبي وشربت بقية ليموناضتي. عندما رأيت هنري ينظر إليَّ، نَقَفتُ إبهامي. قليلاً فقط. كان يمكنه أن يكون ارتعاشاً في العضلة.

"ماذا يظن ذلك اللستر؟"، سأل هنري، وبدا ساخطاً. "أنها في القبو موثوقة اليدين؟". بقيت يداه على جانبيه، ولم تتحرّكا.

ضحِك المأمور جونز من كل قلبه، وراح بطنه الكبير يرتجّ خلف حزامه. "لا أعرف *بماذا* يفكّر، أليس كذلك؟ ولا يهمّني أيضاً. المحامون مجرد براغيث على الجسم البشري. يمكنني أن أقول هذا لأنني عملتُ معهم - وضدهم أيضاً - طوال حياتي. لكن...". ثبّت عينيه الثاقبتين على عينيَّ. "لن أمانع إلقاء نظرة، لمجرد أنك لم تسمح *له*. إنه غاضب جداً بشأن ذلك".

حكَّ هنري ذراعه، ناقفاً إبهامه مرتين أثناء ذلك.

"لم أسمح له دخول المنزل لأنه لم يرُق لي"، قلتُ. "رغم أنه للإنصاف، أظن أن أي شخص كان ليأتي إلى هنا ليدافع عن فريق كول فارينغتون لم يكن ليروق لي".

ضحِك المأمور جونز كثيراً على هذا، لكن عينيه لم تضحكا.

نهضتُ. كان مريحاً أن أكون على قدميَّ. فقد كنتُ أطول من جونز بسبعة أو عشرة سنتيمرات. "يمكنك أن تنظر قدر ما تشاء".

"أقدِّر هذا. سيجعل حياتي أسهل بكثير، أليس كذلك؟ لديَّ القاضي كريس لأتعامل معه عندما أعود، وهذا يكفيني. لا أحتاج إلى الاستماع إلى أحد كلاب فارينغتون القانونيين ينبح عليَّ، ليس إذا كان

بإمكاني تجنّب ذلك".

دخلنا المنزل، أنا في المقدمة وهنري في المؤخرة. بعد بضع مجاملات عن أناقة غرفة الجلوس وترتيب المطبخ، مشينا في القاعة. ألقى المأمور جونز نظرة سريعة لا مبالية على غرفة هنري، ثم وَصَلنا إلى المنطقة المهمة. فتحتُ باب غرفة نومنا بقناعة غريبة: سيكون الدم قد عاد. سيكون مجمَّعاً في بركة على الأرض، مرشوشاً على الجدران، وملطِّخاً الفِراش الجديد. سينظر المأمور جونز إلى كل ذلك، ثم يستدير صوبي، ويزيل الأصفاد التي تجلس على وركه البدين قرب مسدَّسه، ويقول: *إنني أعتقلك بتهمة قتل أرليت جايمس، أليس كذلك؟*

لم يكن هناك دم ولا رائحة دم، لأنه تمت تهوية الغرفة لأيام. كان السرير مرتَّباً، وإن يكن خلافاً لطريقة ترتيب أرليت له؛ فطريقتي تشبه طريقة الجيش أكثر، رغم أن قدميَّ أنقذتني من الحرب التي خطفت إبن المأمور. لا يمكنك أن تذهب لتقتل الألمان إذا كانت قدماك مسطَّحتين. الرجال ذوو الأقدام المسطَّحة يستطيعون قتل زوجاتهم فقط.

"غرفة جميلة"، علَّق المأمور جونز. "تضربها الشمس باكراً، أليس كذلك؟".

"نعم"، قلتُ. "وتبقى باردة معظم فترات بعد الظهر، حتى في الصيف، لأن الشمس تكون قد انتقلت إلى الجهة الأخرى". ذهَبتُ إلى الخزانة وفتحتها. عادت تلك القناعة الغريبة، وأقوى من قبل. *أين اللحاف؟* سيقول. *الذي يوضَع هنا في وسط الرف العلوي؟*

لم يقل ذلك، بالطبع، لكنه تقدَّم بنشاط عندما دعوتُه إلى النظر داخلها. راحت عينته الثاقبتان – الخضراوان الساطعتان، السِنَّوريّتان

تقريباً – تنظران إلى هنا وهناك، إلى كل مكان. "الكثير من الملابس المهلهَلة"، قال.

"نعم"، وافقتُه، "كانت أرليت تحبّ الملابس وتحبّ كتالوغات الشراء بالبريد. لكن بما أنها أخذت حقيبة سفر واحدة فقط – لدينا حقيبتان، والأخرى لا تزال هناك، هل تراها في الزاوية الخلفية؟ – سأقول إنها أخذت فقط الملابس التي تحبّها أكثر. وأظن الملابس العملية أيضاً. كان لديها سروالان فضفاضان وسروالا جينز أزرقان، وقد اختفت، رغم أنها لم تكن تهتم بالسراويل".

"لكن السراويل مريحة للسفر، أليس كذلك؟ سواء للرجل أو المرأة، السراويل مريحة للسفر. وقد تختارها المرأة. خاصة إذا كانت على عجل".

"أفترض ذلك".

"أخذت مجوهراتها الجيدة وصورة جدّي وجدّتي"، قال هنري من خلفنا. جفلتُ قليلاً؛ فقد نسيتُ تقريباً أنه معنا في الغرفة.

"حقاً؟ حسناً، أفترض أنها فعلت ذلك".

أجرى بحثاً سريعاً آخر بين الملابس، ثم أغلق باب الخزانة. "غرفة لطيفة"، قال، ومشى بتثاقل عائداً إلى القاعة وقبعته في يديه. "*منزل* لطيف. يجب أن تكون المرأة مجنونة لتترك غرفة لطيفة ومنزلاً لطيفاً مثل هذا".

"ماما تتكلم عن المدينة كثيراً"، قال هنري، وتنهّد. "كانت لديها فكرة افتتاح متجرٍ".

"حقاً؟" نظرَ إليه المأمور جونز بشكل ساطع بعينيه السِنَّوريتين

الخضراوين. "حسناً! لكن أمراً كهذا يتطلّب مالاً، أليس كذلك؟".

"لقد ورثَت فدادين من أبيها"، قلتُ.

"نعم، نعم". وابتسم بخجل، كما لو أنه نسي أمر تلك الفدادين. "وربما رُبَّ ضارةٍ نافعة. 'من الأفضل أن تعيش في أرض قاحلة من أن تعيش مع امرأة غاضبة سليطة اللسان'. مثل قديم. هل أنت مسرور أنها رحلت يا بُنيَّ؟".

"لا"، قال هنري، واغرورقت عيناه بالدموع. فرحتُ بكل قطرةٍ منها.

قال المأمور جونز، "لا عليك، لا عليك". وبعد تقديمه هذه المواساة اللا مبالية، انحنى مُسنِداً يديه على رُكبتيه البدينتين، ونظر تحت السرير. "يبدو لي أنه يوجد حذاء نسائي هنا. ليّنٌ من كثرة الاستخدام أيضاً. من النوع الجيد للسير. لا أظن أنها هربت حافية القدمين، أليس كذلك؟".

"لقد ارتدت حذاءها القماشي"، قلتُ. "هذا هو الحذاء الذي اختفى".

وهذا صحيح. الحذاء الأخضر الباهت الذي كانت معتادة أن تسمّيه حذاء بستنتها. أتذكّر رؤيته قبل أن أبدأ بملء البئر.

"آه!"، قال. "حلّ سرّ آخر". أخرجَ ساعة مطلية بالفضة من جيب سترته وتحقّق من الوقت. "حسناً، من الأفضل أن أذهب. مرَّ الوقت بسرعة".

عدنا عبر المنزل، وهنري في آخر الصف، ربما لكي يتمكن من تجفيف عينيه على انفراد. رافقنا المأمور إلى سيارته السيدان ماكسوَل

ذات النجمة على بابها. وكنتُ على وشك أن أسأله إن كان يريد رؤية البئر - حتى إنني عرَفتُ ماذا كنتُ سأسمّيه - عندما توقَّف ونظرَ إلى إبني نظرة لطف مخيفة.

"لقد زرتُ منزل آل كوتيري"، قال.

"آه؟"، قال هنري. "حقاً؟".

"أخبَرتُك أنه عليَّ ريّ كل أجمّة تقريباً هذه الأيام، لكنني سأستخدم مرحاضاً كلما كان هناك واحد قريب، وأفترض دائماً أن الناس يحافظون على نظافة مراحيضهم ولا داعي لأن أقلق بشأن الدبابير بينما أنتظر نزول بعض قطرات البول مني. وآل كوتيري أناس نظيفون. وإبنتهم جميلة أيضاً. في سنّك تقريباً، أليس كذلك؟".

"نعم سيدي"، قال هنري، ورفع صوته قليلاً فقط عند كلمة "سيدي".

"أظن أنك تستلطفها؟ وأنها تستلطفك، مما تقوله أمها".

"هل قالت هذا؟"، سأل هنري. بدا متفاجئاً، لكن مسروراً أيضاً.

"نعم. قالت السيدة كوتيري إنك كنت منزعجاً بشأن أمك، وأن شانون أخبَرتها شيئاً قلتَه لها عن هذا الأمر. سألتُها ما كان، وقالت إنها ليست الشخص المناسب لتُخبرني، لكن يمكنني أن أسأل شانون. لذا سألتُها".

نظر هنري إلى قدمَيه. "لقد طلبتُ منها ألا تُخبر أحداً".

"لن تلومها على ذلك، أليس كذلك؟"، سأل المأمور جونز. "أعني، عندما يسأل رجلٌ كبيرٌ مثلي على صدره نجمة شيئاً صغيراً مثلها عما تعرفه، من الصعب تقريباً على ذلك الشيء الصغير أن يبقى

صامتاً، أليس كذلك؟ سيكون عليها أن تُخبرني، أليس كذلك؟".

"لا أعرف"، قال هنري وهو لا يزال مُخفضاً نظره. "ربما". لم يكن *يتظاهر* بالحزن؛ بل *كان* حزيناً. رغم أن الأمور كانت تسير في الاتجاه الذي كنا نأمله تماماً.

"قالت شانون إن أمك وأباك تجادلا جدالاً قوياً بشأن بيع تلك الفدادين المئة، وعندما وقفتَ في صفّ والدك، صفَعتك السيدة جايمس صفعةً قويةً".

"نعم"، قال هنري بوجه شاحب. "كانت ثملة جداً".

استدار المأمور جونز إليَّ. "كانت ثملة جداً أو قليلاً؟".

"في مكان بين الاثنين"، قلتُ. "لو كانت ثملة بالكامل، لكانت نامت طوال الليل بدلاً من النهوض باكراً وتوضيب أمتعتها والتسلّل إلى الخارج مثل لصّ".

"ظننتَ أنها ستعود بعدما تصحو من ثمالتها، أليس كذلك؟".

"أجل. المسافة تزيد عن ستة كيلومترات إلى طريق الأسفلت. كنتُ متأكداً أنها ستعود. لا بد أن شخصاً أقلّها معه قبل أن تستعيد كامل وعيها. أظنه سائق شاحنة على طريق لينكولن-أوماها".

"أجل، أجل، هذا سيكون ظنّي أيضاً. أنا أكيد أنها ستتصل بك عندما تتصل بالسيد لستر. وإذا كانت قد قرّرت أن تبقى بمفردها لفترةٍ، فستحتاج إلى مال لتفعل ذلك".

إذاً فهو يعرف هذا أيضاً.

احتدّت عيناه. "هل معها أي مال يا سيد جايمس؟".

"في الواقع...".

"لا تكن خجولاً. الاعتراف جيد للنفس".

"لديَّ صندوق في خزانة ملابسي. كان يحتوي على 200 دولار، ليساعدني ذلك في دفع أجور قاطفي الثمار عندما يبدأون الشهر القادم".

"والسيد كوتيري"، ذكَّره هنري. وقال للمأمور جونز: "يملك السيد كوتيري حصّادة ذرة. ماركة هاريس جاينت. جديدة تقريباً. ذات نوعية ممتازة".

"أجل، أجل، رأيتها في فنائه. آلة كبيرة، أليس كذلك؟ هل اختفى كل المال من ذلك الصندوق؟".

ابتسمتُ بحدّة - غير أنني لم أكن أنا مَن يبتسم حقاً؛ فقد تولّى الرجل المتآمر زمام الأمور منذ أن توقف المأمور جونز قرب كتلة التقطيع. "ترَكت عشرين دولاراً. هذا كرم كبير منها. لكن هارلان كوتيري لن يتقاضى سوى عشرين دولاراً لاستخدام حصّادته، لذا *لا بأس* بهذا المبلغ. أما بشأن قاطفي الثمار، فأظن أن ستوبنهاوزر في المصرف سيُقرضني قرضاً صغيراً. إلا إذا كان يَدين بخدمة لشركة فارينغتون. في الحالتين، لديَّ أفضل عامل مزرعة هنا".

حاوَلتُ أن أنفش شعر هنري. فأزاح رأسه مُحرَجاً.

"حسناً، لديَّ أخبار كثيرة لأرويها للسيد لستر، أليس كذلك؟ لن يُعجبه أي خبر منها، لكن إذا كان ذكياً مثلما يعتبر نفسه، فأظنه سيعرف أن عليه توقّع قدومها إلى مكتبه، عاجلاً وليس آجلاً. للناس طريقة في الظهور عندما يحتاجون إلى المال، أليس كذلك؟".

"هكذا تقول خبرتي"، قلتُ. "إذا انتهينا هنا أيها المأمور، فمن

الأفضل أن أعود وإبني إلى العمل. كان يجب ملء ذلك البئر العديم الجدوى منذ ثلاث سنوات. بقرة عجوز من أبقاري –"

"ألفِس". تكلّم هنري مثل فتى يحلم. "إسمها ألفِس".

"ألفِس"، وافَقتُ. "خرَجت من الحظيرة وقرّرت أن تقوم بنزهة على غطاء البئر، وانكسر تحتها. ولم تتكرّم علينا وتموت من تلقاء نفسها أيضاً. اضطررتُ إلى إطلاق النار عليها. تعال معي إلى خلف الحظيرة وسأُريك عواقب الكسل بقدمَيها اللعينتين المرفوعتين إلى أعلى. سنطمرها حيث هي، ومن الآن وصاعداً سأسمّي ذلك البئر القديم 'حماقة وِيلفْرَد'".

"حسناً، سأراها، أليس كذلك؟ من الأفضل رؤية شيء. لكن لديَّ ذلك القاضي العجوز المعكَّر المزاج لأتعامل معه. مرة أخرى". أدخَل نفسه في السيارة وهو ينخر. "شكراً على الليموناضة، وعلى حُسن الاستقبال. كان يمكنك أن تكون أقل دماثة، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار مَن أرسلني إلى هنا".

"لا بأس"، قلتُ. "لكل واحد منا وظيفته".

"ومتاعبه". تركَّزت عيناه الثاقبتان على هنري مرة أخرى. "يا بُنيَّ، أخبَرني السيد لستر أنك تخفي شيئاً. كان متأكداً من ذلك. وكنتَ تخفي شيئاً، أليس كذلك؟".

"نعم سيدي"، قال هنري بصوته الجاف والمريع نوعاً ما. كما لو أن كل أحاسيسه تبخّرت، مثل تلك الأشياء في المرطبان عندما فتَحته باندورا. لكن لم تكن هناك ألفِس لهنري ولي؛ كانت ألفِس الخاصة بنا ميتة في البئر.

"إذا سألني، سأُخبِره أنه كان مُخطئاً"، قال المأمور جونز. "لا داعي لأن يعرف محامي الشركة أن أماً صفعت إبنها بينما كانت ثملة". تلمَّس بيده تحت مقعده، وأخرَج أداة طويلة شكلها S كنتُ أعرفها جيداً، ومدَّها إلى هنري. "هل ستنقذ ظهر عجوز وكتفه يا بُنيَّ؟".

"نعم سيدي، يسرّني ذلك". أخذ هنري ذراع التدوير وذهَب إلى مقدمة سيارة الماكسْوَل.

"انتبه لمعصمك!" صاح جونز. "فهي ترفس كالثور!". ثم استدار إليَّ. كان التألق الفضولي قد زال من عينيه. وكذلك اللون الأخضر. بدتا مملتين ورماديتين وحادتين، مثل مياه البحيرة في يوم غائم. كان وجه رجل يمكنه أن يضرب متشرِّداً في السكك الحديدية حتى الموت تقريباً ولا يخسر دقيقة نوم واحدة بسبب ذلك. "سيد جايمس"، قال. "أحتاج إلى أن أسألك شيئاً. من رجل إلى رجل".

"حسناً"، قلتُ. حاوَلتُ أن أجهِّز نفسي لما شعَرتُ أنه قادم بالتأكيد: *هل هناك بقرة أخرى في البئر هناك؟ واحدة تدعى أرليت؟* لكنني كنتُ مخطئاً.

"يمكنني أن أضع إسمها وأوصافها على سلك التلغراف، إذا كنت تريد ذلك. لن تكون قد سافرت أبعد من أوماها، أليس كذلك؟ ليس ومعها مئة وثمانين دولاراً فقط. وامرأة أمضت معظم حياتها تدبّر أمور منزلٍ ليست لديها أي فكرة عن كيفية الاختباء. ربما ستكون في نُزُل على الجهة الشرقية، حيث الإيجارات رخيصة. أستطيع أن أُعيدها إلى هنا. أن *أشدّها* من شعر رأسها، إذا أردت".

"هذا عرض كريم، لكن –"

راحت العينان الرماديتان المملتان تتفحّصانني. "فكِّر بهذا قبل أن تقبله أو ترفضه. تحتاج الأنثى أحياناً إلى أن يكلّمها المرء بيده، إذا فهمتَ قصدي، وتصبح مطيعة بعد ذلك. للضرب العنيف طريقته في تلطيف بعض الفتيات. فكِّر بالأمر".

"سأفعل".

استفاق محرّك الماكسْوَل. مددتُ يدي – التي ذبحتْ لها حنجرتها – لكن المأمور جونز لم يلاحظ ذلك. كان مشغولاً في تأخير شرارة الماكسْوَل وتعديل خانقها.

أصبح بعد دقيقتين مجرد سحابة غبار متناقِصة على طريق المزرعة.

"لم يرغب أبداً حتى أن ينظر"، قال هنري متعجِّباً.

"لا".

وتبيَّن أن ذلك شيئاً جيداً جداً.

كنا قد جرَفنا بسرعة عندما رأيناه قادماً، ولا شيء ناتئ الآن سوى إحدى قائمتَي ألفِس الخلفيتين. كان الحافر منخفضاً حوالي مئة وعشرين سنتيمتراً تحت حافة البئر. والذباب يحوم هناك في سحابةٍ. كان المأمور ليتعجَّب بالتأكيد، وكان ليتعجَّب حتى أكثر عندما تبدأ الأتربة أمام ذلك الحافر الناتئ بالتحرّك إلى الأعلى والأسفل.

أفلت هنري رفشه وأمسَك ذراعي. كان بعد الظهر حاراً، لكن يده كانت مُثلَّجة. "إنها هي!"، همَس. بدا وجهه قد تحوَّل إلى عينين فقط. *"إنها تحاول الخروج!"*.

"توقف عن أن تكون مغفَّلاً"، قلتُ، لكنني لم أتمكن من أن أُبعد

عينيَّ عن دائرة الأتربة المتحرّكة تلك. كان الأمر كما لو أن البئر حيّ، وكنا نرى خفقان قلبه المخفي.

ثم دُفعَت الأتربة والحصى إلى الجانبين وظهر جرذٌ. طرفت عيناه، السوداوين مثل قطرات النفط، في أشعة الشمس. كان كبيراً تقريباً مثل قطة كاملة النمو. وهناك قطعة من كيش الخيش البني ملطَّخة بالدم عالقة في شواربه.

"آه أيها اللعين!" ، صَرَخ هنري.

صفَّر شيءٌ على بُعد سنتيمترات من أذني ثم شقَّ طرف رفش هنري رأس الجرذ إلى نصفين بينما كان ينظر إلى لمعان النور.

"لقد أرسَلَته"، قال هنري. كان يكشِّر. "الجرذان أتباعها الآن".

"لا شيء من هذا القبيل. أنت منزعج فقط".

أفلَت رفشه وذهَب إلى كومة الصخور التي كان ينوي إنهاء العملية بها بعدما يمتلئ أغلب البئر. جلَس هناك وراح يحدِّق فيَّ بذهول. "هل أنت متأكد؟ هل أنت متيقِّن أن شبحها لن يطاردنا؟ يقول الناس إن الشخص الذي يُقتَل سيعود شبحه ليطارد مَن –"

"يقول الناس أشياء كثيرة. البرق لا يضرِب مرتين في نفس المكان أبداً، المرآة المكسورة تجلب سبع سنوات من الحظ السيئ، طائر السُّبَد الأميركي يغرِّد في منتصف الليل يعني أن شخصاً سيموت في العائلة". بدوتُ منطقياً في كلامي، لكنني بقيتُ أنظر إلى الجرذ الميت، وإلى تلك القطعة من كيس الخيش الملطَّخة بالدم. من شبكة *شعرها*. كانت لا تزال ترتديها في الظلمة في الأسفل، لكن فيها فجوة الآن ينتأ شعرها منها. *ذلك المنظر يصوّر كل الغضب بين النساء المتوفيات هذا*

الصيف، فكّرت في سرّي.

"عندما كنتُ صغيراً، كنتُ أصدِّق حقاً أنني إذا دُستُ على تشقّقٍ، فسينكسر ظهر أمي"، قال هنري بنبرة تأملية.

"هناك – هل ترى؟".

نفضَ غبار الصخور عن مؤخرته، ووَقَف بجانبي. "لكنني قضيتُ عليه – قضيتُ على هذا اللعين، أليس كذلك؟".

"أجل!" ولأن نبرته لم تعجبني – أبداً – ربَّتُّ له على ظهره.

كان هنري لا يزال عابساً. "لو جاء المأمور إلى هنا لينظر، مثلما دعوتَه، ورأى هذا الجرذ يشق طريقه إلى الأعلى، لربما أصبحت لديه بضعة أسئلة إضافية، ألا تعتقد هذا؟".

شيء في هذه الفكرة جعل هنري يضحك بطريقة هستيرية. احتاج إلى أربع أو خمس دقائق ليتوقف عن الضحك، وأخاف مجموعة من الغربان عن السور الذي يُبقي الأبقار بعيدةً عن الذرة، لكنه تخطى الأمر في نهاية المطاف. كان الوقت قد تجاوز الغروب حين أنهينا عملنا، وأصبحنا قادرين على سماع نغمات طيور البوم عند انطلاقها من الحظيرة في صيدها الذي يسبق القمر. كانت الصخور فوق البئر المتلاشي مرصوصة جيداً، ولم أعتقد أن أي جرذ آخر سيتمكن من الصعود إلى السطح. لم نتكبّد عناء استبدال الغطاء المكسور؛ لم تكن هناك حاجة إلى ذلك. بدا هنري وقد عاد إلى طبيعته تقريباً، واعتبرتُ أننا سننام نوماً عميقاً الليلة.

"ما رأيك ببعض النقانق والحبوب وخبز الذرة؟"، سألتُه.

"هل يمكنني تشغيل المولِّد والاستماع إلى موسيقى على الراديو؟".

"نعم، يمكنك ذلك".

ابتسم لي، ابتسامته الجيدة المعهودة. "شكراً بابا".

طبختُ ما يكفي لأربعة عمال مزرعة، وأكَلنا كل الطعام.

بعد ساعتين، وبينما كنتُ مسترخياً على كرسي في غرفة الجلوس وأقرأ رواية سيلاس مارنر، جاء هنري من غرفته مرتدياً ملابسه الداخلية الصيفية فقط. نظرَ إليَّ برصانة. "كانت ماما تصرّ عليَّ دائماً أن أصلّي قبل النوم، هل كنتَ تعرف هذا؟".

طرفت عينايَ متفاجئاً. "حقاً؟ لا. لم أكن أعرفه".

"نعم. وحتى لم تكن تنظر إليَّ إلا بعد أن أرتدي سروالي، لأنها قالت إنني أصبحتُ كبيراً وهذا غير جائز. لكن لا يمكنني فعل ذلك الآن، أو في أي وقت لاحق. أظن أن هذه هي حالة كل القتلة".

"أنا مَن قتلها يا بُنيَّ".

"لا – كلانا قتلناها".

لم يكن هذا صحيحاً – كان مجرد ولد، وقد خدَعتُه ليساعدني في الجريمة – لكنه كان صحيحاً بالنسبة له، وأعتقد أنه سيشعر هكذا طوال حياته.

"لكنك لست مضطراً أن تقلق بشأني يا بابا. أعرف أنك تعتقد أن لساني سيزلّ – على الأرجح لشانون. أو أنني قد أشعر بذنب كبير فأذهب إلى هيمينغفورد وأعترف لذلك المأمور".

بالطبع راودتني هذه الأفكار.

هزَّ هنري رأسه، ببطء وبشكل جازم. "ذلك المأمور – هل رأيت

كيف نظَرَ إلى كل شيء؟ هل رأيت عينيه؟".

"نعم".

"سيحاول برأيي أن يضع كلينا على الكرسي الكهربائي، ولن يهتمّ أنني لن أصبح في الخامسة عشرة إلا في أغسطس. سيكون حاضراً هناك، أيضاً، لينظر إلينا بعينيه الحادتين عندما يوثقوننا و–"

"توقف يا هانك. هذا يكفي".

لكنه لم يكن كافياً بالنسبة له. "–ويضغطون زر التيار الكهربائي. لن أسمح بحصول ذلك أبداً، إذا كان بوسعي. لن تكون تلك العينين آخر شيء أراه في حياتي". ثم راح يفكِّر بما قاله للتو. *"أبداً، أبداً"*.

"أخلد إلى النوم يا هنري".

"هانك".

"هانك. أخلد إلى النوم. أحبك".

ابتسم. "أعرف، لكنني لا أستحقه كثيراً". وانصرف قبل أن أتمكن من الردّ عليه.

إلى السرير إذاً، على حدّ قول السيد بيبس. نمنا بينما كانت طيور البوم تصطاد وأرليت تجلس في ظلمتها العميقة والجزء السفلي من وجهها الذي رفسه الحافر مائلاً جانبياً. أشرقت الشمس في اليوم التالي، وكان يوماً جيداً للذرة، وأنجزنا أعمالنا اليومية.

عندما دخَلتُ وأنا أشعر بالحرّ والتعب لأُعدَّ طعام الظهر، كان هناك طبق مُغطى على الشرفة، وتحته ورقة ترفرف في الهواء وتقول: *وِيلف – نحن حزينان جداً لمتاعبك وسنساعد بأي طريقة نقدر عليها.*

يقول لك هارلان لا تقلق بشأن دفع أجرة الحصّادة هذا الصيف. أبلغنا رجاءً إذا وصلك أي خبر من زوجتك. مع حبّنا، سالي كوتيري.
ملاحظة: إذا جاء هنري ليزور شان، سأرسل معه كعكة أويسة.

وضعتُ الورقة في الجيب الأمامي لردائي السروالي مع ابتسامة. لقد بدأت حياتنا بعد أرليت.

إذا كُنا سنُكافأ في حياتنا على أعمالنا الصالحة، فلربما سنُكافأ على أعمالنا الشريرة في العالم السفلي. لا يمكنني الجزم بذلك، لكن يمكنني القول إنه كان صيفاً جيداً، مع كثير من الحرّ والشمس للذرة وما يكفي من مطر لإبقاء فدان حديقة خضرواتنا منتعشاً. حصل رعد وبرق في بعض فترات بعد الظهر، لكن لم تهبّ أبداً أيٌّ من تلك الرياح المؤذية للمحاصيل التي يخشاها مُزارعو الغرب الأوسط. أتى هارلان كوتيري مع حصّادته الهاريس جاينت ولم تتعطَّل ولو لمرة واحدة أبداً. كنتُ أخشى أن تتدخَّل شركة فارينغتون في أعمالي، لكنها لم تفعل ذلك. فحصلتُ على قرضي من المصرف من دون متاعب، وسدّدته بالكامل بحلول أكتوبر، لأن أسعار الذرة كانت مرتفعة جداً تلك السنة ورسوم الشحن منخفضة جداً. إذا كنت تعرف تاريخك، فستعرف أن هذين الأمرين - سعر المحصول وسعر الشحن - تبادلا مكانيهما في العام 1923، وبقيا هكذا منذ ذلك الحين. بالنسبة للمُزارعين المتواجدين في الوسط، بدأ الانهيار الاقتصادي الكبير عندما انهارت بورصة شيكاغو الزراعية في الصيف التالي. لكن صيف 1922 كان مثالياً مثلما يتمنى كل مُزارع. وقد شابه حادث واحد فقط، له علاقة ببقرة أخرى من أبقارنا التي تحمل إسم رمز يوناني، وسأُخبِرك عن الحادث قريباً.

ظهر السيد لستر مرتين. حاوَل أن يضايقنا، لكنه لم يملك أي شيء ليضايقنا به، ولا بدّ أنه كان يعرف ذلك، لأنه كان يبدو قلقاً جداً في ذلك اليوليو. أتخيَّل أن مدراءه كانوا يضايقونه، وكان فقط ينقل إلينا تلك المضايقات. أو يحاول أن ينقلها إلينا. في المرة الأولى، سأل أسئلة كثيرة لم تكن أسئلة حقاً، بل تلميحات. هل أَعتقد أن زوجتي تعرَّضت لحادث؟ لا شكّ لديه بذلك، وإلا لكانت إما اتصَلت به ليتفقا على ثمن تلك الفدادين المئة، أو تسلَّلت عائدةً إلى المزرعة تجرّ أذيال الخيبة. أو هل أَعتقد أنها وقعت في غرام ممثلٍ سيئٍ أثناء سفرها؟ هكذا أمور تحصل، أليس كذلك، من وقت لآخر؟ وسيكون هذا ملائماً لي بالطبع، أليس كذلك؟

عندما ظَهَر في المرة الثانية، بدا يائساً وقلقاً، وطرح أسئلته بكل صراحة: هل تعرَّضت زوجتي لحادث هنا في المزرعة؟ هل هذا ما حصل لها؟ ألهذا السبب لم تظهر إما حيّة أو ميتة؟

"سيد لستر، إذا كنتَ تسألني إذا قتلتُ زوجتي، فالجواب هو لا".

"بالطبع ستقول هذا، أليس كذلك؟".

"هذا سؤالك الأخير لي يا سيد. اركب شاحنتك، ولا تعد إلى هنا أبداً. وإذا عدتَ، سأضربك بعصا".

"ستُسجَن بتهمة الاعتداء!". كان يرتدي ياقة من السيلولويد ذلك اليوم، وأصبحت منحرفة كلياً. كان ممكناً تقريباً التعاطف معه لوقوفه هناك وتلك الياقة تنكز الجانب السفلي لذقنه والعرق يرسم خطوطاً على غبار وجهه البدين، وشفتاه ترتعشان وعيناه منتفختان.

"لا شيء من هذا القبيل. لقد حذَّرتك لتخرج من أرضي، وهذا

حقي، وأنوي إرسال رسالة مسجَّلة إلى شركتك تقول هذا الشيء بالضبط. عُد مرة أخرى وسيصبح ذلك تعدِّياً على ممتلكات الغير *وسأضربك*. خذ حذرك يا سيد". لارس أولسن، الذي كان قد أحضَر لستر مرة أخرى في شاحنته، كوَّر يديه حول أذنيه ليسمع أفضل.

عندما وصل لستر إلى جهة الراكب التي بلا باب في الشاحنة، استدار مادّاً ذراعه ومشيراً بإصبعه نحوي، مثل محامٍ في قاعة المحكمة يحبّ الأدوار المسرحية. "أعتقد أنك قتَلتها! وستُكشَف جريمة القتل عاجلاً أم آجلاً!".

خرج هنري - أو هانك، مثلما يفضِّل أن أناديه الآن - من الحظيرة. كان يذرّي القش وأمسك المذراة على صدره كما لو أنها بندقية. "ما أعتقده هو أنه من الأفضل لك أن تخرج من هنا قبل أن تبدأ بنزف الدم"، قال. الفتى اللطيف والخجول نوعاً ما الذي كنتُ أعرفه حتى صيف 1922 لم يكن ليقول شيئاً كهذا أبداً، لكن هذا الفتى قاله، ولستر رأى أنه جدّي في كلامه. لذا ركب الشاحنة. من دون وجود باب لكي يخبطه، واكتفى بشبكْ ذراعيه فوق صدره.

"عُد في أي وقت يا لارس"، قلتُ بسرور، "لكن لا تُحضِره معك، مهما عرض عليك من مال لتنقل مؤخرته العديمة الجدوى".

"لا يا سيد جايمس"، قال لارس، وغادرا.

استدرتُ إلى هنري. "هل كنتَ ستضربه بهذه المذراة حقاً؟".

"نعم سيدي. أجعَله يزعق". ثم عاد إلى الحظيرة دون أن يبتسم.

لكنه لم يكن متجهّماً *دائماً* ذلك الصيف، وشانون كوتيري هي

السبب. كان يراها كثيراً (ويرى منها أكثر مما كان جيداً لكليهما؛ عرَفتُ ذلك في الخريف). بدأَت تأتي إلى منزلنا بعد ظهر أيام الثلثاء والخميس، مرتديةً تنورة طويلة وقبعة أنيقة، وتحمل كيساً مليئاً بأشياء لذيذة للأكل. قالت إنها تعرف "ما يطبخه الرجال" - كما لو أنها في الثلاثين وليس في الخامسة عشرة من عمرها - وقالت إنها تنوي ضمان حصولنا على عشاءين لائقين كحد أدنى كل أسبوع. ورغم أنني لم أتذوّق سوى طبق واحد من أطباق أمها للمقارنة، إلا أنه يسعني القول إنها الطبّاخة المتفوقة حتى في الخامسة عشرة من عمرها. كنتُ وهنري نرمي فقط شرائح لحم في مقلاة على الموقد؛ بينما لديها طريقة تتبيل تجعل اللحم العادي شهياً. كانت تُحضِر خُضاراً طازجة في كيسها - ليس مجرد جزر وبازلاء بل أشياء غريبة (بالنسبة لنا) مثل الهليون والفاصوليا الخضراء وتطبخها مع البصل واللحم المقدَّد. وحتى كانت هناك حلوى. يمكنني أن أُغمض عينيَّ في غرفة الفندق الرثة هذه وأشمَّ رائحة معجناتها. يمكنني رؤيتها واقفة عند منضدة المطبخ تمايل مؤخرتها وتخفق البيض أو الكريما المخفوقة.

كريمة هي الكلمة المناسبة لشانون: عن وركَيها، عن صدرها، عن قلبها. كانت لطيفة مع هنري، وتهتمّ لأمره. هذا جَعَلني أهتم لأمرها... بشكل ضعيف فقط أيها القارئ. كنتُ أحبُّها، وكلانا يحبّ هنري. بعد وجبات العشاء تلك أيام الثلثاء والخميس، كنتُ أُصرّ على غسل الأواني بنفسي وأرسلهما إلى الشرفة. كنتُ أسمعُهما يتهامسان أحياناً، فأختلس النظر وأراهما يجلسان جنباً إلى جنب على الكراسي المصنوعة من أماليد مجدولة، وينظران إلى الحقل الغربي مُمسكين يدَي بعضهما مثل شخصين متزوجين منذ مدة طويلة. وأجدهما في أوقات أخرى

يقبّلان بعضهما، ولم يكن هناك شيء من الشخصين المتزوجين منذ مدة طويلة في تلك القبلات. بل كان هناك إلحاح عذب فيها يتميَّز به اليافعون جداً، وكنتُ أشعر بأ لم يعصر قلبي.

أتت باكراً بعد ظهر أحد أيام الثلثاء الحارّة. كان أبوها في حقلنا الشمالي على الحصّادة، وهنري بجانبه، وعدد صغير من الهنود من محمية شوشوني في لايم بيسكا يسيرون خلفهما... وخلفهم، أولد باي يقود شاحنة جمع المحصول. طلبت شانون مِغرفة ماء بارد، وكنتُ مسروراً بتوفيرها لها. وَقَفت هناك على الجهة الظليلة للمنزل، وبدت هادئة إلى حد لا يُصدَّق في فستان ضخم غطاها من الحنجرة إلى الساق والكتف إلى المعصم. كانت قلقة، وربما حتى خائفة، وللحظة شعرتُ بالخوف أنا أيضاً. *لقد أخبرها*، فكّرت في سرّي. لكن تبيَّن لي أن هذا غير صحيح. ما عدا أنه كان صحيحاً، بطريقة من الطرق.

"سيد جايمس، هل هنري مريض؟".

"مريض؟ لا. صحته جيدة كالحصان. وحتى يأكل كميات كبيرة من الطعام أيضاً. لقد رأيتِ ذلك بنفسك. رغم أنني أعتقد أنه حتى الرجل *المريض* سيجد صعوبة في رفض طبخك يا شانون".

أكسَبني هذا ابتسامةً، لكنها كانت ابتسامة من النوع المشتت الذهن. "إنه مختلف هذا الصيف. كنتُ أعرف دائماً بماذا يفكّر، لكن لم أعد كذلك. ذهنه يشرد كثيراً".

"حقاً؟"، سألتُ (من كل قلبي أيضاً).

"ألم تر ذلك؟".

"لا سيدتي". (بلى رأيتُه). "يبدو لي على طبيعته. لكنه يهتمّ لأمرك

كثيراً يا شان. ربما ما يبدو لك شروداً في الذهن يبدو له عشقاً وهياماً".

ظننتُ أن هذا سيُكسبني ابتسامة حقيقية، لكن لا. لمَست معصمي. كانت يدها باردة من مقبض المِغرفة. "لقد فكَّرتُ في ذلك، لكن...". قالت الباقي من دون تفكير. "سيد جايمس، إذا كان يستلطف شخصاً آخر - إحدى الفتيات من المدرسة - ستُخبِرني، أليس كذلك؟ لن تحاول أن... ترأف بمشاعري؟".

ضحِكتُ من هذا، ورأيتُ الارتياح على وجهها. "اسمعيني يا شان. لأنني صديقك. الصيف فترة مرهقة دائماً، ومع غياب أرليت، هانك وأنا أكثر انشغالاً من مورِّق جدران ذي ذراع واحدة. عندما نعود إلى المنزل ليلاً، نأكل وجبة طعام - وجبة لذيذة، إذا صدفَ وأتيتِ إلينا - ثم نقرأ لساعة. ونتكلم أحياناً عن مدى اشتياقه لأمه. ثم نأوي إلى السرير، وننهض في اليوم التالي ونعيد الكرّة من جديد. بالكاد لديه الوقت *ليلفت نظرك*، ناهيك عن فتاة أخرى".

"لقد لفتَ نظري من قبل"، قالت، ونظرت إلى حيث كانت حصّادة أبيها تقرقر في الأفق.

"حسناً... هذا جيد، أليس كذلك؟".

"أنا فقط... أجده هادئاً جداً الآن... متقلِّب المزاج كثيراً... ويشرد في البعيد أحياناً وأضطر إلى مناداته بإسمه مرتين أو ثلاث مرات قبل أن يسمعني ويُجيبني". تورَّدت خجلاً بقوة. "حتى قبلاته تبدو مختلفة. لا أعرف كيف أشرح لك، لكنها مختلفة. وإذا أخبرتَه أنني قلتُ لك هذا يوماً ما، سأموت. *سأموت* بكل بساطة".

"لن أُخبره أبداً"، قلتُ. "الأصدقاء لا يشون بأصدقائهم".

"أظن أنني أفكِّر بسخافة. وبالطبع يفتقد لأمه، أعرف ذلك. لكن العديد من الفتيات في المدرسة أجمل مني... أجمل مني...".

رفعتُ لها ذقنها لكي تنظر إليَّ. "شانون كوتيري، عندما ينظر إليك إبني، يرى أجمل فتاة في العالم. وهو محق. لماذا، لو كنتُ في سنّه، لكنتُ غازلتُك بنفسي".

"شكراً"، قالت. وَقَفت دموعٌ مثل ماسات صغيرة في عينيها.

"الشيء الوحيد الذي عليك أن تقلقي بشأنه هو إعادته إلى مكانه إذا خرَج منه. على فكرة، يمكن أن تشتعل حماسة الفتيان كثيراً. وإذا تخطيتُ حدودي، ما عليك سوى إخباري ذلك. هذا شيء آخر لا بأس به، إذا كان بين أصدقاء".

عانَقتني عندها، وعانَقتُها بدوري. عناق قوي، لكن ربما أفضل لشانون مما كان أفضل لي. لأن أرليت كانت بيننا. كانت بيني وبين جميع الآخرين في صيف 1922، وكان الشيء نفسه لهنري. شانون أخبرَتني للتو.

في إحدى ليالي أغسطس، ومع انتهاء القطاف الجيد ودفع أجور طاقم أولد باي والعودة إلى الروتين اليومي، استيقَظتُ على صوت بقرة تخور. *لقد أطلتُ في النوم ونسيتُ موعد الحلب*، فكّرت في سرّي، لكن عندما بحَثتُ بارتباك عن ساعة جيب أبي على الطاولة الصغيرة التي بجانب سريري وحدَّقت فيها، رأيتُ أنها الثالثة والربع فجراً. وَضعتُ الساعة على أذني لأرى إن كانت لا تزال تتكتك، لكن نظرةً إلى الظلمة غير المُقمِرة خارج النافذة خدمت نفس الهدف. لم يكن ما سمعتُه أصوات انزعاج بقرة بحاجة إلى أن تتخلّص من حليبها أيضاً.

كان صوت حيوان يتألم. تُصدر الأبقار هكذا أصوات أحياناً أثناء التوليد، لكن أبقارنا كانت قد تخطّت تلك المرحلة من حياتها.

نهضتُ، وتوجّهتُ إلى الباب، ثم عدتُ إلى الخزانة لأُحضر بندقيتي. سمِعتُ هنري يشخر خلف باب غرفته المُغلق بينما كنتُ مُسرِعاً حاملاً البندقية في يد وحذائي في اليد الأخرى. كنتُ آمل ألا يستيقظ ويرغب بالانضمام إليَّ في ما يمكن أن تكون مأمورية خطيرة. لم تبق سوى ذئاب قليلة على السهول وقتها، لكن أولد باي أخبَرني عن مرضٍ لدى بعض الثعالب المنتشرة قرب النهر. كان ما يسمّيه الشوشوني داء الكَلَب، ووجود مخلوق مسعور في الحظيرة هو السبب الأكثر احتمالاً لتلك الصرخات.

بعدما أصبحتُ خارج المنزل، أصبح الخوار المعذَّب صاخباً جداً، وأجوف نوعاً ما. تردَّد صداه. *مثل بقرة في بئر*، فكّرت في سرّي. تلك الفكرة جمَّدت الدم في ذراعيَّ وجَعَلتني أشدّ أكثر على البندقية.

حين وَصَلتُ إلى أبواب الحظيرة وفتحت الباب الأيمن بكتفي، استطعتُ سماع بقية الأبقار تبدأ بالخوار تعاطفاً، لكن تلك الصرخات كانت استفسارات هادئة بالمقارنة مع الصياح المعذَّب الذي أيقظني... وسيوقِظ هنري، أيضاً، إذا لم أضع حداً لمصدره. كان هناك مصباح قوسي كربوني معلَّق على خطّاف على يمين الباب – لم نكن نستخدم لهباً مكشوفاً في الحظيرة إلا في الحالات القصوى، خاصة في الصيف، عندما تكون ملأى بالقش وكل مخازن الذرة ممتلئة بالكامل.

تلمّستُ بحثاً عن زر إضاءته وضغطتُه. فقفزت دائرة ساطعة من التوهُّج الأزرق والأبيض. انبهرت عيناي كثيراً في البدء لكي أميِّز أي شيء؛ وكنتُ قادراً فقط على سماع تلك الصرخات المؤلمة وأصوات

حوافر بينما كانت إحدى أبقارنا تحاول الهروب من الشيء الذي كان يؤذيها. كانت أخيلوا. عندما تأقلمت عيناي قليلاً، رأيتُها تقذف رأسها من جهة إلى أخرى، وتتراجع إلى الخلف إلى أن ارتطمت أردافها بباب مربطها - الثالث على اليمين في الرِواق - ثم تتطوَّح إلى الأمام مرة أخرى. كانت الأبقار الأخرى مصابة بذعر كبير أيضاً.

رحتُ أسير ببطء إلى المربط متأبطاً بندقيتي تحت ذراعي اليسرى. فتحتُ الباب بقوة، وتراجَعتُ إلى الوراء. الإسم أخيلوا يعني "التي تُبعِد الألم"، لكن هذه الأخيلوا كانت تتعذَّب. عندما اندفعت إلى الرِواق، رأيتُ أن قائمتيها الخلفيتين ملطّختان بالدم. ركضَت مثل حصان (وهذا شيء لم أر بقرة تفعله أبداً من قبل)، ورأيتُ عندها جرذاً ضخماً متشبِّثاً بإحدى حلماتها. تسبَّب وزنه بتمديد الطرف الزهري لتلك الحلمة إلى طول الغضروف. متجمِّداً من المفاجأة (والرعب)، تذكّرتُ كيف كان هنري في طفولته يسحب أحياناً سلسلة زهرية من العلكة من فمه. *لا تفعل ذلك*، كانت أرليت توبِّخه. *لا أحد يريد أن ينظر إلى ما كنتَ تمضغه*.

رفعتُ البندقية، ثم أخفضتها. كيف يمكنني أن أطلق النار بينما الجرذ يتأرجح يميناً ويساراً مثل طرف الرقّاص؟

في الرِواق الآن، راحت أخيلوا تخور وتهزّ رأسها من جهة إلى أخرى، كما لو أن ذلك سيساعدها بطريقة ما. بعدما عادت كل قوائمها الأربعة إلى الأرض، كان الجرذ قادراً على أن يقف على ألواح الحظيرة المغطاة بالقش. كان أشبه بجرو غريب ملطَّخة شواربه بحليب دموي. بحثتُ من حولي عن شيء لأضربه به، لكن قبل أن أتمكن من إمساك المكنسة التي تركها هنري متكئةً على مربط فيمونوي، قفزت

أخيلوا مرة أخرى وسقط الجرذ على الأرض. ظننتُ في البدء أنها أزاحته فقط، لكن رأيتُ عندها الطرف الزهري والمجعَّد ناتئاً من فم الجرذ، مثل سيجار لحميّ. لقد مزَّق هذا اللعين إحدى حلمات أخيلوا المسكينة. أسندت رأسها على إحدى عارضات الحظيرة وخارت صوبي بتعب، كما لو أنها تقول لي: *لقد أعطيْتك حليباً طوال السنوات الماضية ولم أسبِّب لك أي متاعب، ليس مثل البعض الذين يمكنني ذِكر أسمائهم، لذا لماذا تركتَ هذا يحدث لي؟* كان الدم يتجمَّع تحت ضرعها. حتى في صدمتي واشمئزازي، لم أعتقد أنها ستموت من جرحها، لكن رؤيتي لها - وللجرذ، وحلمتها البريئة في فمه - أغضبني كثيراً.

بقيتُ لا أطلق النار عليه، جزئياً لأنني كنتُ خائفاً من إطلاق النار، لكن في الأغلب لأنني كنتُ خائفاً ألا أصيبه بسبب حملي مصباح الكربون في يدي. بدلاً من ذلك، أخفضتُ مقبض البندقية، على أمل أن أقتل هذا المقتحم مثلما قتل هنري الناجي من البئر برفشه. لكن هنري فتى يتميَّز بردة فعل لاإرادية سريعة، وكنتُ رجلاً في منتصف عمره استيقظ من نوم عميق. تجنَّبني الجرذ بسهولة وركض نحو الرِواق الوسطي، والحلمة المقطوعة تتمايَل إلى الأعلى والأسفل في فمه، وأدرَكتُ أن الجرذ يأكلها - دافئة ولا شك أنها لا تزال مليئة بالحليب - حتى أثناء ركضه. طارَدتُه، ووجهّتُ ضربتين نحوه، ولم أُصبه في المرتين. ثم رأيتُ إلى أين كان يركض: الأنبوب الذي يؤدي إلى بئر الماشية الميتة. بالطبع! بولفار الجرذان! بعد ملء البئر، كان طريقتها الوحيدة للخروج. ومن دونه، كانت لتُدفَن حيَّة. لتُدفَن *معها*.

لكن بالتأكيد، فكّرت في سرّي، *هذا الشيء كبير جداً ليَتسع بالأنبوب. لا شك أنه جاء من الخارج - عش في كومة الروث، ربما.*

وَثَب نحو الفتحة، وكذلك فعلتُ أيضاً، وأطالَ جسمه بالأسلوب الأكثر روعة. لوَّحتُ مقبض البندقية للمرة الأخيرة وحطَّمته على شفة الأنبوب. لم أُصب الجرذ أبداً. عندما أخفَضتُ مصباح الكربون إلى فم الأنبوب، لمحتُ ذيله الخالي من الشعر ينزلق بعيداً في الظلمة، وسمعت مخالبه الصغيرة تكشط المعدن المكلفَن. ثم اختفى عن الأنظار. كان قلبي يخفق بسرعة وقوة لظهور نقاط بيضاء أمام عينيَّ. أخذتُ نَفَساً عميقاً، لكنني شممتُ نتانة التعفُّن والتحلُّل بشكل قوي لدرجة أنني تراجَعتُ واضعاً يدي فوق أنفي. الرغبة بالتقيؤ خَنقت الرغبة بالصراخ. فمع انتشار تلك الرائحة في منخرَيَّ، كدتُ أرى أرليت على الطرف الآخر للأنبوب، بلحمها الذي يعجّ الآن بالحشرات واليرقات، وتسيُّل جسمها؛ وبدء تقطُّر وجهها عن جمجمتها، وابتسامة شفتيها تُفسح مجالاً أمام ابتسامتها العظمية الأطول أمداً الكامنة تحتها.

تراجعتُ عن ذلك الأنبوب زاحفاً على يديَّ ورجليَّ، وتقيأتُ على يساري ثم على يميني، وعندما خرج كل عشائي، بدأتُ أتقيأ سلاسل طويلة من عُصارة المرارة. ورأيتُ بعينين دامعتين أن أخيلوا عادت إلى مربطها. هذا جيد. لن أضطر على الأقل إلى مطاردتها في الذرة ووضع رسنٍ على أنفها لإعادتها.

ما أردتُ القيام به أولاً هو سدّ الأنبوب - أردتُ فعل ذلك قبل أي شيء آخر - لكن مع هدوء حلقي، عاد إليَّ التفكير السليم. الأولوية لأخيلوا. كانت حَلوباً جيدةً. والأهم من ذلك هو أنها مسؤوليتي. كنتُ أحتفظ بخزانة أدوية في مكتب الحظيرة الصغير حيث أضع دفاتر حساباتي. وجَدتُ علبة كبيرة من المرهم المعقَّم في الخزانة. وكانت هناك كومة خِرَق نظيفة في الزاوية. أخذتُ نصفها وعدتُ إلى

مربط أخيلوا. أغلَقتُ باب مربطها لتقليل خطر أن ترفسني، وجلستُ على كرسي الحَلب. أعتقد أن جزءاً مني شعَر بأنني *استحق* أن أُرفَس. لكن أخيلوا العزيزة هدأت عندما مسَّدتُ لها ظهرها وهمَستُ لها، "اهدأي، اهدأي"، ورغم أنها ارتعشت عندما وضعتُ المرهم على مكان الجرح، إلا أنها بقيت هادئة.

عندما أنهيتُ الخطوات التي عليَّ القيام بها لأمنع التلوّث، استخدَمتُ الخِرَق لأنظِّف تقيؤي. كانت هذه الخطوة مهمة، لأن أي مُزارع سيُخبِرك أن التقيؤ البشري يجذب الحيوانات المفترسة بنفس قدر انجذابها إلى صندوق قمامة غير مُغطى بشكل ملائم. حيوانات الراكون والمرموط، بالطبع، لكن الجرذان في أغلب الأحيان. فالجرذان تحبّ المخلَّفات البشرية.

بقيت لديَّ بضع خِرَق، لكنها من فضلات مطبخ أرليت ورقيقة جداً لعملي التالي. أخذتُ المنجل، وأضأتُ طريقي إلى كومة الحَطَب، وقطَّعتُ مربعاً متعرّجاً من القماش السميك الذي يغطيه. بالعودة إلى الحظيرة، انحنيتُ وأمسكتُ المصباح قريباً من فوهة الأنبوب، فقد أردتُ التأكد أن الجرذ (أو أي حيوان آخر؛ فحيث يكون هناك واحدٌ، يكون هناك المزيد بالتأكيد) لم يكن يختبئ هناك، جاهزاً للدفاع عن منطقته، لكنه كان فارغاً إلى أبعد ما يمكنني أن أرى، وهو حوالي مئة وعشرين سنتيمتراً. لم يكن هناك رَوث، وهذا لم يفاجئني. كان شارعاً نشطاً – أصبح شارعها الوحيد الآن – ولن توسّخه طالما يمكنها أن تقضي حاجتها خارجه.

حشوتُ القماش في الأنبوب. كان مشدوداً وضخماً، واضطررتُ في النهاية إلى استخدام عصا المكنسة لإدخاله بالكامل، ونجحتُ.

"لنرى كم يعجبك هذا. أتمنى أن يخنقك"، قلتُ.

عدتُ ونظرتُ إلى أخيلوا. بقيت تقف بهدوء، ورمقتني بنظرة لطيفة فوق كتفها بينما كنتُ أمسِّدها. عرَفتُ عندها وأعرف الآن أنها مجرد بقرة - ستجد أن المُزارعين يحتفظون ببضع أفكار عاطفية عن العالم الطبيعي - لكن تلك النظرة جعلت دموعاً تُذرف من عينيَّ، واضطررتُ إلى كبت شهقةٍ. *أعرف أنك بذلتَ قصارى جهدك*، قالت. *أعرف أن الذنب ليس ذنبك.*

لكنه كان ذنبي.

ظننتُ أنني سأبقى مستيقظاً لمدة طويلة، وعندما أغفو سأحلم بالجرذ يركض على ألواح الحظيرة المغطاة بالقش نحو كُوّة الهروب وتلك الحلمة في فمه، لكنني غفوتُ فوراً وكان نومي منعشاً وبلا أحلام. استيقَظتُ وضوء الصباح يغمر الغرفة ونتانة جثة زوجتي المتحلِّلة قوية على يديَّ والملاءة وغطاء الوسادة. جلستُ منتصباً، ورحتُ ألهث لكنني كنتُ أُدرك مسبقاً أن الرائحة وهمٌ. تلك الرائحة كانت رائحة حلمي المزعج. ولم أحلُم به في الليل بل في ضوء الصباح الأول، وعينايَ مفتوحتان بقوة.

توقَّعتُ التهاباً من عضّة الجرذ رغم المرهم، لكن لم يكن هناك التهابٌ. ماتت أخيلوا لاحقاً تلك السنة، لكن ليس من العضّة. لكنها لم تُعطِ حليباً مرة أخرى أبداً؛ ولا أي قطرة واحدة. كان يجب عليَّ ذبحها، لكنني لم أملك الشجاعة لفعل ذلك. لقد عانت الكثير بسببي.

في اليوم التالي، سلَّمتُ هنري لائحة مؤن وأخبَرته أن يأخذ

الشاحنة إلى الهوم ويُحضِرها. ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجهه.

"الشاحنة؟ أنا؟ بمفردي؟".

"ألا تزال تعرف كل تروس القيادة إلى الأمام؟ وسيظل بإمكانك إيجاد ترس القيادة إلى الخلف؟".

"بالتأكيد!".

"إذاً أعتقد أنك جاهز. ربما ليس لأوماها بعد – أو حتى لينكولن – لكن إذا قدتَها ببطء، يجب أن تصل بأمان إلى هيمينغفورد هوم".

"شكراً!". رمى ذراعيه حولي وقبّل خدي. بدا لي للحظة أننا عدنا أصدقاء من جديد. حتى إنني تركتُ نفسي أصدِّق ذلك قليلاً، رغم أنني كنتُ أعرف خلاف ذلك في أعماق قلبي. قد يكون الدليل تحت الأرض، لكن الحقيقة كانت بيننا، وستبقى هكذا دائماً.

أعطيتُه محفظة جلدية فيها بعض المال. "كانت هذه لجَدّك. احتفظ بها؛ كنتُ سأعطيك إياها في ذكرى ولادتك هذا الخريف، على أي حال. يوجد مال داخلها. يمكنك الاحتفاظ بما يبقى منه، إذا بقي منه شيء". وكدتُ أضيف، *ولا تُحضِر معك أي كلاب شاردة*، لكنني أوقفتُ نفسي في الوقت المناسب. كان هذا رصيد أمه من النكات.

حاوَل أن يشكرني مرة أخرى، ولم يتمكن. كان كل شيء كثيراً عليه.

"توقف عند مشغَل حدادة لارس أولسن في طريق عودتك واملأها بالوقود. لا تنسَ، وإلا ستعود إلى المنزل سيراً على الأقدام بدلاً من أن تكون جالساً خلف المِقوَد".

"لن أنسى. وبابا؟".

"نعم".

جرجَر قدمَيه، ثم نظر إليَّ بخجل. "هل يمكنني زيارة آل كوتيري ودعوة شان إلى هنا؟".

"لا"، قلتُ، وتجهَّم وجهه قبل أن أضيف: "تسأل سالي أو هارلان إذا كان بإمكان شان أن تأتي. ولا تنسَ أن تُخبِرهما أنك لم تقُد في البلدة أبداً من قبل. إنني آخذ منك وعد شرف يا بُنيَّ".

كما لو أنه بقي لكلينا أي شرف.

راقَبتُه عند البوابة إلى أن اختفت شاحنتنا القديمة في سحابة غبار. شعرتُ بغصّة في حلقي ولم أقدر أن أبلع. كان لديَّ هاجس غبي لكن قوي جداً بأنني لن أراه مرة أخرى أبداً. أفترض أن هذا شيء يشعر به معظم الأهل عندما يرون إبنهم يغادر بمفرده لأول مرة ويواجهون الإدراك بأنه إذا أصبح كبيراً في السنّ كفاية ليُرسَل في مأموريات من دون إشراف، فإنه لم يعد طفلاً أبداً. لكن لا يمكنني إضاعة الكثير من الوقت في التخبّط بمشاعري؛ لديَّ عمل مهم عليَّ القيام به، وقد أرسلتُ هنري بعيداً لكي أتمكن من إنجازه بمفردي. سيرى ماذا حصل للبقرة، بالطبع، وقد يتكهّن ما هو الشيء الذي فعله بها، لكنني شعرتُ أنني لا أزال قادراً على إطلاعه على الأمر تدريجياً.

اطمأنيتُ على أخيلوا أولاً، التي بدت فاترة الهمّة لكن بخير. ثم فحَصتُ الأنبوب. كان لا يزال مسدوداً، لكنني لم أكن متوهّماً؛ قد تستغرق الجرذان بعض الوقت، لكنها ستقضم القماش في نهاية المطاف. عليَّ سدّه بشكل أفضل. أخذتُ كيساً من أسمنت بورتلاند ومزجتُ بعضاً منه في دلو قديم. عدتُ إلى الحظيرة، وبينما كنتُ أنتظر

أن يتكثّف المزيج، نكَزتُ القماش إلى عمق أكبر في الأنبوب. أوصلتُه إلى عمق ستين سنتيمتراً على الأقل، ثم ملأتُ تلك السنتيمترات الستين بالأسمنت. حين عاد هنري (وبمعنويات عالية؛ كانت شانون ترافقه بالفعل، وقد تشاركا مياهاً غازية بطعم البوظة بالمال الذي بقي معه من المأموريات)، كان الأسمنت قد جفَّ. أظن أن بعض الجرذان كانت تبحث عن طعام في الخارج، لكن لا شكّ أنني حبستُ معظمها في الداخل – بما في ذلك الجرذ الذي هاجَم أخيلوا بشراسة. وستموت هناك في الظلمة في الأسفل. إن لم يكن من الاختناق، فمن الجوع بعدما تنضب حجرة مؤنها التي لا توصف.

هكذا اعتقَدتُ وقتها.

في الأعوام بين 1916 و1922، ازدهرت أعمال حتى مُزارعي نبراسكا الأغبياء. وازدهرت أعمال هارلان كوتيري أكثر من معظمهم، بما أنه بعيد كل البُعد عن الغباء. وقد أظهرت مزرعته ذلك. حيث أضاف حظيرة وصومعة في العام 1919، ووَضَع في العام 1920 بئراً عميقاً يضخّ كمية لا تُصدَّق وصلت إلى ستة غالونات بالدقيقة. وبعد سنة، أضاف سمكرة إلى داخل المنزل (رغم أنه كان عقلانياً بإبقائه على مرحاض الفناء الخارجي). وهكذا يستطيع، لثلاث مرات في الأسبوع، أن يستمتع ونساء الأسرة بما كان يُعدُّ رفاهيةً لا تُصدَّق في الريف: حمّام ساخن ليس عبر دِلاء ماء سُخّن على موقد المطبخ بل عبر أنابيب تُحضِر الماء من البئر أولاً ثم تنقله إلى الحوض. كان دُش الحمّام الذي كشف السر الذي كانت شانون كوتيري تخفيه، رغم أنني أفترض أنني كنتُ أعرف من قبل، وقد عرفته منذ اليوم الذي قالت فيه، *لقد لفتَ*

نظري من قبل - حيث تكلّمت بصوت خافت كان خلافاً لطبيعتها، دون أن تنظر إلى عينيَّ بل إلى الصور الظليّة لحصّادة أبيها وشاحنات جمع المحصول التي كانت تمشي بتثاقل خلفها.

كان هذا بالقرب من نهاية سبتمبر، بعد قطاف كل الذرة لسنة أخرى، لكن لا يزال هناك الكثير من الحصاد للقيام به. بعد ظهر أحد أيام السبت، وبينما كانت شانون تستمتع بدُش ساخن، أتت أمها عبر القاعة الخلفية ومعها حمولة من الغسيل أنزلتها عن الحبل سابقاً، لأنه بدا لها أنها ستُمطر. الأرجح أن شانون ظنَّت أنها أغلَقت باب الحمّام جيداً - معظم السيدات حريصات بشأن خطوات حمّامهن، وكان لدى شانون كوتيري سبب خاص لتشعر هكذا في أواخر صيف 1922 - لكن ربما المزلاج انفصَل عن مكانه وفُتح الباب جزئياً. وصدفَ أن ألقت أمها نظرة سريعة على الداخل، ورغم أنها سحبت الملاءة القديمة التي تخدم كستارة للدُشّ إلى نهاية سكّتها التي شكلها U، إلا أن رذاذ الماء جعلها نصف شفافة. لم تكن سالي بحاجة إلى رؤية الفتاة نفسها؛ بل رأت *شكل* الفتاة، لمرة واحدة من دون أحد فساتينها الواسعة لإخفائه. كان هذا كل ما تطلّبه الأمر. كانت الفتاة حامل في شهرها الخامس تقريباً؛ الأرجح أنها لم تكن قادرة على إخفاء سرها أطول من ذلك بكثير على كل حال.

بعد يومين، عاد هنري إلى المنزل من المدرسة (أصبح يأخذ الشاحنة الآن) وعلامات الخوف والذنب بادية على وجهه. "لم تأت شان إلى المدرسة في اليومين الماضيين"، قال، "لذا زرتُ منزل آل كوتيري للاطمئنان عليها. كنتُ أظن أنها أصيبت بالإنفلونزا الإسبانية. لم يدعاني أدخل. طلبَت مني السيدة كوتيري أن أغادر ببساطة، وقالت

إن زوجها سيأتي ليكلّمك هذه الليلة، بعد أن يُنهي أعماله. سألتُها إن كان يمكنني فعل أي شيء، فقالت، 'لقد فعلت ما يكفي يا هنري'".

ثم تذكَّرتُ ما قالته شان. غطّى هنري وجهه بيديه وقال، "إنها حامل يا بابا، وقد عرَفا. أعرف أن هذا هو السبب. نريد أن نتزوج، لكنني أخشى ألا يسمحان لنا".

"لا تهتمّ بهما"، قلتُ، "أنا لن أسمح لك".

نظَرَ إليَّ بعينين مجروحتين دامعتين. "لماذا؟".

فكّرت أن أقول: *رأيتَ كيف انتهت الأمور بيني وبين أمك وتسألني حقاً؟* لكن ما قلتُه كان، "إنها في الخامسة عشرة، ولن تصبح في الخامسة عشرة قبل أسبوعين".

"لكننا نحب بعضنا البعض!".

آه، ذلك الصراخ الساذج. صيحة الاستهزاء تلك التي تنمّ عن ضعف. كانت يداي مشدودتين على رجلَي ردائي السروالي، واضطررتُ أن أفتحهما بالقوة. الغضب لن يفيد بشيء. الفتى بحاجة إلى أم تناقش معه هكذا أمر، لكن أمه تجلس في قعر بئر مملوء، وتحيط بها جرذان ميتة بلا شكّ.

"أعرف هذا يا هنري –"

"*هانك!* وهناك آخرون كُثُر تزوَّجوا يافعين مثلنا!".

فيما مضى؛ وليس منذ بداية القرن وإغلاق الحدود. لكنني لم أقل هذا. ما قلتُه إنه ليس معي مال لأساعدهما في انطلاقتهما. ربما في العام 1925، إذا بقيت المحاصيل والأسعار جيدة، لكن لا يوجد شيء الآن. وبوجود طفل قادم –

"سيكون هناك ما يكفي!" قال. "لو لم تكن حقيراً بشأن تلك الفدادين المئة، لكان هناك *الكثير*! وكانت لتعطيني بعضه! وما كانت لتكلّمني بهذه الطريقة!".

كنتُ مصدوماً جداً في البدء لأقول أي شيء. لقد مرَّت ستة أسابيع أو أكثر منذ أن لفظ أحدنا إسم أرليت - أو حتى أشار إليها بشكل غير مباشر.

كان ينظر إليَّ بتحدٍّ. ثم رأيتُ هارلان كوتيري على طريقنا من بعيد. لطالما اعتبرتُه صديقي، لكن أن تصبح الإبنة حاملاً هو أمر لديه طريقته الخاصة في تغيير هكذا أمور.

"لا، لما كانت كلّمتك بهذه الطريقة"، قلتُ موافقاً، ونظرتُ إلى عينيه مباشرة. "كانت كلّمتك بشكل أسوأ. وضحِكت على الأرجح. ستعرف هذا إذا بحثت عميقاً في قلبك يا بُنيَّ".

"لا!".

"أمك وصفت شانون ببائعة هوى صغيرة، ثم أخبرَتك أن تُبقي حماستك داخل سروالك. هذه كانت نصيحتها الأخيرة، ورغم أنها نصيحة بدائية ومؤذية مثل معظم ما كان لديها لتقوله، كان عليك أن تتقيَّد بها".

خمد غضب هنري. "لم يحصل ذلك إلا بعد تلك... بعد تلك الليلة... لم تكن شان تريد ذلك، لكنني أقنعتُها. وبعدما بدأنا، أعجبها كثيراً مثلما أعجبني. بعدما بدأنا، طَلَبته بنفسها". قال ذلك بفخر غريب نصف مريض، ثم هزَّ رأسه بتثاقل. "الآن تلك الفدادين المئة تجلس هناك تُنبِت أعشاباً ضارةً، وأنا في مأزق. لو كانت ماما هنا،

لكانت ساعدتني في إصلاح الوضع. المال يُصلح كل شيء، هذا ما يقوله هو". وأومأ هنري برأسه نحو سحابة الغبار المقتربة.

"إذا كنت لا تتذكَّر كم كانت أمك بخيلة بالمال، فأنت تنسى بسرعة كبيرة لمصلحتك الشخصية"، قلتُ. "وإذا كنت قد نسيت كيف صفَعتك على فمك تلك المرة –"

"لم أنسَ"، قال بتجهّم. ثم قال بتجهّم أكبر: "ظننتُ أنك ستساعدني".

"أحاول ذلك. أريدك الآن أن تنصرف من هنا. فوجودك هنا عندما يصل والد شانون سيكون أشبه بتلويح خرقة حمراء أمام ثور. دعني أرى أين نحن – وكيف حاله – وقد أناديك إلى الشرفة". أمسكتُ معصمه. "سأبذل قصارى جهدي لك يا بُنيَّ".

سحَب معصمه من قبضتي. "من الأفضل لك".

دخل المنزل، وقبل أن يتوقف هارلان في سيارته الجديدة (ناش خضراء ولامعة تحت طبقة غبارها مثل ظهر ذبابة اللحم)، سمِعتُ خبطة باب المنخل.

قرقَرت الناش، وفرقع محرّكها، وتوقف كلياً. خرَج هارلان، وخلع معطفه الطويل، وطواه، ووضعه على المقعد. لقد ارتدى المعطف الطويل لأنه الأنسب لملابسه: قميص أبيض، وربطة عنق رفيعة، وسروال أنيق مع حزام ذي إبزيم فضي. عدَّل سرواله بالطريقة التي أرادها مباشرة تحت كرشه الصغير. لطالما كان جيداً معي، ولطالما اعتبرته ليس مجرد صديق بل صديقاً عزيزاً، لكنني كرِهتُه في تلك اللحظة. ليس لأنه أتى ليبوّخني بشأن إبني؛ فأنا كنتُ سأفعل الشيء نفسه لو كنتُ مكانه. لا، بل

بسبب الناش الخضراء اللامعة الجديدة. بسبب إبزيم الحزام الفضي الذي على شكل دلفين. بسبب الصومعة الجديدة الحمراء الساطعة، والسمكرة داخل المنزل. والأهم أنه كان بسبب الزوجة المُطيعة العادية الوجه التي تركها في مزرعته تُعدّ العشاء رغم قلقها بلا شك. الزوجة التي يقتصر ردّها اللطيف في وجه أي مشكلة تواجههما على قولها *أي شيء تراه مناسباً يا عزيزي*. النساء، خذ علماً: زوجة مثل هذه لا داعي لأن تخشى أبداً أن تلفظ أنفاسها الأخيرة بسبب ذبح حنجرتها.

خطا بخطوات كبيرة إلى سلالم الشرفة. وَقَفتُ ومددتُ يدي، منتظراً رؤية إن كان سيقبلها أو يرفضها. كان هناك تردّد بينما راح يفكِّر بفوائد ذلك ومساوئه، لكنه صافحني بشكل خفيف في النهاية قبل أن يُفلت يدي بسرعة. "لدينا مشكلة كبيرة يا وِيلف"، قال.

"أعرف. أخبرني هنري للتو. أن تأتي متأخراً أفضل من ألا تأتي أبداً".

"أفضل ألا تأتي أبداً"، قال بتجهّم.

"تفضل بالجلوس".

فكَّر بهذا أيضاً، قبل أن يجلس على ما كان دائماً كرسي أرليت الهزّاز. عرَفتُ أنه لم يكن يريد أن يجلس - فالرجل الغاضب والمنزعج جداً لا يحبّذ الجلوس - لكنه جلس في نهاية المطاف.

"هل تريد بعض الشاي المُثلَّج؟ ليس عندنا ليموناضة، أرليت كانت خبيرة الليموناضة، لكن -"

لوَّح لي بيد قصيرة وبدينة لكي أسكت. قصيرة وبدينة لكن صارمة. كان هارلان أحد أغنى المُزارعين في مقاطعة هيمينغفورد، لكنه

لم يكن مساعد مراقب العمال؛ عندما يحين وقت تجفيف الحشيش للدواب أو الحصاد، تجده في الحقل إلى جانب العمّال. "أريد العودة قبل الغروب. لا أرى شيئاً البتّة في نور تلك الأضواء الأمامية اللعينة. زوجتي تحضّر قالب حلوى في الفرن، وأظنك تعرف مَن الذي طبخَ".

"هل يفيد أن أقول آسف؟".

"لا". ضغط على شفتيه بشدّة، وكان يمكنني رؤية دم حارّ ينبض على طرفَي عنقه. "أنا غاضب أكثر من دبّور، وما يزيد الأمر سوءاً هو أنه ليس لديَّ أحد لأصبّ جام غضبي *عليه*. لا أستطيع أن أغضب من إبنك وإبنتي لأنهما مجرد أولاد، رغم أنها لو لم تكن مع ولد، لكنتُ وضعتُ شانون على ركبتي وأشبعتُها ضرباً لعدم تصرّفها بشكل أفضل بما أنها *أكثر وعياً* من ذلك. لقد ربّيناها بشكل جيد".

أردتُ أن أسأله إن كان يقصد أنه تمت تربية هنري بشكل سيئ. لكنني بقيت صامتاً، وتركته يقول كل الأشياء التي كانت تثير غضبه أثناء قدومه إلى هنا. لقد حضَّر خطاباً، وحالما يلقيه، قد يصبح التعامل معه أسهل.

"أودّ أن ألوم سالي لعدم رؤيتها حالة الفتاة قبل الآن، لكن أول حبل لكل فتاة لا يظهر بشكل فاضح، الجميع يعرفون هذا... وأنت تعرف نوعَ الفساتين التي ترتديها شان. هذا ليس شيئاً جديداً أيضاً. فقد كانت ترتدي فساتين مثل العجائز منذ أن كانت في الثانية عشرة وبدأ يكبُر...".

وضع يديه القصيرتين والبدينتين أمام صدره. أومأتُ برأسي.

"وأودّ أن ألومك *أنت*، لأنه يبدو أنك تجاهلت الكلام الذي

يقوله الآباء عادة لأبنائهم". *كما لو أنك تعرف أي شيء عن تربية الأبناء*، فكّرت في سرّي. "الكلام عن كيف أن لديه مسدس في سرواله ويجب أن يُبقي زر الأمان مضغوطاً". علقت شهقةٌ في حنجرته وصاح، "إبنتي... الصغيرة... يافعة جداً لكي تكون أماً!".

بالطبع كان هناك لوم يقع عليَّ لم يكن هارلان يعرف عنه. لو لم أضع هنري في حالةٍ جعلته بحاجة ماسة إلى حب امرأة، لربما لم تكن شانون في المأزق الذي هي فيه الآن. كان يمكنني أيضاً أن أسأل هارلان إن كان قد ترك بعض اللوم القليل لنفسه بينما كان مشغولاً في توزيعه يميناً ويساراً. لكنني بقيتُ صامتاً. الصمت ليس تصرّفاً طبيعياً بالنسبة لي أبداً، لكن العيش مع أرليت درّبني كثيراً على ذلك.

"لكن لا يمكنني أن ألومك أيضاً، لأن زوجتك فرّت هذا الربيع، ومن الطبيعي أن ينخفض انتباهك له في حالة كهذه. لذا خرَجتُ إلى الحقل وقطَّعتُ حوالي نصف كدسة حطب لعينة قبل أن آتي إلى هنا، لمحاولة تنفيس بعض ذلك الغضب، ولا شك أن ذلك نجح. فقد صافحتُك، أليس كذلك؟".

تهنئة النفس التي سِمِعتُها في صوته جَعَلتني أرغب كثيراً في قول، *إذا لم يكن اغتصاباً، لا أزال أعتقد أن الأمر يتطلب موافقة الطرفين*. لكنني قلتُ فقط، "نعم، لقد صافحتني"، وتركتُ المسألة عند هذا الحدّ.

"حسناً، يأخذنا هذا إلى ما ستفعله بهذا الشأن. أنت وذلك الفتى الذي جلس إلى طاولتي وأكل الطعام الذي أعدّته له زوجتي".

بعض الفكر الشرير – الذي يأتي إلى المرء، أظن، عندما يغادره الرجل المتآمر – جَعَلني أقول، "هنري يريد أن يتزوّجها ويصبح أباً".

"هذا سخيف جداً لدرجة أنني لا أريد أن أسمعه. لن أقول إن هنري لا يملك وعاءً ليبوّل فيه أو نافذة ليرميه منها – أعرف أن وضعك جيد يا وِيلف، أو جيد قدر الإمكان، لكن هذا أفضل ما يمكنني أن أقوله. السنوات الماضية كانت خيِّرة، ولا زلتَ تسبق المصرف بخطوة واحدة فقط. أين ستكون عندما يصبح المحصول شحيحاً مرة أخرى؟ وهذا ما يحصل دائماً. لو كان لديك مال من تلك الفدادين المئة الخلفية، لكان الوضع اختلف – المال يخفّف وطأة الأوقات الصعبة، الجميع يعرفون هذا – لكن مع غياب أرليت، فإنها تقبع هناك مثل خادمة عجوز مُصابة بالإمساك على مبْوَلة".

حاوَلتُ للحظة واحدة التفكير كيف كانت الأمور لتكون لو وافقتُ أرليت على بيع تلك الأرض اللعينة، مثلما وافقتُها على أمور أخرى كثيرة. *كنتُ سأعيش في رائحة كريهة، هكذا كانت ستؤول الأمور. وكنتُ سأضطر إلى حفر النبع القديم للأبقار، لأن الأبقار لن تشرب من غدير مليء بالدم وأحشاء المواشي.*

صحيح. لكنني كنتُ سأعيش بدلاً من أن أتواجد فقط، ولكانت أرليت تعيش معي، ولم يكن هنري ليصبح هذا الفتى المتجهّم المكروب. الفتى الذي وضع صديقته منذ الطفولة في موقف صعب.

"حسناً، ماذا تريد أن تفعل؟"، سألتُ. "أشكّ أن تكون قد قمتَ بهذه الرحلة دون حل ما".

بدا لي أنه لم يسمعني. كان ينظر عبر الحقول إلى حيث تقف صومعته الجديدة في الأفق. كان وجهه ثقيلاً وحزيناً، لكنني قطعتُ شوطاً بعيداً وكذبتُ كثيراً؛ لم يحرّك ذلك التعبير مشاعري كثيراً. كان العام 1922 أسوأ عام في حياتي، حيث تحوّلتُ إلى رجل لم أعد أعرفه،

وكان هارلان كوتيري مجرد إخفاق آخر على الطريق الصخري والبائس.

"إنها ذكية"، قال هارلان. "تقول السيدة ماكريدي في المدرسة إن شان أذكى تلميذ علَّمته في حياتها المهنية كلها التي تعود إلى أربعين سنة تقريباً. إنها جيدة في الإنكليزية، وحتى أفضل في الرياضيات، والذي تقول عنه السيدة ماكريدي إنه أمر نادر لدى الفتيات. بمكنها حلّ مسائل علم المفلّفات يا وِيلف. هل كنتَ تعرف ذلك؟ السيدة ماكريدي نفسها لا تستطيع حلّ مسائل علم المفلّفات".

لا، لم أكن أعرفه، لكنني أعرف كيف ألفظ الكلمة. لكنني شعَرتُ أن هذا قد لا يكون الوقت المناسب لتصحيح لفظ جاري.

"أرادت سالي إرسالها إلى المدرسة العادية في أوماها. إنهم يقبلون الفتيات هناك وكذلك الفتيان منذ العام 1918، رغم أنه لم تتخرَّج أي أنثى من هناك حتى الآن". ونظر إليَّ نظرةً قاسيةً: مزيج من القرف والعداء. "الإناث دائماً يُرِدنَ أن *يتزوَّجن*. وأن *يُنجبن أطفالاً*".

تنهَّد.

"بإمكان شان أن تكون الأولى. لديها المهارات والذكاء. لم تكن تعرف ذلك، أليس كذلك؟".

لا، في الحقيقة لم أكن أعرفه. كل ما فعلتُه هو الافتراض فقط – وهو أحد الافتراضات العديدة التي أعرف الآن أنها كانت خطأً – أنها مجرد زوجة فلاّح، لا أكثر ولا أقل.

"وحتى قد تصل إلى الكلية. خطَّطنا لإرسالها إلى تلك المدرسة حالما تصبح في السابعة عشرة".

سالي خططت، هذا ما تقصده، فكّرت في سرّي. *لو تُرك الأمر*

لك، لما كانت هكذا فكرة مجنونة خطرت على بالك الفلاّحيّ أبداً.

"كانت شان مستعدة، وقد ادّخرنا المال اللازم. كان كل شيء مُعدّاً وجاهزاً". استدار لينظر إليَّ، وسمِعتُ الأوتار في عنقه تُحدث صريراً. "لا *يزال* كل شيء مُعدّاً وجاهزاً. لكن أولاً - وفوراً تقريباً - ستذهب إلى دار سانت يوسيبيا للفتيات في أوماها. هي لا تعرف هذا بعد، لكنه سيحصل. كلّمتني سالي بشأن إرسالها إلى ديلاند - أخت سال تعيش هناك - أو إلى منزل عمّتها وعمّها في لايم بيسكا، لكنني لا أثق بهما لكي يضمنا تنفيذ ما قرّرناه. وكذلك الفتاة التي تسبّب هذا النوع من المشاكل لا تستحق أن تذهب إلى أشخاص تعرفهم وتحبّهم".

"ماذا قرّرت يا هارل؟ بالإضافة إلى إرسال إبنتك إلى أحد أنواع... لا أعرف... المياتم؟".

تجهَّم وجهه. "ليس مَيتماً. إنه مكان نظيف وصحي ومزدحم. هكذا قيل لي. كل التقارير التي وصلتني جيدة. ستكون لديها الأعمال المنزلية، ستكون لديها دروسها، وبعد أربعة أشهر سيكون لديها طفل. عندما يحصل ذلك، سيُعرَض الطفل لتربّيه عائلة أخرى. ستهتمّ المسؤولات في دار سانت يوسيبيا بهذه المسألة. ثم يمكنها العودة إلى المنزل، وبعد سنة ونصف يمكنها الذهاب إلى كلية الأساتذة، تماماً مثلما تريد سالي. وأنا بالطبع. سالي وأنا".

"أين دوري في هذا؟ أفترض أن لديَّ دورٌ".

"هل تتذاكى عليَّ يا وِيلف؟ أعرف أن السنة كانت صعبة عليك، لكنني لن أقبل أن تتذاكى عليَّ".

"لا أتذاكى عليك، لكن يجب أن تعرف أنك لست الوحيد

الغاضب والخجِل. فقط أخبرني ماذا تريد، وربما يمكننا البقاء أصدقاء".

الابتسامة الصغيرة الباردة بشكل استثنائي التي ردَّ بها على هذا – مجرد ارتعاش في الشفتين وظهور وجيز جداً لغمّازتين عند أطراف فمه – قالت الكثير عن مدى الأمل الصغير الذي ينتظره من *ذلك*.

"أعرف أنك لست غنياً، لكن لا يزال عليك تحمّل قسطك من المسؤولية. ستكلّفني فترة بقائها في المنزل – تسمّيها المسؤولات الرعاية قبل الولادة – 300 دولار. سمّتها المسؤولة كاميلا تبرّعاً عندما كلّمتُها على الهاتف، لكنني أعرف الرسم عندما أسمع عنه".

"إذا كنتَ ستطلب مني أن أشاركك المبلغ –"

"أعرف أنه لا يمكنك أن تدبِّر 150 دولاراً، لكن من الأفضل لك أن تكون قادراً على تدبير 75 دولاراً، لأن هذه هي كلفة المدرِّس الخصوصي الذي سيساعدها على مواصلة دروسها".

"لا يمكنني فعل هذا. أرليت أفلستني عندما غادرت". لكنني وجَدتُ نفسي أتساءل لأول مرة إن كانت قد خبّأت مبلغاً صغيراً في مكان ما. فذلك الخبر عن أخذها مئتي دولار عندما فرَّت كان محض كذبة، لكن حتى مصروف الجيب سيساعد في هذه الحالة. فدوَّنتُ في ذهني أن أتفحَّص الخزائن والعلب في المطبخ.

"خذ قرضاً صغيراً آخر من المصرف"، قال. "سمعتُ أنك سدَّدتَ القرض الأخير".

بالطبع سمِع ذلك. يُفترَض أن تكون هكذا أمور سرية، لكن للرجال أمثال هارلان كوتيري أذنان طويلتان. شعَرتُ بموجة نفور جديدة تجاهه. لقد أعارني حصّادة الذرة ولم يأخذ مني سوى 20 دولاراً

بدل استخدامها؟ وإن يكن؟ كان يطلب مقابل ذلك وأكثر، كما لو أن إبنته الغالية لم تُباعد رجلَيها أبداً وتقول *تعال وادهن الجدران*.

"كان معي مال المحصول لأسدِّده به"، قلتُ. "أما الآن فليس معي أي مال. ليس لديَّ سوى أرضي ومنزلي فقط لا غير".

"جِد طريقةً"، قال. "اِرهن المنزل، إن لزم الأمر. 75 دولاراً هي قسطك، وبالمقارنة مع عدم اضطرار إبنك إلى تغيير حفاضات الطفل في سنّ الخامسة عشرة، أعتقد أنك تنال عقوبة مخفَّفة".

نهض. فنهضتُ أنا أيضاً. "وإذا لم أتمكّن من إيجاد طريقة؟ ماذا يحدث عندها يا هارل؟ هل سترسل المأمور؟".

تكوَّرت شفتاه في تعبير ازدراء حوَّل نفوري منه إلى كره. حصَل ذلك بشكل فوري، ولا زلت أشعر بذلك الكره حتى اليوم، رغم احتراق مشاعر عديدة أخرى في قلبي. "لن ألجأ إلى القانون أبداً لشيء كهذا. لكن إذا لم تتحمَّل قسطك من المسؤولية، تكون كل علاقتنا قد انتهت". أحوَل عينيه في ضوء النهار المتلاشي. "أنا ذاهب. عليَّ ذلك، إذا أردتُ العودة قبل حلول الظلام. لن أحتاج إلى الـ 75 دولاراً قبل أسبوعين، لذا لديك بعض الوقت. ولن آتي لأطالبك بها. إذا لم تدفعها، تكون لم تدفعها. فقط لا تقل إنك غير قادر، لأنني أعرف عكس ذلك. كان عليك تركها تبيع تلك الأرض إلى فارينغتون يا وِيلف. لو فعلتَ ذلك، لكانت بقيت هنا ولكان معك بعض المال. ولما كانت إبنتي في مأزق الآن".

في ذهني، دفَعتُه عن الشرفة وقفزتُ على بطنه المستدير بقدمَيَّ عندما حاوَل النهوض. ثم أحضرتُ المنجل من الحظيرة وغرزته في

إحدى عينيه. في الواقع، وَقَفتُ ويدي على الدرابزين أراقبه ينزل الدرجات.

"هل تريد أن تتكلم مع هنري؟"، سألتُ. "يمكنني مناداته. إنه مستاء من هذا مثلي".

لم يتوقف هارلان ولو لبرهة. "كانت نظيفة وإبنك وسّخها. إذا ناديتَه إلى هنا، قد أصرعه أرضاً. قد لا أكون قادراً على منع نفسي".

تساءلتُ بشأن ذلك. كان هنري ينمو، وبدأ يصبح قوياً، وربما الأهم من كل شيء آخر هو أنه اختبر القتل من قبل. بينما هارل كوتيري لم يختبره.

لم يحتج إلى استخدام ذراع التدوير ليشغّل محرّك الناش، بل اكتفى بضغط زرٍ. الثراء جميل على كافة الأصعد. "75 دولاراً هو ما أحتاج إليه لأنهي هذه المسألة"، صاح في ضجيج المحرّك. ثم استدار حول كتلة التقطيع، مُجفلاً جورج وحريمه، وتوجّه عائداً إلى مزرعته بمولِّده الكبير وسمكرته داخل المنزل.

عندما استدرتُ، كان هنري يقف بجانبي، وبدا شاحباً وغاضباً. "لا يمكنهما إبعادها هكذا".

إذاً كان يستمع إلينا. لا يمكنني القول إنني تفاجأتُ.

"يستطيعان ذلك وسيفعلانه"، قلتُ. "وإذا حاولتَ فعل أي شيء غبي وعنيد، ستجعل الأمور السيئة أسوأ".

"يمكننا الهرب. لن يقبضا علينا. إذا استطعنا الإفلات من عواقب... ما فعلناه... أظن عندها أنه يمكنني الإفلات من عواقب الفرار مع حبيبتي إلى كولورادو".

"لا يمكنك"، قلتُ، "لأنه ليس معك مال. يقول إن المال يُصلح كل شيء. حسناً، وهذا ما أقوله أنا: لا مال *يُفسِد* كل شيء. أعرف هذا، وستعرفه شانون أيضاً. لديها طفلها لتعتني به الآن –"

"ليس إذا أجبراها على التخلّي عنه!".

"هذا لا يغيِّر شعور المرأة عندما يصبح الجنين في بطنها. الجنين يجعلهن حكيمات بطرق لا يفهمها الرجال. لم أفقد أي احترام لك أو لها لمجرد أنها ستُرزَق بطفل – لستما أول شخصين يمرّان بهذه التجربة، ولن تكونا الأخيرين، حتى لو ظنَّ السيد متغطرس أنها ستستخدم ما بين رجلَيها في المرحاض فقط. لكن إذا طلبتَ من فتاة حامل في شهرها الخامس أن تهرب معك... ووافقت... سأفقد احترامي لكليكما".

"ماذا تعرف؟"، سأل بازدراءٍ لا متناهٍ. "لم تقدر حتى على حزّ عنق من دون إحداث فوضى عارمة".

كنتُ عاجزاً عن الكلام. وقد رأى ذلك، وتركني في هذه الحالة.

انصرَف إلى المدرسة في اليوم التالي من دون أي جدال رغم أن حبيبته لم تعد هناك. ربما لأنني تركتُه يأخذ الشاحنة. سيستخدم الفتى أي عذر ليقود شاحنةً عند تكون القيادة أمراً جديداً عليه. لكن الجديد يزول بالطبع. الجديد يزول في كل شيء، والمسألة لا تستغرق وقتاً طويلاً عادة. وما يوجد تحته رماديٌّ ورثٌّ في أغلب الأحيان. مثل مخبأ جرذٍ.

دخلتُ المطبخ بعدما غادر. صَبَبتُ السكر والطحين والملح من صفائحها وبحثتُ فيها. لم يكن هناك شيء. ذهَبتُ إلى غرفة النوم وبحثتُ في ملابسها. لم يكن هناك شيء. نظَرتُ إلى حذائها ولم يكن هناك شيء. لكن كلما لم أجد شيئاً، كلما أصبحتُ متأكداً أكثر أنني

سأجد *شيئاً*.

كانت لديَّ أعمال لأُنجزها في الحديقة، لكن بدلاً من إنجازها، خرَجتُ إلى الحظيرة حيث البئر القديم. رأيتُ أن أعشاباً ضارةً نمت عليه الآن: النجيل وعصا الذهب الهزيلة. كانت ألفِس في الأسفل، وكذلك أرليت. أرليت بوجهها المائل جانباً. أرليت بابتسامتها التي تشبه ابتسامة المهرِّج. أرليت *بشبكة شعرها*.

"أين هو، أيتها الحقيرة؟"، سألتُ. "أين أخفيته؟".

حاوَلتُ أن أصفّي ذهني، وهذه كانت نصيحة أبي عندما أضع أداةً أو أحد كتبي القليلة النفيسة في المكان الخطأ. عدتُ إلى المنزل بعد قليل، وإلى غرفة النوم، ثم الخزانة. كان هناك صندوقا قبعتين على الرف العلوي. لم أجد شيئاً في الصندوق الأول سوى قبعة - القبعة البيضاء التي ترتديها إلى دار العبادة (عندما تكلِّف نفسها عناء الذهاب، والذي كان يحصل مرة في الشهر). كانت القبعة في الصندوق الآخر حمراء، ولم أرها ترتديها أبداً. بدت لي مثل قبعة بائعة هوى. وجدتُ ورقتَي عشرين دولاراً مثنيتين داخل حزام الساتان الداخلي، ومطويتين في مربعات صغيرة جداً لا يزيد حجمها عن حجم الحبوب. دعني أُخبِرك الآن، وأنا أجلس هنا في غرفة الفندق الرخيص هذه وأستمع إلى الجرذان تركض داخل الجدران (نعم، أصدقائي القدامى هنا)، أن ورقتَي العملة تلك كانت الختم على وثيقة خطيئتي المميتة.

لأنهما لم تكونا كافيتين. أنت ترى ذلك، أليس كذلك؟ بالطبع تراه. لا داعي لأن يكون المرء خبيراً في علم المفلّفات ليعرف أن عليه أن يضيف 35 إلى الـ 40 ليصبح معه 75. لا يبدو هذا المبلغ كبيراً،

أليس كذلك؟ لكن كان يمكنك في تلك الأيام شراء حاجيات شهرين من البقالة بـ 35 دولاراً، أو سرجاً مستعملاً جيداً من مشغَل حدادة لارس أولسن. يمكنك شراء تذكرة قطار إلى ساكرامنتو... وهذا ما أتمنى أحياناً لو أنني فعلتُه.

.35

وعندما أستلقي على السرير في الليل أحياناً، يمكنني في الواقع *رؤية* ذلك الرقم. يومض لي بالأحمر، مثل تحذير بعدم اجتياز الطريق لأن هناك قطار قادم. حاوَلتُ اجتيازه على أي حال، ودهسني القطار. لو يوجد رجل متآمر داخل كل واحد منا، لوُجدَ رجلٌ مجنونٌ داخل كل واحد منا أيضاً. وفي تلك الليالي التي لم أتمكن من النوم فيها لأن الرقم الوامض لم *يدعني* أنام، كان رجلي المجنون يقول لي إنها مؤامرة: يتشارك فيها كوتيري وستوبنهاوزر ومُخادع فارينغتون. أنا أعرف أفضل من ذلك، بالطبع (على الأقل في ضوء النهار). ربما تكلَّم كوتيري ولستر المحامي مع ستوبنهاوزر لاحقاً - بعدما فعلتُ ما فعلتُه - لكن المسألة بريئة بالتأكيد من الأصل؛ كان ستوبنهاوزر يحاول مساعدتي في الواقع... وإنجاز بعض المعاملات المالية للمصرف، بالطبع. لكن عندما رأى هارلان أو لستر - أو كلاهما - فرصةً، استغلاها. جرى التآمر على الرجل المتآمر: ما رأيك بهذا؟ بالكاد اكترثتُ لذلك وقتها، لأنني كنتُ وقتها قد خسِرتُ إبني، لكن هل تعرف مَن ألوم حقاً؟

أرليت.

نعم.

لأنها هي مَن ترك ورقتَي العملة تلك داخل قبعتها بائعة الهوى الحمراء لكي أجدها. وهل ترى كم كانت شريرة في ذكائها؟ لأن الـ 40 دولاراً لم تكن ما قضى عليَّ؛ كان المال بين ذلك المبلغ وما طالَب به كوتيري للمدرِّس الخصوصي لإبنته الحامل؛ ما أراده لكي تتمكن من دراسة اللاتينية و*علم مفلّفاتها*.

35، 35، 35.

فكَّرتُ بالمال الذي أراده للمدرِّس الخصوصي طوال بقية ذلك الأسبوع، وخلال عطلة نهاية الأسبوع أيضاً. كنتُ أُخرِج ورقتَي العملة تلك أحياناً - لقد فتحتُهما لكن الثنيات بقيت - وأتمعَّن فيهما. ثم اتّخذتُ قراري ليلة الأحد. أخبَرتُ هنري أن عليه أخذ سيارة الفورد موديل تي إلى المدرسة يوم الاثنين؛ فقد كان عليَّ الذهاب إلى هيمينغفورد هوم ورؤية السيد ستوبنهاوزر في المصرف بشأن قرض صغير. صغير جداً. 35 دولاراً فقط.

"من أجل ماذا؟"، كان هنري يجلس عند النافذة وينظر باكتئاب إلى الحقل الغربي المظلم.

أخبَرتُه. ظننتُ أن ذلك سيبدأ جدالاً آخر عن شانون، وقد أردتُ ذلك إلى حد ما. لم يكن قد قال شيئاً عنها طوال الأسبوع، رغم أنني عرَفتُ أن شان غادرت. فقد أخبَرَني ميرت دونوفان عندما أتى ليأخذ حمولةً من ذرة البَذْر. "غادرت إلى مدرسة فاخرة في أوماها"، قال. "حسناً، مزيد من القوة لها، هذا رأيي. إذا كنَّ سيصوِّتنَ، فمن الأفضل لهنّ أن يتعلَّمنَ. "رغم أن زوجتي"، أضاف بعد لحظة تأمل، "تفعل ما أقوله لها. هذا أفضل لها، إذا كانت تعرف صالحها".

إذا عرَفتُ أنا أنها غادرت، فإن هنري عرَف أيضاً، وقبلي على الأرجح - تلاميذ المدارس ثرثارون متحمسون. لكنه لم يقل شيئاً. أظن أنني كنتُ أحاول إعطاءه سبباً ليفرّغ كل آلامه واتهاماته المضادة. لن يكون ذلك لطيفاً، لكنه قد يكون نافعاً على المدى الطويل. لا يجب السماح لأي تقرّح على الجبهة أو في الدماغ خلف الجبهة بأن يتقيَّح. فإذا حصل ذلك، سينتشر الالتهاب على الأرجح.

لكنه نخر فقط من الخبر، لذا قرَّرتُ نكْزه أقوى قليلاً.

"سنتقاسم تسديد القرض معاً"، قلتُ. "سنردّه 38 دولاراً إذا استطعنا تسديده بحلول احتفال الشتاء. هذا يعني 19 دولاراً لكل واحد منا. سآخذ قسطك من أجرك على الأعمال اليومية".

بالتأكيد، فكّرت في سرّي، أن هذا سيفجِّر موجة غضب منه... لكنه لم يسبِّب سوى نخر صغير آخر. حتى إنه لم يجادلني عن اضطراره إلى قيادة سيارة الفورد موديل تي إلى المدرسة، رغم أنه قال إن الأولاد الآخرين يسخَرون منها، مطلقين عليها إسم "حمار هانك".

"هل أنت بخير يا بُنيّ؟".

استدار صوبي وابتسم - على الأقل تحرّكت شفتاه. "أنا بخير. حظاً سعيداً غداً في المصرف يا بابا. سأخلد إلى النوم".

قلتُ له وهو ينهض: "هل ستقبّلني قبلة صغيرة؟".

قبَّل خدي. كانت القبلة الأخيرة.

أخذ الفورد إلى المدرسة وقدتُ الشاحنة إلى هيمينغفورد هوم، حيث أدخلني السيد ستوبنهاوزر إلى مكتبه بعد الانتظار لخمس دقائق

فقط. شرَحتُ له ما أحتاج إليه، لكنني رفضتُ قول سبب حاجتي إليه، وذكرتُ فقط أن السبب شخصي. اعتقَدتُ أنه لاقتراض مبلغ صغير كهذا لا داعي لأن أفيض في الشرح كثيراً، وكنتُ محقاً. لكن عندما انتهيتُ من الكلام، شبك يديه على مكتبه ورمقني نظرة صرامة أبوية تقريباً. كانت الساعة الرقّاصية في الزاوية تتكتك بهدوء. وسمعنا ضوضاء محرّك صاخب أكثر إلى حد بعيد من الشارع. توقَف، ثم ساد الصمت، ثم اشتغل محرّك آخر. هل هذا إبني أتى أولاً في سيارة الفورد موديل تي ثم سرق شاحنتي؟ لا توجد أي طريقة يمكنني أن أتيقّن بها، لكنني أعتقد أنه هو.

"وِيلف"، قال السيد ستوبنهاوزر، "لم تحظَ بوقت طويل لتتغلّب على مغادرة زوجتك بالطريقة التي غادرت بها - اعذرني على ذكر هكذا موضوع مؤلم، لكنه يبدو وثيق الصلة بالموضوع، كما أن مكتب المصرفي يشبه كرسي إدلاء الشهادة في المحكمة - لذا سأعاتبك عتاباً عنيفاً".

لقد سمِعتُ هذا من قبل - وأظن أن معظم زوّار هذا المكتب سمعوه أيضاً - فابتسمتُ له ابتسامة مُطيعة.

"هل سيُقرضك المصرف 35 دولاراً؟ بالتأكيد. وحتى إنني أشعر بحماسة لأُقرضك المبلغ من جيبي الخاص، ما عدا أنني لا أحمل أبداً أكثر مما أحتاج لأدفع ثمن غدائي في المطعم الصغير وثمن تلميح حذائي في صالون الحلاقة. فالمبلغ الكبير يشكّل إغراءً متواصلاً، حتى لمخادع عجوز مثلي، كما لا يجب الخلط بين الخاص والمهني. *لكن!*"، ورفع إصبعه. "لستَ *بحاجة* إلى 35 دولاراً".

"يؤسفني أن أقول، بلى". تساءلتُ إن كان يعرف السبب. قد يعرفه؛ فهو مخادع عجوز بالفعل. لكن كذلك كان هارل كوتيري،

وهارل كان مخادعاً عجوزاً خجِلاً أيضاً ذلك الخريف.

"لا؛ لا تحتاج إليه. تحتاج إلى 750 دولاراً، ويمكنك الحصول عليه اليوم. إما تدّخره في المصرف أو تخرج به في جيبك، الأمر سيّان بالنسبة لي. لقد سدَّدت رهن منزلك منذ ثلاث سنوات. وأصبحت حراً وطليقاً بالكامل. لذا لا يوجد أي سبب على الإطلاق يمنعك من الحصول على رهن آخر. هذا يتم طوال الوقت يا صديقي، ومن قِبل أفضل الأشخاص. ستتفاجأ من بعض الرهون التي نقدِّمها. أفضل الأشخاص. نعم سيدي".

"أشكرك من كل قلبي يا سيد ستوبنهاوزر، لكن لا أظنني سأقبل. فذلك الرهن كان مثل سحابة رمادية فوق رأسي طوال الوقت، و–"

"هذا هو بيت *القصيد* يا وِيلف!". وارتفع إصبعه مجدداً. راح يهزّه يميناً ويساراً هذه المرة، مثل رقّاص الساعة. "هذا هو بيت القصيد الشديد بالتحديد! فالأشخاص الذين يأخذون رهناً ثم يشعرون كما لو أنهم يسترخون في أشعة الشمس دائماً هم الذين يتعثّرون في نهاية المطاف ويخسرون ممتلكاتهم القيّمة! أما الأشخاص مثلك الذين يحملون سندات المصرف كما لو أنها صخور على أكتافهم هم الذين يسدّدون الرهن دائماً! وهل تريد أن تقول لي إنه لا توجد تحسينات يمكنك إجراءها؟ سقف لتُصلحه؟ شراء المزيد من الماشية؟". نظر إليَّ نظرةً خبيثة مُداعِبة. "وربما حتى سمكرة داخل المنزل، مثل جارك في آخر الطريق؟ هكذا أشياء تدفع كلفة نفسها، مثلما تعلم. يمكن أن ينتهي بك المطاف مع عدد من التحسينات تفوق كلفة الرهن بكثير. قيمة لقاء المال يا وِيلف! قيمة لقاء المال!".

رحتُ أفكّر في ذلك ملياً. وقلتُ في الأخير، "يعجبني هذا كثيراً يا

سيدي. لن أكذب عليك –"

"لا داعي لذلك. الفرق صغير جداً بين مكتب المصرفي وكرسي إدلاء الشهادة في المحكمة. أفضل الرجال في هذه المقاطعة جلسوا على هذا الكرسي يا وِيلف. أفضل الرجال".

"لكنني أتيتُ فقط لقرض صغير – والذي أُعطي لي بلطف – وهذا الاقتراح الجديد يحتاج إلى بعض التفكير". خطرت فكرة جديدة على بالي، فكرة لطيفة بشكل مدهش. "وعليَّ مناقشتها مع إبني، هنري – هانك، مثلما يحبّ أن ينادى الآن. لقد أصبح في سنّ يحتاج فيه إلى أن يُستشار، لأن ما أفعله الآن سيصبح على كاهله يوماً ما".

"أفهمك، أفهمك تماماً. لكنه الصواب، صدِّقني". نهض عن كرسيه ومدَّ يده. فنهضتُ أيضاً وصافحته. "لقد أتيت إلى هنا لتشتري سمكة يا وِيلف. لكنني أعرض عليك أن أبيعك صنّارة. صفقة أفضل بكثير".

"شكراً". وفكّرت في نفسي وأنا أغادر المصرف: *سأناقشها مع إبني*. إنها فكرة جيدة. فكرة دافئة في قلب بقي قارساً لأشهر.

الذهن مضحك، أليس كذلك؟ رغم انشغال بالي بعرض السيد ستوبنهاوزر التوسّلي لأخذ رهن، لم ألاحظ أبداً أن المركبة التي أتيت فيها حلت محلها المركبة التي أخذها هنري إلى المدرسة. لستُ متأكداً أنني كنتُ سألاحظ فوراً حتى ولو كانت هناك مسائل أقل ثقلاً في ذهني. فالمركبتان مألوفتان لي، في النهاية؛ كانتا مُلكي. أدركتُ فقط عندما انحنيتُ لأُحضِر ذراع التدوير ورأيتُ ورقة مطوية، مُثقلة بحجرة على مقعد السائق.

بقيتُ واقفاً هناك للحظة، نصفي داخل الفورد ونصفي الآخر خارجها، ويد على جانب المقعد، واليد الأخرى تحته، حيث نضع ذراع التدوير عادة. أظن أنني عرَفتُ لماذا ترك هنري المدرسة وأجرى هذه المقايضة حتى قبل أن أسحَب رسالته من تحت مُثقِّلة الورق وأفتحها. كانت الشاحنة موثوقة أكثر في رحلة طويلة. رحلة إلى أوماها، مثلاً.

بابا،

لقد أخذتُ الشاحنة. أظن أنك تعرف إلى أين أنا ذاهب. اتركني وشأني. أعرف أنه يمكنك إرسال المأمور جونز خلفي ليعيدني، لكن إذا فعلت ذلك سأُخبِره كل شيء. قد تظن أنني سأغيّر رأيي لأنني "مجرد ولد"، لكن هذا لن يحصل. من دون شان لا أهتم لشيء. أحبك يا بابا حتى ولو كنتُ لا أعرف السبب، بما أن كل شيء فعلناه لم يسبِّب لي سوى البؤس.

إبنك المحبّ،

هنري "هانك" جايمس

عدتُ إلى المزرعة مذهولاً. أعتقد أن بعض الأشخاص لوَّحوا لي لإلقاء التحية عليَّ - أعتقد حتى سالي كوتيري، التي كانت جالسة خلف منصة خُضرة آل كوتيري بجانب الطريق، لوَّحت لي - ولوَّحتُ لها بدوري على الأرجح، لكنني لا أتذكّر فعل ذلك. لأول مرة منذ أن أتى المأمور جونز إلى المزرعة يطرح أسئلته المبتهِجة التي لا تحتاج إلى أجوبة وينظر إلى كل شيء بعينيه الفضوليتين الباردتين، بدا لي الكرسي الكهربائي احتمالاً حقيقياً، حقيقياً لدرجة أنني أستطيع الشعور تقريباً بالأبازيم على بشرتي عند شدّ الأحزمة الجلدية على معصميَّ ومِرفقيَّ.

سيُلقى القبض عليه سواء أبقيتُ فمي مغلقاً أم لا. بدا لي هذا الأمر محتوماً. ليس معه مال، ولا حتى القليل ليملأ خزّان وقود الشاحنة، لذا سيبدأ بالسير على قدميه حتى قبل وصوله إلى إلكهورن بمسافة طويلة. وإذا تمكَّن من سرقة بعض الوقود، سيُلقى القبض عليه عندما يقترب من المكان الذي تعيش فيه الآن (يفترضها هنري سجينةً؛ ولم يخطر على باله المشوَّش أبداً أنها قد تكون مقيمة هناك بإرادتها). ولا شك أن هارلان أعطى الشخص المسؤول هناك - السيدة كاميلا - أوصاف هنري. وحتى لو لم يفكّر باحتمال قدوم الحبيب الغاضب إلى سجن حبيبته الكريه، إلا أن المسؤولة كاميلا فكَّرت بذلك. ففي طبيعة حياتها المهنية، لا شك أنها تعامَلت مع أحباب غاضبين من قبل.

كان أملي الوحيد أن يبقى هنري صامتاً لمدة كافية، بعدما توقفه السلطات، لكي يُدرك أن ما أوقعه في الشرك هي أفكاره العاطفية الحمقاء وليس تدخلّي بأموره. والأمل بأن يعود فتى مراهق إلى رشده هو مثل عقد كل الآمال على حصان سباق، لكن ماذا يمكنني أن أفعل غير ذلك؟

بينما كنتُ أركن السيارة في الفناء، خطرت فكرة جامحة على بالي: أترك الفورد مشتغلة، وأوضّب حقيبةً، وأذهب إلى كولورادو. لم تدُم الفكرة لأكثر من ثانيتين. لديَّ المال - 75 دولاراً، في الواقع - لكن الفورد ستتعطَّل حتى قبل أن أجتاز خط الولاية عند جولزبورغ. وهذا لم يكن الشيء المهم؛ فلو كان ذلك، لكنتُ قادراً دائماً على القيادة وصولاً حتى لينكولن ثم أبادل سيارتي الفورد ودولاراتي الستين بسيارة موثوقة. لا، الشيء المهم كان المكان. المنزل. منزلي. لقد قتلتُ

زوجتي لأحافظ عليه، ولم أكن سأتركه الآن لأن شريكي الأحمق وغير الناضج قرَّر أن ينطلق في رحلة عاطفية. إذا تركْتُ المزرعة، فلن يكون ذلك من أجل كولورادو؛ بل من أجل سجن الولاية. وسأذهب إلى هناك مقيَّداً بسلاسل.

كان هذا يوم الاثنين. لم يصلني أي خبر يوم الثلثاء أو الأربعاء. ولم يأت المأمور جونز ليُخبرني أن هنري اعتُقل وهو يسافر مجاناً مع الآخرين على طريق عام لينكولن-أوماها، ولم يأت هارل كوتيري ليُخبرني (برضى متزمت، طبعاً) أن شرطة أوماها اعتقلت هنري بناءً على طلب السيدة كاميلا، وأنه يقبع حالياً في السجن، يروي حكايات متوحشة عن سكاكين وآبار وأكياس خيش. كان كل شيء هادئاً في المزرعة. فعمِلتُ في الحديقة على ترتيب مخزن الخُضار، وأصلحتُ السور، وحلبتُ الأبقار، وأطعَمتُ الدجاجات - وفعلتُ كل ذلك مذهولاً. صدَّق جزء مني، ولم يكن جزءاً صغيراً أيضاً، أن كل هذا مجرد حلم طويل ومعقّد بشكل رهيب سأستيقظ منه وأجد أرليت تشخر بجانبي وصوت هنري يقطِّع الحطب لموقد الصباح.

ثم يوم الخميس، جاءت السيدة ماكريدي - حضرة الأرملة البدينة التي تدرِّس مواضيع أكاديمية في مدرسة هيمينغفورد - في سيارتها الفورد موديل تي لتسألني إن كان هنري بخير. "هناك... محنة مِعَوية في أرجاء المدرسة"، قالت. "وأتساءل إن التقَط عدواها. لقد غادر فجأة".

"إنه في محنة بالتأكيد"، قلتُ، "لكنها محنة عاطفية وليس مِعَوية. لقد فرّ يا سيدة ماكريدي". تجمَّعت دموع غير متوقعة، لاسعة وحارّة، في عينيَّ. أخذتُ المنديل من الجيب الأمامي لردائي السروالي، لكن

بعضها سال على خدّيَّ قبل أن أتمكن من مسحها.

عندما عاد بصري واضحاً من جديد، رأيتُ أن السيدة ماكريدي، التي كانت لطيفة مع كل ولد، حتى الأشقياء منهم، على وشك أن تبكي هي أيضاً. لا شكّ أنها كانت تعرف من البداية نوع المحنة التي يعاني منها هنري.

"سيعود يا سيد جايمس. لا تقلق. لقد رأيتُ هذا من قبل، وأتوقع أن أراه مرة أو مرتين أخريين قبل أن أتقاعد، رغم أن ذلك الوقت لم يعد بعيداً جداً مثلما كان فيما مضى". أخفَضت صوتها، كما لو أنها تخشى أن يكون جورج الديك أو إحدى حريمه المريَّشة جاسوساً. "مَن عليك الحذر منه هو أبوها. إنه رجل صلب وصارم. ليس رجلاً سيئاً، لكنه صلب".

"أعرف"، قلتُ. "وأفترض أنك تعرفين أين إبنته الآن".

أخفَضت نظرها. كان هذا جواباً كافياً.

"شكراً لقدومك سيدة ماكريدي. هل يمكنني أن أطلب منك الاحتفاظ بهذا السر لنفسك؟".

"بالطبع... لكن الأولاد يتهامسون بشأن هذا من قبل".

نعم. طبعاً.

"هل لديك هاتف سيد جايمس؟"، وراحت تبحث عن أسلاك الهاتف. "أرى أن ليس لديك واحد. لا يهمّ. إذا سمعتُ أي شيء، سآتي وأُخبرك".

"تقصدين إذا سمعتِ أي شيء قبل هارلان كوتيري أو المأمور جونز".

"لستُ قلقة على إبنك أو شانون. كانا ثنائياً جميلاً حقاً؛ هكذا قال الجميع. تنضج الفاكهة باكراً جداً أحياناً، وأي موجة صقيع ستقتلها. هذا مؤسف. مؤسف حقاً". صافحتني - مصافحة رجل قوي - ثم غادرت في سيارتها القديمة. لا أعتقد أنها أدركت أنها تكلَّمت، في النهاية، عن شانون وإبني في صيغة الماضي.

يوم الجمعة، جاء المأمور جونز في السيارة ذات النجمة الذهبية على بابها. ولم يكن لوحده. كانت شاحنتي تتبعه. وَثَب قلبي عند رؤية هذا المنظر، ثم هدأ مرة أخرى عندما رأيتُ مَن كان يقودها: لارس أولسن.

حاوَلتُ أن أنتظر بهدوء بينما يُنهي جونز شعائر وصوله: شدّ الحزام، ومسح الجبهة (رغم أن اليوم قارس ومُظلم)، وتمسيد الشعر. لم أتمكن من ذلك. "هل هو بخير؟ هل عثرتَم عليه؟".

"لا، لا، لا يمكنني القول إننا وجدناه". وصعَد سلالم الشرفة. "عامل مزرعة شرق لايم بيسكا عثر على الشاحنة، لكن لا أثر للولد. ربما كنا سنعرف أفضل عن حالته الصحية لو بلَّغتنا عن هذا فور حصوله. أليس كذلك؟".

"كنتُ آمل أن يعود من تلقاء نفسه"، قلتُ برتابة. "لقد ذهب إلى أوماها. لا أعرف كم عليَّ أن أقول لك يا حضرة المأمور -"

كان لارس أولسن قد اقترب إلى مسافة تمكّنه من سماعنا، وأذناه ترفرفان تقريباً. "عُد إلى سيارتي يا أولسن"، قال جونز. "هذه محادثة خاصة".

لارس، بطبيعته الخنوعة، هروَل من دون اعتراض. وعاد جونز

واستدار صوبي. كان أقل ابتهاجاً بكثير مما كان عليه في زيارته السابقة، واختفت شخصيته المتلعثمة أيضاً.

"أعرف مسبقاً ما يكفي، أليس كذلك؟ أن إبنك وضع إبنة هارل كوتيري على سكّة تكوين عائلة والأرجح أنه فرَّ إلى أوماها. وجَّه الشاحنة إلى خارج الطريق نحو حقل أعشاب عالية عندما عرَف أن الوقود على وشك النفاد. خطوة ذكية منه. هل ورث هذا النوع من الذكاء منك؟ أو من أرليت؟".

لم أقل شيئاً، لكنه أعطاني فكرة. فكرة بسيطة فقط، لكنها قد تكون مفيدةً.

"سأُخبِرك شيئاً واحداً فَعَله سنشكره عليه"، قال جونز. "وقد يُبقيه خارج السجن أيضاً. انتزَع كل الأعشاب التي تحت الشاحنة قبل أن يمضي في طريقه المرِح. لكي لا يسبِّب العادم اشتعالها. سبِّب اشتعال حريق كبير في البراري يُحرق ألفَي فدان، وقد تجد نفسك أمام هيئة محلّفين شديدة الحساسية قليلاً، ألا تعتقد؟ حتى ولو كان الجاني مجرد ولد في الخامسة عشرة من عمره".

"حسناً، لم يحصل هذا يا حضرة المأمور – لقد فَعَل الصواب – لماذا تواصل الحديث عن الأمر إذا؟". كنتُ أعرف الجواب، بالطبع. قد لا يكون المأمور جونز مُعجباً كثيراً بأمثال المحامي أندرو لستر، لكنه صديق عزيز لهارل. كان الاثنان عضوَين في النادي الاجتماعي "كوخ الأيائل" المُنشأ حديثاً، وهارل غاضب جداً من إبني.

"شديد الحساسية قليلاً، أليس كذلك؟" مسَح جبهته مرة أخرى، ثم أعاد ارتداء قبعته. "حسناً، قد أكون شديد الحساسية أيضاً لو كان

إبني. وتعرف ماذا؟ لو كان إبني وكان هارل كوتيري جاري - جاري الطيب - لكنتُ على الأرجح ذهبتُ إلى منزله وقلتُ له، 'هارل؟ أتعرف ماذا؟ أعتقد أن إبني سيذهب ليحاول رؤية إبنتك. هل تريد إخبار أحدهم لكي يحذر منه؟'، لكنك لم تفعل ذلك أيضاً، أليس كذلك؟".

بدأت الفكرة التي أعطاني إياها تبدو أفضل وأفضل، ويكاد يصبح الوقت مناسباً لطرحها.

"لم يظهر في المكان الذي تتواجد فيه، أليس كذلك؟".

"لا، ليس بعد، ربما لا يزال يبحث عنها".

"لا أعتقد أنه هرب ليرى شانون"، قلتُ.

"لماذا هرب إذاً؟ هل لديهم صنف بوظة أفضل هناك في أوماها؟ لأنه كان متّجهاً في ذلك الاتجاه، وهذا أكيد".

"أعتقد أنه ذهَب ليبحث عن أمه. أعتقد أنها ربما تواصلت معه".

جعله هذا يصمت طوال عشر ثوانٍ، وهذه مدة كافية لكي يمسح جبهته ويمسِّد شعره. ثم قال، "كيف ستفعل ذلك؟".

"ربما عبر رسالة". كانت بقالة هيمينغفورد هوم مكتب البريد أيضاً، حيث تذهَب كل الطرود العامة. "ربما أعطوه إياها عندما دخَل ليشتري بعض الحلوى أو كيس فول سوداني، مثلما يفعل في أغلب الأحيان أثناء عودته من المدرسة. لستُ أكيداً أيها المأمور، مثلما لستُ أكيداً لماذا أتيتَ إلى هنا لتتصرّف كما لو أنني ارتكبتُ جريمةً. لستُ الشخص الذي جعلها حاملاً".

"من الأفضل لك عدم قول هذا النوع من الكلام عن فتاة

لطيفة!".

"ربما نعم وربما لا، لكن هذه كانت مفاجأة لي مثلما كانت لآل كوتيري، والآن إبني اختفى. هما على الأقل يعرفان أين إبنتهما".

بدا محتاراً مرة أخرى. ثم أخرَج مفكرة صغيرة من جيبه الخلفي ودوَّن شيئاً عليها. ثم أعادها إلى جيبه وسأل، "لكنك لستَ أكيداً أن زوجتك تواصَلت مع إبنك - هذا ما تُخبِرني به؟ بأنه مجرد تكهّن؟".

"أعرف أنه تكلَّم كثيراً عن أمه بعدما رحلت، لكنه توقَف عن ذلك. وأعرف أنه لم يظهر في ذلك المنزل الذي خبأ فيه هارلان وزوجته شانون". وكنتُ متفاجئاً مثل المأمور جونز حول هذه النقطة بالذات... لكنني كنتُ ممنوناً جداً. "ضع النقاط على الحروف، وماذا سيصبح لديك؟".

"لا أعرف"، قال جونز عابساً. "لا أعرف حقاً. كنتُ أعتقد أنني اكتشَفت الجواب، لكنني كنتُ مخطئاً من قبل، أليس كذلك؟ نعم، وسأكون مخطئاً مرة أخرى. لا أحد معصوم عن الخطأ. لكن تباً للأولاد يصعِّبون عليَّ حياتي. إذا اتصل بك إبنك يا وِيلفْرَد، أَخبره أن يعود إلى المنزل بأسرع ما يمكنه ويبقى بعيداً عن شانون كوتيري، إذا كان يعرف مكانها. لن تريد رؤيته، صدِّقني. الخبر الجيد هو عدم اندلاع حريق في البراري، ولا يمكننا اعتقاله بتهمة سرقة شاحنة أبيه".

"لا"، قلتُ بتجهّم، "لن تجعلني أبداً أتّهمه على هذا العمل".

"لكنّ". رفع إصبعه، فذكَّرني بالسيد ستوبنهاوزر في المصرف. "منذ ثلاثة أيام، في لايم بيسكا - ليس بعيداً جداً عن المكان الذي عثر فيه عامل المزرعة على شاحنتك - سرقَ شخصٌ متجر البقالة

الواقع على أطراف البلدة. ذلك المتجر الذي تُظهر لافتته فتاةً ترتدي طاقيّة زرقاء؟ أخذ 23 دولاراً. التقرير موجود على مكتبي. كان شاباً يرتدي ملابس راعي بقر قديمة، ويضع رباط رأس فوق فمه، وقد أخفَضَ قبعة سكان سهول فوق عينيه. كانت والدة المالك جالسة وراء صندوق الدفع، وهدَّدها الشاب بنوع من الأدوات. تظنّ أنها عتلة، لكن مَن يدري؟ لقد قاربت الثمانين من عمرها وهي نصف عمياء".

كان دوري لكي أبقى صامتاً. كنتُ مذهولاً. قلتُ في الأخير، "غادر هنري من المدرسة مباشرة أيها المأمور، وإذا لم تخني الذاكرة كان يرتدي قميصاً خفيفاً وسروالاً من القطيفة المضلَّعة ذلك اليوم. لم يأخذ أياً من ملابسه، وعلى كل حال *لا يملك* أي ملابس راعي بقر، إذا كنت تقصد الحذاء وكل شيء. كما لا يملك قبعة سكان السهول".

"ربما سرق تلك الأشياء أيضاً، أليس كذلك؟".

"إذا كنتَ لا تعرف أي شيء أكثر مما قلتَه للتو، فمن الأفضل لك أن تتوقف. أعرف أنك صديق لهارلان –"

"مهلاً، مهلاً، ليس لهذا أي علاقة بذلك".

بلى وكلانا يعرف هذا، لكن لم يكن هناك داعي للاستفاضة أكثر في هذا المجال. ربما فداديني الثمانين لا تُقارَن بفدادين هارلان كوتيري الأربعمئة، لكنني لا زلتُ مالك أرض ودافع ضرائب، ولم أكن سأقبل أن يُرهبني أحد. هذه هي النقطة التي كنتُ أحاول توضيحها، وقد فهمها المأمور جونز.

"إبني ليس لصاً، ولا يهدِّد النساء. هذا ليس سلوكه ولا الأخلاق التي تربّى عليها".

حتى فترة قصيرة، على أي حال، همَس صوتٌ داخلي.

"الأرجح أنه مجرد عابر سبيل يبحث عن مكسب سريع"، قال جونز. "لكنني شعَرتُ أن عليَّ إخبارك بالأمر، ففعلتُ ذلك. ولا نعرف ما قد يقوله الناس، أليس كذلك؟ الثرثرة تنتشر بسرعة. الجميع يثرثرون، أليس كذلك؟ الكلام مجاني. بالنسبة لي الموضوع أُغلِق - وليقلق مأمور مقاطعة لايم عما يجري في لايم بيسكا، هذا شعاري - لكن يجب أن تعرف أن شرطة أوماها تراقب المكان الذي تُقيم فيه شانون كوتيري. فقط في حال حاول إبنك التواصل معها".

مسَّد شعره إلى الخلف، ثم أعاد ارتداء قبعته للمرة الأخيرة.

"ربما سيعود من تلقاء نفسه، بلا أي أضرار، ويمكننا اعتبار كل هذا، لا أعرف، دَيناً معدوماً".

"ممتاز. فقط لا تعتبره إبناً سيئاً، إلا إذا كنتَ مستعداً أن تعتبر شانون كوتيري إبنةً سيئةً".

الطريقة التي اتّسع بها منخراه تدريجياً أوحَت أن هذا لم يرُقه كثيراً، لكنه لم يردّ عليه. وما قاله كان، "إذا عاد وقال إنه رأى أمه، أخبرني، اتفقنا؟ لا تزال مقيَّدة كشخص مفقود في سجلاتنا. أمر ساذج، أعرف، لكن القانون قانون".

"سأفعل ذلك بالطبع".

أومأ برأسه وذهَب إلى سيارته. كان لارس قد جلس خلف المِقوَد. فأشار له جونز بأن ينهض - كان المأمور من صنف الرجال الذي يقود سيارته بنفسه. رحتُ أفكِّر بالشاب الذي سرق المتجر، وحاوَلتُ إخبار نفسي أن إبني هنري لن يفعل أمراً كهذا أبداً، حتى ولو

دُفع إلى ذلك، لن يكون خبيثاً كفاية ليرتدي ملابس سرقها من حظيرةٍ أو منزلٍ. لكن هنري أصبح مختلفاً الآن، والقتلة *يتعلَّمون* الخُبث، أليس كذلك؟ إنها مهارة مهمة للصمود. فكَّرتُ أنه ربما –

لكن لا. لن أقولها بهذه الطريقة. فهذا ضعيف جداً. هذا اعترافي، كلمتي الأخيرة حول كل شيء، وإذا لم أكن قادراً على قول الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة، فما فائدة هذا؟ ما فائدة أي شيء؟

كان هو. كان هنري. لقد رأيتُ في عينَي المأمور جونز أنه ذكرَ موضوع حادثة السلب فقط لأنني لم أتزلَّف له مثلما كان يتوقع، لكنني صدَّقتُه. لأنني أعرف أكثر مما يعرف المأمور جونز. فبعد أن تساعد أباك على قتل أمك، ما أهمية سرقة بعض الملابس الجديدة وتلويح عتلة بوجه عجوزٍ؟ وإذا حاوَل ذلك مرةً، فسيحاوله مرة أخرى، بعدما يُنفق تلك الدولارات الثلاثة والعشرين. على الأرجح في أوماها. حيث سيقبضون عليه. ثم قد تنفضح المسألة بأكملها. ستنفضح *بكل تأكيد*.

صعدتُ إلى الشرفة، وجلستُ، ووضعتُ وجهي في يديَّ.

مرَّت الأيام. لا أعرف عددها، فقط أنها كانت ماطرة. وعندما يأتي المطر في الخريف، يجب على الأعمال الخارجية أن تنتظر، ولم يكن لديَّ ما يكفي من ماشية أو أبنية ملحقة لأملأ الساعات بأعمال داخلية. حاوَلتُ القراءة، لكن لم تبدُ الكلمات قادرة على الترابط ببعضها، رغم أن كلمةً تثب من الصفحة وتصرخ بين الحين والآخر. قتل. ذنب. خيانة. كلمات مماثلة.

أمضيتُ الأيام جالساً على الشرفة واضعاً كتاباً في حُضني، ولافّاً نفسي بمعطفي الذي من جلد الخروف لأُبعد الرطوبة والبرد، ومراقباً

مياه الأمطار تتقطَّر عن سقف الشرفة. وأمضيتُ الليالي مستيقظاً في السرير حتى ساعات الصباح الأولى، ومستمعاً إلى المطر على السقف. بدا كأنه أصابع خجولة تطرق طلباً للدخول. أمضيتُ وقتاً طويلاً أفكِّر فيه بأرليت في البئر مع ألفِس. بدأتُ أتخيّل أنها لا تزال... ليس حيّة (كنتُ مُجهَداً لكن ليس مجنوناً)، بل *واعية* بطريقة ما. تراقب التطوّرات بطريقة أو بأخرى من قبرها المؤقت، وباستمتاع.

هل أعجبك كيف آلت إليه الأمور يا وِيلف؟ كانت لتسألني لو كانت قادرة (وقد سألتني، في خيالي). *هل تستحق ما فعلته؟ ما رأيك؟*

في إحدى الليالي بعد حوالي أسبوع من زيارة المأمور جونز، وبينما كنتُ جالساً أحاول قراءة رواية "المنزل ذو الجملونات السبعة"، تسلَّلت أرليت من خلفي، ومدَّت يدها حول رأسي، ولمست جسر أنفي بإصبع رطب بارد.

أوقعتُ الكتاب على سجادة غرفة الجلوس المَجْدولة، وصَرَختُ، ونهضتُ جافلاً. عندها، نزل الإصبع البارد إلى زاوية فمي. ثم لمَسني مرة أخرى، فوق رأسي، حيث بدأت كثافة الشعر تصبح خفيفةً. ضحِكتُ هذه المرة - ضحكة غاضبة متزعزعة - وانحنيتُ لأرفع كتابي. بينما كنتُ أفعل ذلك، لمسني الإصبع للمرة الثالثة، هذه المرة على قفا عنقي، كما لو أن زوجتي الميتة كانت تقول، *هل لفتُّ انتباهك يا وِيلف؟* تراجعتُ - لكي لا تكون اللمسة الرابعة على عيني - ورفعتُ نظري. كان السقف بلا لون ويقطر. لم يبدأ الجصّ ينتفخ بعد، لكنه سينتفخ إذا استمر المطر. وحتى قد يتلاشى ويسقط في قِطع. كان التسرُّب فوق المكان الذي أقرأ فيه. بالطبع. بدا باقي السقف بحالة

جيدة، حتى الآن على الأقل.

تذكّرتُ قول ستوبنهاوزر، *هل تريد أن تقول لي إنه لا توجد تحسينات يمكنك إجراءها؟ سقف لتصلحه؟* وتلك النظرة الخبيثة. كما لو أنه كان يعرف. كما لو أنه متواطئ مع أرليت حول هذا.

لا تسمح لهكذا أمور بدخول رأسك، قلتُ لنفسي. *ألا يكفيك أنك تفكّر فيها باستمرار جالسة هناك في القعر؟ هل أكلت الديدان عينيها بعد؟ هل أكلت الحشرات لسانها السليط، أو خفّفت من حدّته على الأقل؟*

ذهَبتُ إلى الطاولة الموجودة في الزاوية البعيدة للغرفة، وأخذتُ الزجاجة الموضوعة عليها، وصببتُ لنفسي كمية كبيرة من الشراب الاسكتلندي. ارتعَشت يداي، لكن قليلاً فقط. شربتُ الكوب كله في رشفتين فقط. كنتُ أعرف أنه من السيئ تحويل هكذا شرب إلى عادة، لكن الرجل لا يشعر كل ليلة أن زوجته الميتة تلمسه على أنفه. والشراب يحسّن لي شعوري. يزيد من سيطرتي على نفسي. لا أحتاج إلى أخذ رهنٍ بقيمة 750 دولاراً لأُصلح سقفي، يمكنني ترقيعه ببعض الخشب الخردة عندما يتوقف المطر. لكن المنظر سيكون بشعاً؛ وسيجعل المنزل يشبه ما كانت أمي لتسمّيه قمامة الفقراء. ولم يكن هذا هو المطلوب. فإصلاح تسرُّب المياه يستغرق يوماً واحداً فقط أو يومين. بينما كنتُ بحاجة إلى عمل يُلهيني طوال فصل الشتاء، ويطرد الأفكار حول أرليت على عرشها الترابي، أرليت في *شبكة شعرها* التي من الخيش. أحتاج إلى مشاريع لتحسين المنزل تُعيدني إلى سريري مُنهكاً لدرجة أن أغفو فوراً، ولا أبقى ممدداً هناك أستمع إلى المطر وأتساءل إن كان هنري جالساً تحته، وربما يسعل من الإنفلونزا. العمل أحياناً هو

الشيء الوحيد، الحل الوحيد.

قدتُ شاحنتي إلى البلدة في اليوم التالي وقمتُ بما لم يكن ليخطر على بالي أبداً أنني سأفعله لو لم أحتج إلى اقتراض 35 دولاراً: أخذتُ رهناً بقيمة 750 دولاراً. في النهاية كلنا عالقون في أجهزة من صنع أيدينا. أنا مقتنع بهذا. في النهاية كلنا عالقون.

في نفس ذلك الأسبوع في أوماها، دخل شابٌ يرتدي قبعة ساكن سهول إلى مكتب رهون في شارع دودج واشترى مسدساً عيار 32. مطلياً بالنيكل. دفَع ثمنه بورقة 5 دولارات لا ريب أنها أُعطيت له، قسراً، من قِبل عجوز نصف عمياء في متجر يعلِّق لافتة تُظهر فتاةً ترتدي طاقيّة زرقاء. في اليوم التالي، دخل شابٌ يضع قبعة مسطَّحة على رأسه ورباط رأس أحمر فوق فمه وأنفه إلى فرع المصرف الزراعي الأول في أوماها، وشهرَ مسدساً في وجه أمينة صندوق يافعة جداً تدعى رودا بنمارك، وطالَبها بكل المال الموجود في جارورها. أعطته ما يزيد عن مئتَي دولار، أغلبها من فئة الدولار الواحد والخمسة دولارات – من الصنف الوسِخ الذي يلفّه كل مُزارع في جيوب ردائه السروالي.

أثناء مغادرته وهو يحشو المال في سرواله بيده (المتوترة بوضوح، حيث أسقطَ عدة أوراق مالية على الأرض)، صاح به الحارس البدين – وهو شرطي متقاعد: "لا تريد أن تفعل هذا يا بُنيّ".

أطلق الشاب النار من مسدسه في الهواء. وصَرَخ عدة أشخاص. "لا أريد أن أطلق النار عليك أنت أيضاً"، قال الشاب من خلف رباط رأسه، "لكنني سأفعل ذلك إن اضطررتُ. تراجع إلى خلف ذلك العمود، يا سيدي، وابق هناك إذا كنت تعرف صالحك. لديَّ صديق

في الخارج يراقب الباب".

رَكَض الشاب إلى الخارج، وهو ينزع رباط الرأس عن وجهه. انتظَر الحارس لدقيقة تقريباً، ثم خرَج رافعاً يديه (لم يكن يحمل سلاحاً)، فقط في حال كان هناك صديق حقاً. لكن لم يكن هناك صديق بالطبع. لم يكن لدى هانك جايمس أي أصدقاء في أوماها ما عدا تلك التي ينمو جنينٌ في بطنها.

أخذتُ مئتَي دولار من مال رهني نقداً وتركتُ الباقي في مصرف السيد ستوبنهاوزر. ذهَبتُ لأتسوّق في متجر الأجهزة والأخشاب والبقالة الذي ربما كان هنري ليستلم رسالة فيه من أمه... لو كانت لا تزال حيّة لتكتب واحدةً. قدتُ الشاحنة عائداً من البلدة في رذاذ تحوَّل إلى مطر غزير حين وصلتُ إلى المنزل. أفرغت الألواح الخشبية التي اشتريتها حديثاً، وأنهيتُ الإطعام والحَلب، ثم وضعتُ بقالتي في أماكنها - أغلبها مواد غذائية مجفَّفة وأطعمة رئيسية كانت قد بدأت تنفد من دون وجود أرليت لتُشرِف على أمور المطبخ. بعد الانتهاء من هذا العمل، وَضَعتُ ماءً على موقد الخشب لأسخّنه لكي أستحمّ وخلعتُ ملابسي الرطبة. سحَبتُ رزمة المال من الجيب الأمامي الأيمن لردائي السروالي المتجعّد، وعددتُه، ورأيتُ أنه لا يزال معي أقل من 160 دولاراً بقليل. لماذا أخذتُ هذا المبلغ النقدي الكبير؟ لأن ذهني كان في مكان آخر. أين في مكان آخر؟ في الدعاء؟ لأرليت وهنري، بالطبع. ناهيك عن هنري وأرليت. كانا تقريباً الشيء الوحيد الذي أفكِّر فيه في تلك الأيام الماطرة.

عرَفتُ أنه ليس جيداً وجود هكذا مبلغ نقدي كبير معي هنا.

يجب أن يعود إلى المصرف، إلى مكانه الطبيعي. يجب أن يعود إلى المصرف، حيث يستطيع أن يكسب فائدةً صغيرةً (رغم أنها لا توازي قيمة الفائدة على القرض) بينما كنتُ أفكِّر بأفضل وسيلة لاستخدامه. لكن في غضون ذلك، عليَّ أن أخفيه في مكان آمن.

خطر على بالي الصندوق ذو قبعة بائعة الهوى الحمراء. كان هو المكان الذي خبأتْ فيه مالها، ويبدو أنه كان آمناً لفترة طويلة من الزمن. كانت معي أوراق مالية كثيرة بحيث لا تتّسع في الحزام، لذا فكّرتُ أن أضعها في القبعة نفسها. سأتركها هناك فقط إلى أن أجد عذراً لأعود إلى البلدة.

دخلتُ غرفة النوم، عارياً تماماً، وفتحت باب الخزانة. دَفَعتُ جانباً الصندوق الذي يحتوي على قبعتها البيضاء، ثم مددتُ يدي لأمسك الصندوق الآخر. كنتُ قد دفَعتُه عميقاً على الرف واضطررتُ إلى الوقوف على رؤوس أصابعي لأصل إليه. كان هناك شريط مطاطي حوله. فشبكتُ إصبعي تحته لأسحبه إلى الأمام، وأدركتُ للحظة أن صندوق القبعة بدا ثقيلاً جداً - كما لو أنه توجد قرميدة داخله وليس طاقيّة - ثم انتابني إحساس جليدي غريب، كما لو أنني وضعتُ يدي في ماء مثلَّج. بعد لحظة تحوَّل الجليد إلى نار. كان الألم قوياً لدرجة أنه شنَّج كل عضلات ذراعي. ترنّحتُ إلى الوراء، متفاجئاً ومتألماً وأوقعت المال في كل مكان. كان إصبعي لا يزال مشبوكاً بالشريط المطاطي، وسقط صندوق القبعة أرضاً. كان هناك جرذ رابض فوقه بدا لي مألوفاً جداً.

يمكن أن تقول لي، "وِيلف، كل الجرذان متشابهة"، وستكون محقاً عادة، لكنني أعرف هذا الجرذ؛ ألم أره يركض بعيداً عني وحلمة البقرة

ناتئة من فمه مثل عقب سيجارة؟

أفلت صندوق القبعة من يدي النازفة، وسقط الجرذ على الأرض. لو أخذتُ وقتي للتفكير، لكان هرب مني مرة أخرى، لكن التفكير الواعي كان قد زال بسبب الألم، والمفاجأة، والرعب الذي أفترض أن كل رجل تقريباً يشعر به عندما يرى الدم يسيل من جزء من جسمه كان سليماً منذ لحظات فقط. حتى إنني لم أتذكَّر أنني عارٍ مثل اليوم الذي وُلدتُ فيه، فخبطتُ قدمي اليمنى على الجرذ. سِمعتُ عظامه تنسحق وشَعَرتُ بأحشائه تنهرس. تطاير الدم والأمعاء من تحت ذيله وغمرَ الدفء كاحلي الأيسر. حاوَل أن يفتل نفسه لكي يعضّني مرة أخرى؛ كنتُ قادراً على رؤية صرير أسنانه الأمامية الكبيرة، لكنه لم يتمكن من الوصول إليَّ. طبعاً طالما أُبقي قدمي عليه. لذا فعلتُ ذلك. ضغطتُ أكثر، واضعاً يدي المجروحة على صدري، وشاعراً بالدم الدافئ يغطي الرشق السميك الذي بدأ يكبر هناك. راح الجرذ يفتل ويتخبَّط. وضرب ذيله ربلتي أولاً، ثم التفّ حولها مثل أفعى. كان الدم يسيل من فمه. وانتفَخت عيناه السوداوان مثل بِليتَين.

بقيتُ أقف هناك ضاغطاً قدمي على الجرذ المُحتضَر لفترة طويلة. كانت أحشاؤه قد تهشّمت إلى عصيدة داخله، ومع ذلك بقي يتخبَّط ويحاول أن يعضّني. ثم توقَف عن الحركة أخيراً. بقيتُ أضغط عليه لدقيقة أخرى، لكي أتأكد أنه لم يكن يتظاهر بالموت مثل الأبوسّوم (جرذٌ يقلِّد الأبوسّوم - أمر مُضحك!)، وبعدما تأكدتُ أنه مات فعلاً، ذهبتُ إلى المطبخ وأنا أعرَج، مخلّفاً آثاراً دمويةً خلفي وتذكّرتُ مرتبكاً العرّافة وهي تحذّر بيلياس من رجل يرتدي فردةً واحدةً فقط من صندله. لكنني لستُ جايسن؛ بل مُزارع نصف مجنون يعاني

من الألم والدهشة، مُزارع بدا محكوماً عليه أن يلوِّث المكان الذي ينام فيه بالدم.

بينما أمسكتُ يدي تحت المضخّة وجمَّدتُها بالماء البارد، سمعتُ شخصاً يقول، "كفى، كفى، كفى". كان هذا أنا، عرَفتُ ذلك، لكنه بدا رجلاً عجوزاً، رجلاً وصل إلى حدود الاستجداء.

يمكنني تذكُّر بقية تلك الليلة، لكن ذلك يشبه النظر إلى صور قديمة في ألبوم متعفِّن. كانت عضّة الجرذ قد أصابت قطعة الجلد بين إبهامي الأيسر والسبابة – عضّة فظيعة، لكنني كنتُ محظوظاً نوعاً ما. فلو أمسَك بإصبعي الذي شبكتُه تحت ذلك الشريط المطاطي، لكان نزعه لي كلياً. أدرَكتُ ذلك عندما عدتُ إلى غرفة النوم ورفعتُ خصمي بذيله (مستخدماً يدي اليمنى؛ كانت اليد اليسرى متشنّجة جداً وتؤلمني عندما أثنيها). كان طوله ستين سنتيمتراً، ووزنه كيلوغرامان ونصف على أقل تقدير.

إذاً هذا ليس نفس الجرذ الذي هرب إلى داخل الأنبوب، أسمعك تقول. *لا يمكن أن يكون هو*. لكنه هو، أنا أقول لك هذا. لم تكن هناك علامة فارقة – لا رقعة بيضاء على الفرو أو أذن ممضوغَة بشكل لا يُنسى – لكنني عرَفتُ أنه الجرذ الذي هاجَم أخيلوا بشراسة. فقط عرَفتُ أنه لم يكن رابضاً هناك بالصُدفة.

حَمَلتُه إلى المطبخ بذيله وألقيتُه في دلو الرماد. ثم أخرَجتُ هذا الأخير إلى حفرة القمامة. كنتُ عارياً في المطر الغزير، لكنني بالكاد انتبهتُ إلى ذلك. فقد كنتُ مشغولاً بالألم القوي في يدي اليسرى الذي هدَّد بأن يطمس كل أفكار أخرى.

أخذتُ المعطف الطويل عن العلاّقة عند المدخَل (كان هذا كل ما أنا قادر على فعله)، وحشرت نفسي داخله، وخرَجتُ مجدداً، إلى الحظيرة هذه المرة. دهنتُ يدي المجروحة بالمرهم المعقَّم. كان قد أنقذ ضرع أخيلوا من الالتهاب، وقد يفعل الشيء نفسه مع يدي. هممتُ بالخروج، ثم تذكَّرتُ كيف هرب مني الجرذ في المرة الأخيرة. الأنبوب! فذهبتُ إليه وانحنيتُ، متوقعاً رؤية الأسمنت إما ممضوغاً أو مختفياً بالكامل، لكنه كان سليماً. بالطبع سيكون سليماً. فحتى الجرذ البالغ وزنه كيلوغرامان ونصف وأسنانه أكبر من المعتاد لن يستطيع أن يمضغ الأسمنت. ورود هذه الفكرة على بالي يُظهر الحالة التي كنتُ فيها. شعرتُ للحظة أنني أنظر إلى نفسي من الخارج: رجل عارٍ إلا من معطف طويل مفكوكة أزراره، وشعر جسمه متلبِّد بالدم حتى منفرج ساقيه، ويده اليسرى الممزَّقة تتلألأ تحت طبقة سميكة من مرهم الأبقار تشبه المخاط، وعيناه ناتئتان من رأسه. على غرار عينَي الجرذ عندما دستُ عليه.

لم يكن نفس الجرذ، قلتُ لنفسي. *فالجرذ الذي عضَّ أخيلوا إما ميتٌ في الأنبوب أو في حُضن أرليت.*

لكنني عرَفتُ أنه هو. عرَفتُ ذلك وقتها وأعرفه الآن.

كان هو.

مكتبة

بالعودة إلى غرفة النوم، انحنيتُ على رُكبتيَّ ولملمت الأوراق المالية الملطَّخة بالدم. كان عملاً بطيئاً قمتُ به بيد واحدة فقط. ارتطمت يدي الممزَّقة في إحدى المرات بطرف السرير ورحتُ أصرخ من الألم. رأيتُ بعض الدم الجديد يلطِّخ المرهم، محوِّلاً لونه إلى زهري. وَضَعتُ الأوراق المالية على خزانة الملابس، دون حتى أن أكترث لتغطيته بكتابٍ

أو بأحد أطباق زينة أرليت اللعينة. لا أستطيع حتى أن أتذكَّر لماذا شعرتُ أن عليَّ إخفاء المال في المقام الأول. دفعتُ صندوق القبعة الحمراء إلى داخل الخزانة، ثم خبطتُ الباب. يمكنه البقاء هناك إلى ما لا نهاية، لا يهمّني.

أي شخص يملك مزرعةً أو عمِل في واحدةٍ سيُخبِرك أن الحوادث أمر مألوف، ويجب اتخاذ التدابير الوقائية. هناك لفّة كبيرة من الضمادات في الصندوق بجانب مضخّة المطبخ - الصندوق الذي لطالما سمّته أرليت "خزانة جروح المشاعر". بدأتُ أُخرِجُ اللفّة، لكنني لمحتُ عندها الوعاء الكبير العابق بالبخار على الموقد. إنه الماء الذي كنتُ أسخّنه للحمّام عندما كنتُ لا أزال سليماً معافى وعندما كان هكذا ألم شنيع يبدو نظرياً فقط. تراءى لي أن الماء الساخن والصابون قد يكونان أفضل شيء ليدي. قلتُ لنفسي إن الجرح لا يمكن أن يصبح أسوأ مما هو عليه الآن، والتغطيس بالماء سيطهِّره. كنتُ مخطئاً في الأمرين، لكن كيف كان عليَّ أن أعرف؟ بعد كل هذه السنوات، لا تزال الفكرة تبدو معقولة. وأفترض أنها ربما كانت ستنجح، لو كان ما عضّني جرذٌ عاديٌّ.

استخدَمتُ يدي اليمنى السليمة لأغرف الماء الساخن إلى الحوض (كانت فكرة إمالة الوعاء وصَبّ الماء منه غير واردة على الإطلاق)، ثم أضفتُ قالباً من صابون غسيل أرليت البني الخشن. تبيَّن لي أنه القالب الأخير؛ هناك لوازم كثيرة يُهمِل الرجل شراءها عندما لا يكون معتاداً على ذلك. أضفتُ خرقةً، ثم دخلتُ غرفة النوم، وانحنيتُ على رُكبتيَّ مرة أخرى، وبدأتُ أمسح الدم والأحشاء. ورحتُ أتذكّر طوال

الوقت (بالطبع) المرة الأخيرة التي نظَّفتُ فيها دماً عن أرض غرفة النوم اللعينة هذه. على الأقل تلك المرة كان هنري معي ليشاركني الرعب. إنجاز هذه العملية لوحدي، وأنا أتألم، كان أمراً فظيعاً. راح ظلي يرتطم ويرفرف على الجدار، مما ذكّرني بكازيمودو في رواية هوغو "أحدب نوتردام".

عندما انتهيتُ من التنظيف، توقَفتُ وأملتُ رأسي، وانحبست أنفاسي، واتّسعت عيناي، وبدأ قلبي ينبض بقوة في يدي اليسرى المجروحة. لقد سِمعتُ صوت *هرولة*، وبدا لي أنه قادم من كل مكان. صوت جرذان تركض. كنتُ متأكداً من ذلك في تلك اللحظة. الجرذان من البئر. رجال بلاطها الأوفياء. لقد عثرت على طريقة أخرى للخروج من البئر. والجرذ الرابض فوق صندوق القبعة الحمراء كان فقط أولها وأكثرها جرأة. لقد تغلغَلت في المنزل، وأصبحت في الجدران، وستظهر قريباً وتغمرني. ستحصل أرليت على انتقامها. سأسمعها تضحك بينما تمزِّقني الجرذان إرباً إرباً.

كانت الرياح تعصف بقوة كافية لتهزّ المنزل وتزعق على طُنُف السقف لفترة قصيرة. تكثَّفت أصوات الهرولة، ثم خفتت قليلاً عندما هدأت الرياح. كان الارتياح الذي غمرني قوياً لدرجة أنه طغى على الألم (لثوانٍ معدودة، على الأقل). لم يكن ذلك صوت الجرذان؛ كان صوت المطر المُثلِج. فمع حلول الظلام، انخفضت درجة الحرارة وأصبح المطر نصف متجمّد. عدتُ إلى تنظيف بقايا الآثار.

عندما انتهيتُ، أفرغتُ مياه التنظيف الدموية فوق درابزين الشرفة، ثم عدتُ إلى الحظيرة لأضع طبقةً جديدةً من المرهم على يدي. بعد أن تطهَّر الجرح بالكامل، استطعتُ أن أرى أن الجزء بين إبهامي

وسبابتي قد تمزَّق إلى ثلاث شرطات بدت كأنها أشرطة الرتبة العسكرية لرقيبٍ. كان إبهامي الأيسر منحرفاً، كما لو أن أسنان الجرذ قطعت سلكاً مهماً بينه وبين بقية يدي اليسرى. وضعت بعض المرهم ثم عدتُ إلى المنزل متهادياً، وأنا أفكِّر أن *الجرح يؤلمني لكنه نظيف على الأقل. كانت أخيلوا بخير؛ وسأكون بخير أنا أيضاً. كل شيء على ما يرام.* حاوَلتُ أن أتخيَّل دفاعات جسمي تحتشد وتصل إلى ساحة العضّة مثل رجال إطفاء صغار جداً في قبعات حمراء ومعاطف قماشية طويلة.

عثرتُ في أسفل خزانة جروح المشاعر على زجاجة حبوب من صيدلية هيمينغفورد هوم ملفوفةً بقطعة حرير ممزَّقة كانت فيما مضى جزءاً من قميص تحتي نسائي. كان مكتوباً على لصقة الزجاجة بأحرف كبيرة [أرليت جايمس، خذي حبة أو حبتين قبل النوم للألم الشهري]. أخذتُ ثلاث حبات، مع جرعة كبيرة من الشراب الاسكتلندي. لا أعرف محتوى تلك الحبوب – أظن مورفين – لكنها أدَّت غرضها. كنتُ لا أزال أشعر بالألم، لكنه بدا ألماً يشعر به وِيلفْرَد جايمس موجود حالياً في عالم آخر. أُصيب رأسي بدوار؛ وبدأ السقف فوقي يتمايل بلطف؛ وازداد وضوح صورة رجال الإطفاء الصغار جداً القادمين لإطفاء حريق الالتهاب قبل أن يترسَّخ. كانت الرياح تشتدّ، وبالنسبة لذهني نصف النائم، بدت الخشخشة المنخفضة المتواصلة للمطر المُثلِج على المنزل أشبه بالجرذان أكثر من أي وقت مضى، لكنني كنتُ أعرف الحقيقة. أعتقد حتى إنني قلتُ بصوتٍ عالٍ: "لا يمكنك أن تخدعيني يا أرليت".

خفَّ وعيي وبدأتُ انزلق بعيداً، وأدرَكتُ أنني قد أكون مغادراً بلا عودة: فتركيبة الصدمة والشراب والمورفين قد تُنهي حياتي. وسيعثرون عليَّ في مزرعة باردة، وبشرتي زرقاء رمادية، ويدي الممزَّقة تستريح على

بطني. لم تُخفني الفكرة؛ بل على العكس تماماً، أراحتني.
بينما كنتُ نائماً، تحوَّل المطر المُثلِج إلى ثلج.

عندما استيقَظتُ فجر الصباح التالي، وجدتُ المنزل قارساً مثل قبر، ويدي تورَّمت إلى ضعف حجمها الطبيعي. كان اللحم حول العضّة رمادياً لكن الأصابع الثلاثة الأولى أصبحت زهرية باهتة وستصبح حمراء في نهاية اليوم. ولمس أي مكان على تلك اليد ما عدا الخنصر يسبِّب لي ألماً مبرِّحاً. ومع ذلك، لففتُها بأشدّ ما أستطيع، وهذا خفَّف النبض فيها. أشعلتُ ناراً في موقد المطبخ - استغرق فعل ذلك بيد واحدة وقتاً طويلاً، لكنني نجحتُ في النهاية - ثم اقتربت منه لكي أدفئ نفسي. كل أعضاء جسمي ما عدا اليد المعضوضة، فذلك العضو كان دافئاً من قبل. دافئاً وينبض مثل قفاز يختبئ جرذٌ داخله.

أُصبتُ بالحمى عند منتصف بعد الظهر، وتورَّمت يدي كثيراً في الضمادات إلى درجة أنني اضطررتُ إلى إرخائها. ومجرد فعل ذلك جَعَلني أصرخ من الألم. أحتاج إلى طبيب، لكنها كانت تثلج بقوة أكثر من أي وقت مضى، ولن أتمكن حتى من الوصول إلى منزل آل كوتيري، ناهيك عن هيمينغفورد هوم. حتى ولو كان اليوم صافياً وساطعاً وجافاً، كيف سأتمكن من استخدام ذراع التدوير على الشاحنة أو الفورد بيد واحدة؟ جلَستُ في المطبخ أغذّي نار الموقد إلى أن أصبح يزأر مثل تنين، ورحتُ أتعرَّق وارتجف من البرد، واضعاً يدي المضمّدة على صدري، وتذكّرتُ الطريقة اللطيفة التي تفحّصت بها السيدة ماكريدي فنائي المزدحم. *هل لديك هاتف سيد جايمس؟ أرى أنه ليس لديك واحد.*

لا. ليس لديَّ هاتف. كنتُ بمفردي في المزرعة التي قتَلتُ من أجلها، من دون أي وسيلة لطلب المساعدة. كنتُ أرى اللحم يتحوَّل إلى اللون الأحمر بعيداً عن المكان الذي تتوقف عنده الضمادات: في المعصم، داخل الأوردة التي ستنقل السم إلى كل أنحاء جسمي. لقد فشل رجال الإطفاء. فكَّرتُ في ربط معصمي بأشرطة مطاطية - لكي أقتل يدي اليسرى في محاولة لإنقاذ بقية جسمي - وحتى ببترها بواسطة الفأس الصغيرة التي نستخدمها لتقطيع الحطب وقطع رأس دجاجة بين الحين والآخر. بدت الفكرتان مقبولتين تماماً، لكنهما بدتا تتطلبان عملاً كثيراً أيضاً. لم أفعل أي شيء في النهاية ما عدا العودة مترنّحاً إلى خزانة جروح المشاعر لإحضار مزيد من حبوب أرليت. أخذتُ ثلاث حبات أخرى، مع الماء البارد هذه المرة - كانت حنجرتي تحترق - ثم عاودتُ الجلوس بجانب النار. كنت سأموت من العضّة. كنتُ متأكداً من ذلك وتقبَّلتُه تماماً. كان الموت من العضّات والالتهابات أمراً شائعاً جداً في السهول. وإذا أصبح الألم أكثر مما أستطيع تحمّله، سأبتلع كل مُسكِّنات الألم الباقية دفعة واحدة. لكن ما منعني من فعل ذلك فوراً - بصرف النظر عن الخوف من الموت، والذي أظنه يصيبنا جميعاً، بدرجة أكبر أو أقل - كان احتمال قدوم أحدهم: هارلان، أو المأمور جونز، أو السيدة ماكريدي اللطيفة. حتى كان من الممكن أن يأتي لستر المحامي لكي يُرهِبني أكثر بشأن تلك الفدادين المئة اللعينة.

لكن ما كنتُ آمله أكثر من أي شيء آخر هو عودة هنري. لكنه لم يعُد.

أرليت هي التي عادت.

ربما تساءلتَ كيف عرفتُ عن المسدس الذي اشتراه هنري من مكتب الرهون في شارع دودج، وسلب به المصرف في ساحة جيفرسون. إذا كنتَ قد تساءلتَ ذلك، فعلى الأرجح أنك قلتَ لنفسك، حسناً، *المدة طويلة بين 1922 و1930؛ وهي تكفي لملء الكثير من التفاصيل الشاغرة في مكتبة مجهَّزة بأعداد قديمة من صحيفة أوماها وورلد هيرالد.*

لجأتُ إلى الصحف، بالطبع. وراسلتُ أشخاصاً التقوا إبني وحبيبته الحامل في رحلتهما القصيرة الكارثية من نبراسكا إلى نيفادا. ردَّ عليَّ معظم أولئك الأشخاص، وزوَّدوني بالتفاصيل بكل طيب خاطر. هذا النوع من العمل الاستقصائي منطقي، ولا شك أنه يرضيك. لكن تلك التحقيقات حصلت بعد سنوات عديدة، بعدما ترَكتُ المزرعة، وفقط أكَّدت لي ما كنتُ أعرفه من قبل.

من قبل؟ تسألني وسأجيبك ببساطة: نعم. *من قبل. ولم أعرفه أثناء حصوله فحسب، بل قبل حصول بعض أجزائه على الأقل. الجزء الأخير منه.*

كيف؟ الجواب بسيط. زوجتي المتوفّاة أخبَرتني.

لا تصدّقني، بالطبع. أفهمك. أي شخص منطقي لن يصدّقني. كل ما أستطيع فعله هو أن أكرِّر لك أن هذا هو اعترافي، كلماتي الأخيرة على كوكب الأرض، ولم أذكر أي شيء فيه لا أعرف أنه صحيح.

* * *

استيقظتُ من كَبوَة أمام الموقد في الليلة التالية (أو التالية؛ فَقَدتُ

الإحساس بالوقت بعد إصابتي بالحمى) وسمعت أصوات الخشخشة والهرولة مرة أخرى. افترَضتُ في البدء أن الثلج يتساقط من جديد، لكن عندما نهضتُ لأمزِّق قطعة خبز من الرغيف المتحجّر على المنضدة، رأيتُ غروب شمس برتقالي رفيع في الأفق وكوكب الزُهرة يتوهّج في السماء. لقد انتهت العاصفة، لكن أصوات الهرولة كانت صاخبة أكثر من أي وقت مضى. لكنها لم تكن قادمة من الجدران، بل من الشرفة الخلفية.

بدأ مزلاج الباب يتحرّك. ارتعَش فقط في البدء، كما لو أن اليد التي تحاول العمل عليه ضعيفة جداً لترفعه كلياً عن الثلم. توقَّفت الحركة، وقرّرتُ أنني لم أرها أبداً - أنها مجرد وهم بسبب الحمى - عندما ارتفع إلى الأعلى كلياً مع صوت طقطقة صغير وفُتح الباب مُدخِلاً رياحاً باردةً. كانت زوجتي تقف على الشرفة. كانت لا تزال ترتدي شبكة شعرها التي من الخيش، والتي أصبحت مرقَّطة الآن بالثلج؛ لا بد أن الرحلة كانت بطيئة ومؤلمة من المكان الذي كان يجب أن يكون مثواها الأخير. كان وجهها متراخياً من التحلّل، ونصفه السفلي منفتِلاً إلى إحدى الجهتين، وابتسامتها أعرض من أي وقت مضى. كانت ابتسامة معرفة، ولما لا؟ الميت يفهم كل شيء.

كانت مُحاطة برجال بلاطها الأوفياء. كانوا هم مَن أخرجها من البئر بطريقة أو بأخرى. كانوا هم مَن يحملها عالياً. من دونهم، لكانت مجرد شبح، حاقد لكن عاجز. لكنهم حرَّكوها. كانت ملكتهم؛ ودميتهم أيضاً. دخلَت المطبخ، وهي تتحرَّك في مشية رهيبة منزوعة العظام لا علاقة لها بالسير أبداً. كانت الجرذان تهرول من حولها، بعضها ينظر إليها بحب، وبعضها ينظر إليَّ بكره. راحت تتمايَل في كل أرجاء

المطبخ، في جولة على ما كان ميدانها بينما كانت الكتل الترابية تسقط عن فستانها (لم يكن هناك أي أثر للحاف) وتمايَل رأسها وتدحرَج على حنجرتها المذبوحة. ومال في إحدى المرات إلى الخلف حتى لوحَي كتفَيها قبل أن يعود إلى الأمام مع صوت صفع خافت ولحميّ.

عندما أدارت عينيها الغائمتين نحوي في النهاية، تراجعتُ إلى الزاوية حيث يتواجد صندوق الحَطَب، الفارغ تقريباً الآن. "اتركيني وشأني"، همَستُ لها. "أنتِ لستِ هنا حتى. أنتِ في البئر ولا يمكنك الخروج حتى ولو لم تكوني ميتة".

أصدرَتْ صوت غرغرة – بدت كأنها شخص يختنق من صلصة مرق لحم سميكة – وبقيت تتقدَّم صوبي، وبشكل حقيقي كفاية لكي تُلقي ظلاً عليَّ. كنتُ قادراً على أن أشمّ لحمها المتحلِّل، هذه المرأة التي وضعت لسانها في فمي أحياناً خلال ذروة شغفها. كانت هناك. كانت حقيقية. وكذلك كانت حاشيتها الملكية. وأمكنني الشعور بتلك الحاشية تهرول ذهاباً وإياباً فوق قدميَّ وتدغدِغ كاحليَّ بشواربها بينما كانت تشمّ أسفل سروالي.

ارتطم كعباي بصندوق الحَطَب، وعندما حاوَلتُ أن أنحني مبتعداً عن الجثة المقتربة مني، فَقَدتُ توازني وجلستُ عليه. ارتطمت يدي المتورّمة والملتهبة به، لكنني بالكاد شعرتُ بأي ألم. كانت تنحني فوقي، ووجهها... *يتدلّى صوبي*. لقد تفلّت اللحم عن العظام وأصبح وجهها متدلٍ مثل وجه مرسوم على بالون ولد. تسلَّق جرذٌ جانب صندوق الحَطَب، وسقط على بطني، وركَض صعوداً نحو صدري، وشمَّ الجانب السفلي لذقني. كنتُ قادراً على الشعور ببقية الجرذان تهرول تحت رُكبتيَّ الملتويتين. لكنها لم تعضّني. فتلك المهمة بالذات قد أُنجزَت من

قبل.

انحنت أكثر صوبي. كانت رائحتها غامرة، وابتسامتها المائلة من أذن إلى الأخرى... يمكنني رؤيتها الآن، وأنا أكتب. أخبَرتُ نفسي أن أموت، لكن قلبي بقي يخفق بسرعة. انزلق وجهها المتدلّي إلى جانب وجهي. كنتُ قادراً على الشعور بشعيرات ذقني تنتزع قِطعاً صغيرةً جداً من بشرتها؛ وعلى سماع فكها المكسور يجرش مثل غصن شجرة عليه بعض الجليد. ثم ضغطت شفتيها الباردتين على الكوب المحموم لأذني، وبدأت تهمس أسراراً تستطيع فقط امرأة ميتة أن تعرفها. زعَقتُ. وعَدتُ أن أقتل نفسي وآخذ مكانها في الجحيم إذا فقط توقفت. لكنها لم تتوقف. لن تتوقف. الموتى لا يتوقفون.

هذا ما أعرفه الآن.

بعد فراره من المصرف الزراعي الأول و200 دولار محشوة في جيبه (أو حوالي 150 دولاراً على الأرجح؛ تذكَّر أن بعضها وقع على الأرض)، اختفى هنري لبعض الوقت. "اختفى عن الأنظار"، بلغة الإجرام. أقول هذا ببعض الفخر. فقد اعتقَدتُ أنه سيُلقى القبض عليه فور وصوله إلى المدينة، لكنه برهَن لي أنني مخطئ. كان مغروماً، كان يائساً، كان لا يزال يحترق ذنباً ورعباً من الجريمة التي اقترفها معي... لكن رغم تلك الإلهاءات (تلك *الالتهابات*)، أثبتَ إبني عن شجاعة وذكاء، وحتى عن بعض النبالة الحزينة. وهذه الأخيرة هي الأسوأ. فلا تزال تملأني حزناً على حياته المُهدرة (هُدرَت حياة *ثلاثة* أشخاص؛ لا يجب أن أنسى شانون كوتيري الحامل المسكينة) وخِزياً على الخراب الذي دفعتُه إليه، مثل عجل مربوط حبل حول عنقه.

أظهرَت لي أرليت الكوخ الذي اختبأ فيه، والدرّاجة الهوائية التي خبّأها خلفه – كانت تلك الدرّاجة الهوائية هي أول شيء اشتراه بماله المسروق. لم أكن قادراً على أن أُخبرك عن المكان الدقيق لذلك المخبأ، لكن خلال السنوات التي عثرت فيها عليه وحتى زرته؛ بمجرد سطح منحدر على جانب الطريق وعلى جانبه إعلان باهت لرويال كراون كولا. كان يبعُد بضعة كيلومترات عن ضواحي أوماها الغربية ويقع على مرأى بويز تاون، الذي افتتح أبوابه قبل سنة. غرفة واحدة، ونافذة واحدة بلا زجاج، ولا موقد. غطّى الدرّاجة الهوائية بقش وأعشاب ضارة ورسم خططه. ثم، بعد حوالي أسبوع من سرقة المصرف الزراعي الأول – وهي المدة التي يزول عندها اهتمام الشرطة في عملية سلب صغيرة جداً – بدأ يقوم برحلات إلى أوماها على الدرّاجة الهوائية.

أي فتى غبي كان ليذهب مباشرة إلى دار سانت يوسيبيا للفتيات ويُوقع نفسه في كمين شرطة أوماها (لا شك أن المأمور جونز توقّعه أن يفعل ذلك)، لكن هنري فريمان جايمس كان أذكى من ذلك. فقد بَحَث عن مكان المنزل، لكنه لم يقترب منه. بل بَحَث عن أقرب متجر حلوى ونافورة مياه غازية. افترَض وعن صواب أن الفتيات سيزرنه كلما استطعن ذلك (أي، كلما كان سلوكهن يستحق حصولن على استراحة بعد الظهر وكان معهن بعض المال القليل)، ورغم أنه لم يكن إلزامياً أن ترتدي فتيات سانت يوسيبيا زياً رسمياً، إلا أن التعرّف عليهن كان سهلاً كفاية من خلال فساتينهن العتيقة الزيّ، وعيونهن المسبلة، وسلوكهن – المتأرجح بين اللعوب والجفول. لذا فكل فتاة يكون بطنها كبيراً ولا ترتدي خاتم زواج تكون ملفتة للانتباه جداً.

أي فتى غبي كان ليحاول أن يتحدّث مع إحدى تلك الفتيات

البائسات هناك عند نافورة المياه الغازية، مما يلفت الانتباه. احتلّ هنري موضعاً خارجياً، عند مدخل الزقاق الذي يوصل إلى متجر الحلوى، وجلس على قفص يقرأ الصحيفة ودرّاجته متكئة على الحائط الذي بجانبه. كان ينتظر فتاةً مُغامِرةً أكثر قليلاً من تلك اللواتي يكتفين برشف مياههن الغازية بالبوظة ثم يعدنَ فرحات إلى المسؤولات. وهذا يعني فتاةً تدخّن. في بعد ظهر يومه الثالث في الزقاق، وصلت هكذا فتاة.

عثرتُ عليها منذ ذلك الوقت، وتكلمت معها. لم يستلزم ذلك استقصاءً معقّداً. أنا أكيد أن أوماها بدت كمدينةٍ بالنسبة لهنري وشانون، لكنها لم تكن في العام 1922 أكثر من مجرد بلدة في الغرب الأوسط أكبر من المعدل وتدّعي أنها مدينة. فيكتوريا هاليت امرأة متزوجة محترَمة لديها ثلاثة أولاد الآن، لكنها كانت فيكتوريا ستيفنسون في خريف 1922: يافعة، فضولية، ثائرة، حامل في شهرها السادس، ومولَعة جداً بسجائر سويت كابورال. كانت سعيدة كفاية بأخذ واحدة من هنري عندما عرض عليها العلبة.

"خذي واحدتين أخريين لوقت لاحق"، قال.

ضحِكت. "سأكون حمقاء إن فعلتُ ذلك! المسؤولات يبحثن في حقائبنا ويُفرغن جيوبنا عندما نعود. سأضطر أن أمضغ ثلاث حبّات علكة لمجرد أن أتخلّص من رائحة هذه السيجارة في أنفاسي". ثم ربَّتت على بطنها المنتفخ بلهوٍ وتحدٍ. "أنا في ورطة مسبقاً، أظن أنه يمكنك رؤية ذلك. فتاة شقية! وحبيبي فرَّ. فتى شقي، لكن العالم لا يهتمّ بهذا! لذا حبسني الأنيق في سجن حرّاسه بطاريق –"

"لا أفهمك".

"يا إلهي! الأنيق هو أبي! والبطاريق هي تسميتنا للمسؤولات!"، ضحِكت. "يا لك من ريفيّ ساذج! وكيف! *على أي حال*، السجن الذي أمضي عقوبتي فيه يدعى -"

"سانت يوسيبيا".

"*الآن* بدأتَ تُحرز تقدماً يا جاكسون". نفخت دخان سيجارتها، وضيّقت عينيها عليه. "اسمع، أنا أكيدة أنني أعرف مَن تكون - حبيب شان كوتيري".

"أوصلي سلامي إليها"، قال هانك.

"في الواقع، لا أنصحك أن تقترب ولو لمئة متر من الدار. رجال الشرطة يملكون أوصافك". ضحِكت بانشراح. "أوصافك وأوصاف ستة آخرين، لكن لا أحد منهم جريء مثلك، ولا أحد منهم لديه حبيبة جميلة مثل شانون. إنها جميلة حقاً!".

"لماذا تعتقدين أنني هنا بدلاً من هناك؟".

"حسناً، *لماذا* أنت هنا؟".

"أريد التواصل معها، لكن لا أريد أن يُلقى القبض عليَّ وأنا أفعل ذلك. سأعطيك دولارين لتنقلي رسالة إليها".

اتّسعت عينا فيكتوريا ذهولاً. "يا عزيزي، لقاء دولارين، سأضع بوقاً تحت ذراعي وآخذ رسالة إلى غارسيا - أنا يائسة إلى هذا الحد. سلّمني الرسالة!".

"ودولارين آخرين إذا لم تُخبري أحداً بهذا. الآن ولاحقاً".

"لستَ مضطراً أن تدفع لقاء هذا"، قالت. "أحب أن أستغفل تلك الحقيرات. لماذا، لأنهن يصفعن يدك إذا حاولت أن تأخذ قطعة

خبز إضافية على العشاء! الأمر يشبه حيلة *غاليفر*!".

أعطاها الرسالة، وأوصلتها فيكتوريا إلى شانون. كانت داخل حقيبة أشيائها الصغيرة عندما ألقت الشرطة القبض عليهما أخيراً في إلكو، نيفادا، وقد رأيتُ صورة فوتوغرافية لها التقطتها الشرطة. لكن أرليت أخبَرَتني ما كتبه لها فيها قبل ذلك بفترة طويلة، وقد تطابقت الرسالة الفعلية بما قالته لي كلمةً كلمة.

سأنتظر من منتصف الليل حتى الفجر أمام مبناكِ كل ليلة لمدة أسبوعين، قالت الرسالة. إذا لم تخرجي، سأعرف أن كل شيء انتهى بيننا وسأعود إلى هيمينغفورد ولن أزعجك أبداً رغم أنني سأبقى أحبك إلى الأبد. نحن يافعان لكن يمكننا أن نكذب بشأن عمرينا ونبدأ حياة جيدة في مكان آخر (كاليفورنيا). معي بعض المال وأعرف كيف استحصل على المزيد. فيكتوريا تعرف كيف تجدني إذا كنت تريدين أن ترسلي لي رسالة، لكن لمرة واحدة فقط. أكثر من ذلك لن يكون آمناً.

أظن أن هارلان وسالي كوتيري حصلا على تلك الرسالة. إذا كان الأمر كذلك، فإنهما رأيا أن إبني وقَّع إسمه داخل قلب. أتساءل إن كان ذلك ما أقنَعَ شانون. أتساءل إن كانت حتى بحاجة إلى إقناع. من الممكن أن كل ما كانت تريده هو أن تحتفظ بالطفل الذي أحبّته من قبل (وتجعله شرعياً). هذا سؤالٌ لم يُجب عليه أبداً صوت أرليت الهامس الفظيع. الأرجح أنه لم يكن يهمّها بطريقة أو بأخرى.

بقي هنري يعود إلى مدخل الزقاق كل يوم بعد ذلك اللقاء. وأنا أكيد أنه كان يعرف أن الشرطة قد تأتي إليه بدلاً من فيكتوريا، لكنه شَعَر أن لا خيار آخر أمامه. في اليوم الثالث من سهره، أتت. "كَتَبت

لك شان فوراً، لكنني لم أتمكن من الخروج قبل الآن"، قالت. "أتى أبلهٌ إلى تلك الحفرة التي يملكون الجرأة على تسميتها غرفة موسيقى، وأصبحت البطاريق مستعدّة للحرب منذ ذلك الحين".

مدَّ هنري يده ليأخذ الرسالة من فيكتوريا مقابل سيجارة سويت كابورال. كانت تتألف من ثلاث كلمات فقط: *غداً. الساعة 2.*

عانق هنري فيكتوريا وقبّلها. ضحِكت فرحةً، وتلألأت عيناها. "يا إلهي! بعض الفتيات محظوظات جداً".

لا شك في ذلك. لكن عندما تفكّر أن فيكتوريا حصلت في النهاية على زوج وثلاثة أولاد، ومنزل لطيف في شارع مايبل في أفضل أحياء أوماها، وشانون كوتيري لم تعش لعنة السنة... أي منهما يمكنك أن *تصفها* بالمحظوظة؟

معي بعض المال وأعرف كيف استحصل على المزيد، كان هنري قد كتبَ لها، وقد فعل ذلك. بعد ساعات فقط على تقبيله فيكتوريا الصفيقة (التي أعادت نقل الرسالة *يقول إنه سيكون هناك بكل حماسة* إلى شانون)، قام شابٌ يرتدي قبعة مسطّحة منخفضة على جبهته ورباط رأس فوق فمه وأنفه بسرقة المصرف الوطني الأول في أوماها. حصل اللص على 800 دولار هذه المرة، وهذه غنيمة ممتازة. لكن الحارس كان أصغر سناً وأكثر حماسةً تجاه مسؤولياته، وهذا لم يكن ممتازاً جداً. اضطر اللص أن يطلق النار على فخذه لكي يتمكن من الهرب، ورغم أن تشارلز غراينر بقي حيّاً، إلا أن رجله التهبت (يمكنني التعاطف معه)، وفقَدها. عندما التقيتُ به في منزل والدَيه في ربيع 1925، كان غراينر يتكلم بطريقة فلسفية عن الحادث.

"كنتُ محظوظاً أن أبقى حيّاً"، قال. "حين أوقفوا النزيف في رِجلي، كنت مستلقياً في بركة دم لعينة عمقها حوالي سنتيمترين. أنا أكيد أنهم احتاجوا إلى صندوق كامل من المنظّفات لإزالة تلك البقعة".

عندما حاوَلتُ أن أعتذر له نيابة عن إبني، لوَّح لي بيده.

"لم يكن عليَّ أن أقترب منه أبداً. كان قد أخفض القبعة ورفع رباط الرأس، لكنني استطعتُ رؤية عينيه تماماً. كان عليَّ أن أعرف أنه لم يكن ليتراجع إلا إذا أُسقِط بطلق ناري، ولم تسنح لي الفرصة أبداً لكي أسحب مسدسي. كان ذلك بادياً في عينيه. لكنني كنتُ يافعاً أنا أيضاً. أنا أكبر في السنّ الآن. والفرصة لم تسنح أبداً لإبنك لكي يصبح أكبر في السنّ. تؤسفني خسارتك".

بعد تلك السرقة، أصبح هنري يملك مالاً أكثر من اللازم ليشتري سيارة – سيارة سياحية لطيفة – لكنه كان أوعى من ذلك. (أشعر بالفخر مرة أخرى وأنا أكتب هذا: بفخر طفيف لكن لا يمكن إنكاره). ولد بمظهره الذي لم يبدأ حلاقة ذقنه إلا منذ أسبوع أو أسبوعين فقط، يلوِّح بما يكفي من أوراق مالية ليشتري سيارة جديدة؟ كان ذلك ليجعل الشرطة تلاحقه فوراً بكل تأكيد.

لذا بدلاً من شراء سيارة، سرَق واحدةً. ليس سيارة سياحية؛ بل اختار سيارة فورد كوبيه لطيفة. تلك كانت السيارة التي رَكَنها خلف سانت يوسيبيا، والتي ركبتها شانون بعد تسلّلها من غرفتها، نزولاً إلى الطابق السفلي حاملةً حقيبة سفرها في يدها، وخروجها من نافذة الحمّام المجاور للمطبخ. كان لديهما الوقت ليتبادلا قبلة واحدة – لم تقل أرليت ذلك، لكنني لا زلتُ أملك مخيّلتي – ثم قاد هنري الفورد

غرباً. أصبحا عند الفجر على طريق أوماها–لينكولن العام. لا بدّ أنهما مرّا على مقربة من منزله – ومنزلها – القديم حوالي الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم. وحتى ربما نظرا في ذلك الاتجاه، لكنني أشكّ أن يكون هنري قد أبطأ سيره؛ لن يريد أن يتوقف ليمضي الليلة في منطقة قد يتعرَّف فيها الآخرون عليه.

بدأت حياتهما كهاربَين.

همَست لي أرليت عن تلك الحياة أكثر مما كنتُ أتمنى أن أعرف، ولستُ فظاً لأضع أكثر من التفاصيل المجرَّدة هنا. إذا كنت تريد معرفة المزيد، راسِل مكتبة أوماها العامة. وسيرسلون لك، لقاء رسمٍ، نُسخاً عن القصص المتعلقة بقطّاع طرق الحب، مثلما أصبحا يُعرَفان (ومثلما سمَّيا نفسيهما). حتى إنك قد تكون قادراً على إيجاد قصص من صحيفتك المحلية، إذا كنت لا تعيش في أوماها؛ فخاتمة الحكاية وُصفَت مفطِّرة للقلب بما يكفي لتستحق تغطية إعلامية على الصعيد الوطني.

هانك الوسيم وشانون الحلوة، سمّتهما وورلد هيرالد. بدَوا يافعين إلى حد لا يُصدَّق في الصور الفوتوغرافية (وبالطبع كانا يافعين). لم أرغب أن أنظر إلى تلك الصور الفوتوغرافية، لكنني نظرتُ. هناك أكثر من طريقة واحدة لكي تعضّك الجرذان، أليس كذلك؟

انفجَرت إحدى عجلات السيارة المسروقة في ريف نبراسكا الرملي. وجاء إليهما رجلان بينما كان هنري يركّب العجلة الاحتياطية. شهَرَ أحدهما بندقية من حزامٍ يُخفيه تحت معطفه – ما كان يُسمّى مخلب مطرقة قاطع الطريق في أيام الغرب المتوحش – في وجه الحبيبَين الهاربَين. لم تسنح الفرصة لكي يستلّ هنري مسدسه؛ كان في جيب معطفه، وإذا حاوَل مدّ يده إليه، سيُقتَل بكل تأكيد. لذا سُرقَ اللص.

سار هنري وشانون يداً بيد إلى منزل مُزارع قريب تحت سماء خريفية باردة، وعندما فتح المُزارع الباب ليسأل كيف يمكنه مساعدتهما، شهَرَ هنري مسدسه في صدر الرجل وطلب منه سيارته وكل المال الذي معه.

وَقَفت الفتاة التي معه، حسبما روى المُزارع للمراسِل الصحفي، على الشرفة مشيحةً بنظرها. وقال إنه اعتقَد أنها تبكي. قال إنه أشفق عليها، لأنها كانت نحيلة وتبدو جائعة، وفقط حامل مثل العجوز التي عاشت في حذاء، وتسافر مع شاب مجرم متهوِّر نهايته سيئة بالتأكيد.

هل حاولَتْ إيقافه؟ سأل المراسِل الصحفي. حاولَتْ إقناعه بأن يتوقف؟

لا، قال المُزارع. فقط وَقَفت هناك مديرةً ظهرها، كما لو أنها تعتبر أنها إذا لم تر ذلك، فهو لا يحصل. عُثر على سيارة المُزارع القديمة الرثّة مهجورةً بالقرب من محطة قطارات ماكوك، مع رسالة على المقعد: *إليك سيارتك، سنرسل لك المال الذي سَرقناه منك عندما نستطيع. أخذناه منك فقط لأننا كنا مفلسَين تماماً. مع جزيل الشكر، "قطّاع طرق الحب"* . فكرة مَن كان ذلك الإسم؟ شانون على الأرجح؛ كانت الرسالة بخط يدها. استخدَماه فقط لأنهما لم يرغبا بكشف إسميهما، لكن الأساطير تنشأ من هكذا أشياء.

بعد يوم أو يومين، حصل سطو بقوة السلاح في مصرف فرونتير الصغير جداً في أراباهو، كولورادو. كان اللص – الذي يرتدي قبعة مسطَّحة منخفضة ورباط رأس مرتفع – لوحده. حصل على أقل من 100$ وفرَّ في سيارة هابموبيل بُلِّغ عن سرقتها في ماكوك. في اليوم التالي، وفي مصرف فورست في شايان ويلز (كان المصرف الوحيد في شايان ويلز)، انضمت شابة إلى الشاب وقد أخفت وجهها برباط

رأس، لكن كان من المستحيل عليها إخفاء حملها. فرّا مع 400$ وقادا إلى خارج البلدة بسرعة قصوى، متوجّهَين غرباً. أُقيم حاجز على الطريق إلى دنفر، لكن هنري تصرَّف بذكاء وبقي محظوظاً. انعطفا جنوباً بعد مسافة قصيرة من مغادرتهما شايان ويلز، وسارا على الطرقات الترابية ومسارات الماشية.

بعد أسبوع، استقلّ زوجان يافعان يسمّيان نفسيهما هاري وسوزان فريمان القطار المتوجّه إلى سان فرانسيسكو في كولورادو سبرينغز. لماذا نزلا فجأة في غراند جنكشن لا أعرف وأرليت لم تُخبرني - أظن أنهما رأيا شيئاً أخافهما. كل ما أعرفه هو أنهما سرقا مصرفاً هناك، ومصرفاً آخر في أغدن، يوتاه. ربما هذه هي فكرتهما لادّخار بعض المال لحياتهما الجديدة. وفي أغدن، عندما حاوَل رجلٌ إيقاف هنري خارج المصرف، أطلق عليه هنري النار في صدره. تصارع الرجل مع هنري على أي حال، ودفَعَته شانون على سلالم الغرانيت. وفرّا. الرجل الذي أطلق عليه هنري النار تُوفِّي في المستشفى بعد يومين. لقد أصبح قطّاع طرق الحب قتلة. وفي يوتاه، القتلة المُدانون يُعدَمون.

كانت الفترة وقتها فترة احتفال الشُكر، رغم أنني لا أعرف إن كانت قبله أو بعده. كانت الشرطة غرب جبال الروكي تملك أوصافهما وتبحث عنهما. وكان الجرذ المختبئ في الخزانة قد عضّني في تلك الفترة - أعتقد - أو على وشك أن يعضّني. أخبرَتني أرليت أنهما تُوفِّيا، لكن ذلك لم يكن صحيحاً؛ أقصد ليس عندما جاءت وحاشيتها الملكية لزيارتي. إما أنها كذَبت بشأن ذلك أو توقّعته. الأمر سيّان بالنسبة لي.

كانت ديث، نيفادا محطتهما ما قبل الأخيرة. كان يوماً قارساً في أواخر نوفمبر أو أوائل ديسمبر، والسماء بيضاء وبدأت تبصق ثلجاً. أرادا فقط بيضاً وقهوة في المطعم الصغير الوحيد في البلدة، لكن حظهما كان قد أوشك على النفاد. كان صاحب المطعم من إلكهورن، نبراسكا، ورغم أنه لم يزر بلدته منذ سنوات، إلا أن أمه كانت لا تزال تُرسل له أعداد وورلد هيرالد في حزمات كبيرة. وقد تلقَّى آخر حزمة منذ بضعة أيام، وتعرَّف على قاطعَي طرق أوماها الحبيبين الجالسَين في أحد أكشاكه.

بدلاً من أن يتصل بالشرطة (أو رجال أمن منجم النحاس القريب، وهذا أسرع وفعّال أكثر)، قرَّر أن يقوم باعتقالٍ مدنيٍّ. فاستلّ مسدساً قديماً صدئاً من تحت المنضدة، وشهره في وجهيهما، وأخبَرهما - بأفضل لكنة غربية - بأن يرفعا يديهما. لم يفعل هنري شيئاً من هذا القبيل. بل انزلق عن مقعده إلى خارج الكشك وسار نحو الرجل وهو يقول له: "لا تفعل ذلك يا صديقي، لم نكن ننوي إيذاءك، سنسدِّد الحساب ونغادر". ضغط صاحب المطعم الزناد وأخفق المسدس القديم. أخذه هنريه من يده، وفتحه، ونظر إلى الأسطوانة، وضحِك. "خبر جيد!"، أخبَرَ شانون. "الرصاصات موضوعة فيه منذ زمن طويل لدرجة أنها أصبحت خضراء".

وَضَع دولارَين على المنضدة - ثمن طعامهما - ثم ارتكب خطأً فظيعاً. لا زلتُ مقتنعاً حتى هذا اليوم أن الأمور لم تكن لتنتهي بشكل سيئ لهما مهما يكن، ومع ذلك لا أزال أتمنى لو يمكنني أن أصرخ له عبر السنوات: *لا تضع المسدس على الطاولة وهو لا يزال محشواً. لا تفعل ذلك يا بُنيّ! خضراء أم لا، ضع تلك الرصاصات في جيبك!*

لكن فقط الموتى يستطيعون أن يصرخوا عبر الزمن؛ أعرف ذلك الآن، ومن خبرة شخصية.

بينما كانا يغادران (*يداً بيد*، همَست أرليت في أذني المحترقة)، رفعَ صاحب المطعم ذلك المسدس القديم عن المنضدة، وأمسكه في كلتَي يديه، وضغط الزناد مرة أخرى. انطلقت الرصاصة هذه المرة، ورغم أنه ظنَّ على الأرجح أنه يصوِّب نحو هنري، إلا أن الرصاصة أصابت شانون كوتيري في أسفل ظهرها. صَرَخت وترنّحت إلى الأمام وخرجت من الباب إلى الثلج المتساقط. التقطها هنري قبل أن تسقط وساعدها على ركوب آخر سيارة سرقاها، فورد أخرى. حاوَل صاحب المطعم أن يطلق عليه النار عبر النافذة، وفي تلك المرة انفجَر المسدس القديم في يديه. أتلفت قطعة معدنية عينه اليسرى. لم أشعر بالآسف أبداً في حياتي. لستُ متسامحاً مثل تشارلز غراينر.

مصابة إصابة خطيرة - وربما تُحتضَر من قبل - بدأ المخاض لدى شانون بينما قاد هنري السيارة في الثلج السميك نحو إلكو، التي تبعُد خمسين كيلومتراً إلى الجنوب الغربي، ربما يظنّ أنه قد يجد طبيباً هناك. لا أعرف إن كان هناك طبيب أم لا، لكن كان هناك مخفر بالطبع، وقد اتصل به صاحب المطعم وبقايا عينه لا تزال متدلّية على خده. كان شرطيان محليان وأربعة أفراد من دورية ولاية نيفادا ينتظرون هنري وشانون عند أطراف البلدة، لكن هنري وشانون لم يرياهم أبداً. المسافة خمسون كيلومتراً بين ديث وإلكو، وقطَعَ هنري خمسة وأربعين منها فقط.

بعد حدود البلدة بقليل (ولا يزالان بعيدين جداً عن أطراف القرية)، انتهى حظ هنري بالكامل. فمع صراخ شانون وإمساكها بطنها وهي تنزف بقوة على المقعد، لا شك أنه كان يقود بسرعة -

بسرعة فائقة. أو ربما فقط ارتطم بحفرة على الطريق. في الحالتين، انزلَقت الفورد إلى الخندق وتوقفت عن العمل. جلسا هناك في ذلك الفراغ الصحراوي بينما راحت الرياح العاتية تطاير الثلوج من حولهما، وبماذا كان هنري يفكِّر؟ أن ما فعلناه في نبراسكا قاده والفتاة التي يحبّها إلى ذلك المكان في نيفادا. لم تُخبِرني أرليت ذلك، لكن لم تكن مضطرة أن تفعل ذلك. كنتُ أعرف.

لمحَ شبح مبنى عبر الثلج السميك، وأخرَجَ شانون من السيارة. تمكّنت من أن تخطو بضع خطوات في الرياح، ثم لم تعد قادرة على السير أبداً. الفتاة التي تستطيع حلّ مسائل المفلّفات والتي قد تتخرَّج كأول أنثى من المدرسة العادية في أوماها ألقت برأسها على كتف رجلها اليافع وقالت، "لا يمكنني السير أكثر يا حبيبي، ضعني على الأرض".

"ماذا بشأن الطفل؟"، سأل.

"الطفل مات، وأريد أن أموت أنا أيضاً"، قالت. "لا يمكنني تحمّل الألم. إنه فظيع. أحبك، لكن ضعني على الأرض".

لكنه حَمَلها إلى ذلك المبنى الشبح، الذي تبيَّن أنه كوخ سلكيّ لا يختلف كثيراً عن الكوخ القريب من بويز تاون، الكوخ المطلي على جانبه صورة باهتة لزجاجة رويال كراون كولا. كان هناك موقد، لكن لا حطب. خرَج وأحضرَ بضع قِطع من بقايا الخشب قبل أن يغطيها الثلج، وعندما عاد إلى الداخل، كانت شانون فاقدة الوعي. أشعَلَ هنري الموقد، ثم وضع رأسها على حُضنه. تُوفِّيت شانون كوتيري قبل أن تصبح النار الصغيرة التي أشعلها جمراً، ثم بقي هنري لوحده، جالساً على غطاء وضيع في كوخ سلكيّ تمدَّد عليه عشرة رعاة بقر قذرين قبله، ثملين في أغلب الأحيان أكثر مما كانوا واعين. جلَس هناك يمسِّد شعر

شانون بينما راحت الرياح تزعَق في الخارج وسقف القصدير يرتعش.

أخبَرَتني أرليت كل هذه الأشياء في يوم كان لا يزال فيه ذلك الولدان البائسان حيَّين. أخبَرَتني كل هذه الأشياء بينما تزحَف الجرذان حولي ورائحتها الكريهة تملأ أنفي، ويدي الملتهبة المتورّمة تؤلِمني كثيراً.

توسَّلتُها أن تقتلني، أن تفتح حنجرتي مثلما فتَحتُ لها حنجرتها، ورفضت.

كان هذا انتقامها.

ربما كان قد مرَّ يومان عندما وصل زائري إلى المزرعة، أو حتى ثلاثة، لكنني لا أظن ذلك. أظن أنه كان يوماً واحداً فقط. فلا أظن أنني كنتُ لأصمد يومين أو ثلاثة أيام أخرى من دون مساعدة. فقد توقَفتُ عن الأكل والشرب تقريباً. ومع ذلك، تمكّنت من النهوض من السرير وترنَّحتُ إلى الباب عندما بدأ الطرق عليه. ظنَّ جزءٌ مني أنه قد يكون هنري، لأن جزءاً مني كان لا يزال يجرؤ على الأمل أن زيارة أرليت كانت وهماً بسبب الهذيان... وأنها كذَبت، حتى لو كانت زيارتها حقيقية.

كان المأمور جونز. ارتخت رُكبتاي عندما رأيته، وسقطتُ إلى الأمام. لو لم يلتقطني، لكنتُ تطوَّحتُ خارجاً إلى الشرفة. حاوَلتُ أن أُخبره عن هنري وشانون – وأن شانون ستُصاب بطلق ناري، وأن المطاف سينتهي بهما في كوخ سلكيّ عند ضواحي إلكو، وأن عليه، أي المأمور جونز، أن يتصل بأحدهم ويوقف ذلك قبل حصوله. لكن كل ما صدَرَ مني كان كلاماً مشوَّهاً، لكنه التقَط الإسمين.

"لقد فرّ معها، طبعاً"، قال جونز. "لكن إذا كان هارل قد أتى

وأخبرَك ذلك، لماذا تركك *في هذه الحالة*؟ ما الذي عضّك؟".

"جرذ"، تمكّنتُ من أن أقول.

لفَّ ذراعه حولي ونقلني نزولاً على سلالم الشرفة ونحو سيارته. كان جورج الديك مستلقٍ مجمَّداً على الأرض بجانب كومة الحطَب، والأبقار تخور. متى أطعمتها لآخر مرة؟ لا يمكنني أن أتذكَّر.

"المأمور، عليك أن –"

لكنه قاطعني. ظنَّ أنني أهذو، ولما لا؟ كان يمكنه الشعور بالحمى تكويني ورآها تتوهَّج على وجهي. لا بدّ أنه شعَرَ كما لو أنه يحمل فرناً. "عليك أن توفّر قوتك. ويجب أن تكون ممنوناً لأرليت، لأنه لولاها لما كنتُ قد أتيتُ إلى هنا أبداً".

"ميتة"، تمكّنتُ من أن أقول.

"نعم. إنها ميتة".

فأخبرْتُه عندها أنني قتلتُها، وآه كم كان ذلك مريحاً. لقد فُتح أنبوب مسدود داخل رأسي بشكل عجيب، واختفى أخيراً الشبح الملوَّث الذي كان عالقاً هناك.

رماني في سيارته مثل كيس وجبة طعام. "سنتكلم عن أرليت، لكنني سآخذك إلى المستشفى الآن، وسأكون ممنوناً إذا لم تتقيأ في سيارتي".

بينما قاد سيارته إلى خارج الفناء، تاركاً الديك ميتاً والأبقار تخور خلفنا (والجرذان! لا تنساها!)، حاوَلتُ إخباره مرة أخرى أنه ربما لم يفُت الأوان بعد على هنري وشانون، وأنه ربما لا يزال ممكناً إنقاذهما. سمِعتُ نفسي أقول *هذه هي الأشياء التي يمكن أن تكون*، كما لو أنني

شبح احتفال الشتاء المستقبلي في قصة ديكنز. ثم أُغمي عليَّ. عندما استيقَظتُ، كان الثاني من ديسمبر، وكانت الصحف الغربية تحكي عن أن "قطّاع طرق الحب" تملَّصا من شرطة إلكو، وفرّا مرة أخرى. لم يُتوفّيا، لكن لا أحد يعرف ذلك بعد. ما عدا أرليت، بالطبع. وأنا.

رأى الطبيب أن الغنغرينا لم تصعد إلى ساعدي، وخاطر بحياتي بأن بتر يدي اليسرى فقط. كانت هذه مخاطرة فاز فيها. فبعد خمسة أيام على نقل المأمور جونز لي إلى المستشفى في هيمينغفورد سيتي، أصبحتُ طيفاً شاحباً مستلقياً على سرير المستشفى، أخفّ وزناً بأحد عشر كيلوغراماً وناقصاً يدي اليسرى، لكن حيّاً.

أتى جونز لرؤيتي بوجه جدّي. انتظَرتُه أن يُخبرني أنه يعتقلني بتهمة قتل زوجتي، ثم يكبِّل يدي المتبقية بعمود سرير المستشفى. لكن ذلك لم يحصل أبداً. بل أخبرني كم تؤسفه خسارتي. خسارتي! ماذا يعرف هذا الأحمق عن الخسارة؟

لماذا أجلس في غرفة الفندق الوضيع هذا (لكن ليس لوحدي!) بدلاً من الجلوس في قبر قاتلٍ؟ سأُخبِرك بكلمتين: أمي.

مثل المأمور جونز، كانت لديها عادة حشو محادثتها بأسئلة بلاغية. في حالته، كانت هذه وسيلة تحادثيّة اكتسبها من عمره الطويل في فرض القانون – يسأل أسئلته الصغيرة الساذجة، ثم يراقب أي ردة فعل ذنب من الشخص الذي يكلّمه: جفول، عبوس، حركة صغيرة من العينين. أما في حالة أمي، فكانت مجرد عادة تخاطبية اكتسبتها من أمها، التي كانت إنكليزية، ومرَّرتها لي. لقد فقدتُ أي لكنة بريطانية

خفيفة ربما كانت لديَّ فيما مضى، لكنني لم أفقد أبداً طريقة أمي في تحويل الجمل إلى أسئلة. *من الأفضل أن تدخل الآن، أليس كذلك؟* ستقول. أو *نسي أبوك غداءه مرة أخرى؛* سيكون *عليك أخذه إليه، هلاّ أخذته؟* حتى التعليقات على حالة الطقس تضمَّنت أسئلة: *يوم ماطر آخر، ألا توافق؟*

رغم أنني كنتُ محموماً ومريضاً جداً عندما أتى المأمور جونز إلى الباب في ذلك اليوم أواخر نوفمبر، لم أكن أهذي. أتذكَّر محادثتنا بوضوح، مثلما قد يتذكَّر الرجل أو المرأة صوراً من كابوس واضح جداً.

يجب أن تكون ممنوناً لأرليت، لأنه لولاها لما كنتُ قد أتيتُ إلى هنا أبداً، قال.

ميتة، ردَدتُ.

المأمور جونز: *نعم. إنها ميتة*.

ثم، تكلَّمتُ مثلما تعلَّمتُ أن أتكلم على ركبة أمي: *لقد قتلتها، أليس كذلك؟*

اعتبرَ المأمور جونز طريقة أمي البلاغية (وطريقته، لا تنسَ) سؤالاً حقيقياً. بعد سنوات - كان ذلك في المَصنع الذي وجَدتُ وظيفة فيه بعدما خسِرتُ المزرعة - سمِعتُ مراقب عمال يوبِّخ موظفاً لإرساله طلبيةً إلى ديموين وليس إلى دافنبورت قبل أن يستلم الموظف نموذج الشحن من مكتب الاستقبال. *لكننا دائماً نرسل طلبيات الأربعاء إلى ديموين*، احتجّ الموظف الذي سيُطرَد قريباً. *افترَضتُ ببساطة* -

الافتراض يجعلك ويجعلني نبدو أغبياء، ردَّ مراقب العمال. أظن أن هذا قول قديم، لكنني أسمعُه لأول مرة. وهل من العجب أنني تذكّرتُ

عندها المأمور فرانك جونز؟ فقد أنقذتني عادة أمي في تحويل الجمل إلى أسئلة من الكرسي الكهربائي. لم أُحاكَم أبداً من هيئة محلّفين على جريمة قتل زوجتي.

حتى الآن، بطبيعة الحال.

إنهم هنا معي، أكثر من اثني عشر بكثير، مصطفين عند الجدار على مدار الغرفة، يراقبونني بعيونهم الزيتية. إذا دخَلت خادمة مع ملاءات نظيفة ورأت أعضاء هيئة المحلّفين الغاضبين أولئك، لركضت وهي تزعق، لكن لن تأتي أي خادمة؛ فقد علَّقتُ لافتة عدم الإزعاج على الباب منذ يومين، ولا تزال هناك منذ ذلك الحين. لم أخرج. أظن أنني أستطيع طلب أن يُرسَل لنا الطعام من المطعم في آخر الشارع، لكنني أشك أن الطعام سيُفرحهم. لستُ جائعاً، على أي حال، لذا هذه ليست تضحية كبيرة. لا يزالون صابرين حتى الآن، أعضاء هيئة محلّفيني، لكنني أشك أن يبقوا هكذا لفترة أطول بكثير. فمثل أي هيئة محلّفين، تجدهم متلهّفين لتقديم الشهادة لكي يمكنهم إصدار حُكمهم، واستلام رسمهم الرمزي (الذي سيُدفَع لحماً في هذه الحالة)، ويعودون إلى منازلهم وعائلاتهم. لذا عليَّ أن أنهي. لن يطول الأمر. فقد انتهى العمل الشاق.

ما قاله المأمور جونز عندما جلَس بجانب سريري في المستشفى، "أظن أنك رأيتَه في عينيَّ. أليس هذا صحيحاً؟".

كنتُ لا أزال رجلاً مريضاً جداً، لكنني تعافيتُ كفاية لأكون حذِراً. "رأيتُ ماذا أيها المأمور؟".

"ما أتيتُ لأُخبرك إياه. لا تتذكَّر، أليس كذلك؟ حسناً، لستُ متفاجئاً. كنتَ مريضاً جداً يا وِيلف. كنتُ متأكداً إلى حد كبير أنك ستموت، وظننتُ أن ذلك سيحصل قبل أن أتمكن من إيصالك إلى البلدة".

"هل الموضوع عن هنري؟ هل أتيتَ لتُخبرني شيئاً عن هنري؟".

"لا"، قال، "عن أرليت. خبر سيئ، الأسوأ، لكن لا يمكنك أن تلوم نفسك. فالأمر ليس كما لو أنك طردتها من المنزل بعصا". مال إلى الأمام. "ربما تكوَّنت لديك فكرة أنك لا تروق لي يا وِيلف، لكن هذا ليس صحيحاً. هناك البعض في تلك الأنحاء الذين لا تروق لهم - وكلانا يعرف عمَن أتكلم، أليس كذلك؟ - لكن لا تشملني معهم لمجرد أن عليَّ أخذ مصالحهم بعين الاعتبار. لقد أزعجتني مرة أو مرتين، وأظن أنك كنتَ لتبقى صديقاً لهارل كوتيري لو أبقيتَ اللجام على إبنك مشدوداً أكثر قليلاً، لكنني لطالما احترَمتُك".

أنا أشكّ بذلك، لكنني أبقيت فمي مغلقاً.

"أما بالنسبة لما حصل لأرليت، سأقوله مرة أخرى، لأنه يحتمل التكرار: لا يمكنك أن تلوم نفسك".

لا يمكنني؟ شعرتُ أن *هذا* استنتاجاً غريباً حتى بالنسبة لرجل قانون لن يُخلَط بينه وبين شيرلوك هولمز أبداً.

"هنري في ورطة، إذا كانت بعض التقارير التي تصلني صحيحة"، قال بحدّة، "وقد سحَب شان كوتيري معه إلى الماء الساخن. سيغليهما على الأرجح. يكفيك هذا حتى الآن من دون أن تدّعي مسؤولية موت زوجتك أيضاً. لستَ مضطراً أن -"

"فقط أخبرني"، قلتُ.

قبل يومين من زيارته - ربما اليوم الذي عضّني فيه الجرذ، وربما لا، لكن حوالي تلك الفترة - رأى مُزارعٌ متوجّهٌ إلى لايم بيسكا مع آخر محصوله ثلاثة كلاب برية تتشاجر فوق شيء يبعُد حوالي عشرين متراً شمالي الطريق. كان سيتابع طريقه على الأرجح لو لم ير أيضاً حذاءً نسائياً جلدياً لمّاعاً في الخندق. توقَف، وأطلق النار من بندقيته ليُبعِد الكلاب البرية، وتقدَّم إلى الحقل ليتفحَّص ذلك الشيء. ما وجَده كان هيكلاً عظمياً لإمرأة في فستان ممزَّق وبعض قِطع اللحم القليلة التي لا تزال عالقة عليها. وما بقي من شعرها كان بنّياً باهتاً، وهو اللون الذي سيصبح عليه شعر أرليت الكستنائي بعد أشهر في الطبيعة.

"اختفى سنّان من أسنانها الخلفية"، قال جونز. "هل كانت أرليت تفتقد لسنَّين خلفيين؟".

"نعم"، كذَبتُ. "فقدتهما من التهاب اللثة".

"عندما زرتكما في ذلك اليوم بعد أن فرَّت مباشرة، قال إبنك إنها أخذت مجوهراتها الجيدة".

"نعم". المجوهرات التي كانت في البئر الآن.

"وعندما سألتُك إن كان قادرة على الوصول إلى أي مال، ذكرَت لي 200 دولار. أليس هذا صحيحاً؟".

آه نعم. المال الوهمي الذي يُفترَض أن تكون أرليت قد أخذته من خزانة ملابسي. "هذا صحيح".

كان يومئ برأسه. "حسناً، هذا هو الجواب، هذا هو الجواب. بعض المجوهرات وبعض المال. هذا يفسِّر كل شيء، ألا تعتقد؟".

"لا أفهم -"

"لأنك لا تنظر إليه من وجهة نظر رجل قانون. لقد سُرقَت على الطريق، هذه الحكاية ببساطة. لا شكّ أن شريراً ما رأى امرأة تسافر مجاناً مع الآخرين بين هيمينغفورد ولايم بيسكا، فأقلّها في سيارته، وقتلها، وسرق ما معها من مال ومجوهرات، ثم نقل جثتها بعيداً كفاية إلى أقرب حقل لكي لا يستطيع أحد أن يراها من الطريق". يمكنني أن أرى من وجهه الكئيب أنه يعتقد أنها ربما تعرَّضت للاغتصاب إلى جانب السرقة، وأنه من الأفضل على الأرجح أنه لم يبق الكثير منها لإظهار ذلك.

"هكذا إذاً"، قلتُ، وكنتُ قادراً بطريقة أو بأخرى على منع نفسي من الضحك إلى أن غادر. ثم استدرتُ، ورغم أنني خبطتُ ساعدي المبتور خلال فعل ذلك، بدأتُ أضحك. طمَرتُ وجهي في وسادتي، لكن حتى ذلك لم يكبت الصوت. عندما أتت الممرضة - وكانت عجوزاً عدوانيةً بشعةً - ورأت الدموع تسيل على وجهي، افترَضت (وهذا يجعلك ويجعلني غبيين) أنني أبكي. لانت قليلاً، وهذا شيء كنتُ لأظنّ أنه غير ممكن، وأعطتني حبة مورفين إضافية. فأنا، في النهاية، الزوج الحزين والأب الثكلان. وأستحق المواساة.

وهل تعرف لماذا كنتُ أضحك؟ هل كان حُسن نية جونز غباءً؟ الظهور المحظوظ لمتشرّدة أنثى ميتة ربما يكون رفيقها في السفر قد قتلها بينما كانا ثملين؟ كان هذين الأمرين، لكنه الحذاء في الأغلب. فالمُزارع توقف فقط ليتحقَّق عما كانت الكلاب البرية تتشاجر عليه لأنه رأى حذاء نسائياً جلدياً لمّاعاً في الخندق. لكن عندما سأل المأمور جونز عن الحذاء في المنزل في ذلك اليوم في الصيف الماضي، أخبَرته أن حذاء

أرليت *القماشي* هو الذي اختفى. لقد نسي الأحمق.

ولم يتذكَّر أبداً.

عندما عدتُ إلى المزرعة، كانت كل ماشيتي تقريباً ميتة. الناجية الوحيدة كانت أخيلوا، التي نظرت إليَّ بعينين موبِّختين تتضوَّران جوعاً وخارت بحزن. أطعَمتُها بمحبة مثلما ستُطعِم حيواناً أليفاً، وهذا ما كانت عليه حقاً. ماذا ستسمّي حيواناً لم يعد يستطيع أن يساهم في رزق العائلة؟

كان هناك زمن سيعتني فيه هارلان، بمساعدة زوجته، بمنزلي بينما أكون في المستشفى؛ هكذا يتصرّف الجيران في الوسط. لكنه بقي بعيداً حتى بعد بدء الضوضاء الحزينة لأبقاري المُحتضَرة المنجرفة إلى حقوله بينما يتناول عشاءه. لو كنتُ مكانه، لربما فعلتُ الشيء نفسه. فمن وجهة نظر هارل كوتيري (والعالم)، لم يكتفِ إبني بإيذاء إبنته؛ بل تبِعها إلى المكان الذي كان يجب أن يكون ملجأها، وسرقها، وأجبرها على حياة الجريمة. آه كم ستكون رواية "قطّاع طرق الحب" تلك قد أثَّرت على أبيها! مثل الحمض!

في الأسبوع التالي – في حوالي فترة تعليق زينة احتفال الشتاء في بيوت المزارع وعلى الشارع الرئيسي في هيمينغفورد هوم – جاء المأمور جونز إلى مزرعتي مرة أخرى. نظرة واحدة إلى وجهه أخبرتني ما هي الأخبار التي يحملها، وبدأتُ أهزّ رأسي. "لا. كفى. لم أعد أحتمل. لا أستطيع أن أحتمل. اذهب".

دخلتُ المنزل وحاوَلتُ أن أُغلق الباب في وجهه، لكنني كنتُ ضعيفاً وبيد واحدة، ودفعَ بنفسه إلى الدخول بسهولة. "تمالك نفسك

يا وِيلف"، قال. "ستجتاز هذا". كما لو أنه كان يعرف عما يتكلم.

نظَرَ إلى الخزانة التي يوجد عليها كوب شراب الشعير الخزفي المزخرف، ووجد زجاجتي المستنفدة من الشراب الاسكتلندي، وصبَّ آخر قطرات منها في الكوب، وأعطاني إياه. "لن يوافق الطبيب على هذا"، قال، "لكنه ليس هنا وستحتاج إلى هذا".

تم العثور على قطّاع طرق الحب في مخبأهما الأخير، شانون ميتة من رصاصة صاحب المطعم، وهنري من رصاصة أطلقها على دماغه. نُقلت الجثتان إلى مَشرَحة إلكو، بانتظار التعليمات. سيهتمّ هارلان كوتيري بجثة إبنته، لكنه لا يريد أي علاقة بجثة إبني. بالطبع لا. فعلتُ ذلك بنفسي. وصل هنري إلى هيمينغفورد بالقطار في الثامن عشر من ديسمبر، وكنتُ في المحطة، إلى جانب عربة سوداء مخصصة لدفن الموتى من متجر الإخوة كاستينغز. التُقطَت صورتي بشكل متكرر. وسُئلتُ أسئلة لم أحاول حتى الإجابة عليها. وقال العنوان الرئيسي في صحيفة وورلد هيرالد والصحيفة الأقل انتشاراً بكثير هيمينغفورد ويكلي الجملة "الأب الثكلان".

لكن لو رآني المراسِلون الصحفيون في مكان الدفن، عندما فُتح صندوق الصنوبر الرخيص، لكانوا رأوا حزناً حقيقياً؛ ولكانوا استخدموا جملة "الأب الصارِخ". الرصاصة التي أطلقها إبني على صدغه جالساً ورأس شانون على حُضنه تضخَّمت أثناء اجتيازها دماغه وجعلت قطعة كبيرة من جمجمته تتطاير على الجهة اليسرى. لكن هذا لم يكن الأسوأ. لقد اختفت عيناه. ومُضغَت شفته السفلى بحيث نتأت أسنانه في ابتسامة متجهّمة. وكل ما بقي من أنفه هو قطعة حمراء.

قبل أن يكتشف شرطيّ أو نائب المأمور الجثتين، أقامت الجرذان

وليمة صاخبة على إبني وحبيبته.

"أصلحه"، قلتُ لهربرت كاستينغز عندما أصبحتُ قادراً على التكلم بعقلانية مرة أخرى.

"سيد جايمس... سيدي... الأضرار...".

"أرى الأضرار. أصلحه. وأخرجه من هذا الصندوق اللعين. وضعه في أفخر تابوت لديك. لا تهمّني الكلفة. لديَّ المال". انحنيتُ وقبَّلتُ خده الممزَّق. لا يجب أن يضطر أي أب إلى تقبيل إبنه للمرة الأخيرة، لكن إذا كان هناك أي أب يستحق هكذا مصير، فهو أنا.

دُفن شانون وهنري في مدافن هيمينغفورد، شانون في الثاني والعشرين وهنري ليلة احتفال الشتاء. كانت دار العبادة ممتلئة بالكامل لشانون، وكان البكاء صاخباً كفاية ليرفع السقف. أعرف ذلك لأنني كنتُ هناك، على الأقل لبعض الوقت. وَقَفتُ في الخلف، دون أن يلحظني أحد، ثم تسلّلتُ إلى الخارج في منتصف تأبين الموقَّر ثورسبي. أجرى الموقَّر ثورسبي مراسم جنازة هنري أيضاً، لكن لا داعي لأن أُخبرك أن الحضور كان أصغر بكثير. رأى ثورسبي شخصاً واحداً فقط، لكن كان هناك شخص آخر. كانت أرليت هناك، أيضاً، جالسة بجانبي، غير منظورة وتبتسم. وتهمس في أذني.

هل تعجبك كيف آلت إليه الأمور يا وِيلف؟ هل كان يستحق كل هذا؟

عند احتساب كلفة مراسم الجنازة، وتكاليف القبر، وتكاليف المَشرَحة، وكلفة شحن الجثة إلى البلدة، نجد أن عملية دفن إبني كلَّفت ما يزيد عن 300$ بقليل. دفعتُها من مال الرهن. ماذا يمكنني أن أفعل

غير ذلك؟ عندما انتهت مراسم الجنازة، عدتُ إلى منزل فارغ. لكنني اشتريت زجاجة شراب اسكتلندي أولاً.

كان العام 1922 يخبئ لي مفاجأة أخرى. بعد غد احتفال الشتاء، زأرت عاصفة ثلجية ضخمة من جبال الروكي، وطمرتنا بثلاثين سنتيمتراً من الثلج والرياح الهوجاء. مع هبوط الظلام، تحوَّل الثلج أولاً إلى مطر مُثلِج ثم إلى مطر غزير. وحوالي منتصف الليل، وأثناء جلوسي في القاعة المظلمة، أطبّب يدي المبتورة برشفات صغيرة من الشراب الاسكتلندي، سمعتُ صوت طحن من الجهة الخلفية للمنزل. لقد انهار السقف في تلك الجهة – الجزء الذي أخذتُ الرهن، جزئياً على الأقل، لأصلحه. حيَّيتُه بكوبي ثم أخذتُ رشفة أخرى. وعندما بدأت الرياح الباردة تهبّ حول كتفيَّ، أخذتُ معطفي عن خطّافه في المدخَل، وارتديته، ثم عدتُ وجلستُ وشربِتُ المزيد من الشراب الاسكتلندي. وكبَوتُ في مرحلة ما. أيقظني صوت طحن آخر حوالي الساعة الثالثة. كان النصف الأمامي للحظيرة هو الذي انهار هذه المرة. نجت أخيلوا مرة أخرى، وأدخلتُها إلى المنزل معي في الليلة التالية. لماذا؟ قد تسألني، وسيكون جوابي، لما لا؟ تباً، لما لا؟ كنا الناجيين الوحيدين.

في صباح احتفال الشتاء (الذي أمضيتُه في شرب الشراب الاسكتلندي في غرفة جلوسي الباردة، وبجانبي بقرتي الناجية)، عددتُ كم بقي معي من مال الرهن، وأدركتُ أنه لن يغطي أضرار العاصفة أبداً. لم أعد أهتمّ، لأنني فقدتُ رغبتي بالحياة الزراعية، لكن فكرة إقامة شركة فارينغتون مَسلَخاً للمواشي وتلويث النهر لا تزال تجعلني أطحن

أسناني من الغضب. خاصة بعد الثمن الباهظ الذي دفَعتُه لإبعاد يد الشركة عن تلك الفدادين المئة اللعينة جداً.

أدركتُ فجأة أنه بإعلان أرليت ميتة رسمياً وليس مفقودة، أصبحت تلك الفدادين مُلكي. لذا بعد يومين دستُ على كبريائي وذهَبتُ لأزور هارلان كوتيري.

كان الرجل الذي فتح لي الباب قد أصاب نجاحاً أفضل مني، لكن صدمات تلك السنة تركت أثرها الكثير عليه، مثلي تماماً. فَقَد بعضاً من وزنه، وبعضاً من شعره، وكان قميصه مجعّداً - رغم أنه لم يكن مجعَّداً مثل وجهه، والقميص، على الأقل، يمكن كيّه. بدا في الخامسة والستين بدلاً من في الخامسة والأربعين.

"لا تضربني"، قلتُ عندما رأيته يكوِّر قبضتيه. "اسمعني".

"لن أضرب رجلاً ذا يد واحدة فقط"، قال، "لكنني سأشكرك لو اختصرتَ كلامك. وعلينا أن نتكلم هنا على العتبة، لأن قدمك لن تطأ داخل منزلي مرة أخرى أبداً".

"لا بأس"، قلتُ. لقد فقدتُ وزناً أنا أيضاً - الكثير - وكنت أرتعش، لكن شعور الهواء البارد كان جيداً على يدي المبتورة، وعلى اليد غير المرئية التي لا تزال تبدو موجودة تحتها. "أريد أن أبيعك فداديني المئة يا هارل. المئة التي كانت أرليت مصمِّمة جداً على بيعها لشركة فارينغتون".

ابتسم، وتلألأت عيناه في مِحجريهما العميقين الجديدين. "تواجهك أوقات صعبة، أليس كذلك؟ انهار نصف منزلك ونصف حظيرتك. يقول هيرمي غوردون أن بقرةً تعيش معك في الداخل". كان

هيرمي غوردون ساعي البريد الريفي، وناقل إشاعات مشهور.

ذكرتُ له سعراً منخفضاً جداً لدرجة أن فكّه السفلي سقط وارتفع حاجباه. لاحَظتُ عندها رائحةً تفوح من بيت كوتيري الأنيق والحسن التجهيز بدت غريبة كلياً على ذلك المكان: طعام مقلي محروق. يبدو أن سالي كوتيري لم تكن مَن يطبخ. ربما كنتُ لأهتمّ بهكذا شيء فيما مضى، لكن ذلك الوقت مرّ. وكل ما يهمّني الآن هو التخلّص من الفدادين المئة. وبدا من الصواب أن أبيعها بثمن رخيص، بما أنها كلّفتني ثمناً باهظاً.

"هذا ثمن بخس جداً"، قال. ثم أضاف برضى واضح: "ستتقلّب أرليت في قبرها".

لقد فعلَتْ أكثر من مجرد التقلُّب فيه، فكّرت في سرّي.

"لماذا تبتسم يا وِيلف؟".

"لا شيء. ما عدا أنني لم أعد أهتم بتلك الأرض. الشيء الوحيد الذي يهمّني هو إبقاء مَسلَخ فارينغتون اللعين بعيداً عنها".

"حتى ولو خسرتَ منزلك؟". أومأ برأسه كما لو أنني سألتُ سؤالاً. "أعرف بأمر الرهن الذي أخذته. لا أسرار في بلدة صغيرة".

"حتى ولو كنتُ قد أخذتُ رهناً"، قلتُ موافقاً. "اِقبل العرض يا هارل. ستكون مجنوناً إن رفضته. سيمتلئ ذلك النهر بدم المواشي ووبرها وأمعائها – هذا نهرك أيضاً".

"لا"، قال.

حدَّقتُ فيه متفاجئاً جداً لكي أتمكن من قول أي شيء. لكنه أومأ برأسه مرة أخرى كما لو أنني سألتُ سؤالاً.

"تعتقد أنك تعرف ماذا فعلتَ بي، لكنك لا تعرفه كله. سالي هجرتني. ذهبت لتقيم مع أهلها في ماكوك. تقول إنها قد تعود، وتقول إنها ستفكّر بالأمر، لكنني لا أعتقد أنها ستعود. لذا هذا يضعك ويضعني في نفس العربة القديمة المحطَّمة، أليس كذلك؟ نحن رجلان بدأا هذه السنة مع زوجتين وأنهياها من دونهما. نحن رجلان بدأا السنة مع ولدَين حيَّين وأنهياها مع ولدَين ميتين. الفرق الوحيد الذي يمكنني رؤيته هو أنني لم أخسر نصف منزلي ومعظم حظيرتي في العاصفة". ثم راح يفكِّر. "ولا تزال لديَّ يداي الاثنتان. هذا كل ما في الأمر، أُظن. عندما تتعلق المسألة بقول نكات غريبة – في حال شعرتُ برغبة بفعل ذلك – سيكون لديَّ خيار بين أي واحدة سأستخدم".

"ما... لماذا ستهجرك –"

"آه، استخدم رأسك. إنها تلومني وتلومك على موت شانون. قالت إنني لو لم أتعجرف وأرسل شان بعيداً، لكانت لا تزال حيّة وتعيش مع هنري في مزرعتك في آخر الطريق بدلاً من جلوسها مجمَّدة في صندوق تحت الأرض. تقول إنه كان ليكون لديها حفيد. وسمّتني مغفَّلاً يدّعي الحق لنفسه، وهي محقة".

مددتُ له يدي السليمة. فصفَعها ليُبعدها عنه.

"لا تلمسني يا وِيلف. لن تنال سوى تحذير واحد بشأن هذا".

أعدتُ يدي إلى جنبي.

"شيء واحد أنا واثق منه"، قال. "لو قبلتُ عرضك، مهما يكن مغرياً، سأندم على ذلك. لأن تلك الأرض ملعونة. قد لا نتفق على كل شيء، لكن أنا أكيد أننا سنتفق على ذلك. إذا كنت تريد بيعها،

بِعها إلى المصرف. ستستعيد أوراق رهنك، وبعض المال الإضافي".

"سيبيعونها إلى فارينغتون فوراً!".

"يا مسكين"، كانت هذه كلمته الأخيرة قبل أن يُغلق الباب في وجهي.

في اليوم الأخير من السنة، ذهبتُ إلى هيمينغفورد هوم وقابلتُ السيد ستوبنهاوزر في المصرف. أخبَرتُه أنني قرّرتُ أنني لم أعد قادراً على العيش في المزرعة. أخبَرتُه أنني أودّ أن أبيع أرض أرليت إلى المصرف وأستخدم الثمن لأسدِّد الرهن. لكنه رفض، على غرار هارلان كوتيري. بقيت جالساً على الكرسي للحظة أو لحظتين أنظر إلى مكتبه فقط، غير قادر على تصديق ما سمِعتُه.

"لما لا؟ إنها أرض جيدة!".

أخبرني أنه يعمل في مصرف، والمصرف ليس وكالة عقارية. ناداني بالسيد جايمس. لقد ولّت الأيام التي كنتُ فيها وِيلف في ذلك المكتب.

"هذا...". كانت كلمة "مضحك" هي التي خطرت على بالي، لكنني لم أرغب أن أخاطر بإهانته إذا كانت هناك فرصة ولو ضئيلة بأن يغيِّر رأيه. بعدما اتّخذت قرار بيع الأرض (والبقرة، سيكون عليَّ إيجاد مشترٍ لأخيلوا، أيضاً، ربما شخص غريب يحمل كيس حبوب عجيبة ليقايضني بها)، تملّكتني الفكرة بقوة كبيرة. لذا أبقيتُ صوتي منخفضاً وتكلّمتُ بهدوء.

"هذا ليس صحيحاً تماماً يا سيد ستوبنهاوزر. المصرف اشترى أرض رايدآوت الصيف الفائت عندما طُرحت في المزاد العلني. وأرض

الثلاثي ميم أيضاً".

"تلك الحالات كانت مختلفة. لدينا رهن على فدادينك الثمانين الأصلية ونحن سعداء بها. ولا يهمّنا ما تفعله بفدادين المرعى المئة تلك".

"مَن أتى ليقابلك؟"، سألتُ، ثم أدركتُ أنني غير مضطر إلى ذلك. "لستر، أليس كذلك؟ أجير كول فارينغتون".

"ليست لديَّ أي فكرة عما تتكلم"، قال ستوبنهاوزر، لكنني رأيتُ الاضطراب في عينيه. "أعتقد أن حزنك و... إصابتك... أثّرت مؤقتاً على قدرتك على التفكير بوضوح".

"آه لا"، قلتُ، وبدأتُ أضحك. كان صوتاً غير متوازن بشكل خطير، حتى لأذنيَّ. "لم أفكِّر بوضوح أكثر من هذا أبداً في حياتي يا سيد. أتى لرؤيتك - هو أو شخص آخر، وأظن أن كول فارينغتون يستطيع أن يتحمّل كلمة المحافظة على كل المخادِعين الذين يريدهم - وأبرَمتَ اتفاقاً معه. لقد *ت-ت-تآمرت!*". كنتُ أضحك أقوى من أي وقت مضى.

"سيد جايمس، أخشى أن عليَّ أن أطلب منك أن تغادر".

"ربما خططتما كل شيء مقدماً"، قلتُ. "ربما لهذا السبب كنتَ متحمساً جداً لتكلمني عن الرهن اللعين من المقام الأول. أو ربما عندما سمع لستر عن إبني، رأى فرصة ذهبية ليستفيد من محنتي وأتى مُسرعاً إليك. ربما جلَس على هذا الكرسي بالذات وقال، 'هذا سيُفيد كلينا - أنت تحصل على المزرعة، وعميلي يحصل على الأرض التي بجانب الجدول، وليذهب ويِلف إلى الجحيم'. أليس هذا ما حصل؟".

ضغطَ زراً على مكتبه، وفُتح الباب الآن. كان مجرد مصرف صغير جداً ليوظِّف حارس أمن، لكن أمين الصندوق الذي أطلَّ برأسه كان فتى قوي العضلات. أحد أفراد عائلة روورباكر، من مظهره؛ كان والده زميلاً لي في المدرسة، وكان هنري ليزامل أخته الصغرى، ماندي.

"هل هناك مشكلة سيد ستوبنهاوزر؟"، سأل.

"ليس إذا غادر السيد جايمس الآن"، قال. "هلاّ رافقته إلى الخارج يا كيفن؟".

دخَل كيفن، وعندما كنتُ بطيئاً في النهوض، أطبقَ يده فوق مِرفقي الأيسر. كان يرتدي مثل مصرفي، نزولاً حتى حمّالات السروال وربطة العنق الفراشية، لكن يده كانت يد مُزارع، قاسية وخشنة. أعطتني يدي المبتورة التي لا تزال تتعافى تحذيراً مؤلماً.

"رافقني يا سيد"، قال.

"لا تسحبني"، قلتُ. "يؤلمني حيث كانت يدي".

"رافقني بهدوء إذاً".

"كنتُ زميلاً لأبيك في المدرسة. كان يجلس بجانبي وأغشّشه من ورقتي خلال أسبوع اختبارات الربيع".

رفعني عن الكرسي الذي نُوديت عليه وِيلف في يوم من الأيام. العزيز وِيلف، الذي سيكون مغفَّلاً لو لم يأخذ رهناً. كاد الكرسي يقع.

"كل عام وأنت بخير يا سيد جايمس"، قال ستوبنهاوزر.

"وأنت أيضاً أيها المخادِع اللعين"، ردَدتُ. رؤية الصدمة على وجهه قد تكون آخر شيء جيد يحصل لي في حياتي. لقد بقيتُ

أجلس هنا لخمس دقائق، أمضغ طرف قلمي وأحاول التفكير بشيء واحد منذ ذلك الحين - كتاب جيد، وجبة طعام جيدة، بعد ظهر لطيف في المنتزه - ولم أتمكن.

رافقني كيفن روورباكر عبر الردهة. أظن أن هذا هو الفعل الصحيح؛ لم يكن جرّاً بكل معنى الكلمة. كانت الأرضية من الرخام، وتردَّد صدى وقع قدمَينا عليها. وكانت الجدران من السنديان الداكن. وعند نوافذ أمناء الصندوق، جلست امرأتان تخدمان مجموعة صغيرة من زبائن نهاية السنة. كانت إحداهما يافعةً والأخرى عجوزاً، لكن تعبيرهما المشدوه كان متماثلاً. ومع ذلك لم تكن حشريتهما الكبيرة هي التي لفتت لي نظري؛ بل شيء آخر كلياً. قضيب من السنديان عرضه ثماني سنتيمترات يمتدّ فوق نوافذ أمناء الصندوق، ويهروِل عليها بنشاط -

"احذري من الجرذ!"، صحتُ وأشرت بإصبعي.

صرخت أمينة الصندوق اليافعة صرخة صغيرة، ورفعت نظرها، ثم تبادَلت نظرة مع نظيرتها العجوز. لم يكن هناك جرذ، فقط ظل مروحة السقف. والآن أصبح الجميع ينظرون إليَّ.

"حدِّقوا قدر ما تشاؤون!"، قلتُ لهم. "انظروا بنَهَم! انظروا إلى أن تقع عيونكم اللعينة!".

ثم أصبحتُ في الشارع، أزفر هواء الشتاء البارد الذي بدا مثل دخان السيجارة. "لا تعُد إلا إذا كان لديك عمل لتقوم به"، قال كيفن. "وإلا إذا كنتَ قادراً على صون لسانك".

"كان أبوك أكبر غشّاش لعين زاملتُه في المدرسة"، قلتُ له. أردتُه أن يضربني، لكنه عاد ودخل ببساطة وتركني لوحدي على الرصيف،

أقف أمام شاحنتي القديمة المترهِّلة. وبهذه الطريقة أمضى وِيلفْرَد ليلاند جايمس زيارته إلى البلدة في اليوم الأخير من عام 1922.

عندما وصلتُ إلى المنزل، كانت أخيلوا لم تعد داخله. كانت في الفناء، جالسةً على جنبها وتنفخ سُحُب بخار أبيض هي أيضاً. يمكنني رؤية آثار الأقدام على الثلج حيث قفزت عن الشرفة، والأثر الكبير حيث حطَّت بشكل سيئ وكسرت قائمتيها الأماميتين. يبدو أن حتى البقرة البريئة لا تستطيع أن تنجو بحياتها بالقرب مني.

ذهَبتُ إلى المدخَل لأُحضِر بندقيتي، ثم دخلتُ المنزل، لأرى – إن استطعتُ – ما الذي أخافها بشكل كبير لدرجة أنها تركت ملجأها الجديد لتعدو بكل قوتها. كانت الجرذان، بالطبع. ثلاثة منها تجلس على صِوان السفرة العزيز على قلب أرليت، وتنظر إليَّ بعيونها السوداء والوقورة.

"عودي وقولي لها أن تتركني وشأني"، أخبرَتُها. "قولي لها إنها سبَّبت ما يكفي من أضرار".

بقيت تجلس وتنظر إليَّ بأذيالها المكوَّرة حول أجسادها الممتلئة السوداء الرمادية. لذا رَفَعتُ بندقيتي وأطلقتُ رصاصة على الجرذ الذي في الوسط. مزَّقته الرصاصة ولطَّخت أشلاؤه كل ورق الجدران الذي اختارته أرليت بعناية فائقة قبل تسع أو عشر سنوات. عندما كان هنري لا يزال مجرد طفل صغير والأمور بين ثلاثتنا جيدة.

فرّ الآخران. عادا إلى نفقهما السري تحت الأرض، ليس لديَّ شك في ذلك. عادا إلى ملكتهما المتعفِّنة. وما ترَكاه خلفهما على صِوان سفرة زوجتي المتوفّاة كان كومات صغيرة من براز الجرذان وثلاث

أو أربع قِطع من كيس الخيش الذي أحضره هنري من الحظيرة في تلك الليلة في أوائل صيف 1922. لقد أتت الجرذان لتقتل بقرتي الأخيرة وتُحضِر لي قِطعاً صغيرةً من شبكة شعر أرليت.

ذهَبتُ إلى الخارج وربَّتُّ على رأس أخيلوا. مدَّدت عنقها إلى الأعلى وخارت بحزن. *اجعل هذا يتوقف. أنت السيد، أنت حاكم عالمي، لذا جعل هذا يتوقف.*

ففعلت.

كل عام وأنت بخير.

هذه كانت نهاية العام 1922، وهذه نهاية قصتي؛ وما تبقّى هو كلمة الختام. لن يضطر المبعوثون المزدحمون حول هذه الغرفة - كم سيصرخ مدير هذا الفندق القديم الممتاز إذا رآهم! - إلى الانتظار لفترة أطول بكثير ليُصدروا حُكمهم. هي القاضية، وهم هيئة المحلّفين، لكنني سأكون جلاّد نفسي.

خسِرتُ المزرعة، بالطبع. لا أحد، بما في ذلك شركة فارينغتون، أراد أن يشتري تلك الفدادين المئة إلى أن أخسر المنزل، وعندما انقضّ جزّارو المواشي أخيراً، أُجبرت على البيع بسعر منخفض جداً جداً. نجحت خطة لستر بشكل مثالي. وأنا أكيد أنها كانت خطته، وأكيد أنه نال علاوةً.

آه، حسناً؛ كنتُ سأخسر موطئ قدمي الصغير في مقاطعة هيمينغفورد حتى ولو كانت لديَّ موارد مالية للاستعانة بها، وهناك بعض العزاء السخيف في هذا. يقولون إن هذا الانهيار الاقتصادي بدأ يوم الجمعة الأسود من العام الماضي، لكن الناس في ولايات أمثال

كنساس وأيوا ونبراسكا يعرفون أنه بدأ في العام 1923، عندما قُتلت المحاصيل التي صمَدَت في وجه العواصف الفظيعة في ذلك الربيع على يد الجفاف الذي تلا ذلك، وهو جفاف دام لسنتين. والمحاصيل القليلة التي وجدت طريقها إلى أسواق المدن الكبرى وأسواق التبادل الزراعي في المدن الصغيرة لم تحصِّل أسعاراً مرتفعةً. صمد هارلان كوتيري حتى 1925 تقريباً، ثم استولى المصرف على مزرعته. وقعتُ على ذلك الخبر أثناء دراستي لائحة بنود مبيعات المصرف في وورلد هيرالد. ففي العام 1925، كانت هكذا لوائح بنود تحتل أحياناً صفحات كاملة في الصحيفة. بدأت المزارع الصغيرة تزول، وأظن أنها ستزول كلها في غضون مئة سنة – وربما 75 سنة فقط. في العام 2030 (إذا كان هناك هكذا عام)، ستصبح كل نبراسكا غرب أوماها مزرعة واحدة كبيرة. وستكون مُلك شركة فارينغتون على الأرجح، وأولئك المشؤومون كفاية ليعيشوا على تلك الأرض سيقضون أيامهم تحت سماء صفراء قذرة ويرتدون أقنعة غاز لكي لا يختنقوا من نتانة المواشي الميتة. *وكل نهر سيصبح أحمر من دم المذابح.*

في العام 2030، فقط الجرذان ستكون سعيدة.

هذا ثمن بخس جداً، هذا ما قاله هارلان في ذلك اليوم الذي عرضت عليه فيه أن يشتري أرض أرليت، وأُجبرت على بيعها في نهاية المطاف إلى كول فارينغتون لقاء ثمن بخس أكثر حتى. أندرو لستر، المحامي في القانون، أحضَر الأوراق إلى نُزُل هيمينغفورد سيتي حيث كنتُ أعيش وقتها، وابتسم بينما وقَّعتُها. بالطبع أنه ابتسم. كبار الشأن يفوزون دائماً. كنتُ مغفَّلاً لأظن أنه يمكنني أن أكون مختلفاً. كنتُ مغفَّلاً، وجميع مَن أحببتهم يوماً ما دفعوا الثمن. أتساءل أحياناً

إن عادت سالي كوتيري إلى هارلان، أو أنه ذهَب إليها في ماكوك بعد أن خسِر المزرعة. لا أعرف، لكنني أظن أن موت شانون أنهى على الأرجح ذلك الزواج السعيد سابقاً. السم ينتشر مثل الحبر في الماء.

في غضون ذلك، بدأت الجرذان تنتقل من نعال جدران هذه الغرفة. ما كان مربعاً أصبح دائرة مغلقة. هي تعرف أن هذا مجرد *أعقاب المسألة*، وأن أي شيء يأتي بعد فصل الختام لا يهمّ كثيراً. لكن سأنتهي. ولن يتمكنوا مني طالما أنا حيّ؛ سيكون الانتصار الصغير الأخير انتصاري. سترتي البنّية القديمة تتدلّى على الجهة الخلفية للكرسي الذي أجلس عليه. والمسدس في الجيب. بعدما أُنهي الصفحات القليلة الأخيرة من هذا الاعتراف، سأستخدمه. يقولون إن المنتحرين والقتلة يذهبون إلى الجحيم. إذا كان الأمر كذلك، سأعرف كيف أتنقّل هناك، لأنني عشت الجحيم طوال السنوات الثمانية الأخيرة.

ذهَبتُ إلى أوماها، وإذا كانت بالفعل مدينة مغفَّلين، مثلما كنتُ أدّعي سابقاً، فسأجد نفسي مواطناً مثالياً. شرعتُ في شرب فدادين أرليت المئة، وحتى الثمن البخس جداً احتاج إلى سنتين ليُصرَف. عندما لم أكن أشرب، كنتُ أزور الأماكن التي قضى فيها هنري الأشهر الأخيرة من حياته: متجر البقالة في لايم بيسكا الذي توجد فتاة ترتدي طاقيّة زرقاء على سطحه (كان قد أُغلق وقتها ورأيتُ لافتة على بابه تقول "للبيع من المصرف")، ومكتب الرهون في شارع دودج (حيث قلَّدتُ إبني واشتريت المسدس الذي في جيب سترتي الآن)، وفرع أوماها من المصرف الزراعي الأول. لا تزال أمينة الصندوق اليافعة جداً تعمل هناك، رغم أن كنيتها لم تعد بنمارك.

"شكرني عندما أعطيتُه المال"، أخبرَتني. "ربما سلك طريق الشر، لكن أحدهم ربّاه بشكل صحيح. هل كنتَ تعرفه؟".

"لا"، قلتُ، "لكنني عرَفتُ عائلته".

بالطبع ذهَبتُ إلى سانت يوسيبيا، لكنني لم أحاول الدخول والاستفسار عن شانون كوتيري من المسؤولة أو المديرة أو مهما يكن لقبها. كان مبنى بارداً وبغيضاً، ونوافذه الحجرية السميكة تعبِّر تماماً عن النظرة الحقيقية لمالكيه إلى النساء. مراقبة الفتيات الحوامل القليلات اللواتي كن يخرجن بعيونهن المسبلة وأكتافهن المحدَّبة أخبَرَتني كل شيء كنتُ بحاجة إلى معرفته عن رغبة شان الكبيرة في مغادرته.

شعَرتُ بقُرب غريب من إبني في الزقاق. كان الزقاق المجاور لصيدلية شارع غالاتن ونافورة المياه الغازية (متخصّصون في أفضل حلوى شرافت وفدج مصنوعين في البيت)، ويبعُد مربعين سكنيين عن سانت يوسيبيا. كان هناك قفص، جديد جداً ليكون على الأرجح القفص الذي جلس عليه هنري أثناء انتظاره فتاة مُغامِرة كفاية لتبادله معلومات بالسجائر، لكن يمكنني الإدعاء، وفعلتُ ذلك. كان هكذا إدعاء أسهل عندما أكون ثملاً، وكنتُ ثملاً جداً بالفعل في معظم زياراتي إلى شارع غالاتن. كنتُ أدّعي أحياناً أنه العام 1922 من جديد وأنني أنا مَن ينتظر فيكتوريا ستيفنسون. إذا أتت، سأعطيها كرتونة سجائر كاملة لكي تنقل رسالة واحدة: *عندما يأتي شاب يسمّي نفسه هانك إلى هنا، ويسألك عن شان كوتيري، أخبريه أن ينصرف من أمامك. أن يجرِّب خدعته في مكان آخر. أخبريه أن أباه يحتاج إليه في المزرعة، وأنهما قد يتمكّنان من إنقاذها إذا عملاً سويةً.*

لكن تلك الفتاة كانت بعيدةً عن متناولي. الفيكتوريا الوحيدة التي

التقيتُها كانت نسخة لاحقة عنها، النسخة التي لديها ثلاثة أولاد وسيمين واللقب المحترَم السيدة هاليت. توقَفتُ عن الشرب وقتها، ووجدتُ عملاً في مَصنع بيلت رايت للثياب، وأعدتُ تعريف نفسي على شفرة وصابون الحلاقة. بهذا المظهر المحترم المخادع، استقبلتني طوعياً بما يكفي. أخبَرتُها مَن أكون فقط لأن - إذا كنتُ سأكون صريحاً إلى النهاية - الكذب لم يكن خياراً. يمكنني أن أرى في الاتّساع البسيط في عينيها أنها لاحَظت الشبه.

"يا إلهي كم كان عذباً"، قالت. "ومغروماً جداً. آسفة بشأن شان أيضاً. كانت فتاة رائعة. قصتهما تشبه مأساة مأخوذة من روايات شكسبير، أليس كذلك؟".

لم أعد إلى زقاق شارع غالاتن بعد ذلك، لأن جريمة قتل أرليت بالنسبة لي سمَّمت حتى سيدة المنزل اليافعة البريئة هذه في أوماها. شعرَت أن وفاة هنري وشانون تشبه مأساة مأخوذة من روايات شكسبير. واعتقَدَت أن الأمر عاطفي. أتساءل إن كانت ستظل تعتقد ذلك لو سمِعت صراخ زوجتي الأخير من داخل كيس الخيش المشبَّع بالدم؟ أو ألقت نظرة خاطفة على وجه إبني الذي بلا عينين أو شفة؟

بقيتُ أعمل في وظيفتين خلال سنواتي في مدينة العبّارة، والمعروفة أيضاً بمدينة المغفَّلين. ستقول إنه من *الطبيعي* أن أعمل؛ وإلا لكنتُ عشتُ في الشارع. لكن الرجال الصادقين أكثر مني استمروا يشربون حتى عندما أرادوا التوقف، والرجال المحترمين أكثر مني انتهوا ينامون على المداخل. أفترض أنه يمكنني القول إنه بعد سنواتي الضائعة، بذلتُ جهداً إضافياً واحداً لأعيش حياةً فعليةً. ومرَّت عليَّ أوقات

صدَّقتُ فيها ذلك فعلاً، لكن التمدّد على السرير في الليل (والاستماع إلى هرولة الجرذان في الجدران - إنها رفيقاتي الدائمة) جعلني أعرف الحقيقة دائماً: كنتُ لا أزال أحاول الفوز. حتى بعد وفاة هنري وشانون، حتى بعد خسارة المزرعة، كنتُ أحاول أن أهزم الجثة الموجودة في البئر. هي *وأتباعها*.

كان جون هانراهان مراقب عمال التخزين في مَصنع بيلت رايت. لم يرغب أن يوظِّف رجلاً ذا يد واحدة فقط، لكنني توسَّلتُه أن يجرّبني، وعندما برهَنتُ له أنني قادر على جرّ منصة نقّالة محمَّلة بالكامل بقمصان أو أردية سروالية مثل أي عامل آخر من عمّاله، وظّفني. بقيتُ أجرّ تلك المنصات النقّالة لأربعة عشر شهراً، وغالباً ما أعود وأنا أعرج إلى النُزُل حيث أُقيم مع آلام مُبرحة في ظهري ويدي المبتورة. لكنني لم أشتكِ أبداً، وحتى وجدتُ الوقت لأتعلَّم الخياطة، التي كنتُ أمارسها في ساعة غدائي (والتي كانت مدتها رُبع ساعة في الواقع)، وخلال استراحتي بعد الظهر. وبينما كان الرجال الآخرون يتسكّعون على رصيف التحميل، يدخّنون ويتبادلون النكات القذرة، كنت أعلِّم نفسي خياطة الدرزات، أولاً على أكياس الخيش التي نستخدمها للشحن، ثم على الأردية السروالية التي كانت منتَج الشركة الرئيسي. وتبيَّن لي أنني أملك موهبة في ذلك؛ أستطيع حتى تركيب سحّاب، وهذه مهارة غير عادية على خط تجميع الزيّ. كنتُ أضغط يدي المبتورة على الزيّ لأثبّته في مكانه بينما تشغِّل قدمي الدوّاسة الكهربائية.

كان أجر الخياطة أفضل من أجر الجرّ، وكانت أسهل على ظهري، لكن طابق الخياطة كان مظلماً وكهفيّاً، وبعد حوالي أربعة أشهر بدأتُ أرى جرذاناً على جبال الأقمشة المدبوغة بالأزرق حديثاً وفي

الظلال تحت عربات النقل اليدوية التي تُحضِر قِطع العمل أولاً ثم تأخذها من جديد.

لفتُّ انتباه زملائي إلى تلك القوارض في عدة مناسبات. وادّعوا عدم رؤيتها. ربما لم يروها حقاً. أظن أنهم كانوا خائفين أكثر بكثير أن يُغلَق طابق الخياطة مؤقتاً لكي يستطيع صائدو الجرذان الدخول وإنجاز عملهم. وعندها قد يخسر طاقم الخياطة أجر ثلاثة أيام، أو حتى أسبوع. وهذا سيكون مأساوياً للرجال والنساء ذوي العائلات. كان أسهل عليهم إخبار السيد هانراهان أنني أتوهَّم الأشياء. فهِمتُ. وعندما بدأوا يسمّونني وِيلف المجنون؟ فهِمتُ ذلك أيضاً. لم يكن هذا سبب استقالتي.

استقلتُ لأن الجرذان بقيت تتقدَّم.

كنتُ قد ادَّخرت قليلاً من المال، وكنتُ مستعداً لأعيش عليه بينما أبحث عن وظيفة أخرى، لكنني لم أكن مضطراً إلى ذلك. فبعد ثلاثة أيام فقط من مغادرة بيلت رايت، رأيتُ إعلاناً في الصحيفة لوظيفة أمين مكتبة في مكتبة أوماها العامة - يجب أن يملك توصيات أو شهادة. لا أملك شهادة، لكنني قارئ طوال حياتي، وإذا كانت أحداث 1922 قد علَّمتني أي شيء، فهو كيفية الخداع. زوَّرتُ توصيات من المكتبات العامة في كنساس سيتي وسبرينغفيلد، ميزوري، وحصلتُ على الوظيفة. كنتُ متأكداً أن السيد كوارلز سيتحقَّق من التوصيات ويكتشف أنها مزوَّرة، لذا بذلت جهدي لأصبح أفضل أمين مكتبة في أميركا، وعمِلتُ بسرعة. وعندما يواجهني مديري الجديد بخداعي، سأضع نفسي تحت رحمته وآمل خيراً. لكن لم تحصل أي

مواجهة. فبقيتُ في وظيفتي في مكتبة أوماها العامة لأربع سنوات. من الناحية التقنية، أظن أنني لا أزال في وظيفتي هذه، رغم أنني لم أداوِم هناك منذ أسبوع ولم أتصل لأبلِّغ أنني مريض.

الجرذان. لقد عثرت عليَّ هناك أيضاً. بدأتُ أراها رابضة على كومات الكتب القديمة في غرفة التجليد، أو تهرول على الرفوف العليا، وتحدِّق فيَّ عن معرفة. الأسبوع الفائت، في غرفة المراجع، أخرجتُ مجلداً من الموسوعة البريطانية لعجوزٍ (كان مجلد الأحرف ra-st، والذي لا شك يحتوي على بندٍ عن الجرذ النرويجي، ناهيك عن المَسلَخ) ورأيتُ وجهاً رمادياً أسود جائعاً يحدِّق فيَّ من الفتحة الشاغرة. كان الجرذ الذي قضمَ حلمة أخيلوا المسكينة. لا أعرف كيف يُعقَل ذلك – وأنا متأكد أنني قتَلتُه – لكن لم يكن لديَّ شك. لقد تعرَّفتُ عليه. كيف لا يمكنني ذلك؟ كانت هناك قصاصة خيش، *ملطَّخة بالدم*، عالقة بشواربه.

شبكة الشعر!

أخذتُ مجلد الموسوعة البريطانية إلى العجوز الذي طلبته (كانت ترتدي وشاحاً من فرو القاقُم، ونظرت إليَّ عينا ذلك الشيء السوداوان الصغيرتان بكآبة). ثم خرجتُ ببساطة. بقيتُ أهيم في الشوارع لساعات، وأتيتُ إلى هنا في نهاية المطاف، إلى فندق مغنوليا. ولا أزال هنا منذ ذلك الحين، أصرف المال الذي ادّخرتُه كأمين مكتبة – الذي لم يعد يهمّ – وأكتب اعترافي، الذي يهمّ. أنا –

عضّني أحدها على الكاحل للتو. كما لو أنه يقول لي *هيا أكمِل، يكاد الوقت ينفد*. بدأ بعض الدم يلطِّخ جوربي. هذا لا يزعجني البتّة. فقد رأيتُ دماً أكثر في حياتي؛ وكانت هناك غرفة مليئة به في العام 1922.

والآن أظن أنني أسمع... هل أتخيَّل هذا؟

لا.

لقد أتى أحدٌ لزيارتي.

لقد سددتُ الأنبوب، لكن الجرذان بقيت تهرب. ملأتُ البئر، لكن أرليت وجدت مخرجاً. ولا أعتقد أنها لوحدها هذه المرة. أعتقد أنني أسمع خُطى بمجموعتين من الأقدام، وليس بمجموعة واحدة فقط. أو -

ثلاث مجموعات؟ هل هي ثلاثة؟ هل الفتاة التي كانت ستصبح كِنّتي في عالمٍ أفضل معها أيضاً؟

أعتقد أنها معها. ثلاث جثث تجرّ أقدامها في القاعة، ووجوهها (ما بقي منها) مشوَّهة من عضّات الجرذان، ورأس أرليت مائل إلى إحدى الجهتين أيضاً... بفعل رفسة بقرة مُحتضَرة.

عضّة أخرى على الكاحل.

وأخرى!

كيف ستقوم الإدارة -

آه! عضة أخرى. لكنها لن تتمكَّن مني. وزوّاري أيضاً، رغم أنه يمكنني الآن رؤية مسكة الباب تدور ويمكنني أن أشمّ رائحتهم، رائحة اللحم المتبقي على عظامهم تبعث نتانة الذبح

المسدس

يا إلهي أين

توقف

آه، اجعلها تتوقف عن عضّي

من أوماها وورلد هيرالد، 14 أبريل 1930

انتحار أمين مكتبة في فندق محلي

مشهد غريب يستقبل رجل أمن الفندق

عُثر على جثة وِيلفْرَد جايمس، أمين مكتبة أوماها العامة، في فندق محلي يوم الأحد عندما فشلت محاولات موظفي الفندق في الاتصال به. اشتكى مقيمٌ في غرفة قريبة من انبعاث ما يشبه رائحة "لحم فاسد"، وقد بلَّغت إحدى خادمات تنظيف غرف النوم في الفندق عن سماعها "صراخاً مكتوماً أو بكاءً، كما لو أن رجلاً يتألم" في وقت متأخر من بعد ظهر يوم الجمعة.

بعد قرع متكرر وعدم تلقي أي جواب، استخدَم رئيس أمن الفندق مفتاحاً عاماً وتم اكتشاف جثة السيد جايمس، ملقاة فوق طاولة مكتب الغرفة. "رأيتُ مسدساً وافترضتُ أنه أطلق النار على نفسه"، قال رجل الأمن، "لكن لا أحد بلَّغ عن سماع طلق ناري، ولم تكن هناك رائحة بارود. عندما فحَصتُ المسدس، وجدتُ أنه مسدس من عيار 25. وذو صيانة سيئة، وغير محشو.

"عندها، بالطبع، رأيتُ الدم. لم أر أبداً أي شيء مثل هذا من قبل، ولا أريد أن أراه مرة أخرى أبداً. لقد عضَّ نفسه في كل أنحاء جسمه – الذراعين، الرجلين، الكاحلين، حتى أصابع قدميه. ولم يكن هذا كل شيء. كان واضحاً أنه كان مشغولاً بمشروع كتابة من نوع ما، لكنه مضَغ الأوراق أيضاً. كانت مبعثرة على كل الأرض. بدت مثل الأوراق التي تمضغها الجرذان لتصنع أعشاشها. في النهاية، مضَغ معصميه. أظن أن هذا ما سببَّ مقتله. لا شك أنه كان مخبولاً".

القليل معروف عن السيد جايمس في وقت كتابة هذا الكلام. رونالد كوارلز، رئيس مكتبة أوماها العامة، وظَّف السيد جايمس في أواخر العام 1926. "كان واضحاً أنه مُنيَ بسوء الحظ، وأعاقه فقدان يده، لكنه كان يعرف كتبه وتوصياته جيدة"، قال كوارلز. "كان متعاوناً مع زملائه لكنه متحفِّظ. أظن أنه كان عامل مَصنع قبل أن يتوظَّف هنا، وأخبَرَ الأشخاص أنه قبل فقدانه يده، كان يملك مزرعة صغيرة في مقاطعة هيمينغفورد". وورلد هيرالد مهتمة بالسيد جايمس المشؤوم، وتتمنى الحصول على معلومات من أي قارئ ربما كان يعرفه من قبل. الجثة موضوعة في مَشرَحة مقاطعة أوماها، بانتظار أن يطالب بها أحد أقاربه. "وإذا لم يظهر أي قريب"، قال الدكتور تاترسال، رئيس الخدمات الطبية في المَشرَحة، "أظن أنه سيُدفَن في المدافن العامة".

السائق الكبير

- 1 -

قبلت تَسّ تقديم اثنتَي عشرة محاضرة تعويضية في السنة، إذا استطاعت ذلك. وبكلفة ألف ومئتَي دولار لكل محاضرة، يصبح المجموع أكثر من أربعة عشر ألف دولار. كان هذا صندوق تقاعدها. كانت لا تزال سعيدة كفاية مع جمعية حياكة بستان الصفصاف بعد اثنَي عشر كتاباً، لكنها لم تخدع نفسها من أنه يمكنها مواصلة الكتابة إلى أن تصبح في السبعينات من عمرها. إذا فعلت ذلك، ماذا ستجد في أسفل البرميل؟ *جمعية حياكة بستان الصفصاف تذهب إلى تيراهوت؟ جمعية حياكة بستان الصفصاف تزور المحطة الفضائية الدولية؟* لا. حتى ولو قرأتها سيدات جمعيات الكتب التي كانت دعامتها الأساسية (وستقرأها على الأرجح). لا.

لذا كانت سنجاباً صغيراً يعيش حياة جيدة من المال الذي تحقّقه كتبها... لكنه يدّخر البلوط للشتاء. وقد استثمرت كل سنة خلال السنوات العشرة الأخيرة ما بين اثنَي عشر وستة عشر ألف دولار في صندوق سوق العملة الخاص بها. لم يكن المجموع كبيراً بقدر ما تتمنى، بسبب تقلُّبات البورصة، لكنها أخبَرَت نفسها أنها إذا استمرت تعمل بجهد، ستكون بخير على الأرجح؛ كانت المحرّك الصغير الذي يستطيع فعل ذلك. وقد قدَّمت ثلاثة أحداث مجانية على الأقل في السنة لإرضاء ضميرها. ولم يكن يجب لذلك العضو المزعج في أغلب الأحيان أن يزعجها بشأن أخذها مالاً شريفاً لعمل شريف لكنه يزعجها

أحياناً. على الأرجح لأن الثرثرة وتوقيع إسمها لم يلائما مفهوم العمل الذي ترعرعت على فهمه.

بالإضافة إلى مكافأة شَرَفية قيمتها ألفاً ومئتَي دولار على الأقل، كان لديها مطلب واحد آخر: أن تكون قادرةً على أن تقود إلى مكان محاضرتها من دون أن تضطر إلى التوقف والمبيت لأكثر من ليلة واحدة على الطريق إلى الموقع أو منه. وهذا يعني أنها نادراً ما ذهَبت جنوباً أبعد من ريتشموند أو غرباً أبعد من كليفلاند. كانت ليلة واحدة في فندق رخيص أمراً مُتعِباً لكن مقبولاً؛ أما ليلتان فتجعَلانها عديمة الجدوى لأسبوع كامل. وفريتزي، قطُّها، يكره البقاء بمفرده في المنزل. وكان يوضِح لها ذلك عندما تعود إلى المنزل، بأن يلفّ نفسه بين قدميها على السلالم ويستخدم مخالبه بشكل مزعج في أغلب الأحيان عندما يجلس في حُضنها. ورغم أن جارتها باتسي ماكلاين من المنزل المجاور لطيفة جداً في إطعامه، إلا أنه نادراً ما كان يأكل كثيراً إلى أن تعود تَسّ إلى المنزل.

لم تكن خائفة من الطيران، أو متردّدة بشأن فوترة تكاليف السفر على المنظمات التي تدعوها تماماً مثلما تفوتر عليها كلفة غرف الفنادق الرخيصة (اللطيفة دائماً، وغير الرائعة أبداً). بل كانت تكره ذلك فقط: الحشود، ومهانة عمليات تفحّص كامل الجسم، وتقاضي شركات الطيران الآن رسوماً على أشياء كانت مجانية في السابق، والتأخيرات... والحقيقة المحتومة بأنك لست الشخص المتحكِّم بزمام الأمور. هذا كان أسوأ شيء. فبعدما تعبُر نقاط التفتيش الأمنية التي لا تنتهي ويُسمَح لك بركوب الطائرة، تكون قد وَضَعت أغلى ما عندك - حياتك - بين أيدي غرباء.

بالطبع أن هذا ينطبق أيضاً على الطرقات الرئيسية والطرقات السريعة بين الولايات التي تسلكها تقريباً دائماً عندما تسافر، فمن الممكن أن يفقد سائقٌ ثملٌ السيطرة على سيارته فيتجاوز الحاجز الوسطي، وتنتهي حياتك في حادث تصادم وجهاً لوجه (يبدو أن الثملين ينجون دائماً)، لكنها على الأقل عندما تكون خلف مِقوَد سيارتها، يتكوَّن لديها وَهم السيطرة على الأمور. فضلاً عن أنها تحب القيادة. لأنها مهدئة للأعصاب. وقد خطرت على بالها بعض أفضل أفكارها عندما كانت تقود مستعينةً بنظام تثبيت السرعة ومُطفئةً الراديو.

"أنا أكيدة أنكِ كنتِ ستكونين سائق شاحنة لمسافات طويلة لو وُلدتِ ذكراً"، قالت لها باتسي ماكلاين في إحدى المرات.

ابتسمت تَسّ لهذا القول، فقد أعجبتها فكرة أن تعيش حياة لا تكون فيها امرأة صغيرة ذات وجه طفوليّ وابتسامة خجولة، وظيفتها كتابة روايات ألغاز مريحة، بل شاباً ضخماً يرتدي قبعة كبيرة تظلِّل حاجبيه المحترقَين من الشمس وخدَّيه المنقَّطين، ويدع شاحنةً على مقدّمة غطاء محرّكها مجسَّم كلب تقوده على ملايين الطرقات المتقاطعة بين الولايات. ولن تحتاج إلى تنسيق ملابسها بعناية قبل ظهورها العلني في تلك الحياة؛ سروال جينز باهت وحذاء ذو أبازيم جانبية سيَفِيان بالغرض. تحبّ الكتابة، ولا تمانع الخطابة العامة، لكن ما تحبّه حقاً هو القيادة. بعد ظهورها في تشيكوبي، وهذا بدا لها مضحكاً... لكن ليس مضحكاً بطريقة تجعَلك تضحك. لا، ليس هذا النوع من الأمور المضحكة.

- 2 -

كانت الدعوة من دار نشر بُوكس أند براون باغرز تناسب متطلباتها تماماً. فتشيكوبي بالكاد تبعُد أكثر من مئة كيلومتر عن قرية ستوك، والمحاضرة عمل نهاري، ولم تكن دار النشر تقدِّم مكافأة شَرَفية من ألف ومئتَي دولار بل ألف وخمسمئة دولار. زائد المصاريف، بالطبع، لكن هذه الأخيرة ستكون متدنية جداً - فحتى لا توجد إقامة في فندق كورتيارد أو نُزُل هامبتون. وصلت رسالة الاستعلام من امرأة تدعى رامونا نورفيل، وقد شرحت لها فيها أنها رغم كونها رئيسة مكتبة تشيكوبي العامة، إلا أنها تراسلها بصفتها رئيسة بُوكس أند براون باغرز، التي تقدِّم محاضرةً عند الظهر مرةً كل شهر، يتم فيها تشجيع الناس على إحضار وجبات غدائهم، فتلك الأحداث شعبية جداً. تم الاتفاق مع جانيت إيفانوفتش لتقدِّم محاضرتها في 12 أكتوبر، لكنها اضطرت أن تلغيها بسبب مسألة عائلية - عرس أو جنازة، لم تكن رامونا نورفيل أكيدة من ذلك.

"أعرف أن هذه المهلة قصيرة"، قالت الآنسة نورفيل في فقرتها الأخيرة المتملِّقة قليلاً، "لكن ويكيبيديا تذكر أنك تعيشين في كونّكتيكت المجاورة، وقراؤنا هنا في تشيكوبي من *كبار* مشجّعي فتيات جمعية الحياكة. ستحصلين على امتناننا الكبير بالإضافة إلى المكافأة الشَرَفية المذكورة أعلاه".

شكَّت تَسّ أن يدوم الامتنان لأطول من يوم أو يومين، وكانت قد تعاقدت من قبل على تقديم محاضرة في أكتوبر (أسبوع الموكب الأدبي في الهامبتونز)، لكن طريق i-84 العام سيوصلها إلى طريق i-90

العام، ومن هناك تصبح تشيكوبي قريبة. دخول سريع وخروج سريع؛ بالكاد سيشعر فريتزي بغيابها.

ذكرت رامونا نورفيل عنوان بريدها الإلكتروني بالطبع، وراسلتها تَسّ فوراً، لتُخبرها بقبولها التاريخ وقيمة المكافأة الشَرَفية. كما حدَّدت - على جري عادتها - أنها لن توقِّع شخصياً على الكتب لأكثر من ساعة. "لديَّ قِطّ يتنمَّرني إذا لم أعُد إلى المنزل لأطعمه عشاءه شخصياً"، كتَبت. وسألت إن كانت تريد المزيد من التفاصيل، رغم أنها تعرف مسبقاً معظم ما سيُتوقع منها؛ فقد بدأت تقدِّم أحداثاً مماثلةً منذ أن كانت في الثلاثين من عمرها. ومع ذلك، يتوقَّع الصنف التنظيمي أمثال رامونا نورفيل أن يُسألوا، وإذا لم تسألهم، يتوتّرون ويبدأون بالتساؤل إن كانت الكاتبة التي وظَّفوها ليوم واحد ستصل بلا حمّالة صدر وثملة.

خطر على بال تَسّ أن تقترح أن ألفَي دولار ستكون ملائمة أكثر على الأرجح لما كانت، في الواقع، مهمة فرز، لكنها صَرَفت النظر عن الفكرة. سيكون هذا استغلالاً. كما أنها تشكّ أن تكون كل كتب جمعية الحياكة مجتمعةً (كان هناك حوالي دزينة منها) قد حقّقت مبيعات توازي إحدى مغامرات ستيفاني بلام. سواء أعجبها ذلك أم لا - وفي الحقيقة، لم تكن تَسّ تمانع ذلك بطريقة أو بأخرى - كانت هي الخطة ب لدى رامونا نورفيل. وفرضها رسماً إضافياً سيكون أشبه بالابتزاز. ومبلغ ألف وخمسمئة أكثر من عادل. بالطبع لم يبدُ عادلاً أبداً عندما كانت مستلقية على البربخ تبصق دماً من فمها وأنفها المتورّمين. لكن هل كان ألفان أكثر عدلاً؟ أو مليونان؟

سواء كان يمكنك وضع ثمن للألم والاغتصاب والرعب أم لا هو

سؤال لم تناقشه سيدات جمعية الحياكة أبداً. والجرائم التي حلَّتها لم تكن حقاً أكثر من مجرد *أفكار* جرائم. لكن عندما أُجبرَت تَسّ على التفكير فيه، شعرت أن الجواب هو لا. بدا لها أن شيئاً واحداً فقط يمكن أن يُعتبر انتقاماً لهكذا جريمة. وقد وافَقها التومتوم وفريتزي معاً.

- 3 -

تبيَّن أن رامونا نورفيل امرأة مرِحة ذات كتفين عريضين وصدر كبير، وفي حوالي الستين من عمرها مع خدَّين متورِّدين، وقصّة شعر تشبه البحّارة، ومصافحة صارمة. كانت تنتظر تَسّ خارج المكتبة، في وسط مساحة المرأب المحجوزة لملقي محاضرة اليوم. وبدلاً من أن تلقي تحية الصباح على تَسّ (كانت الساعة الحادية عشرة إلا رُبعاً)، أو تجاملها على قرطَيها الجميلين (من الماس، والمخصَّصين لوجبات العشاء القليلة في الخارج والمحاضرات المماثلة)، سألت سؤالاً ذكورياً: هل أتت تَسّ عبر الطريق 84؟

عندما قالت تَسّ إنها أتت عبره، اتّسعت عينا الآنسة نورفيل ونفخت خدّيها. "يسرّني أنك وصلت إلى هنا بخير. فالطريق 84 برأيي المتواضع أسوأ طريق عام في أميركا. كما أنه السبيل الطويل. يمكننا تحسين حالة العودة، إذا كانت الانترنت سليمة وتعيشين في قرية ستوك".

أجابت تَسّ بالإيجاب، رغم أنها لم تكن متأكدةً أنها تحبّذ أن يعرف الغرباء - حتى ولو كانت أمينة مكتبة لطيفة - أين ستُلقي رأسها المُنهَك. لكن لا طائل من الشكوى؛ كان كل شيء موجوداً على الانترنت هذه الأيام.

"يمكنني أن أوفِّر عليك ستة عشر كيلومتراً"، قالت الآنسة نورفيل أثناء صعودهما درجات المكتبة. "هل لديك نظام تموضع عالمي؟ هذه تسهِّل الأمور أكثر من إرشادات مكتوبة على الجهة الخلفية لمغلفٍ. إنها أجهزة مدهشة".

قالت تَسّ، التي أضافت بالفعل نظام تموضع عالمي إلى مصفوفة لوحة قيادة سيارتها الفورد إكسبديشن (كان يسمّى تومتوم ويتم وصله بولاّعة السجائر)، إن إزالة ستة عشر كيلومتراً من رحلة عودتها ستكون أمراً لطيفاً جداً.

"طريق مستقيمة عبر حظيرة روبن هُود أفضل من كل ذلك الالتفاف حولها"، قالت الآنسة نورفيل، وربَّتت بخفة على ظهر تَسّ. "ألستُ محقة؟".

"بالتأكيد"، وافقتها تَسّ، وتقرَّر مصيرها بهذه البساطة. لطالما كانت مولعة بالطرق المختصرة.

- 4 -

تتضمن *شؤون الكتاب* عادة أربع نقاط معرَّفة جيداً، وكان يمكن لمظهر تَسّ في الاجتماع الشهري لبُوكس أند براون باغرز أن يكون مثالاً يُحتذى للحالة العامة. وقد شكَّلت مقدمة رامونا نورفيل المقتضبة جداً الاختلاف الوحيد عن ذلك المثال العام. فهي لم تحمل كدسة بطاقات مُثبِطة للعزيمة إلى المنصة، ولم تشعر بالحاجة إلى الحديث عن طفولة تَسّ في المزرعة في نبراسكا، ولم تتكبَّد عناء إنتاج إطراء نقديّ لكتب جمعية حياكة بستان الصفصاف (كان هذا جيداً، لأنها نادراً ما كانت تخضع

للمراجعة، وعندما يحصل ذلك، يُستحضَر عادة إسم الآنسة ماريل، وليس بطريقة جيدة دائماً). قالت الآنسة نورفيل فقط إن شعبية الكتب كبيرة (مبالغة تُغتفَر)، وأن المؤلفة كريمة جداً في تبرّعها بوقتها في مهلة قصيرة (رغم أن ألفاً وخمسمئة دولار بالكاد تجعل هكذا أمر تبرّعاً). ثم نزلت عن المنصة، مع تصفيق حماسيّ لحوالي أربعمئة شخص احتشدوا في القاعة الصغيرة لكن الملائمة للمكتبة. كان معظمهم سيدات من النوع الذي لا يحضر المناسبات العامة من دون ارتداء قبعة أولاً.

لكن المقدمة كانت أكثر من استراحة. كان الفصل الأول هو الاستقبال عند الساعة الحادية عشرة، حيث تسنّى لكبار الشأن لقاء تَسّ شخصياً أثناء تناول الجبن ورقائق البسكويت الهشّ وشرب قهوة رديئة (كانت الأحداث المسائية تتضمن أكواباً بلاستيكيةً من شراب العنب الرديء). طلب البعض تواقيع شخصية؛ وطلب الأغلب صوراً، التقطوها عادة بهواتفهم الخلوية. وسُئلت من أين تأتي بأفكارها، فردَّت بالثرثرة المهذّبة الاعتيادية والفكاهية. وسألها حوالي ستة أشخاص كيف حصلت على وكيلها، وأظهَرَ الوميض في عيونهم أنهم دفَعوا الدولارات العشرين الإضافية فقط لكي يطرحوا هذا السؤال. قالت تَسّ إنها واصلت مراسلتهم إلى أن وافَق أحد الوكلاء الأكثر جوعاً أن ينظر إلى كتاباتها. لم تكن هذه الحقيقة كاملة - فعندما تتعلق المسألة بالوكلاء، لم تكن هناك حقيقة كاملة - بل كانت قريبة منها.

أما الفصل الثاني فكان المحاضرة نفسها، التي دامت لخمس وأربعين دقيقة. وقد تألف قسمها الرئيسي من روايات (كلها ليست شخصية جداً) وشرح لطريقة تطويرها قصصها (من النهاية إلى البداية). وكان مهماً ذِكرها عنوان كتابها الحالي ثلاث مرات على الأقل، والذي

صدفَ وكان في ذلك الخريف جمعية حياكة *بستان الصفصاف في رحلة استكشافية* (وشرَحت الغاية منه لأولئك الذين لم يعرفوا من قبل).

وكان الفصل الثالث فترة طرح الأسئلة، والتي سُئلت خلالها من أين تأتي بأفكارها (فكاهية، جواب غامض)، وما إذا كانت تستمد شخصياتها من واقع الحياة ("عمّاتي")، وكيف يتمكن المرء من جعل وكيلٍ ينظر إلى أعماله. وسُئلت اليوم أيضاً من أين حصلت على رباط شعرها (متجر جي سي بيني، وهو جواب نال تصفيقاً يُتعذّر تفسيره).

كان الفصل الأخير وقت التوقيع الشخصي، والذي لبَّت خلاله وبكل طيبة خاطر طلبات تدوين تمنيات بذكرى ولادة سعيدة، وبذكرى سنوية سعيدة، *إلى جانيت، مُعجَبة بكل كتبي*، و *إلى ليا - آمل أن أراك في بحيرة توكساواي مرة أخرى هذا الصيف!* (وهذا طلب غريب قليلاً، بما أن تَسّ لم تذهب إلى هناك أبداً، لكن يبدو أن طالبة التوقيع الشخصي ذهبت إلى هناك).

بعدما تم توقيع كل الكتب واكتفت القلّة الأخيرة من المتلكّئين بصور الهواتف الخلوية، رافَقت رامونا نورفيل تَسّ إلى مكتبها لتناول كوب قهوة حقيقية. شربت الآنسة نورفيل قهوتها سوداء، وهذا لم يفاجئ تَسّ أبداً. فقد كانت مضيفتها فتاةً من نوع القهوة السوداء إذا كانت إحدى الفتيات من هذا النوع قد خطت على سطح الأرض (على الأرجح في حذاء عسكري في يوم عطلتها). الشيء المدهش الوحيد في المكتب كان الصورة الموقّعة المؤطَّرة على الجدار. كان الوجه مألوفاً، وتمكّنت تَسّ بعد لحظة من استخراج الإسم من ذاكرتها العميقة التي تُعتبر كنز كل كاتبٍ.

"ريتشارد ويدمارك؟".

ضحِكت الآنسة نورفيل بطريقة مُحرَجة لكن مسرورة. "ممثلي المفضَّل. كنتُ مولعة به عندما كنتُ صغيرة، إذا أردتِ معرفة الحقيقة كاملة. جعلتُه يوقِّع لي هذه الصورة قبل موته بعشر سنوات. كان عجوزاً جداً، حتى عندها، لكنه توقيع حقيقي وليس ختماً. هذه لكِ". للحظةٍ مخبولةٍ، ظنَّت تَسّ أن الآنسة نورفيل تقصد الصورة الفوتوغرافية الموقَّعة. ثم رأت المغلف في تلك الأصابع الفظة. مغلفٌ من النوع الذي يتضمن نافذة، لكي تتمكن من اختلاس النظر إلى الشيك الذي في داخله.

"شكراً"، قالت تَسّ، وأخذته.

"لا داعي للشكر. لقد استحقَّيتِ كل قرش".

لم تعترض تَسّ.

"الآن. بشأن تلك الطريق المختصرة".

مالت تَسّ إلى الأمام بكل انتباه. ففي أحد كتب جمعية الحياكة، قالت دورين مركيز، *أفضل شيئين في الحياة هما كرواسون ساخن وطريق سريع للعودة إلى المنزل*. كانت هذه حالة كاتبةٍ تستخدم معتقداتها الغالية لتُنعش خيالها الأدبي.

"هل يمكنك برمجة التقاطعات في نظام تموضعك العالمي؟".

"نعم، التومتوم شديد الحيطة والحذر".

ابتسمت الآنسة نورفيل. "إذاً أدخِلي طريق ستاغ وطريق الولايات المتحدة 47. نادراً ما يُستخدَم طريق ستاغ في هذا العصر الحديث – ونُسي تقريباً منذ ذلك الطريق 84 اللعين – لكنه يقدِّم مناظر طبيعية جميلة. ستتنزَّهين عليه لحوالي، آه، خمسة وعشرين كيلومتراً. الأسفلت مرقَّع، لكنه ليس وعِراً جداً، أو لم يكن وعِراً عند سلكتُه لآخر مرة،

وهذا كان في الربيع، عندما ظهرت أسوأ المطبّات. على الأقل هذه هي خبرتي معه".

"وخبرتي أيضاً"، قالت تَسّ.

"عندما تصلين إلى الطريق 47، سترين لافتةً تشير إلى طريق i-84 العام، لكنك ستحتاجين إلى سلوك الطريق الرئيسي لحوالي عشرين كيلومتراً فقط، وهذا هو الجميل في الأمر. وستوفّرين الكثير من الوقت والانزعاج".

"هذا هو الجميل أيضاً"، قالت تَسّ، وضحِكتا معاً، امرأتان بنفس الرأي تحت مراقَبة ريتشارد ويدمارك المبتسم. عندها سيكون المتجر المهجور ذو اللافتة القماشية بعيداً لتسعين دقيقة، مختبئاً بارتياح في المستقبل مثل أفعى في جحرها. والبربخ، بالطبع.

– 5 –

لم تكن تَسّ تملك نظام تموضع عالمي فحسب؛ بل أنفَقت مبلغاً إضافياً لتحصل على نظامٍ مخصصٍ. كانت تحبّ الألعاب. وبعد أن أدخلت التقاطع (انحنت رامونا نورفيل وأقحمت رأسها داخل النافذة أثناء فعلها ذلك، لتراقب باهتمام رجولي)، راح الجهاز يفكّر للحظة أو لحظتين، ثم قال، "تَسّ، إنني أحتسب دربك".

"رائع، ما رأيك بهذا!"، قالت نورفيل، وضحِكت بالطريقة التي يضحك بها الأشخاص أمام بعض الخصوصية اللطيفة.

ابتسمت تَسّ، رغم أنها شعرت أن برمجة نظام تموضعك العالمي ليناديك بإسمك ليس أغرب من الاحتفاظ بصورة ممثل ميت على جدار

مكتب. "شكراً لك على كل شيء يا رامونا. كان كل شيء محترفاً جداً".

"نبذل ما بوسعنا في دار النشر. وداعاً. وشكراً".

"وداعاً"، قالت تَس. "وعلى الرحب والسعة. لقد استمتَعتُ باللقاء". كان هذا حقيقياً؛ فهي تستمع بهكذا مناسبات عادة. وسيستمتع صندوق تقاعدها بالمبلغ الإضافي غير المتوقع بالطبع.

"رافقتك السلامة"، قالت نورفيل، ولوَّحت لها تَسّ بيدها.

عندما انطلَقت، قال نظام التموضع العالمي، "مرحبا يا تَسّ. أرى أننا نقوم برحلة".

"نعم بالفعل"، قالت. "واليوم جيد لهذا، ألا توافقني؟".

خلافاً للكمبيوترات في أفلام الخيال العلمي، كان التومتوم مجهَّزاً بشكل سيئ للمحادثات الخفيفة، رغم أن تَسّ تساعده أحياناً. أخبَرَها أن تنعطف إلى اليمين قبل أربعمئة متر، ثم تأخذ أول منعطف إلى اليسار. كانت الخريطة على شاشة التومتوم تعرض أسهماً خضراء وأسماء الشوارع، وتستمدّ المعلومات من كُرة تكنولوجيا معدنية تدور فوقها على سطح السيارة.

وصلت سريعاً إلى ضواحي تشيكوبي، لكن التومتوم جعلها تجتاز منعطف طريق i-84 العام من دون تعليق وأخذها إلى ريفٍ يلتهب بألوان أكتوبر ويعبق بروائح أوراق الأشجار المحترقة. بعد حوالي ستة عشر كيلومتراً على شيء يدعى طريق المقاطعة القديم، وبينما كانت تتساءل إن أخطأ نظام تموضعها العالمي (كما لو أنه يُخطئ)، تكلَّم التومتوم من جديد.

"بعد كيلومتر واحد، انعطفي يميناً".

بالتأكيد، سرعان ما رأت لافتة خضراء لطريق ستاغ مثقوبة كثيراً بحُبيبات بارود لدرجة أنها كانت غير مقروءة تقريباً. لكن التومتوم بالطبع لا يحتاج إلى لافتات؛ بكلمات علماء الاجتماع (كانت تَسّ طالبة علم اجتماع قبل أن تكتشف موهبتها بالكتابة عن محقِّقات عجائز)، كان موجَّهاً بأشياء أخرى.

ستتنزَّهين لحوالي خمسة وعشرين كيلومتراً، قالت رامونا نورفيل، لكن تَسّ تنزَّهت لحوالي اثني عشر كيلومتراً فقط. فقد وصلت إلى منعطف، ولمحت بناءً مهلهِلاً قديماً على اليسار أمامها (كانت اللافتة الباهتة فوق جزيرة الخدمة الخالية من المضخّات لا تزال تُظهِر كلمة إسّو)، ثم رأت - بشكل متأخر جداً - عدة قِطع خشب مشظّاة كبيرة مبعثرة على الطريق. كانت هناك مسامير صدئة ناتئة من العديد منها. ارتجّت على الحفرة التي أوقعتها على الأرجح من حمولةٍ حزَّمها ريفيٌّ ساذجٌ بإهمال، ثم انحرَفت نحو حافة الطريق الناعمة في محاولة للالتفاف حول الركام، وهي تعرف أنها لن تنجح على الأرجح؛ لماذا إذاً ستسمع نفسها تقول *آه لا*؟

سمعت دوياً تحتها بينما تطايرت قِطع الخشب وراحت ترتطم بمحمل السيارة، ثم بدأت سيارتها الإكسبديشن الموثوقة تهتزّ إلى الأعلى والأسفل وتميل إلى اليسار، مثل حصان أصبح أعرج. صارَعتها لتجرّها إلى الفناء الكثير الأعشاب الضارة للمتجر المهجور، لأنها أرادت إبعادها عن الطريق لكي لا يصطدم بها أي شخص يصدف أن يمرّ مسرعاً على ذلك المنعطف الأخير. لم تر حركة مرور كثيرة على طريق ستاغ، لكن كان هناك البعض منها، بما في ذلك شاحنتين كبيرتين.

"تباً لك يا رامونا"، قالت. كانت تعرف أنه ليس خطأ أمينة المكتبة حقاً؛ فرئيسة (وعلى الأرجح العضو الوحيد في) جمعية تقدير مُعجبي ريتشارد ويدمارك، فرع تشيكوبي، كانت تحاول أن تكون مفيدة فقط، لكن تَسّ لم تعرف إسم المغفَّل الذي أوقع أخشابه المليئة بالمسامير على الطريق ثم تابع طريقه فرحاً، لذا ستلقي اللوم على رامونا.

"هل تريدينني أن أعيد احتساب دربك يا تَسّ؟"، سأل التومتوم، مما أجفلها.

أطفأت نظام التموضع العالمي، ثم أطفأت المحرّك أيضاً. لن تذهب إلى أي مكان لبعض الوقت. كان الجو هادئاً جداً هنا. سِمعت أصوات طيور، وصوت تكتكة معدني مثل ساعة قديمة تُعبأ يدوياً، ولا شيء آخر. الخبر الجيد هو أن الإكسبديشن بدت مائلة إلى اليسار الأمامي وليست مائلة فقط. ربما انثقبت عجلة واحدة فقط. لن تحتاج إلى قَطر في تلك الحالة؛ بل مجرد مساعدة صغيرة من الرابطة الأميركية للسيارات.

عندما خرَجت ونظرت إلى العجلة الأمامية اليسرى، رأت قطعة خشب مشظّاة مغروزة فيها بواسطة مسمار صدئ كبير. نطَقت تَسّ شتيمة ذات مقطع لفظي واحد لم يخرج أبداً من شفتَي عضو في جمعية الحياكة، وأخرجت هاتفها الخلوي من حُجَيرة التخزين الصغيرة بين المقعدَين الأماميين. ستكون محظوظة الآن إن وصلت إلى المنزل قبل حلول الظلام، وعلى فريتزي أن يكتفي بمحتوى وعاء طعامه الجاف في حجرة المؤن. يا لروعة طريق رامونا نورفيل المختصرة... رغم أنه للإنصاف، افترَضت تَسّ أن الشيء نفسه كان يمكن أن يحصل لها على الطريق العام بين الولايات؛ بالطبع أنها تجنَّبت حصتها من الأشياء المشلِّة للسيارات الموجودة على العديد من الطرق العامة، وليس فقط

على طريق i-84 العام.

كانت مؤتمرات قصص الرعب والأسرار - حتى أسرار الجثث الشاحبة التي يستمتع بها المعجبون - متشابهة بشكل مدهش، وعندما نَقَفَت هاتفها لتفتحه فكّرت في سرّها، *لن يعمل في القصص*. كانت هذه حالة فن تقليد الحياة، لأنها عندما شغَّلت هاتفها النوكيا، ظهرت الكلمات "لا خدمة" على الشاشة. بالطبع. فالقدرة على استخدام هاتفها سيكون بسيطاً جداً.

سِمعت صوت محرّك مكتوم بعض الشيء يقترب، فاستدارت ورأت شاحنة بيضاء قديمة تدخل المنعطف الذي عرقل سيرها. كانت ملصقةً على جانبها صورة هيكل عظمي يعزف على مجموعة طبول بدت مصنوعة من كعك مكوَّب، ومكتوب فوق الصورة بخط يقطر مثل أفلام الرعب (وبشكل غريب *أكثر* بكثير من صورة ريتشارد ويدمارك على جدار مكتب أمينة مكتبة) "خبّازو الزومبي". ارتبكت للحظات مما منعها من أن تلوّح بيدها، وعندما فعلت ذلك، كان سائق الشاحنة مشغولاً في محاولة تجنّب الفوضى على الطريق ولم يلاحظها.

كان أسرع من تَسّ في الانحراف إلى حافة الطريق، لكن مركز ثقل الشاحنة أعلى من مركز ثقل الإكسبديشن، وكانت متأكدة للحظة أنها ستنقلب وتحطّ على جنبها في الخندق. لكنها بقيت مستقيمة - بالكاد - وعادت إلى توازنها على الطريق بعد قِطع الخشب المتناثرة. اختفت الشاحنة حول المنعطف التالي، مخلّفةً خلفها سحابة زرقاء من دخان العادم ورائحة زيت حارّ.

"تباً لكم يا خبّازي الزومبي!" ، صاحت تَسّ، ثم بدأت تضحك. أحياناً هذا كل ما يمكنك فعله.

علّقت هاتفها على زنّار سروالها الفضفاض، وخرَجت إلى الطريق، وبدأت ترفع الركام بنفسها. فعلت ذلك ببطء وعناية، لأنه أصبح واضحاً لها عن قُرب أن كل قِطع الخشب (التي كانت مطلية بالأبيض وتبدو كما لو أن شخصاً نزعها أثناء إعادة ترميمه منزله) تحتوي على مسامير. مسامير كبيرة بشعة. عمِلت ببطء لأنها لم ترغب أن تجرح نفسها، لكنها أمِلت أيضاً أن تكون هنا، تقوم بعمل صالح بشكل ظاهر للعيان عندما تمرّ السيارة التالية. لكن بعد انتهائها من رفع كل شيء ما عدا بعض الشظايا القليلة غير المؤذية ورمي القِطع الكبيرة في الخندق تحت حافة الطريق، لم تمرّ أي سيارة أخرى. ربما، فكّرت في سرّها، أكَلَ خبّازو الزومبي جميع مَن في الجوار وكانوا يسرعون الآن للعودة إلى مطبخهم ليضعوا الفضلات في فطائر الناس الشعبية دائماً.

عادت إلى مرأب المتجر الميت الكثير الأعشاب الضارة ونظرت باكتئاب إلى سيارتها المائلة. ثلاثون ألف دولار من الحديد المدرفَل، ودفع رباعي، وفرامل قرصية مستقلة، وتومتوم ناطق... ولم تحتج سوى إلى قطعة خشب فيها مسمار لتجد نفسها مهجورة في مكانٍ ناءٍ.

لكن للجميع مسامير بالطبع، فكّرت في سرّها. *في أفلام التشويق - أو الرعب - لن يُعتبر هذا إهمالاً؛ بل يشكّل خطةً. فخاً، في الواقع.*

"خيالك خصب جداً يا تَسّا جان"، قالت، مقتبسةً أمها... وهذا مثير للسخرية، بالطبع، بما أن خيالها أصبح مصدر رزقها اليومي. ناهيك عن منزلها في دايتونا بيتش الذي أمضت فيه أمها آخر ست سنوات من عمرها.

في الصمت الكبير، انتبهت مرة أخرى إلى صوت التكتكة الناشز ذاك. كان المتجر المهجور من النوع الذي لا تراه كثيراً في القرن الحادي

والعشرين: كان شرفةً. انهارت الزاوية اليسرى وتحطَّم الدرابزين في مكانين، لكن نعم، كان شرفة فعلية، فاتنة حتى في حالتها المتهدِّمة. وربما بسبب حالتها المتهدِّمة. افترَضت تَسّ أن شرفات المتاجر العامة أصبحت بائدةً لأنها تشجِّعك على الجلوس والدردشة عن البيسبول أو الطقس بدلاً من مجرد الدفع نقداً أو الإسراع ببطاقات إئتمانك إلى مكان آخر على الطريق حيث يمكنك تمريرها في آلة الدفع. كانت هناك لافتة من الصفيح متدلّية بشكل منحرف من سقف الشرفة. وكانت باهتة أكثر من لافتة إسّو. اقتربت بضع خطوات قليلة، رافعةً يدها فوق جبهتها لتظلّل عينيها. "تحبّه يحبّك". هذا شعار لأي شيء بالتحديد؟

كادت تستخرج الجواب من ذاكرتها العميقة عندما قطعَ صوت محرّكٍ حبل أفكارها. استدارت نحوه، متأكدةً أن شاحنة خبّازي الزومبي عادت في النهاية، وسمعت صرير فرامل قديمة يرافق صوت المحرّك. لم تكن الشاحنة البيضاء بل شاحنة فورد F-150 قديمة ذات طلاء أزرق سيئ ومعجونة بوندو حول الأضواء الأمامية. كان رجلٌ يرتدي رداءً سروالياً وقبعة بيسبول يجلس خلف المِقوَد. راح ينظر إلى ركام أنقاض الخشب في الخندق.

"مرحبا؟"، نادت تَسّ. "عفواً يا سيد؟".

أدار رأسه، ورآها تقف في مرأب السيارات المكسو بالأعشاب، ونقفَ يده في تحيةٍ، وركن شاحنته بجانب سيارتها الإكسبديشن، وأطفأ محرّكها. نظراً إلى صوتها، شعرت تَسّ أن تصرّفه بمثابة قتل رحيم لشاحنته.

"مرحبا"، قال. "هل رفعتِ هذا الركام الرديء عن الطريق؟".

"نعم، كلها ما عدا القطعة التي ثقبت عجلتي الأمامية اليسرى. و-". *وهاتفي لا يعمل هنا*، كادت تضيف، ثم عدلت عن رأيها. كانت امرأة في أواخر الثلاثينات من عمرها متعرّقة بالكامل، وهذا رجل غريب. رجل ضخم. "- وها أنا"، أنهت جملتها بنبرة غير مُقنعة قليلاً.

"سأغيّرها لك إذا كانت لديك عجلة احتياطية"، قال وهو ينزل من شاحنته. "هل لديك واحدةٌ؟".

لم تتمكن من أن تردّ للحظة. لم يكن الشاب ضخماً، كانت مخطئة في ذلك. كان عملاقاً. لا شك أن طوله متران، لكن الطول من الرأس إلى القدمين كان مجرد جزء من ذلك. كان بطنه كبيراً، وفخذاه بدينين، وكتفاه عريضين مثل بابٍ. عرَفت أن التحديق فيه أمرٌ غير مهذّب (حقيقة أخرى من حقائق العالم تعلّمتها على ركبة أمها)، لكن كان من الصعب عدم فعل ذلك. كانت رامونا نورفيل امرأة ذات بنية كبيرة، لكنها ستبدو مثل راقصة باليه إذا وقفت بجانب هذا الشاب.

"أعرف، أعرف"، قال بنبرة استمتاع. "لم تعتقدي أنك ستقابلين العملاق الأخضر المرِح هنا في مكانٍ ناءٍ، أليس كذلك؟". إلا أنه لم يكن أخضر؛ كان مسمَرّاً بلون بني داكن. وعيناه بنّيتان أيضاً. حتى قبعته بنّية، رغم أنها باهتة إلى حدود الأبيض تقريباً في عدة أماكن، كما لو أنه تم تلطيخها بمادة مبيِّضة في مرحلة ما من حياتها الطويلة.

"آسفة"، قالت. "كنتُ فقط أفكِّر أنك لا تركب شاحنتك، بل ترتديها".

وَضَع يديه على وركَيه وقهقه نحو السماء. "لم أسمع أبداً هكذا تعبير من قبل، لكنك محقة نوعاً ما. عندما أفوز بالقرعة، سأشتري

شاحنة هامر لنفسي".

"حسناً، لا يمكنني أن أشتري لك واحدةً منها، لكن إذا غيّرت لي العجلة، سأكون سعيدة أن أدفع لك خمسين دولاراً".

"هل تمزحين؟ سأفعل لك هذا مجاناً. لقد أنقذتني من ورطة عندما أبعدتِ ركام الخشب".

"مرَّ أحدهم في شاحنة مضحكة على جانبها صورة هيكل عظمي، لكنه تفاداه".

كان الشاب الضخم يتوجّه إلى عجلة تَسّ الأمامية المنثقبة، لكنه عاد أدراجه إليها، عابساً. "مرَّ أحدهم ولم يعرض عليك المساعدة؟".

"لا أعتقد أنه رآني".

"ولم يتوقف أيضاً ليرفع ذلك الركام للزميل التالي، أليس كذلك؟".

"لا. لم يتوقف".

"تابع طريقه بكل بساطة؟".

"نعم". كان هناك شيء في هذه الأسئلة لم يرُقها كثيراً. ثم ابتسم الشاب الضخم وقالت تَسّ لنفسها إنها تفكّر بسذاجة.

"أظن أن العجلة الاحتياطية تحت أرضية حُجَيرة الحمولة؟".

"نعم. أقصد، أعتقد ذلك. كل ما عليك فعله هو –"

"رفع المقبض، أجل، أجل. فعلتُ هذا من قبل".

بينما مشى متمهلاً إلى الجهة الخلفية لسيارتها الإكسبديشن واضعاً يديه في جيبَي ردائه السروالي، رأت تَسّ أن باب شاحنته لم يُغلَق بالكامل وأن ضوء السقف الداخلي لا يزال مُضاءً. مخافة أن تفرغ

بطارية الشاحنة من الطاقة، فتَحت الباب (زعقت المِفصَلة بصوتٍ عالٍ مثل الفرامل تقريباً) ثم خبطته لإغلاقه. أثناء فعلها ذلك، نظرت عبر النافذة الخلفية إلى سطح الشاحنة. كانت هناك عدة قِطع خشبية مبعثرة على المعدن المضلَّع والصدئ. كانت مطلية بالأبيض وهناك مسامير ناتئة منها.

شَعَرت تَسّ للحظة كما لو أنها تشاهد سراباً. ولم تبدُ لافتة الصفيح، "تحبّه يحبّك"، الآن مثل ساعة إنذار قديمة الطراز بل مثل قنبلة موقوتة تتكتك.

حاوَلت إخبار نفسها أن قِطع الخشب لا تعني شيئاً، فهكذا أمور تعني شيئاً فقط في نوع الكتب التي لم تكتبها ونوع الأفلام التي نادراً ما شاهدتها: النوع الدموي البغيض. لم ينفع. هذا أبقى لديها خيارين. يمكنها إما محاولة التظاهر بأنها لم تلاحظ شيئاً لأن القيام بأي شيء آخر كان مُرعِباً، أو يمكنها الهرب عبر الركض إلى الغابة على الجهة الأخرى للطريق.

قبل أن يمكنها أن تقرِّر، شمَّت العبير الحاد للعرق الذكوري. استدارت وكان هناك، يظلِّلها مثل برج هائل بيديه الموضوعتين في جيبَي ردائه السروالي. "بدلاً من أن أغيِّر لك العجلة"، قال مبتسماً، "ما رأيك لو جامعتُك؟ ما رأيك بهذا؟".

عندها ركَضت تَسّ، لكن في ذهنها فقط. وما فعلته في العالم الحقيقي كان أنها وقفت وهي تضغط نفسها على شاحنته، وترفع نظرها إليه، إلى رجل طويل لدرجة أنه حَجَب الشمس عنها ووضعها في ظلّه. كانت تفكِّر أنه منذ أقل من ساعتين كان أربعمئة شخص - أغلبهم سيدات يرتدين قبعات - يصفِّقون لها في قاعة صغيرة لكن ملائمة

كلياً. وفي مكان ما جنوبي هنا، كان فريتزي ينتظر عودتها. خطر على بالها - وبشكل مرهِق، كما لو أنها ترفع شيئاً ثقيلاً - أنها قد لا ترى قطّها مرة أخرى أبداً.

"لا تقتلني رجاءً"، قالت امرأةٌ بصوت خافت ومتواضع جداً.

"أيتها الحقيرة"، قال. تكلَّم بنبرة رجل يفكِّر بالطقس. بقيت اللافتة تتكتك عند طُنُف سقف الشرفة. "أيتها الحقيرة النتِنة المخادعة".

خرجت يده اليمنى من جيبه. كانت يداً كبيرة جداً. وعلى الخنصر خاتمٌ عليه حجر أحمر يشبه الياقوت، لكنه كبير جداً ليكون ياقوتاً. فكَّرت تَسّ أنه مجرد زجاج على الأرجح. تكتكت اللافتة. "تحبّه يحبّك". ثم تحوّلت اليد إلى قبضة، وانقضّت عليها بلمح البصر محوِّلةً كل شيء آخر إلى ظلام.

سمعت دويّاً معدنياً مكتوماً في مكان ما. اعتقَدت أنه رأسها يرتطم بطرف الشاحنة. فكَّرت تَسّ: خبّازو الزومبي. ثم حلّ الظلام لبعض الوقت.

- 6 -

استعادت وعيها في غرفة مظلَّلة كبيرة تعبق برائحة خشب رطب، وقهوة قديمة، ومخلّلات ما قبل التاريخ. ورأت مروحة سقف قديمة متدلّية بشكلٍ ملتوٍ فوقها، وتشبه دوّامة الخيل المحطَّمة في فيلم هيتشكوك، "غرباء في قطار". كانت على الأرض، عارية نزولاً من خصرها، وكان يغتصبها. بدا الاغتصاب ثانوياً بالنسبة لوزنه: كان يسحقها أيضاً. بالكاد يمكنها أن تأخذ نَفَساً. لا بد أن هذا حلمٌ. لكن أنفها كان

متورّماً، وهناك كتلة شعَرت أنها بحجم جبل صغير قد نمت عند قاعدة جمجمتها، والشظايا تحفر في ردفَيها. المرء لا يلاحظ هذه الأنواع من التفاصيل في الأحلام، ولا يشعر بألم فعلي في الأحلام؛ بل يستيقظ دائماً قبل بدء الألم الحقيقي. هذا ما كان يحصل. كان يغتصبها. لقد أدخلها إلى المتجر القديم وراح يغتصبها بينما تطايرت ذرّات الغبار الذهبية بكسل في شمس بعد الظهر المائلة. في مكان ما كان الناس يستمعون إلى الموسيقى ويشترون منتجات على الانترنت ويأخذون قيلولات ويتكلمون على الهواتف، لكن هنا توجد امرأة تُغتصب وهي تلك المرأة. لقد نزع لها سروالها الداخلي؛ يمكنها رؤية طرفه من جيب ردائه السروالي. ذكَّرها هذا بفيلم "الخلاص" الذي شاهدته في مهرجان للأفلام في الكلية، في تلك الأيام عندما كانت مُغامِرة أكثر قليلاً في الذهاب إلى السينما. *انزعوا سراويلهن الداخلية*، قال أحد السُذَّج قبل أن يبدأ اغتصاب القروية البدينة. من المضحك ما يخطر على بال المرء عندما يجد نفسه تحت مئة وخمسين كيلوغراماً من اللحم الريفيّ لمغتصِبٍ يُقحم نفسه بالقوة داخله مثل مِفصَلة غير مدهونة بالزيت.

"رجاءً"، قالت. "آه توقف رجاءً".

"هناك الكثير بعد"، قال، وها قد أتت تلك القبضة مرة أخرى، لتملأ كامل مجال رؤيتها. أصبح خدّها حارّاً، وشَعَرت بطقطقة في وسط رأسها، وفقدت الوعي.

-7-

عندما استعادت وعيها في المرة التالية، كان يرقص حولها في ردائه السروالي، ويلوّح بيديه من جهة إلى أخرى ويغني "سكر أسمر" بصوت

ناشز. كانت الشمس تغيب، ونافذتا المتجر المهجور المواجهتان للغرب - الزجاج مليء بالغبار لكن غير مكسور بأعجوبة على أيدي المخرِّبين - عابقتين باللهب. راح ظله يرقص بمرح خلفه على الأرضية الخشبية والجدار المليء بمربعات فاتحة اللون للافتات إعلانية كانت معلَّقة عليه في يوم من الأيام. وكان صوت حذاء عمله مروِّعاً.

كانت قادرة على رؤية سروالها الفضفاض متجعِّداً تحت المنضدة حيث تواجدت آلة تسجيل النقود فيما مضى (على الأرجح بجانب مرطبان بيض مسلوق ومرطبان أقدام خِراف مخلَّلة). وكانت قادرة على أن تشمّ رائحة العفن. وآه كم كانت تتألم. وجهها، صدرها، معظم جزئها السفلي، حيث شعَرت أنها ممزَّقة.

تظاهري بالموت. إنها فرصتك الوحيدة.

أغمضت عينيها. توقف الغناء وشمَّت رائحة عرق ذكوري يقترب منها. الرائحة حادة أكثر الآن.

لأنه كان يمارس الرياضة، فكّرت في سرّها. نسيت بشأن التظاهر بالموت وحاوَلت أن تصرخ. لكن قبل أن تتمكن من ذلك، أمسَك حنجرتها بيديه الضخمتين وبدأ يخنقها. فكَّرت في سرّها: *لقد انتهى الأمر. لقد انتهيتُ*. كانت أفكارها هادئةً، مليئةً بالارتياح. على الأقل سيتوقف الألم، ولن تستيقظ بعد الآن لترى الرجل الوحش يرقص في ضوء الغروب المحترق.

فقدت الوعي.

t.me/ktabpdf t.me/ktabrwaya

عندما عادت تَسّ إلى وعيها للمرة الثالثة، كان العالم قد أصبح أسود فضياً وكانت تعوم.

هذا هو الشعور بالموت.

ثم شَعَرت بيدين تحتها – يدين كبيرتين، *يديه* – ودائرة الألم الحاد حول حنجرتها. لم يخنقها بما يكفي ليقتلها، لكنها كانت ترتدي شكل يديه كقلادة، راحتَي يديه على الجهة الأمامية، وأصابعه على الجهتين الجانبيتين والجهة الخلفية لعنقها.

كان الليل. وقد بزغ القمر. بدرٌ. كان يحملها عبر مرأب سيارات المتجر المهجور. متجاوزاً شاحنته. لم تر سيارتها الإكسبديشن. لقد اختفت سيارتها الإكسبديشن.

إلى أين يا تومتوم؟

توقّف عند حافة الطريق. كان بمكنها شمّ عرقه والشعور بصعود وهبوط صدره. بمكنها الشعور بهواء الليل، البارد على رجليها العاريتين. بمكنها سماع تكتكة اللافتة خلفها، "تحبّه يحبّك".

هل يعتقد أنني ميتة؟ لا يمكنه أن يظن أنني ميتة. لا زلتُ أنزف.

أم هل كانت تنزف؟ من الصعب التأكد. كانت مستلقية بترهّل على ذراعيه، وتشعر كفتاة في فيلم رعب، فتاة يحملها جايسن أو مايكل أو فريدي أو مهما يكن إسمه بعد أن ذبح كل الأخريات. يحملها إلى عرينه في غابةٍ عميقةٍ عفِنةٍ حيث ستُقيَّد بسلاسل موصولة بخطّاف في السقف. هناك دائماً سلاسل وخطّافات في السقف في تلك الأفلام.

بدأ يتحرّك من جديد. يمكنها سماع وقعْ حذاء عمله على القطران المرقَّع لطريق ستاغ. ثم سمعت أصوات كشْط وقرقعة على الجانب البعيد. كان يركل بعيداً قِطع الخشب التي نظّفتها بعناية ورمتها في الخندق هنا. لم تعد قادرة على سماع تكتكة اللافتة القماشية، لكن يمكنها سماع صوت مياه جارية. ليس كثيراً، ليس تدفّقاً قوياً، بل مجرد دلف هزيل. ركَعَ. وخرج منه نخرٌ هادئٌ.

سيقتلني الآن بالتأكيد. ولن أضطر على الأقل إلى الاستماع إلى مزيد من غنائه المريع. هذا هو الجزء الجميل، ستقول رامونا نورفيل.

"أيتها الفتاة"، قال بصوت لطيف.

لم تردّ، لكن يمكنها رؤيته ينحني فوقها، ينظر إلى عينيها نصف المغلقتين. حاولت جهدها أن تبقيهما ثابتتين. فإذا رآهما تتحرّكان، ولو قليلاً... أو بريق دموع...

"أنتِ". لمست راحة يده خدها. تركت رأسها يميل إلى الجانب الآخر.

"أنتِ!". صفعها هذه المرة، لكن على خدها الآخر. تركت تَسّ رأسها يرتد إلى الجانب الآخر.

قرَص حلمتها، لكنه لم يكن قد تكبَّد عناء نَزْع بلوزتها وحمّالة صدرها ولم تتألم كثيراً. بقيت مستلقية بترهّل.

"آسف أنني وصفتُك بالحقيرة"، قال وهو لا يزال يستخدم الصوت اللطيف. "لقد استمتعتُ بمجامعتك. أحبهنّ أكبر سناً قليلاً".

أدركت تَسّ أنه *قد* يظن حقاً أنها ميتة. كان هذا مدهشاً، لكن يمكنه أن يكون حقيقياً. وفجأة أرادت بقوة أن تعيش.

رفعها مرة أخرى. أصبحت رائحة العرق الذكوري غامرة فجأة. ودغدَغت شُعَيرات لحيته خدّها، وبذلت ما بوسعها لكي لا ترتعش وتبتعد عنها. قبَّل زاوية فمها.

"آسف أنني كنتُ قاسياً قليلاً".

ثم عاد يتحرّك من جديد. أصبح صوت المياه الجارية صاخباً أكثر. وقد حُجب ضوء القمر عن الأنظار. كانت هناك رائحة – لا، نتانة – أوراق شجر متعفِّنة. وَضَعها في عشرة سنتيمترات أو ثلاثة عشر سنتيمتراً من الماء. كان بارداً جداً، وكادت تصرخ. ضغط على قدميها وتركت رُكبتيها ترتفعان. *بدون عظام*، فكّرت في سرّها. *عليَّ أن أبقى بدون عظام.* لم يذهبا بعيداً قبل أن يرتطما بسطح معدني مموَّج.

"تباً"، قال بنبرة تأمّلية. ثم دفَعها.

بقيت تَسّ مرتخية حتى عندما خربَش شيءٌ – غصنٌ – خط ألم وسط ظهرها. انضغطت رُكبتاها على التموّجات فوقها، ودفَعَ ردفاها كتلةً إسفنجيةً، فتكثّفت رائحة الخُضرة المتعفِّنة. كانت سميكة كاللحم. شعَرت برغبة قوية بالسعال لطرد الرائحة. يمكنها الشعور بحصيرة من أوراق الشجر الرطبة تتجمَّع على ظهرها الصغير، مثل وسادة مبلَّلة بالكامل.

إذا اكتشف حيلتي الآن، سأحاربه. سأركله وأركله –

لكن لم يحصل شيء. بقيت تخشى لوقت طويل أن تفتح عينيها أكثر أو تحرّكهما ولو قليلاً. تخيَّلته رابضاً هناك، ينظر إلى داخل الأنبوب الذي خبأها فيه، برأسها المائل إلى إحدى الجهتين، كما لو أنها سؤال، منتظراً أن تقوم بهكذا حركة. كيف يمكنه ألا يعرف أنها

حيّة؟ لا شكّ أنه شعَر بخفقات قلبها. وما فائدة ركل عملاق الشاحنة؟ سيُمسك قدميها العاريتين بيد واحدة، ويجرّها إلى الخارج، ويستأنف خنقها. ما عدا أنه لن يتوقف هذه المرة.مكتبة

بقيت مستلقية على أوراق الشجر المتعفِّنة والماء البطيء، تنظر إلى لا شيء بعينيها نصف المغمضتين، وتركِّز على التظاهر بالموت. مرَّت في حالة اضطراب لم تكن فقداناً للوعي تماماً، وبقيت هناك لفترة من الزمن بدت لها طويلة لكنها لم تكن طويلة على الأرجح. عندما سمِعت محرّكاً - شاحنته، بالتأكيد شاحنته - قالت لنفسها: *إنني أتخيّل هذا الصوت. أو أحلم به. لا يزال هنا.*

لكن الدوّي غير النظامي للمحرّك ازداد أولاً، ثم خبا على طريق ستاغ.

إنها خدعة.

هذه حالة هستيريا بكل تأكيد. حتى لو لم تكن كذلك، لا يمكنها أن تبقى هنا طوال الليل. عندما رفعت رأسها (وجفلت من وخز الألم في حنجرتها المعتدى عليها) ونظرت نحو فوهة الأنبوب، لم تر سوى دائرة فضية غير معوَّقة من ضوء القمر. بدأت تَسّ تتلوّى نحوها، ثم توقفت.

إنها خدعة. لا يهمّني ما سمِعته، لا يزال هنا.

كانت الفكرة أكثر قوة هذه المرة. فعدم رؤية أي شيء في فوهة البربخ جعَلها أكثر قوة. في روايات التشويق، ستكون هذه لحظة استرخاء خاطئة قبل الذروة الكبيرة. أو أفلام الرعب. اليد البيضاء التي تظهر من البحيرة في فيلم "الخلاص". وظهور آلان أركِن أمام أودري هيبورن في فيلم "انتظر حتى يحل المساء". لا تحبّ روايات وأفلام

الرعب، لكن يبدو أن تعرّضها للاغتصاب والموت الوشيك فتحَ سرداباً كاملاً من ذكريات أفلام الرعب. كما لو أن كل تلك الذكريات كانت موجودة هناك، عالقة في الهواء.

من *الممكن* أن يكون منتظراً. إذا، مثلاً، كان لديه شريك يقود شاحنته مبتعداً عن هنا. من الممكن أن يكون مقرفصاً بعيداً عن فوهة الأنبوب بتلك الطريقة الصبورة المشهورة لدى رجال الريف.

"انزعوا هذه السراويل الداخلية"، همَست، ثم غطّت فمها. ماذا لو سمِعها؟

مرَّت خمس دقائق. ربما كانت خمسة. كان الماء بارداً وبدأت ترتعش. وسرعان ما بدأت أسنانها تصطك. إذا كان هناك، فسيسمعها.

لقد قاد مبتعداً. لقد سمِعته.

ربما. وربما لا.

وربما ليست مضطرة أن تخرج من الأنبوب بنفس طريقة دخولها إليه. كان بربخاً، وسيمتدّ طول المسافة تحت الطريق، ولم يكن مسدوداً بما أنه يمكنها الشعور بالماء يجري تحتها. يمكنها أن تزحفه كله وتخرج من مرأب سيارات المتجر المهجور. ثم تتأكد من غياب شاحنته القديمة. ستظل غير آمنة إذا كان لديه شريك، لكن تَسّ كانت متيقّنة، في الصميم حيث ذهب حسّها المنطقي ليختبئ، أنه لم يكن لديه شريك. فالشريك كان ليصِرَّ على أخذ دوره عليها. بالإضافة إلى ذلك، العمالقة يعملون بمفردهم.

وإذا كان قد غادر؟ ماذا بعد ذلك؟

لم تعرف. لا يمكنها أن تتخيّل حياتها بعد الذي عانته في فترة بعد

الظهر في المتجر المهجور وفي المساء داخل الأنبوب ذي أوراق الشجر المتعفِّنة المتجمِّعة في تجويف ظهرها، لكنها ربما غير مضطرة على ذلك. ربما يمكنها التركيز على العودة إلى المنزل إلى فريتزي وإطعامه رزمة من طعامه اللذيذ. يمكنها رؤية علبة طعامه بوضوح تام. كانت تجلس على رفٍ في حجرة مؤنها المسالمة.

استدارت على بطنها وبدأت تنهض على مِرفقَيها بقصد أن تزحف على طول الأنبوب. ثم رأت مع ماذا كانت تتشارك البربخ. لم تكن إحدى الجثث أكثر من مجرد هيكل عظمي (يمدّ يديه النحيلتين كما لو أنه يتضرَّع)، لكن كان لا يزال هناك ما يكفي من شعر على رأسها لكي تتأكد تَسّ أنها جثة امرأة. ربما كانت الجثة الأخرى دمية لعرض أزياء مركز التسوّق مشوَّهة بشكل سيئ، لولا العينين المنتفختين واللسان الناتئ. هذه جثة حديثة أكثر، لكن الحيوانات عثرت عليها وكان بإمكان تَسّ رؤية تكشيرة أسنان المرأة الميتة حتى في الظلمة.

خرجت خنفساء من شعر دمية عرض الأزياء ومشت بتثاقل على جسر أنفها.

صرخت تَسّ بصوت أجش، وتراجَعت عن البربخ وقفزت إلى قدميها، بملابسها المبلَّلة الملتصقة بجسمها من الخصر وصعوداً. كانت عارية من خصرها ونزولاً. ورغم أنها لم تفقد وعيها (على الأقل لا تظن أنها فقدت وعيها)، بقي وعيها محطَّماً بشكل مضحك لبعض الوقت. عند نظرها إلى الوراء، ستعتبر أن الساعة التالية مرحلةً مظلمةً أضاءتها أضواء مسلَّطة عَرَضيّة. بين الحين والآخر ستقف امرأةٌ معنَّفةٌ بأنف مكسور ودم على فخذَيها تحت أحد تلك الأضواء المسلَّطة. ثم ستختفي في الظلمة مرة أخرى.

- 9 -

كانت في المتجر، في الغرفة المركزية الفارغة الكبيرة التي كانت مقسَّمة إلى أروقة في يوم من الأيام، مع واجهة أطعمة مجمَّدة (ربما) في الجهة الخلفية، وبرّاد زجاجات شراب شعير (بالتأكيد) يمتدّ على طول الجدار البعيد. شمَّت رائحة بقايا قهوة ومخلّلات. إما أنه نسي سروالها الفضفاض أو كان ينوي العودة ليأخذه لاحقاً - ربما عندما يرفَع ركام الخشب المرصَّع بالمسامير. حاولت سحبه من تحت المنضدة. ورأت تحته حذاءها وهاتفها - محطَّماً. نعم، سيعود في مرحلة ما. لقد اختفى رباط شعرها. تذكَّرت (بغموض، بالطريقة التي يتذكّر بها المرء بعض الأشياء من طفولته) أن امرأة سألتها سابقاً في ذلك اليوم من أين اشترته، وتذكَّرت التصفيق المتعذَّر تفسيره عندما قالت متجر جي سي بيني. تذكّرت العملاق يغني "سكر أسمر" - وذلك الصوت الطفولي الرتيب الزاعق - وفقدت الوعي مرة أخرى.

- 10 -

كانت تسير خلف المتجر في ضوء القمر، وقد لفَّت بقايا سجادة حول كتفَيها المرتعشين، لكن لا يمكنها أن تتذكَّر من أين حصلت عليها. كانت قذرة لكن دافئة، وشدّتها على نفسها. تذكَّرت طوافها في المتجر، وأن هذه المرة قد تكون الثانية، أو الثالثة، أو حتى الرابعة. تذكَّرت أنها كانت تبحث عن سيارتها الإكسبديشن، لكن كلما لم تجدها خلف المتجر، تنسى أنها بحثت عنها من قبل وتطوف مرة أخرى. نسيت لأنها ضُربت على رأسها واغتُصبت وخُنِقَت وكانت في

حالة صدمة. خطر على بالها أن دماغها ربما ينزف - كيف يمكنك أن تعرف، إلا إذا استيقَظتَ في مستشفى وأخبَرَتك الممرضة؟ أصبح نسيم بعد الظهر الخفيف أقوى قليلاً، وأصبحت تكتكة لافتة الصفيح صاخبةً أكثر قليلاً. "تحبّه يحبّك".

"سفن أپ"، قالت. كان صوتها أجش لكن نافعاً. "هذا ما يقصده. تحبّه ويحبّك". سمِعت نفسها ترفع صوتها غناءً. لديها صوت غنائي جيد، وتعرّضها للخنق أعطاه بحّة لطيفة بشكل مدهش. كان هذا أشبه بالاستماع لبوني تايلر تغني هنا تحت ضوء القمر. "سفن أپ لذيذ... مثلما يجب أن تكون السيحارة!". أدركت أن هذا لم يكن صحيحاً، وحتى لو كان كذلك، عليها أن تغني شيئاً أفضل من أغاني إعلانات لعينة بينما تدوم تلك البحّة المُرضية في صوتها؛ إذا كنتِ ستتعرّضين للاغتصاب وتُتركين لتموتي في أنبوب مع جثتَين متعفّنتين، يجب أن يخرج شيء جيد من ذلك.

سأغني أشهر أغاني بوني تايلر. سأغني "إنه غَمّ". أنا أكيدة أنني أعرف الكلمات، وأنا أكيدة أنها مخزّنة في الذاكرة العميقة التي يملكها كل كاتب في الجهة الخلفية لـ ...

لكنها فقدت الوعي مرة أخرى. مكتبة

- 11 -

كانت تجلس على صخرة وتبكي بقوة. كانت بقايا السجادة القذرة لا تزال حول كتفَيها. ومنفرج ساقيها يؤلِمها ويحترق. يشير المذاق الحامض في فمها إلى أنها تقيأت في مرحلة ما بين السير حول

المتجر وبين الجلوس على هذه الصخرة، لكن لا يمكنها أن تتذكّر فعلها ذلك. ما تتذكّره –

لقد اغتُصِبتُ، اغتُصِبتُ، اغتُصِبتُ!

"لستِ الأولى ولن تكوني الأخيرة"، قالت، لكن هذا الشعور التأديبي، الذي تمَظهَر في سلسلة شهقات مختنقة، لم يكن مفيداً جداً.

حاول أن يقتلني، وكاد يقتلني!

نعم، نعم. ولم يبدُ فشله عزاءً كبيراً في هذه اللحظة. نظرت إلى يسارها ورأت المتجر على بُعد خمسين أو ستين متراً على الطريق.

لقد قتل أخريات! إنهن في الأنبوب! والحشرات تزحف عليهن ولا يهتمهنّ!

"نعم، نعم"، قالت ببحّة صوتها التي تشبه صوت بوني تايلر، ثم فقدت وعيها مرة أخرى.

- 12 -

كانت تسير وسط طريق ستاغ وتغني "إنه غَمّ" عندما سمِعت محرّكاً يقترب خلفها. استدارت بسرعة، وكادت تقع، ورأت أضواءً أماميةً تُنير أعلى تلةٍ لا بدّ أنها نزلتها للتو. كان هو. العملاق. لقد عاد، وبحثَ في البربخ بعد أن اكتشف اختفاء ملابسها، ورأى أنها لم تعد داخله. كان يبحث عنها.

قفزت تَسّ إلى داخل الخندق، وتعثّرت وسقطت على ركبة واحدة، موقعةً شالها المؤقت، فنهضت، واندفعت نحو الأجمات. تسبَّب غصنٌ بنزف الدم من خدّها. سِمعت امرأةً تشهق من الخوف. قرفصت

على يديها وركبتَيها وتدلّى شعرها على عينيها. سطَع الطريق عندما نزلت الأضواء الأمامية عن التلة. رأت قطعة السجادة الساقطة بوضوح تام، وعرَفت أن العملاق سيراها أيضاً. سيقف وينزل من شاحنته. ستحاول أن تركض لكنه سيُمسك بها. ستصرخ، لكن أحداً لن يسمعها. لا أحد يسمع الضحية في القصص المماثلة. سيقتلها، لكنه سيغتصبها بضع مرات أخرى أولاً.

مرَّت السيارة - كانت سيارة هذه المرة، وليس شاحنة - دون أن تُبطئ سيرها. وسمِعت من الداخل أغنية الفرقة باخمان-تيرنر أوفردرايف بصوت صاخب: "حبيبتي-ي-ي، لم تر ش-ش-شيئاً بعد". راقَبت الأضواء الخلفية تختفي بعيداً عن الأنظار. شعَرت بنفسها تستعد لتفقد الوعي مرة أخرى فصفَعت خدّيها بكلتَي يديها.

"لا!" ، زمجَرت بصوت بوني تايلر. *"لا!"* .

استعادت رشدها قليلاً. وشعَرت بحاجة ماسّة لتبقى رابضةً في الأجمات، لكن ذلك لم يكن جيداً. لا يزال الوقت طويلاً قبل طلوع ضوء النهار، ولا يزال الوقت طويلاً على الأرجح حتى منتصف الليل. كان القمر منخفضاً في السماء. لا يمكنها أن تبقى هنا، ولا يمكنها أن تواصل... فقدان الوعي. عليها أن تفكِّر.

التقطت تَسّ قطعة السجادة من الخندق، وبدأت تلفّها حول كتفَيها مرة أخرى، ثم لمست أذنيها، وهي تعرف ما الذي ستجده. لقد اختفى القرطان الماسيان، وهما إحدى المرات القليلة التي تبذِّر فيها حقاً. أجهشت بالبكاء مرة أخرى، لكن البكاء هذه المرة كان أقصر، وعندما انتهت شعَرت أنها عادت إلى طبيعتها قليلاً. عادت لتكون مُقيمة في رأسها وجسمها بدلاً من أن تكون مجرد شبحٍ هائمٍ.

فكّري يا تَسّا جان!

حسناً، ستحاول. لكنها ستسير بينما تفعل ذلك. ولن تغني بعد الآن. كان صوتها المتغيِّر مروِّعاً. كان كما لو أنه باغتصابها، ولَّد العملاق امرأةً جديدةً. لم ترغب أن تكون امرأةً جديدةً. فهي كانت تحبّ المرأة القديمة.

تسير. تسير في ضوء القمر وظلها يسير بجانبها على الطريق. أي طريق؟ طريق ستاغ. وفقاً للتومتوم، كانت تبعُد أقل من ستة كيلومترات بقليل عن تقاطع طريق ستاغ وطريق الولايات المتحدة 47 عندما اصطدمت بفخ العملاق. لم يكن ذلك سيئاً للغاية؛ فهي معتادة على السير لخمسة كيلومترات على الأقل في اليوم لكي تحافظ على لياقتها البدنية، وتستخدم جهاز المشي في الأيام التي يتساقط فيها المطر أو الثلج. بالطبع أن هذه النزهة الأولى لتَسّ الجديدة، تَسّ المتألمة، النازفة، التي لها بحّة في صوتها. لكن هناك جانب إيجابي: كانت تسخِّن، ونصفها العلوي ينشف، وترتدي حذاءً مسطَّحاً. كادت ترتدي كعباً عالياً، وذلك كان ليجعل هذه النزهة المسائية بغيضة جداً بالفعل. لا تقصد أن النزهة ستكون ممتعة في أي ظرف من الظروف، لا لا –

فكّري!

لكن قبل أن تتمكن من بدء فعل ذلك، سطَع الطريق أمامها. اندفعت تَسّ نحو الخميلة مرة أخرى، وتمكّنت من التمسّك ببقايا السجادة هذه المرة. كانت سيارة أخرى، الحمد لله، وليست شاحنته، ولم تُبطئ سيرها.

لا يزال من الممكن أن يكون هو. ربما بدّل إلى سيارةٍ. من الممكن

أن يكون قد عاد إلى منزله، إلى عرينه، وبدَّل إلى سيارةٍ ظنّاً منه أنني سأرى سيارة وأخرج من مخبئي. حتى إنني قد ألوّح له بيدي فيقبض عليَّ.

نعم، نعم. هذا ما سيحصل في أفلام الرعب، أليس كذلك؟ "ضحايا صارِخة 4" أو "رعب طريق ستاغ 2"، أو -

كانت تحاول أن تفقد الوعي مرة أخرى، لذا صفَعت خدّيها. بعدما تصبح في منزلها، بعدما تُطعِم فريتزي وتأوي إلى سريرها (بعد إقفال كل الأبواب وإضاءة كل الأنوار)، يمكنها أن تفقد وعيها قدر ما تشاء من مرات. لكن ليس الآن. لا لا لا. عليها مواصلة السير الآن، والاختباء عند مرور السيارات. إذا تمكّنت من فعل هذين الأمرين، ستصل إلى طريق الولايات المتحدة 47 في نهاية المطاف، وقد تجد متجراً هناك. متجر حقيقي، متجر فيه هاتف عمومي، إذا كانت محظوظة... وهي تستحق بعض الحظ. لم يكن جزدانها معها، كان لا يزال في الفورد إكسبديشن (أينما كانت)، لكنها تحفظ رقم بطاقة اتصالاتها عن ظهر قلب؛ كان رقم هاتف منزلها زائد 9712. سهل جداً.

رأت لافتة على جانب الطريق قرأتها بسهولة في ضوء القمر:

أنت تدخل الآن بلدة كولْويتش

مرحباً بك أيها الصديق!

"تحبّ كولْويتش، وهي تحبّك"، همَست.

كانت تعرف البلدة، التي يلفظ السكان المحليون إسمها "كوليتش". كانت مدينة صغيرة في الواقع، واحدة من المدن العديدة في نيو إنغلاند التي كانت مزدهرة فيما مضى خلال حقبة مصانع النسيج وبقيت تكافح بطريقة أو بأخرى في عصر التجارة الحرة الجديد، عندما

أصبحت سراويل أميركا وستراتها تُصنَع في آسيا أو أميركا الوسطى، وعلى الأرجح من قِبل أولاد لا يعرفون القراءة أو الكتابة. كانت على الضواحي، لكن يمكنها السير إلى هاتفٍ بالتأكيد.

ثم ماذا؟

ثم سوف... سوف...

"أطلب سيارة ليموزين"، قالت. لمعت الفكرة في ذهنها مثل شروق الشمس. نعم، هذا ما ستفعله بالضبط. إذا كانت هذه كولْويتش، فإن بلدتها كونّكتيكت تبعُد خمسين كيلومتراً، وربما أقل. ومقرّ شركة سيارات الليموزين التي تستعين بها عندما تريد الذهاب إلى مطار برادلي الدولي أو هارتفورد أو نيويورك (لا تقود تَسّ في المدينة إذا استطاعت ذلك) في بلدة وودفيلد المجاورة. وشركة الليموزين الملكية تقدِّم خدماتها على مدار الساعة. وحتى أفضل، ستكون معلومات بطاقة إئتمانها في أرشيف الشركة.

شَعَرت تَسّ بتحسّن وبدأت تسير أسرع قليلاً. ثم سطَعت أضواءٌ أماميةٌ على الطريق وأسرعَت إلى الأجمات مرة أخرى وربضَت هناك، مرتعبةً مثل أي طريدة: غزال، أرنب، ثعلب. هذه المركبة *كانت* شاحنة، وبدأت ترتعش. بقيت ترتعش حتى عندما رأت أنها تويوتا بيضاء صغيرة ولا تشبه على الإطلاق فورد العملاق القديمة. عندما اختفت عن الأنظار، حاوَلت إجبار نفسها على العودة إلى الطريق، لكنها لم تتمكن في البدء. كانت تبكي مرة أخرى، والدموع دافئة على وجهها القارس. شعَرت أنها تستعد للخروج من ضوء الإدراك المسلَّط مرة أخرى. لا يمكنها ترك هذا يحصل. فإذا سمحت لنفسها بالذهاب إلى سواد اليقظة ذاك مرات عديدة، فقد تضيِّع طريق عودتها في نهاية المطاف.

أجبرت نفسها على التفكير بشكر سائق الليموزين وإضافة بقشيش إلى استمارة بطاقة الإئتمان قبل أن تصعد ببطء الطريق المزيَّن بالزهور إلى بابها منزلها. ورفع صندوق بريدها وأخذ المفتاح الإضافي من الخطّاف الموجود خلفه. والاستماع إلى مواء فريتزي بقلق.

تذكُّر فريتزي أحدَثَ الأثر المطلوب. فشقّت طريقها إلى خارج الأجمات واستأنَفت السير، وهي مستعدة لتختبئ من جديد لحظة رؤيتها أضواءً أماميةً أخرى. في تمام اللحظة. لأنه هناك في مكان ما. أدرَكت أنه سيكون هناك دائماً من الآن وصاعداً. إلا إذا قبضت عليه الشرطة، وزجَّت به في السجن. لكن لكي يحصل ذلك، عليها التبليغ عما حصل، ولحظة ورود هذه الفكرة على بالها، رأت عنواناً أسود ساطعاً على غرار عناوين نيويورك بوست:

تعرُّض كاتبة "بستان الصفصاف" للاغتصاب بعد محاضرة

لا شك أن الصحف الصفراء أمثال بوست ستنشر صورة لها تعود إلى عشر سنوات، عندما نُشر أول كتاب لها لجمعية الحياكة. كانت وقتها في أواخر العشرينات من عمرها، مع شعر أشقر داكن طويل يتدلّى على ظهرها، وساقين جميلتين كانت تحبّ إظهارهما في تنانير قصيرة. زائد – في المساء – خُفٌّ من النوع الذي له حزام من الخلف وكعب عالٍ والذي يسمّيه بعض الرجال (والعملاق أحدهم، بالتأكيد) حذاء "جامعني". لن يذكروا أنها أصبحت الآن أكبر بعشر سنوات وأثقل بعشرة كيلوغرامات، وأنها كانت ترتدي زيّاً مهنياً – عتيقاً تقريباً – عندما اعتُدي عليها؛ فهذه التفاصيل لا تناسب نوع القصص التي تحبّ الصحف الصفراء نشرها. سيكون النص محترَماً كفاية (ولو كان

عابثاً بين السطور)، لكن صورتها القديمة ستُخبِر القصة الحقيقية، قصةً تسبق على الأرجح اختراع العجلة: *طَلَبت ذلك... وحصلت عليه*.

هل كان ذلك واقعياً، أم أن مجرد شعورها بالخِزي ونظرتها المحطَّمة بشكل سيئ لذاتها يتخيّلان سيناريو أسوأ الظروف؟ جزؤها الذي قد يريد مواصلة الإختباء في الأجمات حتى ولو تمكّنت من الخروج من هذا الطريق المريع ومن ولاية ماساتشوستس المريعة هذه ومن العودة إلى منزلها الصغير الآمن في قرية ستوك؟ لا تعرف، وقدَّرت أن الجواب الحقيقي يكمن في مكان ما بين الاثنين. لكن الشيء الوحيد الذي *تعرفه* هو أنها ستنال تغطيةً في كل أنحاء البلاد من النوع الذي تتمنّاه كل كاتبة عندما تنشر كتاباً ولا تريده أي كاتبة عندما تُغتصَب وتُسرَق وتُترك لتموت. يمكنها أن تتخيّل شخصاً يرفع يده خلال فترة طرح الأسئلة ويسألها، "هل شجَّعته بأي طريقة من الطرق؟".

كان هذا مضحكاً، وهي تعرف ذلك حتى في حالتها الذهنية الحالية... لكنها تعرف أيضاً أنه إذا انتشر هذا الخبر، سيرفع أحدهم يده ليسألها، "هل ستكتبين عن هذا؟".

وماذا ستقول؟ ماذا *يمكنها* أن تقول؟

لا شيء، فكَّرت تَسّ. *سأنزل عن المنصة واضعة يديَّ فوق أذنيَّ.*

لكن لا.

لا لا لا.

كانت الحقيقة أنها لن تكون هناك في المقام الأول. كيف يمكنها أن تقدِّم أي لقاء آخر أو محاضرة أخرى أو جلسة توقيع أخرى، وهي تعلم *أنه* قد يحضر، مبتسماً لها من الصف الخلفي؟ مبتسماً من تحت

تلك القبعة البنيّة الغريبة التي عليها بُقع بيضاء؟ وربما قرطاها في جيبه. يداعبهما.

فكرة تبليغ الشرطة جَعَلت بشرتها تحترق، ويمكنها أن تشعر بوجهها يجفل حرفياً في خِزيٍ، حتى هنا في العراء، لوحدها في الظلمة. ربما لم تكن سُو غرافتون أو جانيت إيفانوفتش، لكنها لم تكن أيضاً، بالمعنى الدقيق للكلمة، شخصاً عادياً. حتى إن خبرها سيُذاع على محطة CNN ليوم أو يومين. سيعرف العالم أن عملاقاً مجنوناً مبتسماً أفرَغ حمولته داخل كاتبة بستان الصفصاف. وحتى حقيقة أخذه سروالها الداخلي كتذكار قد تظهر. لن تذيع CNN هذا الجزء من الخبر، لكن الناشونال إنكوايرر أو الإنسايد فيو لن تمارس هكذا تحفّظ.

قالت مصادر من داخل التحقيق إنهم وجدوا سروال الكاتبة الداخلي في جارور المغتصِب المتَّهم: أزرق من ماركة فيكتوريا سيكرت من الصنف الذي يُعلّق على الورك، ومشذّب برباطٍ.

"لا يمكنني أن أُبلِّغ"، قالت. "لن أُبلِّغ".

لكن كانت هناك أخريات قبلك، ويمكن أن تكون هناك أخريات بعدك –

دفَعت هذه الفكرة بعيداً. كانت مُتعَبة جداً لتفكِّر بما قد تكون أو قد لا تكون مسؤوليتها الأخلاقية. ستفكِّر بهذه المسألة لاحقاً، إذا قُدِّر لها أن تعيش... وبدا لها هذا الأمر وارداً. لكن ليس على هذا الطريق المهجور حيث يمكن أن تكون أي أضواء مقتربة تجرّ المغتصِب خلفها.

مغتصبها. كان مغتصبها الآن.

بعد حوالي كيلومتر من تجاوزها لافتة كولْويتش، بدأت تَسّ تسمع صوتاً مكتوماً منخفضاً إيقاعياً بدا آتياً من الطريق عبر قدميها. راح تفكيرها الأول نحو وحوش هـ. ج. ويلز المتحوِّلة، التي تشغِّل آلاتها عميقاً في أحشاء كوكب الأرض، لكن خمس دقائق أخرى وضَّحت الصوت. كان آتياً عبر الهواء، وليس من الأرض، وكان صوتاً تعرفه: أنغام غيتار كهربائي. اندمجت به ألحان بقية آلات الفرقة الموسيقية أثناء سيرها. بدأت ترى ضوءاً في الأفق، ليس ضوءاً أمامياً بل بياض قوس الصوديوم وبريق النيون الأحمر. كانت الفرقة الموسيقية تغني "ماستانغ سالي"، ويمكنها سماع أصوات ضحكات. كانت أصواتاً ثملةً وجميلةً، تعزّزها صيحات حفلة صاخبة سعيدة. جعَلها الصوت تشعر برغبة بالبكاء قليلاً.

كان النُزُل، وهو حظيرة هونكي تونك قديمة كبيرة مع مرأب سيارات ترابي ضخم بدا ممتلئاً بالكامل، يدعى نُزُل المترنِّح. وَقَفت عابسةً عند أطراف الوهج الذي تلقيه أضواء مرأب السيارات. لماذا هذا العدد الكبير من السيارات؟ ثم تذكَّرت أنها ليلة جمعة. يبدو أن نُزُل المترنِّح مقصدَ جميع سكان كولْويتش والبلدات المحيطة في ليالي الجمعة. سيكون لديهم هاتف، لكن عدد الأشخاص سيكون كبيراً أيضاً. سيشاهدون وجهها المرضوض وأنفها المائل. وسيريدون معرفة ماذا حصل لها، ولم تكن في حالة تسمح لها بتأليف قصة. على الأقل ليس بعد. حتى وجود هاتف عمومي في الخارج لم يكن جيداً، لأنه يمكنها رؤية أشخاص في الخارج أيضاً. والكثير منهم. بالطبع. عليك الخروج إلى الخارج هذه الأيام إذا أردت أن تدخِّن سيجارةً. كما أنه...

يمكن أن يكون هناك. ألم يرقص بمرح حولها في لحظة من اللحظات، وهو يغني إحدى أغاني الرولينغ ستونز بصوته الناشز المريع؟ افترَضت تَسّ أنها ربما حلَمت بذلك الجزء - أو هلوَست به - لكنها لا تعتقد ذلك. أليس ممكناً أنه بعد إخفائه سيارتها، سيأتي مباشرة إلى نُزُل المترنِّح، بكل أنابيبه المنظَّفة وجاهزاً ليحتفل طوال الليل؟

بدأت الفرقة الموسيقية تغني ستاراً ملائماً تماماً لإحدى الأغنيات القديمة لفرقة الكرامبس: "هل يمكنك إطعام كلبي". لا، قالت تَسّ لنفسها، *لكن لا شك أن كلباً اليوم أطعمني*. لم تكن تَسّ القديمة لتوافق على هكذا نكتة، لكن تَسّ الجديدة شعَرت أنها نكتة لعينة مضحكة جداً. نبَحَت ضحكةً جشّاء واستأنفت السير، منتقلةً إلى الجهة الأخرى للطريق، حيث لا تصل أضواء مرأب سيارات النُزُل كثيراً.

أثناء تجاوزها الجهة البعيدة للمبنى، رأت شاحنة بيضاء قديمة مركونة عند رصيف التحميل. لم يكن هناك قوس صوديوم في هذه الجهة من نُزُل المترنِّح، لكن ضوء القمر كان كافياً لكي ترى عليها صورة الهيكل العظمي الذي يضرب بمجموعة طبوله المصنوعة من كعك مكوَّب. لا عجب أن الشاحنة لم تتوقف لتُبعِد الركام المليء بالمسامير عن الطريق. كان خبّازو الزومبي متأخرين على فترة التجهيز للحفلة، وهذا ليس جيداً، لأن نُزُل المترنِّح يكون مزدحماً في ليالي الجمعة.

"هل يمكنك إطعام كلبي؟"، سألت تَسّ، وشدَّت بقايا السجادة القذرة حول عنقها قليلاً. لم تكن معطفاً من فرو المِنْك، لكنها أفضل من لا شيء في ليلة من ليالي أكتوبر الباردة.

- 14 -

عندما وصلت تَسّ إلى تقاطع طريق ستاغ والطريق 47، رأت شيئاً جميلاً: محطة وقود مع هاتفين عموميين على الجدار بين المراحيض.

استخدَمت حمّام النساء أولاً، واضطرت أن تضع يدها على فمها لتكبت صرخةً عندما بدأ بولها يتدفّق؛ كان شعورها كما لو أن شخصاً أشعَلَ علبة أعواد ثقاب في الداخل. عندما نهضت عن المرحاض، كانت دموعٌ جديدةٌ تنهمر على خدّيها. كان الماء في الوعاء زهرياً. نشّفت نفسها - بلطف كبير - بإحدى أوراق المرحاض، ثم شطفت الحوض. كانت لتأخذ لفافة أخرى وتضعها بين منفرج ساقيها، لكن لا يمكنها أن تفعل ذلك بالطبع. فالعملاق أخذ سروالها الداخلي كتذكار.

"أيها الوغد"، قالت.

توقفت مؤقتاً واضعةً يدها على مسكة الباب، وراحت تنظر إلى المرأة المرضوضة المُبرقَة العينين المنعكسة صورتها على المرآة المعدنية فوق المغسلة. ثم خرَجت.

- 15 -

اكتشَفت أن استخدام هاتف عمومي في هذا العصر الحديث أصبح صعباً بشكل غريب، حتى ولو كنتَ تحفظ رقم بطاقة محادثاتك الهاتفية في ذاكرتك. أول هاتف جرَّبته عمِل في اتجاه واحد فقط: يمكنها سماع عاملة الهاتف، لكن عاملة الهاتف لا يمكنها سماعها، وانقطع الاتصال. أما الهاتف الآخر فكان مائلاً على الجدار - وهذا ليس مشجّعاً - لكنه عمِل. كان هناك صفير متواصل مزعج، لكنها تمكّنت

على الأقل من التواصل مع عاملة الهاتف. إلا أن تَسّ لا تملك قلماً. كانت هناك عدة أدوات كتابة في جزدانها، لكن جزدانها اختفى طبعاً.

"ألا يمكنك وصلي بالرقم؟"، سألت العاملة.

"لا يا سيدتي، عليك طلبه بنفسك لكي تتمكني من استخدام بطاقة إئتمانك". تكلَّمت العاملة بصوت شخص يشرح أمراً واضحاً لولد غبي. هذا لم يُغضِب تَسّ؛ فهي شعَرت أنها ولد غبي. ثم رأت كم كان الجدار قذراً. أخبرَت العاملة أن تعطيها الرقم، وعندما فعلت ذلك، كتَبته بإصبعها على الغبار.

قبل أن تتمكن من بدء طلب الرقم، توقفت شاحنةٌ في مرأب السيارات. قفز قلبها إلى حنجرتها بسهولة بهلوانية مذهلة، وعندما نزل منها فتَيان يضحكان يرتديان سترتَي مدرسة ثانوية ودخلا المتجر، شعَرت بسرورٍ أنه كان هناك في الأعلى. فقد كبتَ صرخةً كانت ستخرج منها بالتأكيد لولا ذلك.

شعَرت بالعالم يحاول أن يزول وأسندت رأسها على الجدار للحظة، وراحت تلهث لكي تستعيد أنفاسها. أغمضت عينيها. ورأت العملاق يقف أمامها مثل برج شاهق، ويديه في جيبَي ردائه السروالي، وفتحت عينيها مرة أخرى. طلَبت الرقم المكتوب على غبار الجدار.

هيّأت نفسها لآلة ردٍّ على المكالمات الهاتفية، أو لموزِّعٍ ضجِرٍ يُخبرها أنه لا توجد لديهم سيارات، بالطبع لا توجد، فهذه ليلة الجمعة، هل وُلدتِ غبية يا سيدة، أو فقط ترعرعتِ بهذه الطريقة؟ لكن امرأة جدّية عرَّفت عن نفسها بأنها أندريا أجابت على الهاتف من الرنّة الثانية. استمَعت إلى تَسّ، وقالت إنها سترسل لها سيارة فوراً، والسائق يدعى مانويل. نعم، تعرف بالضبط من أين تتصل تَسّ، لأنهم يرسلون

سيارات إلى نُزُل المترنِّح طوال الوقت.

"حسناً، لكنني لستُ هناك"، قالت تَسّ. "أنا عند التقاطع الذي يبعُد حوالي كيلومتر عن –"

"نعم سيدتي، أعرف هذا"، قالت أندريا. "محطة الوقود. نذهب إلى هناك أحياناً أيضاً. الأشخاص في أغلب الأحيان يسيرون ويتصلون بنا إذا أكثروا من تناول الشراب. سيحتاج السائق إلى حوالي خمس وأربعين دقيقة، وربما حتى ساعة ليصل إليك".

"هذا جيد"، قالت تَسّ. كانت الدموع تنهمر مرة أخرى. دموع امتنان هذه المرة، رغم أنها أخبَرَت نفسها بألا تطمئن، لأن آمال البطلة في القصص المماثلة تكون خاطئة في أغلب الأحيان. "هذا جيد تماماً. سأكون عند الناصية قُرب الهواتف العمومية، أراقب الطريق".

ستسألني الآن إن أكثرتُ من تناول الشراب. لأنني أبدو هكذا على الأرجح.

لكن أندريا أرادت فقط أن تعرف إن كانت ستدفع نقداً أو عبر بطاقة إئتمان.

"أميركان اكسبرس. يجب أن أكون في كمبيوترك".

"نعم، سيدتي، لدينا معلوماتك. شكراً لاتصالك بشركة الليموزين الملكية، حيث يُعامل كل زبون كأنه ملك". أغلقت أندريا الخط قبل أن تتمكّن تَسّ من شكرها.

بدأت تعيد سمّاعة الهاتف إلى مكانها، ثم ظهر رجلٌ – هو، *إنه هو* – من زاوية المتجر وتوجَّه نحوها. لم تكن هناك فرصة للصراخ هذه المرة؛ كانت مشلولة من الرعب.

كان أحد الفتَيين المراهقَين. تجاوزها من دون أن ينظر إليها ودخلَ حمّام الرجال. وخبطَ الباب. سمِعت بعد لحظة الصوت المتحمس لشابٍ يُفرِغ مثانة صحية تماماً.

سارت تَسّ حول المبنى إلى جهته الخلفية. ثم وَقَفت هناك بجانب مكَبّ قمامة تفوح منه رائحة كريهة (لا ، فكّرت في سرّها، *أنا لا أقف، أنا أختبئ*)، بانتظار أن ينتهي الشاب ويخرج. عندما فعل ذلك، عادت إلى الهاتفين العموميين لتراقب الطريق. رغم كل الأماكن التي تؤلمها، كان بطنها يلعلِع من الجوع. لم تتناول عشاءها، وكانت مشغولة جداً وهي تُغتصب وتكاد تُقتَل لكي يأكل. كان ليسرّها كثيراً أن تحصل على إحدى الوجبات الخفيفة التي يبيعونها في هكذا أماكن - وحتى بعض رقائق البسكويت الهشّ بزبدة الفول السوداني البغيضة الصغيرة تلك، الصفراء بشكل غريب، كانت ستكون لذيذة - لكنها لا تحمل أي مال. وحتى لو كان معها مال، لما دخلت إلى هناك. كانت تعرف نوع الأضواء التي يستخدمونها في متاجر البقالة التي بجانب الطريق الشبيهة بمحطات الوقود، تلك الأضواء الفلورية الساطعة والعديمة الشفقة التي تجعَل حتى الأشخاص المعافين يبدون كأنهم يعانون من سرطان البنكرياس. وسينظر البائع الواقف خلف المنضدة إلى خدّيها وجبهتها المرضوضَين، وأنفها المكسور وشفتيها المتورّمتين، وقد لا يقول أي واحد منهما شيئاً، لكن تَسّ سترى عينيه تتّسعان، وربما ارتعاشاً مقموعاً على شفتيه. لأن الناس، بصراحة، يمكن أن يعتبروا منظر المرأة المُشبَعة ضرباً مضحكاً. خاصة في ليلة جمعة. *مَن ضربك يا سيدة، وماذا فعلتِ لكي تستحقي ذلك؟ ألم تستجيبي لطلباته بعد أن أمضى الشاب ساعات عمله الإضافية عليك؟*

ذكَّرها ذلك بنكتة قديمة سمعتها في مكان ما: *لماذا يتم تعنيف ثلاثمئة ألف امرأة كل سنة في أميركا؟ لأن... اللعينات... لا يسمعن.*

"لا يهمّ"، همَست. "سآكل شيئاً عندما أعود إلى المنزل. سلطة طون، ربما".

بدا هذا جيداً، لكن جزءاً منها كان مقتنعاً أن أيام تناولها سلطة الطون – أو رقائق البسكويت الهشّ بزبدة الفول السوداني الصفراء البغيضة لمتاجر البقالة – قد ولَّت. وفكرة توقف سيارة ليموزين لنقلها من هذا الكابوس كانت سراباً مجنوناً.

من مكان ما على يسارها، استطاعت تَسّ سماع السيارات تمرّ مسرعةً على طريق i-84 العام – الطريق الذي كانت ستسلكه لو لم تكن مسرورة جداً عندما عُرض عليها سلوك طريق أقصر. هناك على الطريق الرئيسي، كان الأشخاص الذين لم يُغتصبوا أبداً أو يُحشروا في أنابيب يذهبون إلى أماكن مختلفة. شَعَرت تَسّ أن صوت سفرهم المرِح كان أكثر صوت إحساساً بالوحدة سمعته في حياتها.

– 16 –

وصلت الليموزين. كانت سيارة لينكولن تاون كار. نزل الرجل الجالس خلف مِقوَدها وراح ينظر حوله. راقبته تَسّ عن كثب من زاوية المتجر. كان يرتدي بذلة داكنة. وكان رجلاً صغيراً يرتدي نظّارات ولم يبدو مغتصِباً... لكن بالطبع لم يكن كل العمالقة مغتصِبين، ولم يكن كل المغتصِبين عمالقة. عليها أن تثق به. ليس لديها أي خيار آخر إذا أرادت العودة إلى المنزل وإطعام فريتزي. لذا رمت روبها المؤقت القذر

بجانب الهاتف العمومي الذي عمِل في الواقع، وسارت ببطء وثبات نحو السيارة. بدا لها الضوء الذي يسطع من نوافذ المتجر ساطعاً جداً بعد مكوثها في ظلال المبنى، وعرَفت كيف يبدو وجهها.

سيسأل ما الذي حصل لي، ثم سيسأل إذا كنتُ أريد الذهاب إلى المستشفى.

لكن مانويل (الذي ربما رأى أسوأ من ذلك، لم يكن هذا أمراً مستحيلاً) فتح لها الباب ببساطة وقال، "أهلاً بك في شركة الليموزين الملكية يا سيدتي". كانت لكنته من أصول إسبانية ناعمة تتماشى مع بشرته الزيتونية وعينيه الداكنتين.

"حيث أُعامَل كملكة"، قالت تَسّ. حاوَلت أن تبتسم، فشعرت بألم في شفتيها المتورّمتين.

"نعم، سيدتي". ولا شيء آخر. شكراً لك مانويل، الذي ربما رأى أسوأ من هذا - ربما في المكان الذي ترعرع فيه، وربما على المقعد الخلفي لهذه السيارة بالذات. مَن يعرف ما هي الأسرار التي يحتفظ بها سائقو سيارات الليموزين؟ كان سؤالاً قد يُخفي كتاباً جيداً. ليس من النوع الذي تكتبه، بالطبع... لكن مَن يعلم ما هو نوع الكتب التي قد تكتبها بعد هذا؟ أو إن كانت ستكتب أي كتاب آخر حتى؟ ربما مغامرة هذه الليلة أزالت الفرح الداخلي الذي فيها لبعض الوقت. وربما حتى إلى الأبد. كان من المستحيل معرفة ذلك.

جلست على المقعد الخلفي للسيارة، وكانت تتحرّك مثل عجوز تعاني من حالة متقدمة من ترقّق العظام. بعدما أغلق لها الباب، لفّت أصابعها حول المقبض وراحت تراقب عن كثب لتتأكد أن مانويل هو

الشخص الذي سيجلس خلف المِقوَد وليس العملاق ذا الرداء السروالي. في فيلم "رعب طريق ستاغ 2"، سيكون العملاق: تهديد آخر قبل نهاية الفيلم. *إليك بعض السخرية، فهذا جيد لدمك.*

لكن مانويل مَن جلس خلق المِقوَد. بالطبع كان مانويل. استرخت قليلاً.

"العنوان الذي معي هو 19 شارع بريمروز، في قرية ستوك. هل هذا صحيح؟".

بقيت للحظة غير قادرة على التذكُّر؛ لقد ضغطت أزرار رقم بطاقة محادثاتها الهاتفية في الهاتف العمومي من دون تفكير، لكنها لا تستطيع أن تتذكَّر عنوانها.

استرخي، قالت لنفسها. *لقد انتهى الأمر. هذا ليس فيلم رعب، هذه حياتك. لقد مررتِ في تجربة فظيعة، لكنها انتهت. لذا استرخي.*

"نعم يا مانويل، هذا صحيح".

"هل ستريدين القيام بأي توقف على الطريق، أو سنذهب إلى منزلك مباشرة؟". كان هذا أقرب ما ذكره عما أظهرت له أضواء محطة الوقود عندما سارت إلى سيارته.

من باب الحظ فقط أنها كانت لا تزال تأخذ حبوب منع الحمل – الحظ وربما التفاؤل، فهي لم تُقم علاقة حميمة لمدة ليلة واحدة منذ ثلاث سنوات، إلا إذا احتسبنا هذه الليلة – لكن الحظ كان شحيحاً اليوم، وشَعَرت بالامتنان لهذا المقدار الصغير جداً منه. كانت متأكدة أن مانويل يستطيع إيجاد صيدلية تفتح أبوابها طوال الليل في مكان ما على الطريق، فيبدو أن سائقي الليموزين يعرفون كل هذه الأمور، لكنها

لم تعتقد أنها قادرة على دخول أي صيدلية وطلب حبة الصباح التالي. سيفضح وجهها سبب حاجتها إلى واحدة. وبالطبع هناك مشكلة المال.

"لا توقفات أخرى، فقط خذني إلى المنزل، رجاءً".

سرعان ما أصبحا على طريق i-84 العام، الذي كان مزدحماً بحركة مرور ليلة الجمعة. أصبح طريق ستاغ والمتجر المهجور خلفها. وما كان أمامها هو منزلها، بنظام أمانه وقفلٍ لكل باب. وهذا كان جيداً.

- 17 -

سار كل شيء مثلما تخيَّلته تماماً: الوصول، البقشيش المضاف إلى قسيمة بطاقة الإئتمان، السير على المدخل المزيَّن بالزهور (طلبت من مانويل أن يبقى، لينير لها طريقها بأضوائه الأمامية، إلى أن تدخل المنزل)، صوت مواء فريتزي وهي تُميل صندوق البريد وتأخذ مفتاح الطوارئ عن خطّافه. ثم أصبحت في الداخل وفريتزي يدور بقلق حول قدميها، راغباً بشدّة أن تحمله وتحضنه، راغباً بشدّة أن تُطعِمَه. فعلت تَسّ كل تلك الأشياء، لكنها أقفَلت الباب الأمامي خلفها أولاً، ثم ضبطت جهاز إنذار السرقة لأول مرة منذ أشهر. وبعدما رأت كلمة "نشط" تومض في النافذة الخضراء الصغيرة فوق لوحة المفاتيح، بدأت تشعر أخيراً أنها تستعيد شيئاً من طبيعتها. نظَرَت إلى ساعة المطبخ واندهشت من رؤية أنها الحادية عشرة والرُبع فقط.

بينما كان فريتزي يأكل طعامه اللذيذ، فحَصت بابَي الفناء الخارجي والفناء الجانبي، لتتأكد أنهما مُقفلان. ثم النوافذ. كان يُفترَض أن تُظهِر شاشة جهاز الإنذار إن كان أي شيء مفتوحاً، لكنها لم تثق

به. وبعدما تأكدت أن كل شيء آمن، ذهَبت إلى خزانة القاعة الأمامية وأنزلت صندوقاً بقي على الرف العلوي منذ مدة طويلة بحيث تراكمت طبقة من الغبار عليه.

حصلت موجة سرقات واقتحامات للمنازل منذ خمس سنوات في شمالي كونّكتيكت وجنوبي ماساتشوستس. وكان أغلب الفاعلين الأشقياء مدمني صنف من المخدرات يسمّيه العديد من متعاطيه في نيو إنغلاند أوكسيكونتن. حُذِّر السكان بأن عليهم اليقظة و"أخذ تدابير وقائية معقولة". لم تكن لدى تَسّ أي مشاعر قوية لتأييد المسدَّسات أو معارضتها، ولم تشعر أيضاً بقلق كبير من اقتحام رجال غرباء منزلها ليلاً (ليس وقتها)، لكن المسدَّس بدا أحد التدابير الوقائية المعقولة، وكانت تنوي أن تثقِّف نفسها عن المسدَّسات من أجل كتاب بستان الصفصاف التالي، على أي حال. وبدا لها أن موجة الخوف من السرقات هي الفرصة المثالية لذلك.

ذهَبت إلى متجر هارتفورد للأسلحة المصنَّف الأفضل على الانترنت، ونصحها البائع بمسدَّس سميث وويسون عيار 38. سمّاه عصّارة ليمون. اشترته في الأغلب لأن ذلك الإسم أعجبها. كما أخبَرَها عن ميدان رماية جيد في ضواحي قرية ستوك. أخذت تَسّ مسدَّسها إلى هناك حالما انقضت فترة الانتظار لثماني وأربعين ساعة وأصبحت قادرة على استلامه. وقد أطلقت حوالي أربعمئة طلقة على مدى أسبوع، مستمتعةً بتشويق أصوات إطلاق النار في البدء لكن سرعان ما ضجِرت من ذلك. بقي المسدَّس في الخزانة منذ ذلك الحين، مخزَّناً في صندوقه إلى جانب خمسين طلقة ورخصة السلاح.

عبّأته، وهي تشعر بتحسّن - *بأمان أكثر* - مع تعبئة كل طلقة.

ثم وَضَعته على منضدة المطبخ، وتفحّصت آلة الردّ على المكالمات الهاتفية. كانت هناك رسالة واحدة، من پاتسي ماكلاين جارتها في الشقة المقابلة. "لم أر أي أضواء هذا المساء، لذا أظن أنك قرَّرت تمضية الليلة في تشيكوبي. أو ربما ذهَبت إلى بوسطن؟ على أي حال، استخدَمتُ المفتاح الموجود خلف صندوق البريد وأطعَمتُ فريتزي. آه، ووَضَعتُ بريدك على طاولة القاعة. كلها إعلانات، آسفة. اتصلي بي غداً قبل ذهابي إلى العمل، إذا كنتِ قد عدتِ. أريد فقط معرفة أنك وصلتِ بخير".

"آه يا فريتز"، قالت تَسّ وهي تنحني لتمسِّده. "أظن أنك حصلت على حصة غذائية مزدوجة هذه الليلة. هذا ذكاء منك –"

غشيَ بصرها، ولو لم تتمسك بطاولة المطبخ، لكانت سقطت أرضاً. صرخت صرخة تفاجؤ بدت باهتة وبعيدة. قلَبَ فريتزي أذنيه إلى الخلف، ورمقها بنظرة تقييم ضيقة، وبدا عليه أنه قرَّر أنها لن تسقط (على الأقل ليس عليه)، وعاد إلى عشائه الثاني.

قوَّمت تَسّ نفسها ببطء، متمسّكةً بالطاولة لكي تثبِّت نفسها، وفتحت البرّاد. لم تكن هناك سلطة طون، لكن كان هناك جبن أبيض طري مع مربى الفراولة. أكَلته بلهفة، مع كشْط الحاوية البلاستيكية بملعقتها لتحصل على آخر نقطة منه. كان بارداً وناعماً على حنجرتها المجروحة. لم تكن أكيدة أنه كان بإمكانها أكل اللحم، على أي حال. ولا حتى الطون من علبةٍ.

شربِت عصير التفاح من الزجاجة مباشرة، وتجشأت، ثم مشت بتثاقل إلى حمّام الطابق السفلي. أخذت المسدَّس معها، وهي تلفّ أصابعها خارج حارس الزناد، مثلما تعلَّمت.

كانت هناك مرآة تكبير بيضوية الشكل على الرف فوق المغسلة، هدية احتفال الشتاء من أخيها المقيم في نيو مكسيكو، ومكتوب فوقها "أنا الجميلة" بأحرف مطلية بالذهب. كانت تَسّ القديمة قد استخدَمتها لتنتف حاجبَي عينيها وتُصلح ماكياجها بسرعة. أما تَسّ الجديدة فتستخدمها لتفحَّص عينيها. كانتا مُحتقِنتين بالدم، بالطبع، لكن البؤبؤان بدَوا بنفس الحجم. أطفأت ضوء الحمّام، وعدَّت إلى عشرين، ثم أعادت إضاءته وراقَبت بؤبؤيها يتقلّصان. بدَوا جيدين أيضاً. لذا، لا يوجد كسر في الجمجمة على الأرجح. ربما ارتجاج في الدماغ، ارتجاج خفيف في الدماغ، لكن -

كما لو أنني سأعرف. معي شهادة بكالوريوس آداب من جامعة كونّكتيكت وشهادة عليا في المحقِّقات العجائز اللواتي يقضين رُبع كل كتاب على الأقل في تبادل وصفات طهي أحصل عليها من الانترنت ثم أغيِّر فقط ما يكفي فيها لكي لا أُحاكَم بتهمة انتحال آراء الغير. من الممكن أن أدخل في غيبوبة أو أموت من نزيف في الدماغ خلال الليل. وستعثر عليَّ پاتسي عندما تدخل في المرة المقبلة لتُطعِم القط. عليك رؤية طبيب يا تَسّا جان. وأنت تعرفين ذلك.

ما كانت تعرفه هو أنها إذا ذهَبت إلى طبيبها، فإن محنتها يمكن أن تصبح مُلكيةً عامةً حقاً. الأطباء يكفلون السرية، فهذا جزء من قَسَمهم، والمرأة التي تكسب رزقها من عملها كمحامية أو خادمة أو سمسارة عقارية يمكنها الاتكال على حصولها على ذلك على الأرجح. وتَسّ قد تحصل على ذلك هي أيضاً، فهذا ممكن بالطبع. وحتى محتمل. من جهة أخرى، انظر ماذا حصل لفرح فاوست: أصبحت محط اهتمام الصحافة الصفراء عندما ثرثر أحد موظفي المستشفى.

وتَسّ نفسها سمعت إشاعات عن الكوارث النفسية التي عانى منها روائيٌ بعد تداول أخبار جرأته البطولية المُفعَمة بالحيوية لسنوات. وحتى وكيلها مرَّر لها إحدى تلك الإشاعات المثيرة للعاب أثناء تناول الغداء معها منذ أقل من شهرين... وقد أنصتت له تَسّ جيداً.

فعلتُ ما هو أكثر من الإنصات، راحت تفكِّر وهي تنظر إلى صورتها المضروبة المكبَّرة. *مَرَّرتُ تلك الإشاعة حالما أستطعتُ.*

حتى ولو كتمَ الطبيب وموظفوه السر حول الكاتبة السرية التي تعرَّضت للضرب والاغتصاب والسرقة أثناء عودتها إلى منزلها من محاضرة عامة، ماذا بشأن المرضى الآخرين الذين قد يرونها في صالة الانتظار؟ لن تكون بالنسبة لبعضهن مجرد امرأة أخرى ذات وجه مرضوض يُظهِر جلياً أنها تعرّضت للضرب؛ بل ستكون الروائية المقيمة في قرية ستوك، الروائية التي صوَّروا فيلماً تلفزيونياً عن محققاتها العجائز منذ سنة أو سنتين، وبُثَّ على قناة لايفتايم، ويا إلهي، كان يجب أن *تروها*.

لم يكن أنفها مكسوراً، في النهاية. كان من الصعب تصديق أن أي شيء يمكن أن يؤذيه بهذا الشكل السيئ ولا ينكسر، لكنه لم ينكسر. تورَّم (بالطبع، المسكين)، ويؤلمها، لكن يمكنها التنفّس منه ولديها بعض الفيكودين في الطابق العلوي سيخفِّف الألم هذه الليلة. لكن لديها رضّتين داكنتين، واحدة على خدّها المتورّم، وأخرى حول حنجرتها. هذه الرضّة الأخيرة هي الأسوأ، وهي من النوع الذي يصيب الأشخاص بطريقة واحدة فقط. كانت هناك كدمات متنوعة أيضاً، ورضوض، وخدوش على ظهرها ورِجلَيها وردِفَيها. لكن الملابس والجوارب ستخفي أسوأ ما في أفعال ذلك المضطرب.

رائع. أنا شاعرة ولا أعرف ذلك.

"الحنجرة... يمكنني ارتداء ياقة عالية مبرومة...".

بالتأكيد. طقس أكتوبر ملائم للياقات العالية المبرومة. أما لپاتسي، فيمكنها إخبارها أنها وقعت على السلالم إلى الطابق السفلي وأصابت وجهها في الليل. ستقول لها -

"سمِعتُ ضجةً ودخل فريتزي بين قدميَّ عندما نزلتُ إلى الطابق السفلي لأتحقّق".

سمِع فريتزي إسمه وماءَ من باب الحمّام.

"سأقول إن وجهي الغبي ارتطم بقائم الدرابزين في الأسفل. وحتى يمكنني...".

وضع علامة صغيرة على القائم، بالطبع يمكنها ذلك. ربما بواسطة مطرقة تطرية اللحم الموجودة في أحد جوارير مطبخها. لا شيء مبهرَج، مجرد ضربة أو ضربتين لتشويه الدهان. هكذا قصة لن تخدع الطبيب (أو محققة عجوز ذكية مثل دورِين مركيز، عميدة جمعية الحياكة)، لكنها ستخدع پاتسي العزيزة، التي من المؤكَّد أن زوجها لم يرفع أبداً يده عليها ولو مرة واحدة طوال سنوات زواجهما العشرين.

"لا أقصد أن لديَّ أي شيء لأخجل منه"، همَست للمرأة الواقفة في المرآة. المرأة الجديدة ذات الأنف المعقوف والشفتين المنتفختين. "لا". لكن التشهير العلني سيُخجِلها. ستكون عارية. ضحية عارية.

لكن ماذا بشأن النساء يا تَسَا جان؟ النساء اللواتي في الأنبوب؟

عليها التفكير فيهنّ، لكن ليس الليلة. كانت مُتعَبة هذه الليلة، متألمة، ومتعذِّبة.

شعَرت في أعماقها (في نفسيتها المتعذِّبة) بجمرة متوهجة من الحنق

تجاه الرجل المسؤول عن هذا. الرجل الذي وضعها في هذه الحالة. نظَرَت إلى المسدَّس الجالس بجانب الحوض، وعرَفت أنه لو كان هنا، لكانت استخدمته عليه من دون أي تردّد. معرفة هذا جَعَلها تشعر بارتباك تجاه نفسها. كما جَعَلها تشعر بأنها أقوى قليلاً.

- 18 -

شظَّت قائم الدرابزين بواسطة مطرقة تطرية اللحم، وكانت مُتعَبة جداً وقتها بحيث شعَرت كما لو أنها حلم داخل رأس امرأة أخرى. فحَصت العلامة، وقرّرت أنها تبدو مقصودة جداً، ووجَّهت عدة ضربات خفيفة أكثر حول أطراف مكان التشظّي. وعندما شعرت أنه يشبه شيئاً قد يسبِّبه طرف وجهها - وهو مكان أسوأ رضّة - صعدت السلالم ببطء ومشت في القاعة، حاملةً مسدَّسها في يد واحدة.

تردَّدت للحظة خارج باب غرفة نومها، الذي كان مفتوحاً جزئياً. ماذا لو *كان* في الداخل؟ إذا كان قد أخذ جزدانها، فلديه عنوانها. وهي لم تشغِّل جهاز إنذار السرقة إلى أن عادت (شاردة كثيراً). من الممكن أن يكون قد ركنَ شاحنته القديمة عند الناصية. وفتح باب المطبخ عنوةً. لن يحتاج على الأرجح إلا إلى إزميلٍ ليفعل ذلك.

إذا كان هنا، سأشتم رائحته. ذلك العرق الذكوري. وسأُطلق النار عليه. لا "استلق على الأرض"، ولا "ارفع يديك بينما أطلب النجدة"، لا هراء أفلام الرعب. سأُطلق النار عليه بكل بساطة. لكن هل تعرف ماذا سأقول أولاً؟

"تحبّه ويحبّك"، قالت بصوتها المبحوح قليلاً. نعم. هذا بالضبط.

لن يفهم، لكنها ستفهم.

اكتشَفت أنها *أرادته* أن يكون في غرفتها. وهذا يعني على الأرجح أن المرأة الجديدة مجنونة كثيراً، لكن ما الضرر في ذلك؟ إطلاق النار عليه سيجعل الإذلال العلني أمراً مُحتَمَلاً. وانظري إلى الجهة الإيجابية من المسألة! هذا سيساعد في زيادة المبيعات على الأرجح!

أودّ رؤية الرعب في عينيه عندما يُدرِك أنني جادّة حقاً في فعل ذلك. هذا قد يجعل بعضاً من الأمر على الأقل صحيحاً.

بدا لها أن يدها التي تتلمّس طريقها تحتاج إلى قرن كامل لتجد مفتاح ضوء غرفة النوم، وبالطبع بقيت تتوقع أن تُمسَك أصابعها بينما تبحث بارتباك. خلعت ملابسها ببطء، وشهقت شهقةً بائسةً دامعةً عندما فكت سحّاب سروالها ورأت الدم الجاف بين منفرج ساقيها.

فتحت الدُش عند أقصى درجة سخونة للماء يمكنها تحمّلها، وغسلت الأماكن التي يمكن غسلها، وتركت الماء يشطف الباقي. الماء الساخن النظيف. أرادت إزالة رائحته عنها، والرائحة المتعفِّنة لبقايا السجادة أيضاً. ثم جلَست على المرحاض. ألم التبويل أخفّ هذه المرة، لكن الألم الذي أصاب رأسها عندما حاوَلت - بتردّد كبير - أن تقوِّم أنفها المائل جعلها تصرخ. حسناً، وما الضرر في ذلك؟ أنف نَلْ غوين، الممثلة المشهورة في العصر الإليزابيثي، كان ملتوياً. إنها متأكدة أنها قرأت هذا في مكان ما.

ارتدت بيجامة خفيفة وأوت إلى السرير، حيث استلقت مع إضاءة كل الأضواء وعصّارة الليمون 38. على منضدة السرير، وراحت تفكِّر أنها لن تغفو أبداً، وأن خيالها الملتهب سيفسِّر كل صوت من

الشارع بأنه صادر عن العملاق القادم إليها. لكن عندها قفز فريتزي إلى السرير، وكوَّر نفسه بجانبها، وبدأ يخرخر. هذا أفضل.

أنا في المنزل، فكّرت في سرّها. أنا في المنزل، أنا في المنزل، أنا في المنزل.

- 19 -

عندما استيقَظت، كان الضوء الحكيم بشكل غير قابل للجدل للسادسة فجراً يتدفّق عبر النوافذ. هناك أشياء يجب إنجازها وقرارات يجب اتّخاذها، لكن يكفيها في الوقت الحاضر أنها حيّة وعلى سريرها وليست مرمية داخل بربخٍ.

بدا التبويل هذه المرة عادياً تقريباً، ولم يكن هناك دم. وقفت تحت الدُش مرة أخرى، وفتحت الماء عند أشدّ سخونة يمكنها تحمّلها مرة أخرى، وأغمضت عينيها وتركته ينساب على وجهها المرتعش. بعدما اكتفت من كل ذلك، وضعت بعض الشامبو على شعرها، وراحت تفركه ببطء وبشكل منهجيّ، مستخدمةً أصابعها لتدلّك فروة رأسها، ومتخطيةً البقعة المؤلمة التي لا شكّ أنه ضربها عليها. في البدء، لسعها الخدش العميق الذي على ظهرها، لكن ذلك الشعور مرّ وشعَرت بنوع من الهناء. بالكاد تذكّرت مشهد الدُش في فيلم *سايكو*.

كان الدُش دائماً أفضل مكان لتفكّر فيه، وإذا احتاجت في يوم من الأيام إلى التفكير بعمق ورصانة، فهو اليوم.

لا أريد زيارة الدكتور هدستروم، ولا أحتاج إلى زيارة الدكتور هدستروم. لقد اتّخذتُ قراري، رغم أنني قد أزوره لاحقاً - بعد

أسبوعين من الآن، ربما، عندما يصبح وجهي عادياً تقريباً - لكي أتحقّق من عدم إصابتي بأي مرض ينتقل جنسياً...

"لا تنسي فحص الإيدز"، قالت، وجَعَلتها الفكرة تكشِّر بحدّة كبيرة بحيث ألمها فمها. كانت فكرة مخيفة. ومع ذلك، يجب إجراء الفحص. لكي تُطمئن بالها. ولا شيء من ذلك يتعلق بما أدركت الآن أنه المسألة المركزية في هذا الصباح. ما فعلَتْهُ أو لم تفعلهُ بشأن الاعتداء عليها كان شأنها الخاص، لكن هذا لا ينطبق على النساء اللواتي في الأنبوب. لقد خسرنَ أكثر منها بكثير. وماذا بشأن المرأة التالية التي سيعتدي عليها العملاق؟ لا شك أنه ستكون هناك امرأة أخرى. ربما بعد شهر أو سنة، لكن ستكون هناك امرأة أخرى. أثناء إغلاقها حنفية الدُش، أدركت تَسّ (مرة أخرى) أنها قد تكون المرأة الأخرى، إذا عاد ليتفحَّص البربخ ورأى أنها ليست هناك. ورأى أن ملابسها اختفت من المتجر أيضاً. إذا بحث في جزدانها، وهو فعلَ ذلك بالتأكيد، فإنه *يملك* عنوانها.

"والقرطان الماسيان أيضاً"، قالت. "السافل المنحرِف اللعين سرق قرطيَّ".

حتى ولو تحاشى المتجر والبربخ لبعض الوقت، فإن تلك النساء مسؤوليتها الآن. ولا يمكنها أن تتنصَّل منها لمجرد أن صورتها قد تظهر على غلاف إنسايد فيو.

في ضوء الصباح الهادئ لضواحي كونّكتيكت، كان الجواب بسيطاً إلى حد يبعث على السخرية: مكالمة مجهولة إلى الشرطة. وحقيقة أن روائيةً محترفةً لديها خبرة عشر سنوات لم تفكِّر بذلك فوراً تجعلها تستحق بطاقة صفراء وضربة جزاء تقريباً. ستعطيهم عنوان

المكان – متجر "تحبّه يحبّك" المهجور على طريق ستاغ – وستصف لهم العملاق. ما مدى صعوبة العثور على رجل كهذا؟ أو العثور على شاحنة فورد F-150 زرقاء توجد معجونة بوندو حول أضوائها الأمامية؟

سهل جداً.

لكن بينما كانت تجفِّف شعرها، وقعت عيناها على عصّارة ليمونها وفكّرت في سرّها، *سهل جداً أيضاً. لأن...*

"ما مصلحتي في ذلك؟"، سألت فريتزي، الذي كان جالساً عند المدخَل وينظر إليها بعينيه الخضراوين الضيائيتين. "فقط ما مصلحتي في ذلك؟".

– 20 –

واقفةً في المطبخ بعد ساعة ونصف. ووعاء حبوبها ينتقع في المغسلة. وكوب قهوتها الثاني يبرُد على المنضدة. وتتكلم على الهاتف.

"يا إلهي!"، صاحت باتسي. "أنا قادمة فوراً".

"لا، لا، أنا بخير يا باتس. وستتأخرين على وظيفتك".

"أيام السبت اختيارية، ويجب أن تذهبي إلى الطبيب! ماذا لو كان لديك ارتجاج في الدماغ، أو شيء آخر؟".

"ليس لديَّ ارتجاج في الدماغ، مجرد حيوية زائدة. وسأكون خجِلة من الذهاب إلى الطبيب، لأنني شربت ثلاثة أكواب من الشراب أكثر من اللازم. ثلاثة أكواب على الأقل. والشيء العاقل الوحيد الذي فعلتُه طوال ليلة أمس هو طلب سيارة أجرة لتعيدني إلى المنزل".

"هل أنت متأكدة أن أنفك غير مكسور؟".

"متيقّنة". حسناً... *تقريباً* متيقّنة.

"هل فريتزي بخير؟".

انفجرت تَسّ في ضحك حقيقي تماماً. "أنزل إلى الطابق السفلي ثملة جزئياً في منتصف الليل لأن كاشف الدخان راح يصفُر، وأتعثّر بالقط وأكاد أقتل نفسي، وتتعاطفين مع القط. جميل".

"عزيزتي، لا –"

"أنا أمازحك فقط"، قالت تَسّ. "اذهبي إلى عملك وتوقفي عن القلق بشأني. لم أرغب فقط أن تصرخي عندما تريني. لديَّ رضّتان جميلتان. لو كنتُ مطلَّقةً، لظننتِ على الأرجح أن زوجي السابق زارني".

"لا أحد سيجرؤ أن يضع يده عليك"، قالت پاتسي. "أنت فتاة مشاكسة".

"هذا صحيح"، قالت تَسّ. "لا أتقبّل قلة الأدب".

"يبدو صوتك أجشّ".

"وفوق كل شيء آخر، بدأتُ أُصاب بنزلة برد".

"حسناً... إذا احتجتِ إلى أي شيء هذه الليلة... حساء دجاج... بعض مسكّنات الألم... فيلم بطولة جوني دَپّ...".

"سأتصل بك عندها. اذهبي الآن. النساء اللواتي يلاحقن صيحات الموضة ويبحثن عن ملابس تصميم آن تايلور بالحجم ستة الكبير يعتمدن عليك".

"انصرفي عن وجهي يا امرأة"، قالت پاتسي، ثم أغلقت الخط وهي تضحك.

أخذت تَسّ قهوتها إلى طاولة المطبخ. كان المسدَّس يجلس عليها، بجانب وعاء السكر: ليست هذه إحدى صور الفنان دالي، لكنها قريبة كفاية. ثم تضاعفت الصورة عندما أجهشت بالبكاء. تذكُّرها صوتها المبتهِج سبَّب ذلك. صوت الكذبة التي ستعيشها الآن إلى أن تبدو كأنها الحقيقة. "أيها الوغد!"، صرَخت. "تباً لك! *أكرهك!*".

استحمّت مرتين في أقل من سبع ساعات ولا تزال تشعر أنها قذرة. لا تزال تشعر به داخلها...

"بسائله اللعين".

نهضت بسرعة، ولمحت بطرف عينها قطّها المروَّع يفرّ عبر القاعة الأمامية، ووصلت إلى المغسلة في الوقت المناسب لتتجنّب إحداث فوضى على الأرض. لقد صعدت قهوتها وحبوب فطورها في انقباض حادّ واحد.

بعدما تأكدت أنها انتهت، أخذت مسدَّسها وصعدت إلى الطابق العلوي لتأخذ دُشاً آخر.

- 21 -

عندما انتهت ولفَّت نفسها برداء حمّام مريح، استلقت على سريرها لتفكّر بالمكان الذي يجب أن تُجري منه مكالمتها المجهولة. من الأفضل أن يكون مكاناً كبيراً ومزدحماً. مكان فيه مرأب سيارات لكي تتمكن من إنهاء المكالمة والمغادرة بسرعة. بدا لها مركز ستوك التجاري مناسباً. كانت هناك أيضاً مسألة الجهة التي ستتصل بها. كولْويتش، أم المفوَّض دوغ؟ ربما شرطة الولاية ستكون أفضل. ويجب أن تدوّن ماذا

ستقول... هذا يتيح لها إنهاء المكالمة بشكل أسرع... وسيقلّل احتمال أن تنسى أي شيء...

غفت تَسّ، مستلقيةً على سريرها في بحر من أشعة الشمس.

– 22 –

كان الهاتف يرنّ من بعيد، في كونٍ مجاورٍ. ثم توقَف وسمعت تَسّ صوتها، التسجيل الآلي بشكل سار الذي بدأ بجملة *أنتم تتصلون* ب ... ثم تلا ذلك صوت شخص يترك رسالة. امرأة. وحين نجحت تَسّ أخيراً في عراكها لتعود إلى اليقظة، كان المتصل قد أغلق الخط.

نظرت إلى الساعة على منضدة السرير ورأت أنها العاشرة إلا رُبعاً. لقد نامت ساعتين أخريين. وشعرت بالقلق لبعض اللحظات: ربما تعاني من ارتجاج في الدماغ أو تمزّق في النهاية. ثم استرخت. لقد جهدت كثيراً في الليلة السابقة. ومعظم ذلك الجهد كان بغيضاً جداً، لكن الجهد جهداً. ومن الطبيعي أن تغفو مرة أخرى. حتى إنها قد تأخذ قيلولة أخرى بعد ظهر اليوم (دُشاً آخر بالتأكيد)، لكن لديها مأمورية عليها إنجازها أولاً. مسؤولية عليها أن تقوم بها.

ارتدت تنورة صوفية خشنة طويلة، وياقة عالية مبرومة كانت في الواقع كبيرة جداً عليها، حيث لفّت حول الجانب السفلي لذقنها. لم تكن تَسّ تمانع هذا. فقد وضعت ماكياجاً بلون البشرة على الرضّة التي على خدها. لم يغطّها ذلك بالكامل، كما أن أكبر نظارات شمسية لديها لن تغطّي عينيها السوداوين بالكامل (كانت الشفتان المتورّمتان قضية خاسرة)، لكن الماكياج ساعد جزئياً. فمجرد وضعها له جَعَلها تشعر بثقة أكبر. بأنها تتحكَّم أكثر بزمام الأمور.

بعد نزولها إلى الطابق السفلي، ضغطت زر التشغيل على آلة ردّها على المكالمات الهاتفية، وهي تفكّر أن المكالمة من رامونا نورفيل على الأرجح، حيث تقوم بالمتابعة الإلزامية في اليوم التالي: لقد استمتعنا كثيراً، ونأمل أن تكوني قد استمتعتِ أنتِ أيضاً، والتعليقات كانت رائعة، نرجو أن تزورينا مرة أخرى (ليس مرجّحاً على الإطلاق)، الخ الخ الخ. لكنها لم تكن من رامونا. كانت الرسالة من امرأة عرَّفت عن نفسها بأنها بيتسي نيل. وقالت إنها تتصل من نُزُل المترنِّح.

"كجزء من جهودنا لردع الزبائن عن تناول الشراب والقيادة، تقضي سياستنا بأن نتصل بكل الأشخاص الذين يتركون سياراتهم في مرأبنا بعد أن نغلق أبوابنا"، قالت بيتسي نيل. "ستكون سيارتك الفورد إكسبديشن، رقم اللوحة كونّكتيكت 775nsd، متوفرة لتسترديها حتى الخامسة هذا المساء. أما بعد الخامسة فستُقطَر إلى ورشة الإصلاح الممتازة، 1500 طريق جون هيغنز، كولْويتش الشمالية، على حسابك. الرجاء الانتباه إلى أننا لا نملك مفاتيحك يا سيدتي. لا شك أنك أخذتها معك". صمتت بيتسي نيل لبرهة. "لدينا غرض آخر يخصّك، لذا تعالي رجاءً إلى مكتبنا. تذكّري أنني سأحتاج إلى رؤية هويتك. شكراً وأتمنى لك يوماً سعيداً".

جلست تَسّ على أريكتها وضحِكت. قبل أن تستمع إلى كلام نيل المعلَّب، كانت تنوي أن تقود سيارتها الإكسبديشن إلى المركز التجاري. لم يكن جزدانها معها، ولم تكن حمّالة مفاتيحها معها، ولم تكن *سيارتها* اللعينة معها، لكنها خططت رغم ذلك بأن تخرج إلى الممر الخاص لمنزلها، وتركب السيارة، و-

استراحت على الوسادة، وراحت تخبط قبضتها على فخذها.

كان فريتزي تحت الكرسي المريح على الطرف الآخر للغرفة، ينظر إليها كما لو أنها مجنونة. *كلنا مجانين هنا، لذا اشربي كوب شاي آخر،* فكّرت في سرّها، وضحِكت بقوة أكبر من أي وقت مضى.

عندما توقَفت أخيراً (فقط شعَرت أنها منهكة)، شغَّلت الرسالة مرة أخرى. ما ركَّزت عليه هذه المرة كان قول المرأة نيل إن لديهم غرضاً آخر يخصّها. جزدانها؟ وربما حتى قرطَيها الماسيين؟ لكن هذا جيد جداً ليكون صحيحاً. أليس كذلك؟

الوصول إلى نُزُل المترنِّح في سيارة سوداء من الليموزين الملكية قد يكون مشهداً لا يُنسى بسهولة، لذا اتصلت بمكتب سيارات أجرة ستوك. قال الموزِّع إنه يسرّهم إيصالها إلى ما أسمتهُ "المترنِّح" لقاء خمسين دولاراً كاملةً. "آسف على هذه الكلفة العالية"، قال، "لكن السائق سيضطر إلى العودة فارغاً".

"كيف تعرف هذا؟"، سألته تَسّ مرتبكةً.

"لقد تركت سيارتك هناك، أليس كذلك؟ هذا يحدث دائماً، خاصة في عطل نهاية الأسبوع. رغم أننا نتلقى اتصالات بعد ليالي الكاريوكي أيضاً. ستصل سيارة أجرتك إلى هناك في خمس عشرة دقيقة أو أقل".

أكلت تَسّ فطيرة محمَّصة (البلع يؤلمها، لكنها خسِرت محاولتها الأولى بتناول الفطور وكانت جائعة)، ثم وَقَفت عند نافذة غرفة الجلوس تنتظر وصول سيارة الأجرة وهي تدوِّر مفتاح سيارتها الإكسبديشن الاحتياطي على راحة يدها. قرَّرت تغيير الخطة. لا يهمّ مركز ستوك التجاري؛ بعدما تستعيد سيارتها (والغرض الآخر الذي مع بيتسي

نيل)، ستقود حوالي الكيلومتر إلى محطة الوقود وتتصل بالشرطة من هناك.

بدا هذا مناسباً جداً.

- 23 -

عندما انعطفت سيارة أجرتها إلى طريق ستاغ، بدأت نبضات تَسّ بالتسارع. وحين وَصَلا إلى نُزُل المترنِّح، شَعَرت أن قلبها يطرق بمعدل مئة وثلاثين نبضة في الدقيقة. لا شك أن سائق سيارة الأجرة رأى شيئاً في مرآته للرؤية الخلفية... أو ربما كانت فقط الدلالات المرئية لخفقات قلبها المتسارعة التي جعلته يطرح عليها سؤاله.

"كل شيء بخير يا سيدتي؟".

"بخير"، قالت. "كل ما في الأمر هو أنني لم أكن أنوي العودة إلى هنا هذا الصباح".

"قلّة يفعلون ذلك"، قال سائق سيارة الأجرة. كان يمصّ عود تخليل أسنان، الذي كان يقوم برحلة بطيئة وفلسفية من إحدى جهتَي فمه إلى الجهة الأخرى. "أفترض أن معهم مفاتيحك؟ فقد تركتها مع الساقي؟".

"آه، لا مشكلة في هذه الناحية"، قالت مبتسمةً. "لكن معهم غرضاً آخر لي – لم تقل السيدة التي اتصلت بي ما هو، ولا يمكنني أن أتذكّر ما هو بالضبط". *يا إلهي، أنا أتكلّم مثل إحدى محقّقاتي العجائز.*

أعاد سائق سيارة الأجرة دحرَجة عود التخليل إلى نقطة انطلاقه. كان هذا رده الوحيد.

"سأدفع لك عشرة دولارات إضافية إذا انتظرت خروجي"، قالت تَسّ في إيماءةٍ نحو النُزُل. "أريد التأكد أن سيارتي ستعمل".

"لا مشكلة"، قال سائق سيارة الأجرة.

وإذا صرختُ لأنه هناك، ينتظرني، وجاء مهرولاً، اتفقنا؟

لكنها لم تكن لتقول هذا حتى ولو كانت قادرة على قوله من دون أن تبدو مجنونة. كان سائق سيارة الأجرة رجلاً بديناً في الخمسين من عمره. لذا لن يكون ندّاً للعملاق إذا كان هذا فخاً... وهو سيكون فخاً في أفلام الرعب.

خُدعتُ لأعود، فكَّرت تَسّ بتجهّم. خُدعتُ لأعود عبر مكالمة هاتفية من حبيبة العملاق المجنونة مثله تماماً.

فكرة مضطربة حمقاء، لكن السير إلى باب نُزُل المترنِّح بدا طويلاً، والتربة المرصوصة جَعَلت وقع حذائها يبدو صاخباً جداً. مرأب السيارات الذي كان بحراً من السيارات ليلة أمس أصبح مهجوراً الآن ما عدا من أربع جُزُر سيارات، وإحداها سيارتها الإكسبديشن. كانت في الجهة الخلفية البعيدة جداً للمرأب – لن يرغب بالتأكيد أن يراه أحدٌ يضعها هناك – ويمكنها رؤية العجلة الأمامية اليسرى. كانت عجلة قديمة عادية لا تتطابق مع العجلات الثلاثة الأخرى، لكنها بدت جيدة. لقد غيَّر لها العجلة. بالطبع فعل ذلك. وإلا كيف سيتمكن من نقلها بعيداً عن... عن...

مرفقه الاستجمامي. منطقة قتله. لقد قادها إلى هنا، وركنها، وسار عائداً إلى المتجر المهجور، ثم غادر في شاحنته القديمة. جيد أنني لم آتي قبل الآن؛ كان ليجدني أتجوّل في حالة ذهول ولم أكن لأتواجد

اِلتفَتت إلى الوراء فوق كتفها. في أحد الأفلام التي لا يمكنها التوقف عن التفكير بها الآن، كانت لترى بالتأكيد سيارة الأجرة تفرّ مسرعةً *(تاركَةً إياها لمصيرها)*، لكنها كانت لا تزال هناك. لوَّحت بيدها للسائق، ولوَّح لها بيده أيضاً. كانت بخير. كانت سيارتها هنا والعملاق ليس هنا. كان العملاق في منزله *(عرينه)*، ربما لا يزال نائماً بسبب المجهود الذي بذله ليلة أمس.

كانت اللافتة على الباب تقول "مُغلق". دقَّت تَسّ على الباب ولم تحصل على أي جواب. جرَّبت المسكة وعندما أدارتها، عادت إلى ذهنها مؤامرات الأفلام الشريرة. المؤامرات الغبية حقاً التي تدور فيها المسكة دائماً وتنادي البطلة (بصوت مرتجف)، "هل من أحد هنا؟". الجميع يعرفون أنه من الجنون الدخول، لكنها تدخل على أي حال.

اِلتفَتت تَسّ إلى سيارة الأجرة مرة أخرى، ورأت أنها لا تزال هناك، وذكَّرت نفسها أنها تحمل مسدَّساً محشواً في جزدانها الاحتياطي، ودخَلت على أي حال.

– 24 –

دخلَت بهواً يمتدّ على طول المبنى على جهة مرأب السيارات، جدرانه مزيَّنة بصور مشاهير: فرق موسيقية في ملابس جلدية، وفرق موسيقية في سراويل جينز، وفرقة موسيقية نسائية بالكامل في تنانير قصيرة. كان هناك مشرب إضافي وراء شمّاعات المعاطف؛ ولا توجد كراسي بلا ظهر ولا ذراعين، بل مجرد سكّة يمكنك الاتكاء عليها

لتتناول شراباً بينما تنتظر شخصاً أو لأن المشرب في الداخل مزدحم جداً. رأت لافتة حمراء تتوهَّج فوق رف الزجاجات: شراب شعير.

تحبّ شراب الشعير، وشراب الشعير يحبك، فكَّرت تَسّ في سرّها.

خلعت نظاراتها الداكنة لكي تتمكن من السير من دون أن تتعثّر بشيء وقطعت البهو لتنظر إلى الغرفة الرئيسية. كانت شاسعة وتعبق برائحة شراب الشعير. كانت هناك كُرة ديسكو، مظلمة وجامدة الآن. ذكَّرتها الأرضية الخشبية بحلبة التزلّج على العجلات التي أمضت فيها وصديقاتها كل الصيف تقريباً بين الصفّ الثامن والمرحلة الثانوية. كانت الآلات الموسيقية لا تزال موضوعة على منصة الفرقة الموسيقية، مما يوحي أن خبّازي الزومبي سيعودون هذه الليلة لتقديم وصلة أخرى من الروك أند رول.

"مرحبا؟"، تردَّد صدى صوتها.

"أنا هنا"، ردَّ صوتٌ لطيفٌ من خلفها.

لو كان صوت رجل، لزعَقت تَسّ. لكنها تمكّنت من تجنّب ذلك، رغم أنها استدارت بسرعة كبيرة لدرجة أنها تعثَّرت قليلاً. طرفت عينا المرأة الواقفة في مُختلى المعاطف المظلَّل – نحيلة لا يتعدّى طولها مئة وستين سنتيمتراً – متفاجئةً وخطت خطوة إلى الوراء. "مهلك مهلك".

"لقد أجفَلتني"، قالت تَسّ.

"هذا واضح". كان وجه المرأة الصغير والبيضوي بشكل مثالي محاطاً بسحابة شعر أسود ممشَّط. وهناك قلم ناتئ منه. كانت عيناها

زرقاوين حريفتين لا تتطابقان كثيراً. *فتاة بيكاسو*، فكَّرت تَسّ في سرّها. "كنتُ في المكتب. هل أنت سيدة الإكسبديشن أو الهوندا؟".

"الإكسبديشن".

"هل معك هوية؟".

"نعم، هويتان، لكن إحداهما فقط تُظهِر صورتي. جواز سفري. كانت الأشياء الأخرى في جزداني. جزداني الآخر. ظننتُ أنه الغرض الذي قد يكون معك".

"لا، آسفة. ربما خبَّأته تحت المقعد، أو شيء من هذا القبيل؟ نحن لا ننظر إلا إلى صناديق القفازات، وبالطبع لا نستطيع حتى أن نفعل ذلك إذا كانت السيارة مُقفلة. سيارتك لم تكن مُقفلة، وكان رقم هاتفك على بطاقة التأمين. لكنك تعرفين هذا على الأرجح. ربما ستجدين جزدانك في المنزل". كان صوت نيل يوحي بأن هذا غير محتمل. "أظن أن صورة فوتوغرافية واحدة ستكفي إذا كانت تشبهك".

قادت نيل تَسّ إلى باب عند الجهة الخلفية لمنطقة المعاطف، ثم نزولاً في رواق مقوَّس ضيق يدور حول الغرفة الرئيسية. كان هناك المزيد من صور الفرق الموسيقية على الجدران. ومرَّتا في لحظة من اللحظات عبر سحابة من دخان الكلور لسعت عينَي تَسّ وحنجرتها الطرية.

"إذا كنت تظنين أن رائحة المراحيض سيئة الآن، يجب أن تأتي إلى هنا عندما يكون المكان مزدحماً كلياً"، قالت نيل، ثم أضافت، "آه، نسيتُ – كنتِ هنا".

لم تُبدِ تَسّ أي تعليق.

كان هناك باب في نهاية القاعة عليه لافتة تقول "للموظفين

فقط"، ويؤدي إلى غرفة كبيرة ولطيفة ومليئة بأشعة شمس الصباح. ورأت صورة مؤطَّرة لباراك أوباما معلَّقة على الجدار، فوق ورقة لاصقة تُظهر شعار "نعم نستطيع". لم تكن تَسّ قادرة على رؤية سيارة أجرتها - كان المبنى بينهما - لكن يمكنها رؤية ظلّها.

هذا جيد. ابق مكانك وستحصل على عشرة دولارات. وإذا لم أخرج، لا تدخل. فقط اتصل بالشرطة.

ذهَبت نيل إلى المكتب في الزاوية وجلست. "دعيني أرى هويتك".

فتحت تَسّ جزدانها، وتجاوزت مسدَّسها بارتباك، وأخرجت جواز سفرها وبطاقتها في نقابة المؤلفين. ألقت نيل لمحة سريعة فقط على الصورة الفوتوغرافية في جواز السفر، لكن عينيها اتّسعتا عندما رأت بطاقة النقابة. "أنتِ سيدة بستان الصفصاف!".

ابتسمت تَسّ ببسالة. ألمتها شفتاها. "بشحمها ولحمها". بدا صوتها ضبابياً، كما لو أنها تتغلَّب على نزلة برد سيئة.

"جَدّتي تحبّ كتبك!".

"العديد من الجَدّات يحببنها"، قالت تَسّ. "عندما تنتقل المَوَدّة إلى الجيل التالي - الجيل الذي لا يعيش حالياً على مداخيل ثابتة - سأشتري قصراً لنفسي في فرنسا".

كان هذا يُكسبها ابتسامةً أحياناً. لكن ليس من الآنسة نيل. "آمل ألا يكون هذا قد حصل هنا". لم تكن أكثر تحديداً ولم تكن مضطرة على فعل ذلك. كانت تَسّ تعرَف عما تتكلم، وتعرَف أن بيتسي نيل تعرف ذلك.

فكَّرت تَسّ أن تكرِّر القصة التي أخبرَتها لپاتسي من قبل - إنذار

كاشف الدخان، القطّ بين قدميها، الاصطدام بقائم الدرابزين - ولم تتكبَّد عناء ذلك. كانت لدى هذه المرأة نظرة الفعالية النهارية، والأرجح أنها تزور نُزُل المترنِّح بشكل نادر قدر الإمكان خلال ساعات عمله، لكن من الواضح أنها غير موهومة أبداً عما يحصل هنا أحياناً عندما يتأخر الوقت ويثمل الضيوف. فهي، في النهاية، الشخص الذي يأتي باكراً صباح كل سبت ليتصّل بهاجري سياراتهم. والأرجح أنها سمِعت ما يكفي من قصص الصباح التالي عن التعثُّر في منتصف الليل، والانزلاق تحت الدُش، الخ، الخ.

"ليس هنا"، قالت تَس. "لا تقلقي".

"ولا حتى في مرأب السيارات؟ إذا واجهتك بعض المتاعب هناك، سأجعل السيد رامبل يكلِّم موظفي الأمن. السيد رامبل هو المدير، ويُفترَض برجال الأمن أن يراقبوا شاشات الفيديو بشكل دوري في الليالي المزدحمة".

"حصَل بعد مغادرتي".

عليَّ حقاً أن أبلِّغ بشكل مجهول الآن، إذا كنتُ أنوي التبليغ عنه من الأصل. لأنني أكذب، وستتذكّر.

إذا كانت تنوي التبليغ عنه من الأصل؟ بالطبع تنوي ذلك. أليس كذلك؟

"آسفة جداً". صمتت نيل لبرهة، وبدا واضحاً أنها تجادل نفسها. ثم قالت، "لا أقصد إهانتك، لكن على الأرجح لا يجدر بك التواجد في مكان كهذا من الأصل. لم تسر الأمور بشكل جيد معك، وإذا وصل الخبر إلى الصحف... حسناً، سيخيب أمل جَدّتي كثيراً".

وافَقتها تَسّ. ولأنه يمكنها تزيين الأمور بشكل مُقنع (فهذه هي الموهبة التي تدفع لها فواتيرها في النهاية)، فعلت ذلك. "الحبيب السيئ حاد أكثر من أنياب الثعبان. أظن أن هذه حكمة قديمة. أو ربما من أقوال الدكتور فيل. على كل حال، لقد انفصلتُ عنه".

"الكثير من النساء يقُلنَ هذا، ثم يضعفنَ. والشاب الذي يفعل هكذا أمر –"

"سيفعله مرة أخرى. نعم، أعرف، كنتُ حمقاء جداً. إذا لم يكن جزداني معك، فما هو الغرض الخاص الذي لديك؟".

استدارت الآنسة نيل على كرسيها الدوّار (لعَقت الشمس وجهها، وأنارت للحظة تلك العينين الزرقاوين غير الاعتياديتين)، وفتحت إحدى خزائن ملفاتها، وأخرجت جهاز التومتوم. سُرَّت تَسّ من رؤية صديق سفرها القديم. هذا لم يحسِّن الأمور، لكنه خطوة في الاتجاه الصحيح.

"لا يُفترَض بنا إخراج أي شيء من سيارات الزبائن، بل فقط نستحصل على العنوان ورقم الهاتف إذا استطعنا، ثم نُقفلها، لكنني لم أرغب ترك هذا فيها. لا يمانع اللصوص من كسر النافذة ليحصلوا على غرض ثمين كهذا، خاصةً أنه كان جالساً هناك على لوحة قيادتك".

"شكراً". شَعَرت تَسّ بالدموع تتجمَّع في عينيها خلف نظاراتها الداكنة وكبتتها. "هذا كرم كبير منك".

ابتسمت بيتسي نيل، مما حوَّل الوجه الصارم للآنسة "أنا أهتمّ بالأمور هنا" إلى وجه متألق بلمح البصر. "على الرحب والسعة. وعندما يعود حبيبك ذاك زاحفاً، ويطلب فرصة ثانية، تذكّري جَدّتي وكل قرائنك الأوفياء الآخرين واطرديه خارجاً". ثم راحت تفكِّر. "لكن

افعلي ذلك والسلسلة الحديدية مربوطة بإحكام على بابك. لأن الحبيب السيئ حاد أكثر من أنياب الثعبان حقاً".

"هذه نصيحة جيدة. عذراً عليَّ أن أغادر. طلبتُ من سائق سيارة الأجرة أن ينتظرني بينما أتأكد أنني سأستعيد سيارتي حقاً".

وكان هذا كل شيء - كان يمكن حقاً أن يكون كل شيء - لكن نيل سألتها عندها، بحياءٍ، إن كانت تَسّ لا تمانع أن توقِّع توقيعها الشخصي لجَدّتها. أجابتها تَسّ بالطبع لا، ورغم كل الذي حصل، راقَبت نيل بزهوٍ حقيقيٍ وهي تُخرِج ورقة رسمية لنُزُل المترنِّح وتستخدم مسطرة لتمزِّق شعاره من أعلاها قبل أن تضعها على المكتب.

"اجعليه 'إلى ماري، مُعجبَةٌ حقيقيةٌ'. هل يمكنك فعل ذلك؟".

تستطيع تَسّ. وبينما كانت تضيف التاريخ، خطرت فكرة تسامُر جديدة على بالها. "لقد ساعدني رجلٌ عندما كنتُ وحبيبي... تعرفين، نتشاجر. لولاه، لكنتُ تأذّيتُ أكثر على الأرجح". *نعم! واغتُصبتُ حتى!* "أودّ أن أشكره، لكنني لا أعرف إسمه".

"أشكّ أن أتمكن من مساعدتك كثيراً في هذا الأمر. أنا مجرد مساعدة في المكتب".

"لكنك تعيشين هنا، أليس كذلك؟".

"نعم...".

"التقيتُه في المتجر الصغير أسفل الطريق".

"محطة الوقود؟".

"أجل. تشاجرتُ مع حبيبي هناك. كان الشجار حول السيارة. لم أكن أريد أن أقود ولم أدعه يقود أيضاً. بقينا نتجادل حول هذا

طوال سيرنا على الطريق من نُزُل المترنِّح... طوال ترنُّحنا على الطريق...".

ابتسمت نيل مثلما يبتسم الناس عندما يسمعون نكتةً سمعوها عدة مرات من قبل.

"على أي حال، وصل ذلك الشاب في شاحنة زرقاء قديمة عليها بعض تلك الأشياء البلاستيكية للصدأ حول الأضواء الأمامية –"

"معجونة بوندو؟".

"أعتقد هذا إسمها". علماً أنها كانت تعرف إسمها اللعين جيداً. فوالدها لوحده تقريباً ساهم في إبقاء أعمال الشركة مزدهرة. "على أي حال، أتذكَّر أنني قلتُ لنفسي عندما خرَج من تلك الشاحنة إنه لم يكن يركبها حقاً، بل كان يرتديها".

عندما سلَّمتها الورقة الموقَّعة فوق سطح المكتب، رأت أن بيتسي نيل كانت تبتسم فعلاً الآن. "يا إلهي، ربما أعرف مَن هو".

"حقاً؟".

"هل كان ضخماً أم ضخماً *حقاً*؟".

"ضخماً حقاً"، قالت تَسّ. شعَرت بسعادة يقِظة غريبة بدت موجودة ليس في رأسها فقط بل في وسط صدرها. كانت الطريقة التي تشعر بها عندما تبدأ سلاسل مؤامرةٍ غريبةٍ بالترابط فعلياً ببعضها البعض، تضيِّق الخناق مثلما يفعل القسم العلوي لكيس سفر مصنوع بإتقان. لطالما شعَرت بالتفاجؤ وبعدم التفاجؤ عندما يحصل هذا. لم يكن هناك شعور بالرضى مماثلاً له.

"هل صدفَ ولاحظتِ إن كان يرتدي خاتماً في إصبعه الصغير؟ حجر أحمر؟".

"نعم! مثل ياقوتةٍ! ما عدا أنها كبيرة جداً لكي تكون حقيقية. وقبعة بنّية -"

كانت نيل تومئ برأسها. "مع بُقع بيضاء عليها. لا يزال يرتدي هذا الشيء اللعين منذ عشر سنوات. أنتِ تتكلّمين عن "السائق الكبير". لا أعرف أين يعيش، لكنه محلي، إما في كولْويتش أو في نيستور فولز. أراه في الأرجاء - السوبرماركت، متجر الأجهزة، وولمارت، أماكن كهذه. وبعدما ترينه، لا يعود بإمكانك نسيانه. إسمه الحقيقي آل وكنيته بولندية لا أذكرها. إنها واحدة من تلك الأسماء الصعب لفظها. ستريلكوفتش، ستانكوفتش، شيء من هذا القبيل. أنا أكيدة أنه يمكنني إيجاده في دليل الهاتف، لأنه يملك وأخوه شركة شاحنات نقل. أعتقد أن إسمها خطوط الصقر. أو ربما خطوط النسر. شيء له علاقة بالطيور، على أي حال. هل تريدينني أن أبحث عنه؟".

"لا، شكراً"، قالت تَسّ بسرور. "لقد ساعدتني بما فيه الكفاية، وسائق سيارة أجرتي ينتظرني".

"حسناً. فقط اصنعي معروفاً مع نفسك وابقي بعيدةً عن حبيبك الشرير. وابقي بعيدةً عن نُزُل المترنِّح. بالطبع، إذا أخبرتِ أي شخص أنني قلتُ لك هذا، فسأضطر إلى البحث عنك وقتلك".

"أمر مقبول بما فيه الكفاية"، قالت تَسّ مبتسمةً. "سأكون أستحق ذلك". استدارت عندما وصلت إلى المدخَل. "معروفٌ؟".

"إذا كنتُ أستطيع".

"إذا صدفَ ورأيتِ آل ذا الكنية البولندية في أرجاء البلدة، لا تُخبريه أنك تكلَّمتِ معي". ابتسمت ابتسامةً أكبر. كان هذا يؤلِم

شفتيها، لكنها فعلته. "أريد أن أفاجئه. أن أعطيه هدية صغيرة، أو شيء من هذا القبيل".

"لا مشكلة".

تلكّأت تَسّ قليلاً. "أحب عينيكِ".

هزّت نيل كتفيها وابتسمت. "شكراً. لا تتطابقان جيداً، أليس كذلك؟ كان هذا يُخجلني في السابق، لكن الآن...".

"الآن يعمل لصالحك"، قالت تَسّ. "لقد اعتدتِ على ذلك".

"أظن هذا. حتى إنني عملتُ كعارضة أزياء في وقت من الأوقات في العشرينات من عمري. لكن أحياناً، تعرفين ماذا؟ من الأفضل عدم الاعتياد على بعض الأشياء. مثل اختيار الرجال المعكَّري المزاج دائماً".

بدا لها أنه لا يوجد شيء تقوله رداً على ذلك.

- 26 -

تأكدت أن سيارتها الإكسبديشن تعمل، ثم أعطت سائق سيارة الأجرة عشرين دولاراً بدلاً من عشرة. فشَكَرها مسروراً، ثم قاد مبتعداً نحو طريق i-84 العام. تبِعته تَسّ، لكن ليس قبل أن تعيد توصيل جهاز التومتوم بمقبس ولاّعة السجائر وتشغِّله.

"مرحبا يا تَسّ"، قال التومتوم. "أرى أننا نقوم برحلة".

"إلى المنزل فقط، يا عزيزي تومي"، قالت، وخرجت من مرأب السيارات، وهي تُدرك جيداً أنها تقود على عجلةٍ ركّبها الرجل الذي كاد يقتلها. آل ذو الكنية البولندية. سائق شاحنات حقير. "توقفٌ واحدٌ على الطريق".

"لا أعرف بماذا تفكّرين يا تَسّ، لكن يجب أن تكوني حذرة".

لو كانت في المنزل وليس في سيارتها، لكان فريتزي مَن قال لها هذا، ولكانت تَسّ غير متفاجئة بشكل مماثل. كانت تؤلّف أصواتاً ومحادثات في ذهنها منذ الطفولة، رغم أنها توقفّت عن فعل ذلك في سنّ الثامنة أو التاسعة عندما تكون مع أشخاص آخرين، إلا إذا كان ذلك لتأثير هزلي.

"لا أعرف بماذا أفكّر أنا أيضاً"، قالت، لكن هذا لم يكن حقيقياً جداً.

كان تقاطع طريق الولايات المتحدة 47 أمامها، ومحطة الوقود. شغّلت مؤشر الانعطاف، وانعطفت، وركنت مقدمة الإكسبديشن متوسطة بين الهاتفين العموميين على جانب المبنى. رأت رقم شركة الليموزين الملكية على الجدار المليء بالغبار بينهما. كانت الأرقام معقوفة، بطيئة، مكتوبة بإصبع لم يكن قادراً على البقاء هادئاً. أحسّت بقشعريرة تملأ ظهرها، ولفّت ذراعيها حول نفسها في معانقة قوية. ثم خرَجت من السيارة وذهَبت إلى الهاتف العمومي الذي لا يزال يعمل.

تم تشويه بطاقة التعليمات، ربما من قِبل ثمل يحمل مفتاح سيارة، لكن لا يزال بإمكانها قراءة المعلومات البارزة: لا كلفة للمكالمات بالرقم 911، فقط ارفع السماعة واطلب الرقم. سهل جداً.

ضغطت الرقم 9، وتردَّدت، وضغطت الرقم 1، ثم تردَّدت مرة أخرى. تخيَّلت لعبة بنياتا، وامرأة متأهّبة لتضربها بعصا. قريباً سيتساقط كل شيء مخبأ داخلها. وسيعرف أصدقاؤها وزملاؤها أنها اغتُصبتُ. ستعرف باتسي ماكلاين أن قصة التعثّر بفريتزي في الظلمة كذبةٌ بدافع

العار... وأن تَسّ لم تثق بها كفاية لتُخبرها الحقيقة. لكن حقاً، لم تكن هذه هي الأشياء الرئيسية. افترَضت أنه يمكنها تحمّل بعض التدقيق العام البسيط، خاصة إذا منعَ ذلك الرجل الذي أسمته بيتسي نيل السائق الكبير من اغتصاب وقتل امرأة أخرى. أدركت تَسّ أن الناس قد ينظرون إليها كبطلة، وهذا شيء كان من المستحيل التفكير فيه حتى ليلة أمس، عندما كان التبويل يؤلمها كفاية لجعلها تبكي وبقي ذهنها يعود إلى صورة سروالها الداخلي المسروق في جيب الرداء السروالي للعملاق.

فقط...

"ما مصلحتي في ذلك؟"، سألت مرة أخرى. تكلَّمت بهدوء تام، بينما كانت تنظر إلى رقم الهاتف الذي كتبته في الغبار. "ما مصلحتي في ذلك؟".

وفكَّرت: *لديَّ مسدَّس وأعرف كيف أستخدمه.*

أرجعت سمّاعة الهاتف إلى مكانها وعادت إلى سيارتها. نظَرَت إلى شاشة التومتوم التي كانت تبيِّن تقاطع طريق ستاغ والطريق 47. "أحتاج إلى التفكير في هذا قليلاً أكثر"، قالت.

"ماذا هناك لتفكِّري فيه؟"، سأل التومتوم. "إذا قتلته ثم أُلقي القبض عليك، ستُسجنين. اغتُصبتُ أم لا".

"هذا ما أحتاج إلى التفكير فيه"، قالت، واستدارت إلى طريق الولايات المتحدة 47، الذي سيأخذها إلى طريق i-84 العام.

كانت حركة المرور على الطريق العام الكبير خفيفةً على عادتها صباح أيام السبت، وكان الجلوس خلف مِقوَد سيارتها الإكسبديشن جيداً. مهدئاً للأعصاب. طبيعياً. بقي التومتوم صامتاً إلى أن تجاوزت

اللافتة التي تقول "المخرَج 9 قرية ستوك 4 كيلومترات". ثم قال، "هل أنت متأكدة أنه كان حادثاً؟".

"ماذا؟"، قالت جافلةً. سمِعت كلمات التومتوم تخرج من فمها، ملفوظةً بالصوت الأعمق الذي لطالما استخدَمته للنصف الوهمي في محادثاتها الوهمية (كان صوتاً يشبه قليلاً الصوت الآلي لجهاز التومتوم)، لكنه لم يبدُ لها أنه *تفكيرها*. "هل تقول إن الوغد اغتصبني *صُدفةً*؟".

"لا"، ردَّ التومتوم. "إنني أقول إنه لو كان الأمر متروكاً لك، لكنتِ سلكتِ طريق العودة الذي جئت عليه. *هذا* الطريق. طريق i-84 العام. لكن أحدهم اقترح فكرة أفضل، أليس كذلك؟ كان أحدهم يعرف طريقاً مختصراً".

"نعم"، وافَقت. "رامونا نورفيل". راحت تفكِّر بالمسألة، ثم هزَّت رأسها. "هذا احتمال بعيد جداً يا صديقي".

لم يردّ التومتوم بأي شيء على هذا.

– 27 –

مُغادرةً محطة الوقود، قرَّرت أن تبحث على الانترنت وترى إن كان يمكنها إيجاد شركة نقل بالشاحنات، ربما شركة مستقلة صغيرة، تعمل من كولْويتش أو إحدى البلدات المحيطة. شركة يتضمن إسمها إسم طير، صقر على الأرجح أو نسر. هذا ما كانت سيدات بستان الصفصاف لتفعلنه؛ فهنّ يحببن كمبيوتراتهن ويتراسلن نصيّاً دائماً مثل المراهقات. إذا وضعت الاعتبارات الأخرى جانباً، سيكون مثيراً للاهتمام رؤية إن كان تحسّسها الهاوي ينفع في الحياة الفعلية.

أثناء قيادتها صعوداً على مخرَج طريق i-84 العام على بُعد ثلاثة كيلومترات من منزلها، قرّرت أنها ستُجري بحثاً صغيراً عن رامونا نورفيل أولاً. مَن يعرف، قد تكتشف أن رامونا، بالإضافة إلى كونها رئيسة بُوكس أند براون باغرز، هي رئيسة جمعية منع اغتصاب تشيكوبي. كان ذلك مقبولاً حتى. فقد كان واضحاً بشكل لا لبس فيه أن مضيفة تَسّ مثلية جنسياً بشكل كبير، والنساء اللواتي من هذا الصنف غير مولَعات في أغلب الأحيان بالرجال الذين *ليسوا* مغتصِبين.

"العديد من مُشعِلي الحرائق متطوّعون في فرق الإطفاء المحلية"، نبّهها التومتوم بينما كانت تنعطف إلى شارعها.

"ماذا يُفترَض أن يعني هذا؟"، سألت تَسّ.

"أنك لا يجب أن تستبعدي أي شخص بناءً على انتمائه العام. لن تفعل سيدات جمعية الحياكة هكذا أمر أبداً. لكن مهما كلّف الأمر تحقّقي منها على الانترنت". تكلّم التومتوم بنبرة "أنت حرة في تصرّفاتك" لم تتوقعها تَسّ. كانت مثيرة للغضب قليلاً.

"لطف منك أن تعطيني الإذن يا توماس"، قالت.

– 28 –

لكن عندما أصبحت في مكتبها أمام كمبيوترها المشتغل، بقيت تحدّق في شاشة ترحيب أبل لخمس دقائق، وتتساءل إن كانت تفكّر حقاً في إيجاد العملاق واستخدام مسدّسها، أو إن كان ذلك مجرد نوع من الخيال الذي يميل إليه أمثالها الذي يكذبون لتحقيق مكسب شخصي. خيال الانتقام، في هذه الحالة. تجنّبت تلك الأنواع من الأفلام أيضاً، لكنها تعرف أنها متوفرة؛ لا يمكنك أن تتجنّب مفاعيل

ثقافتك إلا إذا كنتَ شخصاً منعزلاً تماماً، وتَسّ لم تكن كذلك. في أفلام الانتقام، لا يتكبَّد الأبطال المفتولو العضلات أمثال تشارلز برونسون وسيلفستر ستالون عناء اللجوء إلى الشرطة، بل يقضون على الأشرار بأنفسهم. عدالة الشارع. هل تشعر أنك محظوظ أيها الوغد. وتظن أن حتى جودي فوستر، وهي إحدى مشاهير الخرّيجين من ييل، مثّلت فيلماً من هذا النوع. لم تتمكن تَسّ من أن تتذكَّر عنوانه. *المرأة الشجاعة*، ربما؟ كان شيئاً من هذا القبيل، على أي حال.

انتقل كمبيوترها إلى شاشة توقف كلمة اليوم. وكانت كلمة اليوم *الغاق*، وهو أحد أنواع الطيور.

"عندما ترسل طيّباتك عبر الغاق للنقل، ستشعر أنك تطير"، قالت تَسّ بصوتها العميق المقلِّد لصوت التومتوم. ثم ضغطت مفتاحاً فاختفت شاشة التوقف. بدأت تتصفّح الانترنت، لكنها لن تفتح أحد محرّكات البحث، على الأقل ليس في البدء. ذهَبت أولاً إلى يوتيوب وكتبت *ريتشارد ويدمارك*، من دون أي فكرة على الإطلاق عن سبب فعلها ذلك. من دون فكرة واعية، على أي حال.

ربما أريد معرفة إن كان الرجل يستحق حقاً أن تكون من معجبيه، فكّرت في سرّها. *رامونا تظنّ ذلك بالطبع*.

عثرت على لقطات كثيرة. كانت اللقطة ذات التصنيف الأعلى واحدةً مدتها ست دقائق وعنوانها *إنه سيئ، إنه سيئ حقاً*. وقد شاهدها مئات الآلاف من الأشخاص. كانت تتضمن مشاهد من ثلاثة أفلام، لكن المشهد الذي أذهلها كان الأول. كان مشهداً من فيلم بالأسود والأبيض، وبدا من النوعية الرخيصة... لكنه بالتأكيد أحد *تلك* الأفلام. حتى عنوانه يُظهِر ذلك: *قبلة الموت*.

شاهدت تَسّ الفيديو بأكمله، ثم عادت إلى قسم *قبلة الموت* مرتين. يلعب ويدمارك دور مجرم ذي ضحكة بلهاء يهدِّد سيدة عجوزاً على كرسي ذي عجلات. أراد معلومات منها: "أين إبنك الخائن؟". وعندما رفضت العجوز إخباره: "هل تعلمين ماذا أفعل بالخونة؟ أعطيهم إياها في البطن، لذا يتلوّوا لفترة طويلة، وهم يظنّون أن الأمر انتهى".

لكنه لم يُطلق النار على بطن العجوز. بل رَبَطها بكرسيها ذي العجلات بواسطة حبل مصباح ودفَعَها نزولاً على السلالم.

خرَجت تَسّ من موقع يوتيوب، وبحثت عن ريتشارد ويدمارك في أحد محرّكات البحث، ووجدت ما توقَّعته، نظراً لقوة تلك اللقطة الموجزة. رغم أنه مثَّل في عدة أفلام لاحقة، وفي دور البطل في أغلب الأحيان، إلا أن شهرته كانت بسبب *قبلة الموت*، وكذلك دوره تومي يودو المضطرب عقلياً.

"يا لهذا الشأن العظيم"، قالت تَسّ. "أحياناً السيجار هو مجرد سيجار".

"ماذا تقصدين؟"، سأل فريتزي عن عتبة النافذة حيث كان يتشمَّس.

"أقصد أن رامونا ربما انغرمت به بعد مشاهدتها له يمثّل دور مأمور بطل أو قائد بارجة شجاع، أو شيء من هذا القبيل".

"لا شك في هذا"، وافَق فريتزي، "لأنك إذا كنت محقة بشأن ميولها الجنسية، فهي على الأرجح لا تحبّذ الرجال الذين يقتلون سيدات عجائز على كراسي ذات عجلات".

بالطبع هذا صحيح. تفكير جيد يا فريتزي.

نظَرَ إليها القط نظرةً مشكِّكةً وقال، "لكنك ربما مخطئة".

"حتى ولو كنتُ مخطئة"، قالت تَسّ، "*لا أحد* يشجِّع الأشرار المضطربين عقلياً".

أدركت غباء هذا فور خروجه من فمها. إذا كان الناس لا يشجِّعون الأشخاص المضطربين عقلياً، لما بقوا يصنعون أفلاماً عن المجنون ذي قناع الهوكي والضحية المحترقة ذات المقص بدل الأصابع. لكن فريتزي جامَلَها ولم يضحك.

"من الأفضل لك ألا تضحك"، قالت تَسّ. "وإذا شعرت برغبة بالضحك، تذكَّر مَن تملأ لك طبق طعامك".

بحثت عن *رامونا نورفيل* في غُوغل، وحصلت على أربعة وأربعين ألف نتيجة، ثم أضافت *تشيكوبي*، وحصلت على ألف ومئتَي نتيجة طيِّعة أكثر (رغم أنها تعرف أن معظمها مجرد نتائج تافهة). أول نتيجة ذات صلة كانت من *أسبوعية تشيكوبي*، وتخصّ تَسّ نفسها: أمينة المكتبة رامونا نورفيل تُعلن عن "جمعة بستان الصفصاف".

"ها أنا، عامل الجذب الرئيسي"، همسَت تَسّ. "عظيم يا تَسّا جان. لنرى الآن الممثلة الثانوية لدوري في البطولة". لكن عندما فتحت اللقطة، لم تر تَسّ سوى صورتها الفوتوغرافية. كانت الصورة العارية الكتفين التي ترسلها مساعدتها ذات الدوام الجزئي روتينياً. جعَّدت أنفها وعادت إلى غُوغل، غير متأكدة لماذا أرادت النظر إلى رامونا مرة أخرى، ولا تعلم سوى أنها تريد ذلك. عندما وجَدت أخيراً صورة فوتوغرافية لأمينة المكتبة، رأت ما اشتبه به عقلها الباطني من قبل، على الأقل بناءً على تعليقات التومتوم خلال طريق العودة إلى منزلها.

كان خبراً من عدد 3 أغسطس لأسبوعية تشيكوبي. "تُعلِن براون باغرز عن مواعيد محاضرات الخريف"، قال العنوان. وتحته، رامونا نورفيل واقفة على سلالم المكتبة، مبتسمة ومُحوِلة عينيها في الشمس. صورة فوتوغرافية سيئة، التقطها مصوِّر هاوٍ لا يملك موهبة كبيرة، واختيار سيئ (لكن نموذجي على الأرجح) للملابس من جانب نورفيل. كانت السترة الخفيفة الذكورية التصميم تجعل صدرها يبدو عريضاً مثل صدر لاعب كرة قدم أميركية محترف، وحذاؤها بنّياً مسطّحاً بشعاً، وسروالها الفضفاض الرمادي يُظهر ما كانت تَسّ وصديقاتها في المدرسة يسمّينه "أفخاذ الرعد".

"يا للهول يا فريتزي"، قالت. كان صوتها مائياً من الرعب. "انظر إلى هذا". لم يأت فريتزي لينظر ولم يردّ عليها - كيف يمكنه وهي منزعجة جداً لكي تقلِّد صوته؟

تأكدي مما ترينه، أخبَرَت نفسها. *لقد تعرّضت لصدمة فظيعة، يا تَسّا جان، ربما أكبر صدمة يمكن أن تتعرّض لها أي امرأة، ما عدا تشخيص مميت في عيادة الطبيب. لذا تأكدي.*

أغمضت عينيها وتذكّرت صورة الرجل من شاحنة الفورد القديمة ذات معجونة البوندو حول أضوائها الأمامية. لقد بدا ودوداً جداً في البدء. *لم يخطر على بالك أنك ستقابلين العملاق الأخضر المرحِ هنا في هذا المكان النائي، أليس كذلك؟*

إلا أنه لم يكن أخضر، بل له احمرار رجلٍ لا يقود شاحنته بل يرتديها.

كانت رامونا نورفيل، وهي ليست سائقة ضخمة لكنها بالطبع

أمينة مكتبة ضخمة، عجوزاً جداً لتكون أخته. وإذا كانت مثلية جنسياً الآن، فهي لم تكن هكذا دائماً، لأن الشبه جليٌّ.

إذا لم أكن مُخطئة جداً جداً، فأنا أنظر إلى صورة والدة مغتصبِي.

- 29 -

ذهَبت إلى المطبخ وشربت كوب ماء، لكن الماء لم يكن كافياً. كانت هناك زجاجة شراب مكسيكي قديمة نصف ممتلئة تكتئب في زاوية خلفية لخزانة المطبخ منذ سنوات. أخذتها، وفكّرت بإحضار كوب، ثم شربت من الزجاجة مباشرة. لسعَ فمها وحنجرتها، لكن تأثيره إيجابيٌّ. شربت المزيد - رشفةً وليس جرعةً - ثم أعادت الزجاجة إلى مكانها. لم تكن تنوي أن تثمل. فإذا كانت بحاجة في أي يوم إلى دهائها، فهو هذا اليوم بالذات.

غمرها غضبٌ - أكبر وأصدق غضب يصيبها في حياتها الراشدة - مثل حمى، لكنها لم تكن مثل أي حمى عرفتها سابقاً. دار فيها مثل مصلٍ غريبٍ، باردٍ على الجهة اليمنى لجسمها، ثم ساخنٍ على الجهة اليسرى، حيث يتواجد قلبها. بدا أنه لم يقترب من رأسها أبداً، لأنه بقي صافياً. أكثر صفاءً منذ أن تناولت الشراب المكسيكي، في الواقع.

راحت تخطو في دوائر سريعة حول المطبخ، مُخفضةً رأسها، وإحدى يديها تدلّك حلقة الرضوض حول حنجرتها. لم تنتبه إلى أنها تطوف في مطبخها مثلما طافت في المتجر المهجور بعد أن زحفت إلى خارج الأنبوب الذي أراد السائق الكبير أن يكون قبرها. هل تعتقد حقاً أن رامونا نورفيل أرسلتها إلى إبنها المضطرب عقلياً كنوعٍ من

التضحية؟ هل هذا محتمل؟ لا ليس محتملاً. هل يمكنها أن تكون متأكدة حتى أنهما والدة وإبنها، بناءً على صورة فوتوغرافية واحدة سيئة وذاكرتها؟

لكن ذاكرتي جيدة. خاصة ذاكرتي للوجوه.

حسناً، لكن الجميع ربما يظنّون هذا بشأن ذاكرتهم. أليس كذلك؟

نعم، والفكرة بأكملها مجنونة. عليكِ الاعتراف بذلك.

إنها تعترف بذلك، لكنها رأت أشياء مجنونة أكثر في برامج الجرائم الحقيقية (التي تشاهدها *حقاً*). السيدات اللواتي يملكن مبنى سكنياً في سان فرانسيسكو واللواتي أمضينَ سنوات يقتلن نزلاءهن المسنّين ويدفنونهم في الفناء الخارجي ليقبضوا شيكات ضمانهم الاجتماعي. والطيّار الذي قتل زوجته، ثم جمَّد جثّتها لكي يتمكن من تمريرها في قاطعة الأخشاب خلف المرأب. والرجل الذي رمى بنزيناً على أولاده وحرقهم كأنهم قطع دجاج ليضمن عدم حصول زوجته على الوصاية التي منحتها إياها المحكمة. والمرأة التي ترسل ضحايا إلى إبنها بشكل مروِّع وغير محتمل... لكن ليس مستحيلاً. عندما تتعلق المسألة بظُلمة القلب البشري، لا يبدو أن هناك أي حدود.

"يا إلهي"، سمِعت نفسها تقول بصوت ممزوج بالرعب والغضب. "يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي".

اعرفي. تأكدي. إذا كنت تستطيعين.

عادت إلى كمبيوترها الموثوق. كانت يداها ترتعشان جداً، واحتاجت إلى ثلاث محاولات لكي تكتب *شركات النقل بالشاحنات في كولويتش* في حقل البحث في أعلى صفحة غُوغل. نجحت أخيراً،

وضغطت زر الإدخال، ورأت في أعلى لائحة النتائج: "الصقر الأحمر للنقل". أخذها ذلك الإدخال إلى موقع ويب الصقر الأحمر، الذي يستخدم شعاراً كبيراً محرَّكاً بشكل سيئ لما افترَضت أنه صقر أحمر على جانب شاحنة ورجل غريب مبتسم خلف المِقوَد. قطعت الشاحنة الشاشة من اليمين إلى اليسار، وانعكست ثم عادت من اليسار إلى اليمين، ثم انعكست مرة أخرى. رحلة لا تنتهي. وكان شعار الشركة الأحمر والأبيض والأزرق يومض فوق الشاحنة المتحركة: الابتسامات ترافق الخدمة!

مكتبة

لكل شخص يريد أن يتجاوز شاشة الترحيب، هناك أربعة أو خمسة خيارات، من بينها أرقام هاتف، وأسعار، وشهادات من زبائن راضين. تخطّتها تَسّ وضغطت الخيار الأخير، الذي يقول "اكتشفوا أحدث إضافة إلى أسطولنا!". وعندما ظهرت الصورة الفوتوغرافية، سقطت القطعة الأخيرة من الأحجية في مكانها.

كانت صورة أفضل بكثير من صورة رامونا نورفيل الواقفة على سلالم المكتبة، وتبيِّن مغتصِب تَسّ جالساً خلف مِقوَد شاحنة لامعة ماركة بيتربيلت مُلصق على بابها "الصقر الأحمر للنقل كولْويتش، ماساتشوستس" بخط فاخر. لم يكن يرتدي قبعته البنيّة ذات البُقع البيضاء، وشعره الخشن الأشقر القصير جعَله يشبه أمه أكثر بكثير، وبشكل مُوحِش تقريباً. كانت ابتسامته المبتهِجة التي توحي بالثقة هي الابتسامة التي رأتها تَسّ بعد ظهر البارحة. نفس الابتسامة التي كانت لا تزال على وجهه عندما قال لها *بدلاً من أن أغيِّر لك العجلة، ما رأيك لو جامعتُك؟ ما رأيك بهذا؟*

النظر إلى الصورة جعَل دورة مصل الغضب الغريب في جسمها

أسرع من ذي قبل. شعرت بخفقان في صدغَيها لم يكن صُداعاً بالضبط؛ بل كان لطيفاً في الواقع.

كان يرتدي الخاتم ذا القطعة الزجاجية الحمراء.

ويقول النص تحت الصورة: "آل سترلكه، رئيس الصقر الأحمر للنقل، جالسٌ هنا خلف مِقوَد أحدث إضافات الشركة، شاحنة بيتربيلت 389 موديل 2008. هذا الحصان القوي متوفر لزبائننا الآن، الذين هم الأفضل في كل الأرض. مهلاً! ألا يبدو آل والداً فخوراً؟".

سمِعته يصفها بالحقيرة، ببائعة هوى نتِنة حقيرة، ويشدّ يديها في قبضتين. شعَرت بأظافرها تنغرس في راحتَي يديها وزاد شدّه عليهما، متلذّذاً بألمها.

بابا الفخور. هذا ما بقيت عيناها تعودان إليه. *بابا الفخور*. راح الغضب ينتقل أسرع فأسرع، ويطوف في كل أنحاء جسمها بالطريقة التي طافت بها في مطبخها. بالطريقة التي طافت بها في المتجر ليلة أمس، متنقّلةً بين الوعي واللاوعي مثل ممثلة عبر سلسلة أضواء مسلَّطة.

ستدفع الثمن يا آل. ولا تهتمّ بالشرطة، أنا التي ستأتي لتقبض منك.

ثم هناك رامونا نورفيل. الماما الفخورة للبابا الفخور. رغم أن تَسّ كانت لا تزال غير متأكدة بشأنها. جزئياً لأنها لم تكن تريد أن تصدِّق أن امرأةً تستطيع السماح لشيء رهيب كهذا أن يحصل لامرأة أخرى، لكن يمكنها رؤية تفسير بريء أيضاً. لم تكن تشيكوبي بعيدة جداً عن كولْويتش، وكانت رامونا لتستخدم طريق ستاغ المختصرة كلما ذهَبت إلى هناك.

"لتزور إبنها"، قالت تَسّ وهي تومئ برأسها. "لتزور بابا الفخور ذا الشاحنة الجديدة. على حد علمي، ربما هي مَن التقط صورته خلف المِقوَد". ولماذا لن توصي بدربها المفضَّل لمُحاضِرة ذلك اليوم؟

لكن لماذا لم تقُل، "أسلكُ تلك الطريق دائماً لأزور إبني؟" ألن يكون ذلك طبيعياً؟

"ربما لا تكلِّم الغرباء عن مرحلة ستزلكه في حياتها"، قالت تَسّ. "المرحلة التي سبقت اكتشافها الشعر القصير والأحذية المريحة". كان هذا ممكناً، لكن هناك كومة الألواح الخشبية المرصَّعة بالمسامير لأخذها بعين الاعتبار. الفخ. لقد أرسلتها نورفيل في تلك الطريق، وكان الفخ منصوباً من قبل. لأنها اتصلت به؟ اتصلت به وقالت له *سأرسل لك واحدة جذّابة، لا تدعها تُفلت من بين يديك؟*

لا يزال هذا لا يعني أنها مشاركة في الجريمة... أو مشاركة دون علمها. يستطيع بابا الفخور أن يتعقّب لائحة ضيوفها المحاضِرات، ما مدى صعوبة ذلك؟

"ليس صعباً أبداً"، قال فريتزي بعد أن قفز إلى خزانة ملفاتها. بدأ يلعق أحد كفَّيه.

"وإذا رأى صورة امرأة أعجبته... امرأة جذابة إلى حد معقول... أفترض أنه يعرف أن أمه سترسلها في طريق عودتها عبر...". توقَفت. "لا، هذا غير مضمون. من دون بعض المعلومات من أمه، كيف سيعرف أنني لن أقود إلى منزلي في بوسطن؟ أو لن أسافر في الطائرة إلى منزلي في نيويورك؟".

"لقد بحثتِ عنه في غُوغل، "، قال فريتزي. "وربما بحث *عنك* في

غُوغل. مثلما فعلت هي بالضبط. الجميع موجود على الانترنت هذه الأيام؛ أنتِ قلتِ هذا بنفسك".

هذا المنطق مترابط ببعضه، ولو عبر شعرة رفيعة.

وجدت أن هناك طريقة واحدة للتيقّن، وهي القيام بزيارة مفاجئة إلى الآنسة نورفيل. والنظر إلى عينيها عندما ترى تَسّ أمامها. إذا لم تجد فيهما سوى التفاجؤ والحشرية من عودة كاتبة بستان الصفصاف... إلى منزل رامونا وليس إلى مكتبتها... فذلك سيكون طبيعياً. لكن إذا وجدت فيهما خوفاً أيضاً، من النوع الذي قد يسبّبه التساؤل *لماذا أنتِ هنا وليس في بربخ صدئ على طريق ستاغ*... عندها...

"سيكون ذلك مختلفاً يا فريتزي. أليس كذلك؟".

نظر فريتزي إليها بعينيه الخضراوين الماكرتين، وكان لا يزال يلعق كفّه. بدا ذلك الكفّ غير مؤذٍ، لكن هناك مخالب مخفية داخله. لقد رأتها تَسّ، وشَعَرت بها أحياناً.

لقد عَرفت أين أعيش؛ دعني أرى إن كنتُ قادرة أن أردّ لها المعروف.

عادت تَسّ إلى كمبيوترها، وبحثت هذه المرة عن موقع ويب بُوكس أند براون باغرز. كانت متأكدة أنها ستجد واحداً - فكل شخص هذه الأيام يملك موقع ويب، وحتى هناك سجناء لمدى الحياة لارتكابهم جرائم قتل يملكون مواقع ويب - وهي أيضاً. كانت براون باغرز تنشر معلومات كثيرة عن أعضائها، وندوات مناقشتها الكتب، ومواجز غير رسمية - ليست محاضر - لاجتماعاتها. اختارت تَسّ البند الثاني وبدأت تتصفّح. لم تحتج إلى وقت طويل لتكتشف أن اجتماع 10

يونيو عُقد في منزل رامونا نورفيل في بروستر. لم تزُر تَسّ تلك البلدة أبداً، لكنها تعرف مكانها، فقد تجاوزت لافتة خضراء على الطريق الرئيسي تشير إليها أثناء ذهابها إلى محاضرة البارحة. كان تبعُد مخرَجين أو ثلاثة مخارج فقط جنوبي تشيكوبي.

ذهَبت بعد ذلك إلى سجلات ضرائب بلدة بروستر وتصفّحتها إلى أن وجَدت إسم رامونا. لقد دفَعت 913.06$ ضريبة أملاك في السنة الماضية؛ وقالت السجلات إنها تملك عقاراً في 75 ممر لايسمايكر.

"وجدتُك يا عزيزتي"، همسَت تَسّ.

"عليك التفكير كيف ستتعاملين مع هذا"، قال فريتزي. "وكم أنت مستعدة أن تذهبي بهذا".

"إذا كنتُ محقة"، قالت تَسّ، "ربما بعيداً جداً".

بدأت توقف تشغيل كمبيوترها، ثم فكّرت بشيء آخر يستحق التحقّق منه، رغم أنها عرَفت أن جهودها قد لا تُثمر شيئاً. ذهَبت إلى صفحة بداية موقع أسبوعية تشيكوبي وضغطت "سجل الوفيات". كان هناك مربع يكتب فيه المرء الإسم الذي يهمّه، وكتبت تَسّ *سترلكه*. عثرت على نتيجة واحدة، لرجلٍ يدعى روسكو سترلكه. وفقاً لسجل وفيات 1999، مات الرجل في منزله فجأة، عن عمر الثامنة والأربعين. وترك وراءه زوجةً، رامونا، وإبنَين: ألفين (23) ولستر (17). بالنسبة لكاتبة روايات تشويق، حتى من الصنف الخالي من إراقة الدماء، كانت جملة *مات فجأة* أشبه بعلم أحمر. بحَثت في قاعدة البيانات العامة للأسبوعية ولم تعثر على أي شيء آخر.

جلَست ساكنةً للحظة، وراحت تنقر أصابعها بلا هوادة على

ذراعَي كرسيها مثلما تفعل أثناء عملها وتعجز عن إيجاد كلمة أو جملة أو طريقة لتصف بها شيئاً. ثم بَحَثت عن لائحة الصحف الصادرة في غرب وجنوب ماساتشوستس، وعثرت على *الجمهورية* التي تصدر في سبرينغفيلد. عندما كتَبت إسم زوج رامونا نورفيل، كان العنوان الذي ظهر أمامها صارماً ومختصراً: انتحار رجل أعمال في تشيكوبي.

تم اكتشاف جثة سترلكه في مرأبه، متدّلياً من رافدة. لم يُعثَر على أي رسالة ولم يُنشَر أي قول لرامونا، لكن أحد الجيران قال إن السيد سترلكه كان مضطرباً من "بعض المتاعب التي واجهت إبنه الأكبر".

"أي نوع من المتاعب واجهت آل فأزعجتك إلى هذا الحد؟"، سألت تَسّ شاشة الكمبيوتر. "هل كان شيئاً فعله مع فتاةٍ؟ إعتداء، جنسي ربما؟ هل كان يحاول أن يرتقي في فنّه إلى مراتب أعلى، حتى وقتها؟ إذا كان هذا سبب شنقك لنفسك، فأنت أب حقير".

"ربما حصل روسكو على مساعدة"، قال فريتزي. "من رامونا. المرأة ضخمة وقوية، مثلما تعرفين. *لا شك* أنك تعرفين؛ فقد رأيتها".

مرة أخرى، لم يبدُ هذا مثل الصوت الذي تستخدمه عندما تكلّم نفسها في الأساس. نظَرت إلى فريتزي جافلةً. ونظَرَ إليها فريتزي بدوره: عينين خضراوين تسألانها *مَن، أنا؟*

ما أرادت تَسّ القيام به هو القيادة مباشرة إلى ممر لايسمايكر ومسدَّسها في جزدانها. وما يجب *عليها* أن تفعله هو التوقف عن لعب دور المحقِّقة وتتصل بالشرطة. دعم يتولّون المسألة. هذا ما كانت تَسّ القديمة لتفعله، لكنها لم تعد تلك المرأة. أصبحت تلك المرأة تبدو لها الآن كنسيبة بعيدة، من النوع الذي ترسل له بطاقة معايدة في احتفال الشتاء وتنسى أمره بقية السنة.

لأنها لم تكن قادرة على أن تقرّر - ولأنها تتألم كثيراً - ذهَبت إلى الطابق العلوي وعادت إلى السرير. نامت لأربع ساعات ونهضت متشنّجة جداً لكي تسير. أخذت حبّتَي تايلينول، وانتظَرت حتى تحسَّنا لها وضعها، ثم قادت سيارتها إلى متجر تأجير الأفلام. حَمَلت عصّارة الليمون في جزدانها. قرَّرت أنها ستحمله معها دائماً الآن بينما تقود لوحدها.

وصلت إلى متجر تأجير الأفلام قبل أن يُغلق أبوابه بقليل وطلبت فيلماً لجودي فوستر يدعى *المرأة الشجاعة*. ابتسم لها البائع (الذي كان شعره أخضر، ويضع دبوس أمان في إحدى أذنيه، وبدا في الثامنة عشرة من عمره) وأخبَرَها أن الفيلم يدعى في الواقع *الشجاعة*. ثم أخبَرَها السيد "الوغد الرجعي" أنه لقاء خمسين سنتاً إضافياً، يمكنها الحصول على كيس فشار للمايكروويف مع الفيلم. كادت تَسّ ترفض العرض، ثم عدلت عن رأيها. "تباً، لما لا؟"، سألت السيد الوغد الرجعي. "المرء يعيش مرة واحدة فقط، أليس كذلك؟".

رمقها نظرةً جافلةً، ثم ابتسم ووافَقها الرأي أنها حالة حياة واحدة لكل زبون.

عند عودتها إلى المنزل، فرقَعت كيس الفشار، ووضعت القرص الرقمي في الجهاز، وارتمت على الأريكة واضعةً وسادةً صغيرةً خلف ظهرها لتخفّف الألم هناك. انضم إليها فريتزي وراحا يشاهدان جودي فوستر تلاحق الرجال (الأوغاد، كما في *هل تشعر أنك محظوظ أيها الوغد*) الذين قتلوا حبيبها. وقضت فوستر في طريقها على أوغاد آخرين، مستخدَمة مسدَّساً لتفعل ذلك. كان فيلم *الشجاعة* أحد الأفلام من *ذلك* النوع، لكن تَسّ استمتعت به رغم ذلك. شعرت أنه

منطقي تماماً. وفكَّرت أيضاً أنها كانت تفتقد شيئاً طوال تلك السنوات: التنفيس البسيط لكن الأصلي الذي توفّره أفلامٌ أمثال *الشجاعة*. عندما انتهى الفيلم، استدارت إلى فريتزي وقالت، "أتمنى لو كان ريتشارد ويدمارك قد التقى جودي فوستر بدلاً من السيدة العجوز على الكرسي ذي العجلات، ألا توافقني الرأي؟".

وافقها فريتزي الرأي ألفاً بالمئة.

- 30 -

مستلقيةً على السرير تلك الليلة ورياح أكتوبر تشتدّ حول المنزل وفريتزي بجانبها مكوّر جسمه من أنفه إلى ذيله، عقدت تَس اتفاقاً مع نفسها: إذا استيقَظت غداً وهي تشعر مثلما تشعر الآن، ستذهب لرؤية رامونا نورفيل، وربما بعد رامونا - بناءً على ما تُسفِر عنه الأحداث على ممر لايسمايكر - ستزور ألفين "السائق الكبير" سترلكه. والأرجح أنها ستستيقظ وقد استعادت بعض رجاحة عقلها فتتصل بالشرطة. لا مكالمة مجهولة أيضاً؛ ستواجه الموسيقى والرقص. قد يكون من الصعب إثبات حصول حالة اغتصاب بعد أربعين ساعة وعدد لا يُحصى من الاستحمام، لكن دلالات العنف الجنسي مكتوبة على كل أنحاء جسمها.

والنساء في الأنبوب: كانت محامية الدفاع عنهن، شاءت أم أبَت.

غداً ستبدو كل أفكار الانتقام هذه ساذجة لي. مثل أنواع الأوهام التي يُصاب بها الأشخاص خلال مرضهم وإصابتهم بالحمى.

لكن عندما استيقَظت يوم الأحد، كانت لا تزال في صيغة تَسّ

الجديدة كلياً. نظَرَت إلى المسدَّس الموضوع على منضدة السرير وفكَّرت في سرِّها، *أريد استخدامه. أريد الاهتمام بهذا الأمر بنفسي، وبناءً على ما مررتُ به، أستحق الاهتمام بهذا الأمر بنفسي.*

"لكن يجب أن أتأكد، ولا أريد أن يُلقى القبض عليَّ"، قالت لفريتزي، الذي كان قد وقف على قدمَيه الآن وراح يتمطَّط، استعداداً ليومٍ مُضنٍ آخر من الجلوس وتناول وجبات خفيفة من وعائه.

استحمّت تَسّ، وارتدت ملابسها، ثم أخرجت دفتر أوراق صفراء إلى الغرفة الشمسية. راحت تحدِّق في مَرجتها الخلفية لحوالي خمس عشرة دقيقة، وترشف من وقت لآخر من كوب شاي بدأ يبرد. كتَبت أخيراً "لا تسمحي أن يُلقى القبض عليكِ" في أعلى الورقة الأولى. راحت تفكِّر في هذا بكل رصانة، ثم بدأت تدوِّن ملاحظات. كما هو حالها في كل يوم جديد بينما تؤلِّف كتاباً، بدأت ببطء، لكنها زادت السرعة تدريجياً.

- 31 -

شعرت بالجوع عند الساعة العاشرة. فأعدّت لنفسها غداءً مُبكراً ضخماً وأكلته بالكامل. ثم أعادت الفيلم إلى متجر تأجير .الأفلام وسألت إن كان لديهم *قبلة الموت*. لم يكن لديهم، لكن بعد الاستعراض لعشر دقائق، اختارت بديلاً يدعى *المنزل الأخير على اليسار*. أخذته إلى المنزل وشاهدته بانتباه شديد. في الفيلم، اغتصب رجالٌ فتاةً يافعةً وتركوها لتموت. كان ذلك مشابهاً جداً لما حصل معها بحيث أنها أجهشت بالبكاء بصوتٍ عالٍ لدرجة أن فريتزي فرَّ من الغرفة. لكنها واصَلت مشاهدته وكوفئت بنهاية سعيدة: والدا الفتاة

اليافعة قتلا المغتصِبين.

أعادت القرص إلى علبته، التي ترَكتها على الطاولة في القاعة. ستعيده غداً، إذا كانت لا تزال حيّة غداً. كانت تنوي أن تبقى حيّة، لكن لا شيء أكيد؛ سيصادف المرء الكثير من المطبّات الغريبة والخبيثة عندما يسلك درب الأخطار في الحياة. وقد اكتشفت ذلك بنفسها.

بوجود بعض وقت الفراغ – بدت ساعات النهار بطيئة – عادت إلى الانترنت، لتبحث عن معلومات عن المتاعب التي وقع فيها آل سترلكه قبل أن ينتحر أبوه. لم تجد شيئاً. ربما كان الجار إنساناً حقيراً (غالباً ما يكون الجيران هكذا)، لكن تَسّ فكَّرت بسيناريو آخر: ربما حصلت المتاعب بينما كان سترلكه لا يزال قاصراً. في هكذا حالات، لا تُنشر الأسماء في الصحافة وتُختَم سجلات المحكمة (هذا إذا افترضنا أن القضية وصلت إلى المحكمة).

"لكن ربما ازدادت حالته سوءاً"، أخبرَت فريتزي.

"أحوال أولئك الشباب تزداد سوءاً في أغلب الأحيان"، وافقَها فريتزي (هذا كان نادراً؛ فالتومتوم هو اللطيف عادة. أما دور فريتزي فيميل إلى أن يكون محامي الشيطان).

"ثم، بعد بضع سنوات، حصل شيء آخر. شيء أسوأ. أن تساعده أمه مثلاً في تغطية الجريمة –"

"لا تنسي الأخ الأصغر"، قال فريتزي. "لستر. ربما كان مشاركاً، أيضاً".

"لا تُربِكني بشخصيات كثيرة يا فريتز. كل ما أعرفه هو أن آل السائق الكبير اللعين اغتصبني، وأمه ربما ساعدته. يكفيني هذا".

"ربما تكون رامونا عمّته"، خمَّن فريتزي.

"آه، اصمت"، قالت تَسّ، فصمتَ فريتزي.

- 32 -

استلقت عند الساعة الرابعة، دون أن تتوقع أن تنام ولو قليلاً، لكن كان لجسمها المتماثل للشفاء أولوياته الخاصة. فغفت تقريباً فوراً، وعندما استيقَظت من الرنين المُلحّ لساعتها التي بجانب السرير، كانت مسرورة أنها ضبَطت المنبِّه. في الخارج، كان نسيم أكتوبر العاصِف يطيِّر أوراق الأشجار ويرميها على فنائها الخارجي في كومات غنية بالألوان. وكان الضوء قد تحوَّل إلى ذلك اللون الذهبي الغريب والضحل الذي يبدو مُلكية حصرية لفترات بعد الظهر في نيو إنغلاند.

كان أنفها أفضل - فقد تراجع الألم فيه إلى نبض ممل - لكن حنجرتها كانت لا تزال متقرِّحة وسارت مترنِّحةً إلى الحمّام. وقفت تحت الدُش وبقيت هناك إلى أن أصبح الحمّام ضبابياً مثل مستنقع إنكليزي في إحدى قصص شيرلوك هولمز. لقد ساعدها الدُش. وحبّتا تايلينول من خزانة الأدوية ستساعدانها أكثر حتى.

جفَّفت شعرها، ثم مسحت بقعةً على المرآة لتتمكن من الرؤية. نظرت إليها المرأة التي في المرآة بعينين مسكونتين بالغضب وسلامة العقل. لم يبق الزجاج صافياً لفترة طويلة، لكنها كانت طويلة كفاية لتُدرك تَسّ أنها تنوي فعل ذلك حقاً، مهما تكن العواقب.

ارتدت كنزة عالية مبرومة سوداء وسروالاً فضفاضاً أسود ذا جيوب كبيرة. وربَطت شعرها على شكل كعكة ثم وضعت قبعة بيسبول

سوداء كبيرة. الكعكة جعَلت القبعة تنتفخ قليلاً، لكن على الأقل لن يتمكن أي شاهد محتمل من أن يقول، *لم أتمكن من النظر إلى وجهها جيداً، لكن شعرها كان أشقر طويلاً، ومربوطاً إلى الخلف بإحدى ربطات الشعر تلك التي يمكنك شراءها من متجر جي سي بيني.*

نزلت إلى القبو حيث تخزَّن قارب الكاياك منذ يوم العمال وأخذت بكرة حبال القوارب الصفراء عن الرف فوقه. استخدَمت مقصّ السياج النباتي لتَقطع مئة وعشرين سنتيمتراً، وتلفّه حول ساعدها، ثم حشرت الحبل في أحد جيوب سروالها الكبيرة. عادت إلى الطابق العلوي مرة أخرى ودخلت المطبخ، ووضعت سكين الجيش السويسري الخاصة بها في نفس الجيب - الأيسر. كان الجيب الأيمن لعصّارة الليمون... ولبند واحد آخر أخذته من الجارور الذي بجانب الموقد. ثم وضعت حصة غذائية مزدوجة لفريتزي، لكنها عانَقته وقبَّلت أعلى رأسه قبل أن تدعه يبدأ الأكل. سطَّح القط أذنيه (بدافع التفاجؤ أكثر مما هو بدافع النفور، على الأرجح؛ فلم يكن معتاداً أن تقبِّله) وأسرعَ إلى طبقه حالما وَضَعته أرضاً.

"اجعل هذا يدوم فترة كافية"، أخبَرَته تَسّ. "ستأتي باتسي لتطمئن عليك في نهاية المطاف إذا لم أعُد، لكن يمكن أن يمرّ يومان قبل حصول ذلك". ابتسمت قليلاً وأضافت، "أحبك يا أيها الشيء العجوز البائس".

"صح، صح"، قال فريتزي، ثم انهمك في تناول طعامه.

تفحّصت تَسّ مذكرتها "لا تسمحي أن يُلقى القبض عليكِ" مرة أخرى، واضعةً جردةً عقليةً باللوازم التي ستحتاج إليها ومستعرضةً الخطوات التي تنوي القيام بها بعدما تصل إلى ممر لايسمايكر. وشعرت

أن أهم شيء عليها تذكّره هو أن الأمور لن تجري مثلما تشتهي. فعندما تتعلق المسألة بأمور كهذه، تظهر عوامل مفاجئة دائماً. قد لا تكون رامونا في المنزل. أو قد تكون في المنزل لكن مع إبنها المغتصِب–القاتل، والاثنان مسترخيان في غرفة الجلوس يشاهدان شيئاً رافعاً للمعنويات من متجر تأجير الأفلام. ربما فيلم *المنشار*. وقد يكون الأخ الأصغر - لا شك أنه معروف في كولْويتش بالسائق الصغير - هناك أيضاً. كل ما تعرفه تَسّ هو أن رامونا ربما تقيم حفلة لمروِّجات الحاويات البلاستيكية أو تستضيف جلسة قراءة هذه الليلة. وكان الشيء المهم ألا تسمح للتطوّرات غير المتوقعة بأن تحيِّرها. وإذا لم تكن قادرة على الارتجال، شعرت تَسّ باحتمال كبير أنها تغادر منزلها في ستوك للمرة الأخيرة.

حرَقت المذكرة "لا تسمحي أن يُلقى القبض عليكِ" في الموقد، وحرّكت الرماد بواسطة عصا تذكية النار، ثم ارتدت سترتها الجلدية وقفازَين من الجلد الرقيق. كان هناك جيب عميق في بطانة السترة. فوضعت تَسّ إحدى سكاكينها فيه، للحظ السعيد فقط، ثم أخبَرَت نفسها أن عليها عدم نسيان أنها وضعتها هناك. فآخر شيء تحتاج إليه في عطلة نهاية الأسبوع هذه هو إستئصال غير مقصود للثدي.

قبل خروجها من الباب، شغَّلت جهاز إنذار السرقة.

أحاطتها الرياح فوراً، مرفرفةً ياقة سترتها وساقَي سروالها الفضفاض. وراحت الأوراق تدور في أعاصير مصغَّرة. في السماء غير الحالكة تماماً فوق قطعتها الصغيرة الحسنة الذوق من ضاحية كونّكتيكت، انطلَقت السُحُب على ضوء قمر ثلاثي الأرباع. شعرت تَسّ أنها ليلة ممتازة لفيلم رعب.

ركبت سيارتها الإكسبديشن وأغلقت الباب. ارتطمت ورقة

إحدى الأشجار بالزجاج الأمامي، ثم طارت مبتعدةً. "لقد فقدتُ صوابي"، قالت بنبرة واقعية. "لقد سقَطتُ ومتُّ في ذلك البربخ، أو عندما كنتُ أطوف في المتجر. إنه التفسير الوحيد لهذا".

شغَّلت المحرّك. وأضاء جهاز التومتوم وقال، "مرحبا يا تَسّ. أرى أننا نقوم برحلة".

"هذا صحيح يا صديقي". مالت تَسّ إلى الأمام وبرمَجت 75 ممر لايسمايكر في الرأس الميكانيكي المنظَّم الصغير للتومتوم.

\- 33 -

كانت قد تفحّصت حي رامونا على موقع غُوغل إيرث، وبدا لها مشابهاً عندما وصلت إلى هناك. كل شيء جيد حتى الآن. كانت بروستر بلدة صغيرة في نيو إنغلاند، وممر لايسمايكر يقع على ضواحيها، والمنازل هناك متباعدة عن بعضها. قادت تَسّ متجاوزةً الرقم 75 بسرعة ثلاثين كيلومتراً في الساعة الرصينة للضواحي، ملاحظةً أن الأنوار مُضاءة وهناك سيارة واحدة فقط - سوبارو من أحدث طراز تكاد تصرخ أنها لأمينة مكتبة - في الممر الخاص للمنزل. لم يكن هناك أثر لشاحنة ماركة بيتربيلت أو لأي مركبة كبيرة أخرى. ولا شاحنة قديمة مرقَّعة بمعجونة بوندو أيضاً.

انتهى الشارع في دوّار. سلكَتْهُ تَسّ، عائدةً من حيث أتت، ودخلت الممر الخاص لمنزل نورفيل من دون أن تعطي نفسها أي فرصة لتغيِّر رأيها. أطفأت الأضواء والمحرّك، ثم أخذت نَفَساً عميقاً.

"عودي آمنة يا تَسّ"، قال التومتوم من مكانه على لوحة القيادة. "عودي آمنة وسآخذك إلى محطتك التالية".

"سأفعل ما بوسعي". أمسَكت دفتر أوراقها الصفراء (لم يكن هناك شيء مكتوب عليه الآن) وخرجت من سيارتها. ضغطت الدفتر على الجهة الأمامية لسترتها بينما سارت إلى باب رامونا نورفيل. وسار بجانبها ظلها من ضوء القمر - ربما هذا كل ما بقي من تَسّ القديمة.

- 34 -

كان باب منزل نورفيل يتضمن قِطعاً سميكةً من الزجاج المشطوب على الجهتين تحرِّف الرؤية، لكن تَسّ استطاعت رؤية ورق جدران جميل وقاعة مبلَّطة بخشب مصقول. كما رأت طاولة صغيرة عليها بعض المجلات. أو ربما كتالوغات. ورأت غرفة كبيرة في نهاية القاعة. وسمعت صوت تلفزيون من هناك. كما سمِعت غناءً، لذا فإن رامونا لا تشاهد فيلم *المنشار* على الأرجح. في الواقع - إذا كانت تَسّ محقّة والأغنية هي "تسلَّق كل جبل" - فإن رامونا تشاهد فيلم *صوت الموسيقى*.

رنَّت تَسّ جرس الباب، فسمعت نغمات من الداخل بدت كالموسيقى الافتتاحية لأغنية ديكسي - وهذا خيار غريب لنيو إنغلاند، لكن إذا كانت تَسّ محقّة بشأنها، فإن رامونا نورفيل امرأة غريبة.

سمعت تَسّ دعسات قدمَين كبيرتين فقامت بنصف استدارة، لكي يُظهِر الضوء من الزجاج بعض وجهها فقط. وأخفَضت دفترها الفارغ عن صدرها وقامت بحركات كتابة بإحدى يديها ذات القفازين. وتركت كتفَيها يهبطان قليلاً. كانت امرأةٌ تُجري أحد أنواع الاستطلاعات. كان هذا مساء الأحد، وكانت مُتعَبة، وكل ما تريده هو معرفة إسم معجون الأسنان المفضَّل لدى هذه المرأة (أو ربما إن كان لديها تبغ ماركة الأمير ألبرت في علبة) ثم تعود إلى منزلها.

لا تقلقي يا رامونا، يمكنك فتح الباب، فأي شخص يستطيع أن يرى أنني غير مؤذية، أنني من صنف النساء اللواتي لا يُطلقن أي صيحة استهجان على إوزة.

لمحت بطرف عينها وجهاً متعرّجاً مشوَّهاً يظهر خلف الزجاج المشطوب. مرَّت لحظة صمت بدت كأنها دهر كامل، ثم فتحت رامونا نورفيل الباب. "نعم؟ هل يمكنني مساعد –"

استدارت تَسّ فسقط الضوء من الباب المفتوح على وجهها. والصدمة التي رأتها على وجه نورفيل، صدمة الذهول، أخبرَتها كل شيء كانت تحتاج إلى معرفته.

"*أنتِ*؟ ماذا تفعلين هـ –"

سحَبت تَسّ عصّارة الليمون من جيبها الأمامي الأيمن. أثناء قيادتها من قرية ستوك، تخيَّلته سيعلق هناك – تخيَّلت حصول ذلك بوضوح كابوسيّ – لكنه خرجَ بسلاسة.

"ارجعي إلى الوراء. وإذا حاولت إغلاق الباب، سأُطلق النار عليك".

"لن تفعلي هذا"، قالت نورفيل. لم ترجع إلى الوراء، لكنها لم تغلق الباب أيضاً. "هل أنت مجنونة؟".

"ادخلي".

كانت نورفيل ترتدي معطفاً منزلياً أزرق كبيراً، وعندما رأت تَسّ جهته الأمامية ترتفع بحدّة، رفعت المسدَّس. "إذا حاولتِ مجرد الصياح، سأطلق النار عليك. من الأفضل لك أن تصدقيني، أيتها الحقيرة، لأنني بعيدة كل البعد عن المزاح".

فرُغ الهواء من صدر نورفيل الكبير. وتراجعت شفتاها إلى الخلف مُظهرةً أسنانها، وتحرّكت عيناها من جهة إلى أخرى في محجريهما. لم تعد تشبه أمينة مكتبة الآن، ولم تبدُ مرِحةً ومرحِّبةً. بل بدت لتَسّ كما لو أنها جرذ وقع في فخ خارج حفرته.

"إذا أطلقتِي النار بهذا المسدَّس، سيسمع سكان الحي جميعاً".

شكَّت تَسّ بهذا، لكنها لم تجادلها. "هذا لن يشكّل فارقاً بالنسبة لك، لأنك ستكونين ميتة. ادخلي. إذا أحسنتِ التصرّف وأجبتِ على أسئلتي، فقد تبقين حيّة إلى صباح الغد".

تراجعت نورفيل إلى الوراء، ودخَلت تَسّ عبر الباب المفتوح وهي تُشهِر المسدَّس أمامها بحزم. وحالما أغلقت الباب – فعلت ذلك بقدمها – توقفت نورفيل عن الحركة. كانت تقف قرب الطاولة الصغيرة التي عليها الكتالوغات.

"لا تُمسكي شيئاً، ولا ترمي شيئاً"، قالت تَسّ، ورأت من ارتعاش فم المرأة الأخرى أنها كانت تفكّر فعلاً بإمساك أي شيء ورميه. "يمكنني قراءة أفكارك مثل كتاب مفتوح. وإلا لماذا سأكون هنا؟ استمري بالرجوع. وصولاً إلى غرفة الجلوس. أحبّ حقاً عائلة تراپ عندما يغنّون بكل أحاسيسهم".

"أنت مجنونة"، قالت رامونا، لكن بدأت تتراجع مرة أخرى. كانت ترتدي حذاءً. حتى في معطفها المنزلي كانت ترتدي حذاءً كبيراً بشعاً. ذو رباط مثل أحذية الرجال. "ليست لديَّ أي فكرة عما تفعلينه هنا، لكن –"

"لا تتذاكين عليَّ، يا ماما. *إياكِ*. كان كل شيء واضحاً على

وجهك عندما فتَحت الباب. كل شيء. لقد ظننتِ أنني ميتة، أليس كذلك؟".

"لا أعرف ماذا –"

"لا يوجد أحد غيرنا، لماذا لا تعترفين إذاً؟".

كانتا في غرفة الجلوس الآن. رأت لوحات عاطفية على الجدران – مهرّجين، لُقطاء ذوي عيون كبيرة – والكثير من الرفوف والطاولات المزدحمة بزينة رخيصة: قِباب ثلجية، أطفال أقزام، تماثيل هامل، دباديب حبّ، منزل حلوى هانسل وغريتل من الخزف. رغم أن نورفيل كانت أمينة مكتبة، إلا أنه لم تكن هناك كتب إثباتاً لذلك. فمقابل التلفزيون كان هناك كرسي وأمامه مسند للقدمين. كما كانت هناك طاولة صغيرة قابلة للطي بجانب الكرسي عليها كيس بطاطا تشيبس، وزجاجة دايت كوكا كولا كبيرة، وجهاز التحكم عن بُعد، ودليل برامج التلفزيون. وفوق التلفزيون هناك صورة فوتوغرافية مؤطَّرة لرامونا وامرأة أخرى تتعانقان وتضغطان خدّيهما على خدَّي بعض. بدا كما لو أنها التُقطت في مدينة ملاهي أو أحد معارض المقاطعة. وأمام الصورة طبق حلوى زجاجي يلمَع بنقاط بريق من الضوء الموجود فوقه.

"منذ متى بدأتِ تفعلين ذلك؟".

"لا أعرف عما تتكلمين".

"منذ متى وأنت ترسلين ضحايا إلى إبنك المغتصِب القاتل؟".

اضطربت عينا نورفيل، لكنها أنكرت مرة أخرى... مما ولَّد مشكلة لتَسّ. فعندما أتت إلى هنا، بدا لها أن قتل رامونا نورفيل ليس خياراً فقط بل النتيجة الأكثر احتمالاً. وكانت تَسّ متيقّنة تقريباً أنه يمكنها

فعل ذلك، وأنها لن تستخدم حبل القارب الموجود في الجيب الأمامي الأيسر لسروالها الفضفاض. لكنها اكتشفت الآن أنه لا يمكنها المتابعة إلا إذا اعترفت المرأة بتواطؤها. لأن ما كان مكتوباً على وجهها عندما رأت تَسّ واقفةً عند بابها، مرضوضةً لكن حيّة جداً، لم يكن كافياً.

ليس كافياً كثيراً.

"متى بدأ ذلك؟ كم كان عمره؟ خمس عشرة سنة؟ هل ادّعى أنه 'يتسلّى فقط'؟ هذا ما يدّعيه أغلبهم عندما يبدأون".

"ليست لديَّ أي فكرة عما تقصدينه. لقد أتيتِ إلى المكتبة وقدَّمتِ محاضرةً مقبولةً تماماً - باهتةً، من الواضح أنك وافقتِ من أجل المال فقط، لكنها على الأقل ملأت التاريخ الشاغر في تقويمنا - والشيء التالي الذي أعرفه هو أنك وقفتِ على عتبة بابي، شاهرةً مسدَّساً في وجهي ورحتِ ترمين كافة أصناف التُهم يميناً و -"

"هذا ليس جيداً يا رامونا. لقد رأيتُ صورته على موقع ويب الصقر الأحمر. الخاتم وكل شيء. لقد اغتصبني وحاوَل أن يقتلني. اعتقَد أنه قتلني حقاً. *وأنتِ أرسَلتني إليه*".

شغَرَ فاه نورفيل في تركيبة شنيعة من الصدمة والرعب والذنب. *"هذا ليس صحيحاً! أيتها الحقيرة الغبية، لا تعرفين عما تتكلمين!"*. وبدأت تتقدَّم إلى الأمام.

رفعت تَسّ مسدَّسها. "إياكِ أن تفعلي هذا. لا".

توقفت نورفيل، لكن تَسّ لم تظن أنها ستبقى مكانها لوقت طويل. كانت تجهّز نفسها إما للتعارك أو للفرار. ولأنها تعرف أن تَسّ ستلحقها إذا حاوَلت الركض إلى داخل المنزل، فستعاركها على الأرجح.

كانت عائلة تراپ تغني مرة أخرى. ونظراً للحالة التي تتواجد فيها تَسّ - التي وَضَعت نفسها فيها - كان كل ذلك الهراء الغنائي السعيد مجنّناً. مُبقيةً عصّارة الليمون موجَّهاً نحو نورفيل بيدها اليمنى، رفعت تَسّ جهاز التحكم عن بُعد بيدها اليسرى وكتمت صوت التلفزيون. وبينما بدأت تعيد جهاز التحكم عن بُعد إلى مكانه، جمُدت في أرضها. كان هناك غرضان فوق التلفزيون، لكنها لم تنتبه في البدء إلا إلى صورة رامونا وحبيبتها؛ وقد نال طبق الحلوى لمحةً منها.

رأت الآن أن البريق الذي افترَضت أنه صادر عن جوانب الطبق الزجاجي لم يكن صادراً عن جوانبه، بل عن شيء داخله. كان قرطاها في الطبق. قرطاها الماسيان.

أخذت نورفيل منزل حلوى هانسل وغريتل عن رفّه ورمته. رمته بقوة. انحنت تَسّ ومرَّ منزل الحلوى على بُعد سنتيمتر فوق رأسها، وتحطَّم على الجدار خلفها. تراجعت إلى الوراء، وتعثَّرت بمسند القدمين، وسقطت أرضاً. طار المسدَّس من يدها.

انقضّت الاثنتان عليه، حيث نزلت نورفيل على رُكبتيها وخبَطت كتفها بذراع تَسّ وكتفها مثل لاعبة كرة قدم أميركية تحاول عرقلة مهاجم الفريق الخصم. أمسَكت المسدَّس، وترنَّح في يدها في البدء ثم أمسكته بحزم. مدَّت تَسّ يدها إلى داخل سترتها وأطبقت يدها على مقبض سكين الجزّار الذي كان سلاحها الاحتياطي، وأدركت أنها ستتأخر كثيراً في خطوتها هذه. كانت نورفيل ضخمة جداً... وغريزة الأمومة قوية لديها. نعم، هذا هو الحافز لديها. لقد بقيت تحمي إبنها الضال لسنوات، وتنوي حمايته الآن. كان يجب على تَسّ أن تطلق النار عليها في القاعة، لحظة إغلاقها الباب خلفها.

لكنني لم أكن قادرة، فكّرت في سرّها، وحتى في هذه اللحظة، معرفتها أن هذه هي الحقيقة أراحتها قليلاً. نهضت على رُكبتَيها، ويدها لا تزال داخل السترة، وهي تواجه رامونا نورفيل.

"أنتِ كاتبة تافهة ومُحاضِرة تافهة"، قالت نورفيل. كانت تبتسم، وتزيد سرعتها في الكلام تدريجياً، وفي صوتها إيقاع دلاّل مزادات علنية. "كان أسلوبك في المحاضرة مماثلاً لأسلوبك في كتبك الغبية. كنتِ مثالية له وكان سيفعل شيئاً لأحد ما، أعرف الدلالات. لقد أرسَلتُك في ذلك الطريق ونجح الأمر وأنا مسرورة أنه جامَعكِ. لا أعرف ماذا ظننتِ أنك ستفعلين بقدومك إلى هنا، لكن هذا ما تحصلين عليه".

ضغطت الزناد ولم يكن هناك شيء سوى طقطقة جافة. لقد أخذت تَسّ دروساً عندما اشترت المسدَّس، وأهم درس كان عدم وضع رصاصة في الحجرة ستسقط أولاً تحت المطرقة. فقط في حال ضُغط الزناد بالصُدفة.

اعترى وجه نورفيل تعبير تفاجؤ هزلي تقريباً. وذلك جَعَلها تبدو يافعةً مرة أخرى. أخفَضت نظرها إلى المسدَّس، وعندها سحبت تَسّ السكين من الجيب الداخلي لسترتها، وتقدَّمت إلى الأمام، وغرزتها بالكامل حتى المقبض في بطن نورفيل.

أصدرت المرأة صوت "آههههه" مكتوماً حاوَل أن يكون صرخةً وفشِل. سقط مسدَّس تَسّ وترنّحت رامونا إلى الجدار خلفها، مُخفضةً نظرها إلى مقبض السكين. ارتطمت إحدى ذراعيها الملوِّحتين بصف تماثيل هامل، فسقطت عن الرف وتحطَّمت على الأرض. أصدرت ذلك الصوت "آهههههه" مرة أخرى. كانت الجهة الأمامية للمعطف المنزلي لا تزال غير ملطَّخة، لكن الدم بدأ يسيل من تحت حاشيته، إلى

حذاء رامونا نورفيل الرجاليّ. وَضَعت يديها على مقبض السكين، وحاوَلت إخراجها، وأصدرت صوت "آهههههه" للمرة الثالثة.

رفعت نظرها إلى تَسّ، غير مصدِّقة. ونظرت إليها تَسّ بدورها. كانت تتذكَّر شيئاً حصل لها في ذكرى ولادتها العاشرة. فقد أهداها أبوها مقلاعاً، وخرجت لتبحث عن أشياء لتستخدمه عليها. على بُعد خمسة أو ستة مربعات سكنية من منزلها، رأت كلباً شارداً غارقاً في صفيحة نفايات. وَضَعت حجرة صغيرة في مقلاعها وأطلقتها عليه، بقصد أن تخيفه فقط (أو هكذا أخبَرَت نفسها)، لكنها أصابته في عجُزه بدلاً من ذلك. أصدرَ الكلب صوت *إيك-إيك-إيك* بائس وهرب، لكن قبل أن يفعل ذلك، رمقَ تَسّ نظرة لوم لم تنسها في حياتها أبداً. كانت مستعدة أن تعطي أي شيء لتُلغي تلك الطلقة العادية، ولم تستخدم مقلاعها أبداً على أي شيء حيّ آخر. لقد فهِمت أن القتل جزءٌ من الحياة - لم تشعر بأي ندم تجاه سحق البعوض، ونصب أفخاخ عندما رأت فضلات فأرة في القبو، وأكل ما يطيب لها من شطائر الهمبرغر - لكنها صدَّقت أنها لن تكون قادرةً أبداً بعد اليوم على إيذاء أي شيء بهذه الطريقة من دون أن تشعر بالندم أو بتأنيب الضمير. لم تشعر بأيٍ من الاثنين في غرفة جلوس المنزل الواقع على ممر لايسمايكر. ربما لأنها كانت، في النهاية، في حالة دفاع عن النفس. أو ربما لم تكن في هكذا حالة أبداً.

"رامونا"، قالت، "أشعر برابط قُربى مع ريتشارد ويدمارك الآن. هذا ما نفعله للخونة يا عزيزتي".

كانت نورفيل تقف في بركة من دمها وبدأ معطفها المنزلي يتلوَّن أخيراً. كان وجهها شاحباً، وعيناها الداكنتان ضخمتين وتلمعان من

الصدمة. خرج لسانها وتزحلق ببطء على شفتها السفلى.

"يمكنك أن تتلوّي الآن لفترة طويلة، وأنتِ تظنّين أن الأمر انتهى، - ما رأيك بهذا؟".

بدأت نورفيل تنزلق. وأصدرَ حذاؤها الرجاليّ أصوات خوضٍ في الدم. تلمّست يدها بحثاً عن أحد الرفوف الأخرى ونزعته عن الجدار. مالت فصيلة كاملة من دباديب الحبّ إلى الأمام وسقطت منتحرةً.

رغم أنها لا تزال لا تشعر بالندم أو تأنيب الضمير، وجدت تَسّ أنه رغم كلامها المتبجّح إلا أنه يوجد تومي يودو صغير جداً داخلها؛ لم تكن لديها رغبة بمشاهدة معاناة نورفيل أو إطالتها. فانحنت ورفعت مسدَّسها عن الأرض. وأخرجت من الجيب الأمامي الأيمن لسروالها الفضفاض الغرض الذي كانت قد أخذته من جارور المطبخ بجانب موقدها. كان قفاز فرن مبطَّن سيكتم صوت طلقة مسدَّس واحدة بفعالية، طالما أنها ليست من العيار الكبير جداً. لقد تعلَّمت هذا أثناء تأليفها *جمعية حياكة بستان الصفصاف تذهب في رحلة سرية*.

"لا تفهمين". كان صوت نورفيل همساً حاداً. "لا يمكنك فعل هذا. هذا خطأ. خذيني... إلى المستشفى".

"أنتِ مَن ارتكب الخطأ". سحَبت تَسّ قفاز الفرن فوق المسدَّس، الذي كان في يدها اليمنى. "بما أنك لم تُخصي إبنك حالما عرَفت حقيقته". وَضَعت قفاز الفرن على صدغ رامونا نورفيل، وأدارت رأسها جانبياً قليلاً، وضغطت الزناد. سمِعت صوتاً منخفضاً، مثل صوت رجل عجوز يتنحنح.

فقط لا غير.

لم تبحث عن عنوان منزل آل سترلكه في غُوغل؛ فكانت تتوقع الحصول عليه من نورفيل. لكن هكذا أمور، مثلما ذكَّرت نفسها من قبل، لا تسير وفقاً للمخطط أبداً. ما عليها فعله الآن هو المحافظة على دهائها وإنجاز المهمة حتى النهاية.

كان مكتب نورفيل في الطابق العلوي للمنزل، في ما بدا أنه كان غرفة نوم احتياطية على الأرجح. ورأت المزيد من دباديب الحبّ وتماثيل هامل فيه. كما رأت ست صور مؤطَّرة، لكن أياً منها لأبنائها، أو لحبيبتها الرئيسية، أو للمرحوم روسكو سترلكه؛ بل كانت صوراً فوتوغرافيةً موقَّعة لكتّاب ألقوا محاضرات في براون باغرز. ذكَّرتها الغرفة ببهو نُزُل المترنِّح، وشريط صوره الفوتوغرافية.

لم تطلب توقيعاً شخصياً على صورتي الفوتوغرافية، فكَّرت تَسّ في سرّها. *بالطبع لا، فلماذا ستريد أن تتذكَّر كاتبة تافهة مثلي؟ كنتُ مبدئياً مجرد رأس يتكلم ليملأ فراغاً في جدول مواعيدها. ناهيك عن قطعة لحم لإبنها قرامة اللحم. كم كانا محظوظين أنني أتيت في الوقت المناسب.*

في مكتب نورفيل، وتحت لوحة إعلانات مليئة بتعاميم ومراسلات المكتبة، رأت تَسّ كمبيوتر ماكنتوش يشبه كمبيوترها إلى حد بعيد. كانت الشاشة داكنة، لكن الضوء المتوهج على وحدة المعالجة المركزية أخبَرَها أنه في حالة سبات فقط. ضغطت أحد المفاتيح بإصبع مكسو بقفّاز. استفاقت الشاشة وكانت تنظر إلى سطح مكتب نورفيل الإلكتروني. لا حاجة إلى كلمات المرور المزعجة تلك، كم هذا رائع.

نقرت تَسّ رمز دفتر العناوين، وتصفّحته إلى حرف الصاد،

وعثرت على "الصقر الأحمر للنقل". كان العنوان 7 ساحة ترانسبور، طريق تاونشيب، كولْويتش. ثم تصفّحته صعوداً، إلى حرف السين، ووجدت زائرها من ليل الجمعة وأخيه، لستر. السائق الكبير والسائق الصغير. يعيش الاثنان على طريق تاونشيب، بالقرب من الشركة التي لا شك أنهما ورثاها من أبيهما: ألفين في الرقم 23، ولستر في الرقم 101.

لو كان هناك أخ ثالث، فكّرت في سرّها، لأصبحوا السائقين الثلاثة الصغار. واحد في منزل من قش، وواحد في منزل من خشب، وواحد في منزل من طوب. للأسف، هناك اثنان فقط.

عادت إلى الطابق السفلي مرة أخرى، وأخذت قرطَيها من الطبق الزجاجي ووضعتهما في جيب معطفها. نظَرَت إلى المرأة الميتة المتكئة على الجدار بينما فعلت ذلك. لم تكن هناك شفقة في النظرة، بل مجرد الشعور بالفراق الذي قد يعطيه أي شخص لعملٍ شاقٍ انتهى من إنجازه. لم تكن هناك حاجة للقلق بشأن الأدلة التي تركتها وراءها؛ فتَسّ واثقة أنها لم تترك أي دليل، ولا حتى شعرة واحدة. وقد عاد قفّاز الفرن - بالفجوة التي فيه الآن - إلى جيبها. كانت السكين غرضاً شائعاً يُباع في المتاجر في كل أرجاء أميركا. كل ما كانت تعرفه (أو يهمّها) هو أنه يطابِق مجموعة سكاكين رامونا. كانت نظيفة حتى الآن، لكن الجزء الصعب قد لا يزال بانتظارها. غادرت المنزل، وركبت سيارتها، وقادتها مبتعدةً. توقفت بعد خمس عشرة دقيقة في مرأب مركز تجاري مهجور لمدة طويلة كافية لتبرمج 23 طريق تاونشيب، كولْويتش في نظام تموضعها العالمي.

وفق إرشادات التومتوم، وجدت تَسّ نفسها قريبة من وجهتها بعد وقت قصيرٍ من الساعة التاسعة. كان القمر الثلاثي الأرباع لا يزال منخفضاً في السماء، والرياح تعصف أقوى من أي وقت مضى.

يتفرَّع طريق تاونشيب من طريق الولايات المتحدة 47، لكن على بُعد عشرة كيلومترات من نُزُل المترنِّح على الأقل، وحتى أبعد من ذلك من وسط مدينة كولْويتش. وساحة ترانسبور تقع عند تقاطع طريقين. وفقاً للافتة، كانت ثلاث شركات نقل بالشاحنات وشركة قَطْر متمركزة هنا. والمباني التي تتواجد فيها ذات مظهر اصطناعي بشع. أصغرها مبنى الصقر الأحمر للنقل. كانت كلها مظلمة في ليلة الأحد هذه. ويوجد خلفها مرأب هائل للسيارات مُحاط بسياج سلكي ومُضاء بمصابيح قوسية عالية الكثافة. وأرض المستودع مليئة بشاحنات وناقلات مركونة. كان شعار الصقر الأحمر للنقل ملصقاً على إحدى الشاحنات على الأقل، لكن تَسّ لم تظن أنها الشاحنة المعروضة على موقع الويب، تلك التي يجلس البابا الفخور خلف مِقوَدها.

كانت هناك استراحة لسائقي الشاحنات بجوار المستودع. وكانت المضخّات - وعددها يفوق العشرة - مُضاءة بنفس المصابيح القوسية العالية الكثافة. وهناك أضواء فلورية بيضاء ساطعة مسلَّطة من الجهة اليمنى للمبنى الرئيسي؛ أما الجهة اليسرى فمظلمة. وهناك مبنى آخر، شكله U، في الخلف، ومجموعة من السيارات والشاحنات المركونة هناك. ولافتة الخروج بجانب الطريق عبارة عن لوحة رقمية ضخمة، مليئة بمعلومات حمراء ساطعة.

استراحة ريتشي لسائقي شاحنات طريق تاونشيب
"أنت تقودها، ونحن نملؤها"
عادي 2.99$ الغالون
ديزل 2.69$ الغالون
بطاقات أحدث قرعة حظ متوفرة دائماً
يُغلق المطعم ليالي الأحد
عذراً لا دُش ليالي الأحد
المتجر والفندق "مفتوحان دائماً"
المقطورات "مرحّب بها دائماً"

وفي الأسفل، وبإملاء سيئ لكن حماسيّ:

ادعم جنودنا! النصر في أفغانيستن!

مع قدوم سائقي الشاحنات وذهابهم، وتزوّدهم بالوقود والطعام (حتى مع انطفاء الأضواء، بإمكان تَسّ أن ترى أن المطعم كان من النوع الذي يقدِّم دائماً شرائح دجاج مقلي ولحم مشوي وبودينغ الخبز)، يبدو المكان أشبه بقفير نحل خلال الأسبوع، لكنه أشبه بمقبرة ليلة الأحد لأنه لا يوجد شيء هنا، ولا حتى نُزُل مثل نُزُل المترنِّح.

كانت هناك مركبة واحدة فقط مركونة عند المضخّات، ومقدمتها بمواجهة الطريق وفوهة المضخّة محشورة في فتحة خزّانها. كانت شاحنة فورد F-150 قديمة مع معجونة بوندو حول أضوائها الأمامية، ومن المستحيل تمييز لونها في الإضاءة الحادّة، لكن تَسّ لم تكن مضطرة إلى ذلك. فقد رأت تلك الشاحنة عن قُرب، وتعرف لونها. كانت مقصورة الركاب فارغة.

"لا تبدين متفاجئة يا تَسّ"، قال التومتوم وهي تُبطئ سرعتها لتتوقف عند حافة الطريق وحَوّلت عينيها بالمتجر. يمكنها تمييز وجود شخصين هناك رغم وهج الإضاءة الخارجية الحادّة، ويمكنها رؤية أن أحدهما ضخمٌ. *هل كان ضخماً أم ضخماً حقاً؟* سألتها بيتسي نيل.

"لستُ متفاجئة أبداً"، قالت. "فهو يعيش هنا. وأين تريده أن يذهب ليملأ شاحنته بالوقود؟".

"ربما يستعد ليقوم برحلة".

"في هذا الوقت المتأخر من ليلة الأحد؟ لا أظن ذلك. أعتقد أنه كان في المنزل، يشاهد صوت *الموسيقى*. وأعتقد أنه شرِب كل شراب شعيره وجاء إلى هنا ليشتري المزيد. وقرّر أن يملأ شاحنته بينما هو هنا".

"لكن يمكن أن تكوني مخطئة. ألم يكن من الأفضل أن تركني سيارتك خلف المتجر وتتبعيه عندما يغادر؟".

لكن تَسّ لم ترغب أن تفعل ذلك. فالواجهة الأمامية لاستراحة سائقي الشاحنات زجاجية بالكامل. وقد يرفع نظره ويرى وصولها. حتى ولو كانت الإضاءة الساطعة فوق المضخّات تصعِّب عليه رؤية وجهها، فقد يتعرّف على سيارتها. صحيح أن هناك الكثير من سيارات الفورد الرباعية الدفع على الطريق، لكن بعد ليلة الجمعة، سيكون آل سترلكه متيقظاً جداً لسيارات الفورد إكسبديشن السوداء. كما أن هناك لوحة رقم سيارتها - بالتأكيد لاحظ لوحة كونّكتيكت على سيارتها ليلة الجمعة، عندما ركنَ بجانبها في مرأب سيارات المتجر المهجور.

كان هناك شيء آخر. شيء أهمّ حتى. فقادت سيارتها مبتعدةً وواضعةً استراحة ريتشي لسائقي شاحنات طريق تاونشيب خلفها.

"لا أريد أن أكون خلفه"، قالت. "أريد أن أكون أمامه. أريد أن أكون بانتظاره".

"ماذا لو كان متزوِّجاً يا تَسّ؟"، سأل التومتوم. "ماذا لو كانت لديه زوجة تنتظره؟".

أجفلتها الفكرة للحظة. ثم ابتسمت، وليس فقط لأن الخاتم الوحيد الذي يرتديه كبيرٌ جداً ليكون من الياقوت. "الرجال أمثاله ليس لديهم زوجات"، قالت. "وليس زوجات ينتظرنه، على أي حال. كانت هناك امرأة واحدة فقط في حياة آل، وهي ميتة الآن".

- 37 -

خلافاً لممر لايسمايكر، لم يكن هناك شيء من طابع الضواحي في طريق تاونشيب؛ كان طريقاً ريفياً مثل ترافيس تريت. والمنازل جُزُر مضيئة بأضواء كهربائية تحت وهج القمر.

"تَسّ، أنتِ تقتربين من وجهتك"، قال التومتوم بصوته غير الخيالي.

صعِدت ارتفاعاً، ورأت صندوق بريد على يسارها معلّماً سترلكه و23. كان الممر الخاص للمنزل منحنى طويلاً صاعداً، مرصوفاً بالأسفلت، وناعماً كالجليد الأسود. تقدَّمت تَسّ من دون تردّد، لكن انتابها القلق فور أن أصبح طريق تاونشيب خلفها. واضطرت أن تضغط على نفسها لكي لا تدوس الفرامل وتقود إلى الوراء لتغادر. لأنه إذا بقيت تتقدَّم، لن يكون أمامها أي خيار آخر. ستكون مثل حشرة داخل زجاجة. وحتى ولو لم يكن متزوجاً، ماذا لو كان هناك شخص آخر ينتظره في المنزل؟ أخوه لستر مثلاً؟ ماذا لو كان السائق

الكبير قد ذهب ليشتري شراب شعير ووجبات خفيفة لشخصين وليس لشخص واحد؟

أطفأت تَسّ أضواءها الأمامية وقادت على ضوء القمر.

في حالتها المتوتّرة، بدا لها الممر الخاص للمنزل وكأنه يمتد إلى ما لا نهاية، لكنها رأت أضواء منزل سترلكه بعد مئتي متر كحد أقصى. كان في أعلى التلة، وذو مظهر أنيق وأكبر من كوخ لكن أصغر من بيت مزرعة. ليس منزلاً من طوب، ولكن ليس منزلاً متواضعاً من القش أيضاً. أدركت تَسّ أنه لو كانت هذه قصة الخِراف الصغيرة الثلاثة والذئب الشرير، لكان هذا هو المنزل المصنوع من خشب.

رأت مقطورة طويلة على جانبها "الصقر الأحمر للنقل" مركونة على الجهة اليسرى للمنزل. وكذلك الشاحنة ماركة بيتربيلت من موقع الويب مركونة في نهاية الممر الخاص، أمام المرأب. بدت مخيفةً في ضوء القمر. أبطأت تَسّ سرعتها وهي تقترب، ثم غمرها وهجٌ أبيض أبهَر عينيها وأضاء المَرجة والممر الخاص. كان عمود إنارة يُضاء عند استشعار حركةٍ، وإذا عاد سترلكه بينما هو مُضاءً، سيتمكن من رؤية وهجه من أسفل ممره الخاص. وربما حتى بينما لا يزال على طريق تاونشيب.

داست على الفرامل بقوة، وانتابها نفس الشعور الذي شعرت به عندما كانت مراهقة وحلَمت أنها ذهبت إلى المدرسة من دون ملابس. سِمعت تأوهات امرأة. افترَضت أنها هي، لكنه لم يكن صوتها.

"هذا ليس جيداً يا تَسّ".

"اصمت يا تومتوم".

"يمكنه العودة في أي دقيقة، ولا تعرفين لكم من الوقت سيبقى

هذا الضوء مضاءً. لقد واجهتك متاعب مع الأم. وهو أضخم منها بكثير".

"قلتُ اصمت!".

حاوَلت أن تفكّر، لكن ذلك الضوء المتوهِّج صعَّب عليها ذلك. وبدت لها أن الظلال من الشاحنة والمقطورة المركونتين إلى يسارها تحاول الإمساك بها بأصابع سوداء حادة - أصابع بُعبُع. عمود الإنارة اللعين! *بالطبع* أن رجلاً مثله سيملك عمود إنارة! من الأفضل لها أن تغادر الآن، أن تستدير على مَرجته ببساطة وتقود عائدة إلى الطريق بأسرع ما يمكنها، لكنها ستلتقي به إذا فعلت ذلك. تعرف هذا. ومع زوال عنصر المفاجأة، ستموت.

فكِّري، يا تَتسا جان، فكِّري!

آه، والذي زاد الطين بلّة هو أن كلباً بدأ ينبح. هناك كلب في المنزل. تخيَّلته من فصيلة البيتبول ذي أسنان ناتئة.

"إذا كنتِ ستبقين، عليك الابتعاد عن الأنظار"، قال التومتوم... ولا، لم يبدُ ذلك مثل صوتها. أو ليس مثل صوتها *بالضبط*. ربما كان الصوت الذي يخصّ أعمق ذات لديها، الذات الناجية. والذات القاتلة، أيضاً. كم عدد الذوات التي يمكن أن تكون لدى المرء، مختفية في أعماقه؟ بدأت تشعر أن الرقم قد يكون لا متناهياً.

ألقت نظرة سريعة على مرآتها للرؤية الخلفية، وهي تمضغ شفتها السفلى التي لا تزال متورّمة. لا توجد أضواء أمامية تقترب بعد. لكن هل ستكون قادرة على تقرير ذلك، نظراً لتوهّج القمر وكذلك توهّج عمود الإنارة اللعين؟

"إنه يعمل على مؤقِّت"، قال التومتوم، "لكنني سأفعل شيئاً قبل أن ينطفئ يا تَسّ. إذا حرّكتِ السيارة بعد أن ينطفئ، ستجعلينه يُضيء مرة أخرى".

رمت الإكسبديشن في دفعٍ رباعيٍ، وبدأت تستدير حول الشاحنة، ثم توقفت. كان العشب مرتفعاً على تلك الجهة. وفي الوهج العديم الرحمة لعمود الإنارة، سيتمكن من رؤية الآثار التي خلّفتها وراءها بسهولة. حتى ولو انطفأ الضوء، سيُضيء مرة أخرى عندما يصل في شاحنته وسيراها.

استمرّ الكلب ينبح في الداخل.

"قودي على المَرجة وضعيها خلف المقطورة"، قال التومتوم.

"لكن الآثار! *الآثار!*".

"عليك إخفاءها في مكان ما"، قال التومتوم. تكلَّم بنبرة اعتذارية لكن صارمة. "على الأقل العشب مجزوز في تلك الجهة. ومعظم الأشخاص ليسوا شديدي الانتباه، مثلما تعرفين. دورِين مركيز تقول هذا طوال الوقت".

"سترلكه ليس سيدة في جمعية الحياكة، إنه مجنون لعين".

لكن لأنه لم يكن لديها أي خيار حقاً - ليس الآن بعد أن أصبحت هنا - قادت تَسّ سيارتها إلى المَرجة ونحو المقطورة الفضية المركونة تحت وهج بدا لها ساطعاً مثل ظهر يوم صيف. فعلت ذلك رافعةً مؤخّرتها عن المقعد قليلاً، كما لو أن فعل ذلك سيمكّنها بطريقة عجيبة من جعل آثار الإكسبديشن أقل مرئية.

"حتى ولو كان ضوء الحركة لا يزال مُضاءً عندما يعود، قد لا

يشتبه بالأمر"، قال التومتوم. "أنا أكيد أن الغزلان تسبِّب إضاءته طوال الوقت. وربما حتى يستخدم هكذا ضوء لكي يخيفها ويُبعدها عن حديقة خُضرته".

بدا هذا منطقياً لها (وبدا صوته مثل صوت التومتوم خاصتها مرة أخرى)، لكن ذلك لم يُرحها كثيراً.

نباح! نباح! نباح! مهما يكن ذلك، فقد بدا متوتّراً جداً في الداخل.

كانت الأرض خلف المقطورة الفضية وعِرة وجرداء - لا شك أن مقطورات شحن أخرى ركنت فيها من وقت لآخر - لكنها صلبة كفاية. قادت الإكسبديشن عميقاً في ظل المقطورة قدر ما تستطيع، ثم أطفأت المحرّك. كانت تتعرَّق بشدة، وتُنتِج عبيراً لن يتمكن أي مزيل رائحة من التغلّب عليه.

خرَجت من السيارة، وانطفأ ضوء الحركة عندما خَبَطت الباب. شعرت للحظة استغراب كما لو أنها فعلت ذلك بنفسها، ثم أدركت أن مدة إضاءة هذا الشيء اللعين قد انتهت للتو. اتكأت على الغطاء الدافئ للإكسبديشن، وراحت تأخذ أنفاساً عميقةً وتزفرها مثل عدّاء في الأربعمئة متر الأخيرة من ماراثونٍ. قد يكون من المفيد معرفة لكم من الوقت بقي الضوء مُضاءً، لكنه سؤال لا يمكنها الإجابة عليه. فقد كانت خائفة جداً. وبدت لها المدة كساعاتٍ.

عندما استعادت رباطة جأشها مرة أخرى، بدأت تجرد الأشياء التي معها، مُجبرةً نفسها على العمل ببطء وبطريقة منهجية. مسدَّس وقفاز فرن. لا تعتقد أن قفاز الفرن سيكتم صوت طلقة أخرى، ليس

بوجود تلك الفجوة فيه؛ عليها الاتكال على عزلة المنزل الصغير في أعلى التلة. كان لا بأس أنها تركت السكين مغروزة في بطن رامونا؛ فإذا لم يبق أمامها سوى محاولة القضاء على السائق الكبير بسكين جزّار، ستكون عندها في ورطة خطيرة حقاً.

ولم يبق سوى أربع طلقات في المسدَّس، لذا من الأفضل لك ألا تنسي هذا وتبدأي بإمطاره بالرصاص كيفما كان. لماذا لم تُحضِري رصاصات أكثر يا تَتسا جان؟ ظننتِ أنك كنت تخطِّطين، لكنني لا أعتقد أنك خططتي بشكل جيد.

"اصمت"، همَست. "تومتوم أو فريتزي أو أياً تكن، اصمت فقط".

توقَّف صوت التوبيخ، وأدركت تَسّ عندها أن العالم الحقيقي أصبح صامتاً أيضاً. فقد توقَّف الكلب عن نباحه المجنون عندما انطفأ عمود الإنارة. والصوت الوحيد الآن هو صوت الرياح، والضوء الوحيد هو ضوء القمر.

- 38 -

مع زوال ذلك الوهج الفظيع، زوَّدت المقطورة غطاءً ممتازاً، لكن لا يمكنها البقاء هناك. ليس إذا كانت تنوي القيام بما جاءت إلى هنا للقيام به. هروَلت تَسّ إلى خلف المنزل، مرتعبةً من تسبّبها بإضاءة ضوء حركة آخر، لكنها شعرت أن لا خيار آخر أمامها. لم يكن هناك ضوء لتتسبَّب بإضاءته، لكن القمر اختفى خلف سحابة وتعثَّرت بقاطع القبو، وكاد رأسها يرتطم بعربة نقل يدوية ذات عجلة واحدة

عندما انحنت على رُكبتَيها. وبينما كانت مستلقية هناك، تساءلت مرة أخرى عما تحوَّلت إليه. كانت عضوة في نقابة المؤلفين أطلقت النار على رأس امرأة منذ وقت ليس ببعيد. بعد أن طعنتها في معدتها. *لقد تخطَّيتُ كل حدود التحفّظ*. ثم تذكّرت وصفه لها بالحقيرة، ببائعة هوى نتِنة حقيرة، ثم توقفّت عن الاكتراث عما إذا كانت قد تخطّت حدود التحفّظ أم لا. كان قولاً غبياً، على أي حال، وعنصريّاً أيضاً.

كانت هناك حديقة *فعلاً* خلف منزل سترلكه، لكنها صغيرة ويبدو أنها لا تستحق الحماية من قضمات الغزلان بضوء حركةٍ. لم يكن هناك شيء باقٍ فيها على أي حال ما عدا بضع حبات يقطين، معظمها متعفِّنة الآن. عَبَرت فوق صفوف اليقطين، واستدارت حول الزاوية البعيدة للمنزل، ورأت الشاحنة. لقد عاد القمر من جديد وألقى نوره على شفرات السيوف الفضية في روايات الخيال.

اقتربت تَسّ من خلفها، وسارت على يسارها، وركَعت قرب عجلتها الأمامية العالية حتى الذقن (بالنسبة لها، على الأقل). أخرجت عصّارة الليمون من جيبها. لا يمكنه القيادة إلى داخل مرأبه لأن الشاحنة تعترض طريقه. وحتى لو لم تكن الشاحنة هناك، كان المرأب مليئاً بأغراض رجل أعزب على الأرجح: أدوات، معدّات لصيد السمك، معدّات للتخييم، قِطع شاحنات، صناديق زجاجات مياه غازية.

هذا مجرد تكهن. التكهن خطير. ستوبِّخني دورين على هذا.

بالطبع ستوبِّخني، فلا أحد يعرف سيدات جمعية الحياكة أفضل من تَسّ، لكن تلك النساء المحبّات للحلوى نادراً ما يغتنمن الفرص. وعندما تغتنمها، سيكون عليك القيام ببعض التكهّنات.

نظرت تَسّ إلى ساعتها واندهشت من رؤية أنها العاشرة إلا خمس وعشرين دقيقة فقط. لقد بدا لها أنها أطعَمَت فريتزي حصة غذائية مزدوجة وغادرت المنزل منذ أربع سنوات. وربما خمس. اعتقَدت أنها سِمعت صوت محرّك يقترب، ثم قرّر عكس ذلك. تمنّت لو لم تكن الرياح تعصف بهذه القوة، لكن الأمنيات في يد والكوارث في اليد الأخرى، ولنرى أياً منهما ستمتلئ أولاً. كان هذا قولاً لم تستخدمه أيٌ من سيدات جمعية الحياكة من قبل – فدورِين مركيز وصديقاتها يفضّلن أشياء مثل *بدأ قريباً* و *انتهى قريباً* – لكنه قول حقيقي.

ربما كان ذاهباً في رحلة حقاً، دون اكتراثه أنها ليلة الأحد. وربما ستجد أنها لا تزال هنا عندما تُشرق الشمس، وعظامها المتألمة من قبل مُثلَّجة بفعل الرياح المتواصلة التي تضرب قمة هذه التلة الوحيدة التي كانت مجنونة في قرارها أن تأتي إليها.

لا، هو المجنون. هل تتذكَّرين كيف رَقَص؟ كيف رقص ظله على الجدار خلفه؟ هل تتذكَّرين كيف غنّى؟ بصوته الزاعق؟ انتظريه يا تَسّا جان. انتظريه حتى ولو إلى انقضاء الدهر. لقد قطعتِ شوطاً طويلاً لكي تتراجعي الآن.

كانت خائفة من ذلك، في الواقع.

لا يمكنها أن تكون جريمة قتل صالون محتشم. أنت تفهمين هذا، أليس كذلك؟

أجل. جريمة القتل هذه بالذات – إذا كانت قادرة على تنفيذها – ستكون *أمنية موت أكثر من جمعية حياكة بستان الصفصاف تدخل الكواليس*. سيركن شاحنته، على أمل أن يفعل ذلك قرب الشاحنة التي

تختبئ خلفها. وسيُطفئ أضواءها، وقبل أن تتمكَّن عيناه من التأقلم -

لم تكن الرياح هذه المرة. لقد تعرَّفت على الدوّي المزعج للمحرّك حتى قبل أن تغمر الأضواء الأمامية منعطف القيادة. ركعت تَسّ على ركبتها وشدَّت طرف قبعتها نزولاً لكي لا تطيّرها الرياح. سيكون عليها الاقتراب، وهذا يعني أن توقيتها يجب أن يكون مُتقَناً. فإذا حاوَلت إطلاق النار عليه من كمينها، لن تصيبه على الأرجح، حتى ولو كانت المسافة قريبة؛ لقد أخبَرَها مدرِّب استخدام المسدَّسات أنه يمكنها الاتكال على دقّة عصّارة الليمون على بُعد ثلاثة أمتار أو أقل. وقد نصحها أن تشتري مسدَّساً موثوقاً أكثر، لكنها لم تفعل ذلك أبداً. والاقتراب كفاية للتأكد من قتله لم يكن كل شيء. عليها التأكد أن سترلكه هو الموجود في الشاحنة، وليس أخاه أو أحد أصدقائه.

ليست لديَّ خطة.

لكن فات الأوان للتخطيط، لأن الشاحنة وصلت وعندما أُضيء عمود الإنارة، رأت القبعة البنيّة والبقع البيضاء عليها. كما رأته يجفل من الوهج، مثلما حصل معها، وعرَفت أن الضوء أعماه للحظة. هذه هي فرصتها الوحيدة.

أنا المرأة الشجاعة.

من دون خطة، ومن دون تفكير حتى، سارت حول مؤخرة الشاحنة. لم تكن تركض بل تخطو خطوات كبيرة هادئة. عصفت الرياح حولها، مرفرفةً سروالها الفضفاض. فتَحت باب الراكب ورأت الخاتم ذا الحجر الأحمر في إصبعه. كان يمسك كيساً ورقياً على شكل صندوق مربع داخله. شراب شعير، وعلى الأرجح الصندوق الذي يتضمن اثنتي

عشرة تنكة. استدار نحوها وحصل شيء فظيع: انقسمت إلى نصفين. المرأة الشجاعة رأت الحيوان الذي اغتصبها، خنقها، وضعها في أنبوب مع جثتين متعفِّنتين أخريين. وتَسّ رأت الوجه الأعرَض قليلاً والخطوط حول الفم والعينين التي لم تكن هناك بعد ظهر الجمعة. لكن حتى بينما كانت تلحظ تلك الأشياء، نبَح عصّارة الليمون مرتين في يدها. الرصاصة الأولى ثقبت حنجرة سترلكه، تحت ذقنه مباشرة. والثانية أحدثت ثقباً أسود فوق حاجب عينه اليمنى الغليظ وحطَّمت نافذة جهة السائق. وَقَع على بابه في الاتجاه المعاكس لها، وسقطت اليد التي كانت تُمسك أعلى الكيس الورقي. ارتعش كل جسمه ارتعاشةً شنيعةً، وارتطمت اليد ذات الخاتم بوسط المِقوَد، مُطلقةً بوق السيارة. بدأ الكلب ينبح مرة أخرى داخل المنزل.

"لا، إنه هو!". وَقَفت عند الباب المفتوح تحدِّق فيه والمسدَّس في يدها. *"يجب أن يكون هو!"* .

اندفعت حول مقدمة الشاحنة، وفقدت توازنها، وسقطت على رُكبتها، ونهضت، وفتحت باب السائق. سقط سترلكه أرضاً وارتطم رأسه الميت بالأسفلت الناعم للممر الخاص للمنزل. وسقطت قبعته. راحت عينه اليمنى، التي اقتلعتها الرصاصة التي اخترقت رأسه فوقها مباشرة، تحدِّق في القمر. وراحت عينه اليسرى تحدِّق في تَسّ. ولم يكن الوجه ما أقنعها أخيراً – الوجه ذو الخطوط التي كانت تراها لأول مرة، الوجه المليء بندبات حَبّ الشباب القديمة التي لم تكن موجودة بعد ظهر الجمعة.

هل كان ضخماً أم ضخماً حقاً؟ سألتها بيتسي نيل.

ضخماً حقاً، ردَّت تَسّ، وكان... لكن ليس ضخماً مثل هذا

الرجل. كان طول مغتصِبها مترين، راحت تفكِّر عندما خرَج من الشاحنة (*هذه* الشاحنة، لم يكن لديها شكّ في ذلك). بطنه كبير، وفخذاه بدينان، وكتفاه عريضان مثل مدخَل منزل. لكن طول هذا الرجل متران وعشرة سنتيمرات على الأقل. لقد أتت لتصطاد عملاقاً فقتلت مارداً.

"يا إلهي"، قالت تَسّ، وخطفت الرياح كلماتها بعيداً. "يا إلهي، ماذا فعلتُ؟".

"لقد قتَلتني يا تَسّ"، قال الرجل المرمي على الأرض... وهذا منطقي طبعاً، نظراً للفجوتين في رأسه وحنجرته. "لقد قتلتِ السائق الكبير، تماماً مثلما أردتِ".

خارت عضلاتها. فانحنت على رُكبتَيها بجانبه. والقمر في الأعلى يُضيء من السماء الهادرة.

"الخاتم"، همَست. "القبعة. *الشاحنة*".

"يرتدي الخاتم والقبعة عندما يذهب إلى الصيد"، قال السائق الكبير. "ويقود الشاحنة. عندما يذهب إلى الصيد، أكون على الطريق في شاحنة الصقر الأحمر وإذا رآه أي شخص - خاصة إذا كان جالساً - سيعتقد أنه يراني".

"لماذا سيفعل ذلك؟"، سألت تَسّ الرجل الميت. "أنت أخوه".

"لأنه مجنون"، قال السائق الكبير بصبر.

"ولأن هذا نجح في السابق"، قالت دورِين مركيز. "عندما كانا أصغر سناً ووقع لستر في ورطة مع الشرطة. السؤال هو عما إذا كان روسكو سترلكه قد انتحر بسبب تلك الورطة الأولى، أو لأن رامونا

جَعَلت الأخ الكبير آل يتحمَّل اللوم عليها. أو ربما كان روسكو سيعترف بالحقيقة وراموونا قتلته. جَعَلت الأمر يبدو انتحاراً. أيهما أصحّ يا آل؟".

لكن آل بقي صامتاً بشأن هذا الموضوع. صامتاً صمت الموتى، في الواقع.

"سأُخبِرك كيف جرت الأمور برأيي"، قالت دورِين في ضوء القمر. "أعتقد أن رامونا عرَفت أنه إذا انتهى الأمر بأخيك الصغير في غرفة الاستجواب مع شرطي ولو نصف ذكي، فقد يعترف بشيء أسوأ بكثير من مجرد لمس فتاةٍ في حافلة المدرسة، أو اختلاس النظر إلى داخل السيارات على ممر الأحباب المحلي، أو بأي تهمة سخيفة كان متهماً بها. أعتقد أنها أقنعتك بتحمّل مسؤولية التهمة، وأقنعت زوجها بالتظاهر بالجهل. أو أرهبته ليقبل، هذا أكثر ترجيحاً. وإما لأن الشرطة لم تطلب من الفتاة أبداً أن تتعرَّف على الجاني أو لأنها لم تتقدَّم بأي شكوى، أفلَتم من عواقب المسألة".

لم يقل آل شيئاً.

قالت تَسّ لنفسها، *إنني أركع هنا أتكلم بأصوات خيالية. لقد فقدتُ صوابي.*

لكن جزءاً منها عرَف أنها تحاول *الإبقاء* على صوابها. والفهم هو الطريقة الوحيدة لذلك، واعتبرت أن القصة التي ترويها بصوت دورِين إما حقيقية أو قريبة من الحقيقة. كانت ترتكز على التكهّن والاستنتاج، لكنها منطقية. وتتلاءم مع ما قالته رامونا في لحظاتها الأخيرة.

أيتها الحقيرة الغبية، لا تعرفين عما تتكلمين.

و: *لا تفهمين. هذا خطأ.*

كان خطأ، بالطبع. كل شيء فعلَتْهُ هذه الليلة كان خطأ.

لا، ليس كل شيء. كانت على عِلم به. كانت تعرف.

"هل كنتَ تعرف؟"، سألت تَسّ الرجل الذي قتَلته. مدَّت يدها لتُمسك ذراع سترلكه، ثم ابتعَدت. لا شك أنها لا تزال دافئة تحت كُمّه. ولا يزال يظنّ أنه حيّ. "هل كنتَ تعرف؟".

لم يُجبها.

"دعني أحاول"، قالت دورِين. وفي ألطف صوت سيدة عجوز يبعث على الطمأنينة، ذلك الصوت الذي ينجح دائماً في الكتب، سألت: "كم تعرف سيدي السائق؟".

"شككتُ أحياناً"، قال. "ولم أفكِّر بالمسألة في أغلب الأحيان. لدي عملي لأهتمّ به".

"هل سألت أمك يوماً؟".

"ربما"، قال، وشعرت تَسّ أن عينه اليمنى المائلة بشكل غريب مراوغة. لكن في ضوء القمر الموحش ذاك، مَن يستطيع أن يحدِّد بشأن هكذا أمور؟ مَن يستطيع أن يكون متيقناً؟

"متى اختفت الفتيات؟ هل سألت عندها؟".

لم يُجب السائق الكبير على هذا، ربما لأن صوت دورِين بدأ يشبه صوت فريتزي. وصوت جهاز التومتوم، بالطبع.

"لكن لم يكن هناك أي دليل أبداً، صح؟". هذه المرة كان صوت تَسّ نفسها. لم تكن متأكدةً أنه سيردّ على صوتها، لكنه ردَّ.

"لا. لا دليل".

"ولم ترغب بأي دليل، أليس كذلك؟".

لا إجابة هذه المرة، لذا نهضت تَسّ وسارت بتردّد إلى القبعة البنيّة المبقّعة بالأبيض، التي طارت عبر الممر الخاص وإلى المَرجة. بينما كانت ترفعها عن الأرض، انطفأ عمود الإنارة مرة أخرى. فتوقف نباح الكلب في الداخل. ذكّرها هذا بشيرلوك هولمز، وبوقوفها هناك في ضوء القمر العاصف، سمعت تَسّ نفسها تضحك أتعس ضحكة خافتة يمكن أن تخرج من حنجرة إنسان. خلعت قبعتها، وحشرتها في جيب سترتها، وارتدت قبعته بدلاً منها. كانت كبيرة جداً عليها، لذا خلعتها مرة أخرى لفترة طويلة كافية لتعدّل سوارها الخلفي. عادت إلى الرجل الذي قتَلته، الرجل الذي حكمَت أنه ربما ليس بريئاً كلياً... لكنه بالتأكيد بريء جداً لكي يستحق العقوبة الذي أصدرتها المرأة الشجاعة بحقّه.

ربّتت على حافة القبعة البنيّة وسألت، "هل هذه هي القبعة التي ترتديها عندما تقود على الطريق؟"، وهي تعلم أنها ليست القبعة.

لم يُجبها سترلكه، لكن دورِين مركيز، عميدة جمعية الحياكة، أجابتها. "بالطبع لا. عندما تقود للصقر الأحمر، ترتدي قبعة الصقر الأحمر، أليس كذلك يا عزيزي؟".

"نعم"، قال سترلكه.

"ولا ترتدي خاتمك أيضاً، أليس كذلك؟".

"لا. يجده الزبائن مُبهرَجاً كثيراً. وليس جدّياً. وماذا لو رآه شخصٌ في إحدى استراحات سائقي الشاحنات الكريهة تلك - شخصٌ ثمل جداً لكي يميّز الحقيقي من المزيّف - وظنّ أنه حقيقي؟ لن يجرؤ أحدٌ

على سرقتي، فأنا ضخم جداً وقوي لهكذا أمور - على الأقل كنتُ حتى هذه الليلة - لكن شخصاً قد يُطلق النار عليَّ. ولا أستحق ذلك. ليس من أجل خاتم مزيَّف، وليس من أجل الأشياء الفظيعة التي ربما ارتكبها أخي".

"وأنت وأخوك لا تقودان أبداً للشركة في الوقت نفسه، أليس كذلك يا عزيزي؟".

"لا. عندما يقود، أهتمّ بأمور المكتب. وعندما أقود، يكون... حسناً. أظن أنك تعرفين ماذا يفعل عندما أقود على الطريق".

"كان عليك *التبليغ عنه!*"، صَرَخت عليه تَسّ. "حتى ولو كنت تشكّ فقط ، كان عليك التبليغ عنه!".

"كان خائفاً"، قالت دورِين بصوتها اللطيف. "ألم تكن كذلك يا عزيزي؟".

"نعم"، قال آل. "كنتُ خائفاً".

"من أخيك؟"، سألت تَسّ، إما غير مصدِّقة أو لا تريد أن تصدِّق. "كنتَ خائفاً من *أخيك الصغير*؟".

"ليس منه"، قال آل سترلكه. منها".

- 39 -

عندما عادت تَسّ إلى سيارتها وشغَّلت المحرّك، قال التومتوم: "لم تكن هناك أي طريقة لكي تتأكدي. وكل شيء حصل بسرعة كبيرة".

كان هذا صحيحاً، لكنه يتجاهَل الحقيقة المركزية: بملاحقتها مغتصِبها للاقتصاص منه بيدها، أرسَلت نفسها إلى الجحيم.

رفعت المسدَّس إلى صدغها، ثم عادت وأخفضته. لا يمكنها، ليس الآن. لا يزال لديها واجب تجاه النساء في الأنبوب، وأي امرأة أخرى قد تنضم إليهن إذا فرَّ لستر سترلكه. وبعدما فعلته للتو، أصبح عدم فراره أهم أكثر من أي وقت مضى.

لديها محطة أخرى لتتوقف عندها. لكن ليس في سيارتها الإكسبديشن.

- 40 -

لم يكن الممر الخاص في 101 طريق تاونشيب طويلاً، ولم يكن مرصوفاً. بل كان مجرد زوج أخاديد مع أجمات قريبة كفاية لتكشِط جهتَي شاحنة الفورد F-150 الزرقاء أثناء قيادته لها إلى المنزل الصغير. لا شيء أنيق في هذه الشاحنة؛ بل هي مجرد ركام شاحنة قديمة يمكنها أن تكون خارجة من فيلم رعب مباشرة. آه كم أن الحياة تقلِّد الفن أحياناً. وكلما كان الفن فظاً أكثر، كلما جاء التقليد أكثر دقة.

لم تقم تَسّ بأي محاولة للاختباء - لماذا تتكبَّد عناء إطفاء الأضواء الأمامية عندما سيعرف لستر سترلكه صوت شاحنة أخيه وكذلك صوت أخيه نفسه؟

كانت لا تزال ترتدي القبعة البنيّة ذات البُقع البيضاء التي يرتديها السائق الكبير عندما لا يكون على الطريق، القبعة المحظوظة التي تبيَّن أنها منحوسة في النهاية. أما الخاتم ذو حجر الياقوت المزيَّف فكان كبيراً جداً لأي إصبع من أصابعها، لذا وَضَعته في الجيب الأمامي الأيسر لسروالها الفضفاض. كان السائق الصغير يرتدي ملابسه ويقود الشاحنة

عندما يخرج أخوه الكبير ليصطاد، وفي حين أنه ربما لم يتسنَّ له الوقت الكافي (أو الذكاء الكافي) أبداً ليقدِّر سخرية قدوم ضحيته الأخيرة إليه بنفس الأكسسوارات، إلا أن تَسّ قدَّرت ذلك.

رَكَنت قرب الباب الخلفي، وأطفأت المحرّك، وخرَجت حاملةً المسدَّس بيدها. كان الباب مفتوحاً. دخلت حظيرة تعبق برائحة شراب شعير وطعام فاسد، وهناك لمبة واحدة بقوة ستين واطاً متدلّية من سقفها على حبل قذر. رأت أمامها مباشرة أربع صفائح نفايات بلاستيكية ممتلئة بالكامل، سعة مئة وعشرين ليتراً من النوع الذي يمكنك شراءه من وولمارت، وخلفها، مكدّسةً عند جدار الحظيرة، ما بدا أنه خمس سنوات من إعلانات *العم هنري* المبوَّبة. ورأت باباً آخر على يسارها فوق درجة واحدة، يؤدي إلى المطبخ، وله مزلاج قديم الطراز بدلاً من مسكةٍ. زعَقت مِفصَلات الباب غير المدهونة بالزيت عندما ضغطت مزلاجه ودفَعَت لتفتحه. كان هكذا زعيق ليُرعبها ويشلّ حركتها منذ ساعة واحدة. أما الآن فلم يزعجها ولو قليلاً. لديها عمل عليها القيام به. وكان مريحاً التحرّر من كل تلك العوائق العاطفية. دخلت رائحة اللحم الدهني الذي قلاه السائق الصغير على العشاء. يمكنها سماع أصوات ضحكات من التلفزيون. أحد برامج كوميديا الموقف. *ساينفلد*، فكّرت في سرّها.

"ماذا تفعلين هنا أيتها اللعينة؟"، صاح لستر سترلكه بالقرب من التلفزيون. "ليس لديَّ سوى شراب شعير ولم يبق إلا نصفه، إذا كان هذا ما أتيت من أجله. سأنهي شرابي ثم أخلد إلى النوم". تبَعت صوته. "لو اتصلتِ بي، لكنتُ وفّرتُ عليك عناء –"

دخلت الغرفة. رآها. لم تخمِّن تَسّ ما ستكون ردة فعله لمعاودة

ظهور ضحيته الأخيرة، حاملةً مسدَّساً ومرتديةً قبعة لستر التي يرتديها بنفسه عندما يتملّكه إلحاحه. وحتى لو خمَّنت ذلك، لما استطاعت أبداً أن تتوقَّع شدّة ردة الفعل التي رأتها. شغر فاهه، ثم تجمَّد وجهه بأكمله. وسقطت صفيحة شراب الشعير التي كان يُمسكها بيده إلى حُضنه، وطرطشت الرغوة قطعة ثيابه الوحيدة، وهي سروال داخلي مصفَرّ.

إنه يرى شبحاً، فكَّرت في سرّها وهي تسير نحوه شاهرةً المسدَّس. *جيد*.

كان هناك متّسع من الوقت لترى أن غرفة الجلوس، ورغم الفوضى التي فيها والتي تُعتبر نموذجيةً من أي شاب أعزب وكذلك عدم وجود قِباب ثلجية أو تماثيل صغيرة، تعتمد إعداد مشاهدة للتلفزيون مماثلاً لذلك المُعتمَد في منزل أمه على ممر لايسمايكر: الكرسي، الطاولة الصغيرة القابلة للطي (عليها صفيحة شراب شعير أخيرة غير مفتوحة وكيس رقائق تورتيلا بدلاً من دايت كوكا كولا وبطاطا تشيبس)، ونفس دليل برامج التلفزيون، الذي يظهر سايمون كاول على غلافه.

"أنتِ ميتة"، همَس.

"لا"، ردَّت تَسّ، ووَضَعت فوهة عصّارة الليمون على صدغه. بذلَ جهداً ضعيفاً ليُمسك معصمها، لكنه كان ضعيفاً جداً ومتأخراً كثيراً. "أنتَ الميت".

ضغطت الزناد. تطاير الدم من أذنه وقُذف رأسه بقوة إلى الجهة الأخرى. بدا مثل رجل يحاول أن يفكّ تشنّجاً في عنقه. على التلفزيون، كان جورج كوستانزا يقول، "كنتُ في الحوض، كنتُ في الحوض". وضحِك الجمهور.

أصبح منتصف الليل تقريباً، واشتدّ عصف الرياح أكثر من أي وقت مضى. وكلما عصفت الرياح، يهتزّ منزل لستر سترلكه بأكمله، وكلما تذكَّرت تَسّ الخروف الصغير الذي بنى منزله من أوتاد خشبية.

الخروف الصغير الذي عاش في هذا المنزل لن يضطر أبداً إلى أن يقلق بشأن نسْف منزله الحقير، لأنه ميت على كرسيه. *ولم يكن خروفاً صغيراً على أي حال*، فكَّرت تَسّ في سرّها. *كان ذئباً شريراً.*

جلست في المطبخ، وراحت تكتب على صفحات لوح ورقيّ وسِخ وجَدته في غرفة نوم سترلكه في الطابق العلوي. كانت هناك أربع غرف في الطابق الثاني، لكن غرفة النوم كانت الوحيدة غير المزدحمة بأشياء خردة، بكل شيء بدءاً من هياكل أسرّة حديدية إلى محرّك قارب ماركة أفنرود بدا كما لو أنه سقط عن سطح مبنى خماسي الطوابق. ولأنها ستحتاج إلى أسابيع أو أشهر لتستعرض كل تلك الأغراض العديمة الجدوى والعديمة القيمة والعديمة الفائدة، ركَّزت تَسّ كل انتباهها على غرفة نوم سترلكه وراحت تبحث فيها بدقة. كان اللوح الورقيّ مكسباً جميلاً. وجَدت ما كانت تبحث عنه في حقيبة سفر قديمة دُفِعَت إلى الجهة الخلفية لرف الخزانة، حيث تم تمويهها - بنجاح غير كبير - بأعداد قديمة من مجلة ناشونال جيوغرافيك. وجدت فيها مجموعة ملابس داخلية نسائية كان سروالها الداخلي على أعلاها. وضعته تَسّ في جيبها واستبدَلته، مثل هواة تجميع الأشياء التافهة، بحبل القوارب الأصفر. لن يتفاجأ أحد من إيجاد حبل في حقيبة سفر مغتصِب-قاتل تضم جوائزه من ملابس داخلية نسائية. كما أنها لم تعد بحاجة إليه.

"انتهى عملنا هنا"، قال الحارس الوحيد، "يا تونتو".

ما كتَبته، بينما انتهت حلقة *ساينفلد* ثم انتهت حلقة *فرايجر* ثم بدأت نشرة الأخبار المحلية (فاز أحد سكان تشيكوبي بالجائزة الكبرى لقرعة الحظ، وعانى ساكن آخر بكسر في ظهره بعد سقوطه عن سقالة بناء، لذا توازنت الأخبار الجيدة بالأخبار السيئة)، كان اعترافاً على هيئة رسالة. وعندما وَصَلت إلى الصفحة الخامسة، كانت نشرة الأخبار قد انتهت وبدأ إعلان يبدو أنه لا ينتهي عن تطهير القولون. كان داني فييرا يقول، "تتحرّك أحشاء بعض الأميركيين مرةً واحدةً فقط كل يومين أو ثلاثة *أيام*، ولأن هذا يستمر لسنوات، *يعتبرونه أمرًا طبيعيًا*! لكن أي طبيب يستحق ارتداء الرداء الأبيض سيُخبِرك عكس *ذلك*!".

كانت الرسالة موجّهَة إلى "السلطات الملائمة"، وتألّفت أول أربع صفحات من فقرة واحدة. بدت مثل صرخةٍ في ذهنها. شعرت بتعب في يدها، وبدأ قلم الحبر الذي وجدته في أحد جوارير المطبخ (مطبوع عليه "الصقر الأحمر للنقل" بلون ذهبي باهت) يُظهر دلالات بقُرب جفافه، لكنها شارفت، الحمد لله، على إنهاء رسالتها. بينما تابعَ السائق الصغير عدم مشاهدته التلفزيون عن الكرسي الذي جلَس عليه، بدأت فقرة جديدة أخيراً في أعلى الصفحة الخامسة.

لن أقدّم أعذارًا عما فعلتُ. كما لا يمكنني القول إنني فعلتُه بعقل مختل. كنتُ غاضبة وأخطأتُ. الأمر بهذه البساطة.
في ظروف أخرى – أعني ظروف أقل فظاعة – قد أقول، "كان خطأً طبيعياً، فالاثنين متشابهين جداً لدرجة أنه يمكن اعتبارهما توائم". لكن هذه ليست ظروفاً أخرى.
رحتُ أفكّر بتعويض عن خطأي بينما أجلس هنا، أكتب

هذه الصفحات وأستمع إلى تلفزيونه وإلى الرياح - ليس لأنني أطلب السماح، بل لأنه يبدو لي من الخطأ ارتكاب خطأ من دون محاولة موازنته بشيء صالح على الأقل (تذكَّرت تَسّ هنا التوازن بين خبر الفائز في القرعة وخبر الرجل ذي الظهر المكسور، لكنها وجدت صعوبة في التعبير عن المفهوم بما أنها مُتعَبة جداً، ولم تكن متأكدة أن ذلك مناسبٌ، على أي حال). *فكّرتُ بالذهاب إلى أفريقيا والعمل مع ضحايا مرض الإيدز. وفكّرتُ بالذهاب إلى نيو أورلينز والتطوّع في ملجأ للمشرَّدين أو مصرف طعام. وفكّرتُ بالذهاب إلى الخليج لتنظيف النفط عن الطيور. وفكّرتُ بالتبرّع بالمليون دولار تقريباً التي ادّخرتُها لتقاعدي لجمعيةٍ ما تُعنى بإنهاء العنف ضد النساء. لا شك أن هناك هكذا جمعية في كونّكتيكت، وربما عدة جمعيات أيضاً. لكنني تذكّرتُ عندها دورِين مركيز، من جمعية الحياكة، وما تقوله مرّةً في كل كتاب...*

ما تقوله دورِين مرةً على الأقل في كل كتاب هو *القتلة يتغاضون عن البديهيات دائماً. يمكنكم الاتكال على هذا يا أعزائي*. وحتى أثناء كتابة تَسّ عن التعويض عن خطأها، أدرَكت أن ذلك سيكون مستحيلاً. لأن دورِين محقّة تماماً.

فقد ارتدت تَسّ قبعةً لكي لا تترك شعرة يمكن تحليلها لمعرفة الحمض النووي للجاني. كما ارتدت قفازات لم تخلعها أبداً، حتى أثناء قيادتها شاحنة ألفين سترلكه. لم يفت الأوان بعد لتحرق هذا الاعتراف في موقد الخشب في مطبخ لستر، وتقود إلى المنزل الأجمل بكثير لألفين الأخ (المنزل المشيَّد من طوب وليس من أوتاد خشبية)، وتركب سيارتها

الإكسبديشن، وتعود إلى كونّكتيكت. بمكنها الذهاب إلى منزلها، حيث ينتظرها فريتزي. بدت بريئة من الوهلة الأولى، وقد يحتاج رجال الشرطة إلى بضعة أيام ليصلوا إليها، لكنهم سيصلون إليها في النهاية. لأنها بينما كانت تركِّز على الحبّة الجنائية، تغاضت عن القُبّة الواضحة، تماماً مثل القتلة في كتب جمعية الحياكة.

كان للقُبّة الواضحة إسمٌ: بيتسي نيل. امرأة جميلة ذات وجه بيضوي الشكل، وعينَي بيكاسو غير متطابقتين، وسحابة شعر داكن. لقد تعرَّفت على تَسّ، وحتى أخذت توقيعها الشخصي، لكن ذلك لم يكن الدليل الدامغ. الدليل الدامغ سيكون الرضوض على وجهها (*آمل ألا يكون هذا قد حصل هنا*، قالت نيل)، وحقيقة أن تَسّ سألت عن ألفين سترلكه، ووصفت شاحنته وتعرّفت على الخاتم عندما ذكرته نيل. *مثل ياقوتة*، وافقت تَسّ.

ستشاهد نيل الخبر على التلفزيون أو تقرأ عنه في الصحيفة - فمع وفاة ثلاثة أشخاص من نفس العائلة، كيف بمكنها ألا تنتبه إلى الخبر؟ - وستبلِّغ الشرطة. وستأتي الشرطة إلى تَسّ. سيتفحّصون سجلات رخص السلاح في كونّكتيكت بطبيعة الحال وسيكتشفون أن تَسّ اشترت مسدَّساً نوع سميث ويسون عيار 38. يسمّى عصّارة ليمون. وسيطلبون منها إعطاءهم إياه لكي يستطيعوا اختبار إطلاق النار منه ويقارنون رصاصاته بالرصاصات التي عُثر عليها في الضحايا الثلاثة. وماذا ستقول؟ هل ستنظر إليهم بعينيها المُسَوَّدتين وتقول (بصوت لا يزال أجش من محاولة لستر سترلكه خنقها) إنها أضاعته؟ هل ستبقى مصرّة على هذا الإدعاء حتى بعد العثور على جثث النساء في البربخ؟

رفعت تَسّ قلمها المُستعار واستأنفت الكتابة.

... ما تقوله مرةً في كل كتاب: القتلة يتغاضون عن البديهيات دائماً. أخذت دورين في إحدى المرات أيضاً ورقةً من كتاب دوروثي سايرز وتركت قاتلاً مع مسدّس محشو، مُخبرةً إياه أن يختار الطريقة المحترمة لمغادرته. لديَّ مسدّس. وأخي مايك هو أقرب نسيب لي لا يزال حيّاً. يعيش في تاوس، نيو مكسيكو. أظن أنه قد يرث ممتلكاتي. هذا يعتمد على العواقب القانونية لجرائمي. وإذا ورثها، آمل من السلطات التي تجد هذه الرسالة أن تُريه إياها، وتنقل له رغبتي بأن يتبرّع بالأغلبية لجميعة خيرية تعمل مع النساء المعتدى عليهن جنسياً.

آسفة بشأن السائق الكبير - ألفين سترلكه. لم يكن الرجل الذي اغتصبني، ودورين متأكدة أنه لم يغتصب ويقتل تلك النساء الأخريات أيضاً.

دورين؟ لا، هي. لم تكن دورين حقيقية. لكن تَسّ كانت مُتعَبة جداً لتعود وتغيِّر الكلمة. وما الفرق - فقد شارفت على النهاية، على أي حال.

أما بالنسبة لرامونا والحثالة الموجود في الغرفة الأخرى، فلا أقدّم أي اعتذار. من الأفضل أن يكونوا ميتين.

وكذلك، بالطبع، أنا.

توقفت بما يكفي لتتفحّص الصفحات وترى إن كانت قد نسيت شيئاً. لم يبدُ لها أنها نسيت شيئاً، لذا وقَّعت إسمها - توقيعها الشخصي الأخير. وجفَّ قلم الحبر عند الحرف الأخير ووَضَعته من يدها.

"هل لديك أي شيء لتقوله يا لستر؟"، سألت.

فقط الرياح ردَّت عليها، فعصفت بقوة كافية لتجعل المنزل الصغير يتأوه عند مفاصله ولتُدخِل بعض الهواء البارد.

عادت إلى غرفة الجلوس. وَضَعت القبعة على رأسه والخاتم في إصبعه. تريد أن يتم العثور عليه بهذا الشكل. كانت هناك صورة فوتوغرافية مؤطَّرة على التلفزيون تُظهِر لستر وأمه يتعانقان. كانا يبتسمان. مجرد فتى وأمه. نظَرَت إليها لبرهة، ثم غادرت.

- 42 -

شعَرت أن عليها أن تعود إلى المتجر المهجور حيث حصَل الاعتداء وتُنهي المسألة هناك. يمكنها الجلوس لبعض الوقت في المرأب الكثير الأعشاب الضارة، وتستمع إلى تلويح الرياح للافتة القديمة ("تحبّه يحبّك")، وتفكِّر بما يفكِّر فيه كل شخص يقضي آخر لحظات حياته. في حالتها ستفكِّر بفريتزي على الأرجح. تعتقد أن پاتسي ستأخذه، وهذا جيد. القطط انتهازية. لا يهمّها كثيراً مَن يُطعمها، طالما أن وعاء الطعام ممتلئ.

لن تحتاج إلى وقت طويل لتصل إلى المتجر في هذه الساعة، لكنه بقي يبدو بعيداً جداً. كانت مُتعَبة جداً. فقرَّرت أن تجلس في شاحنة آل سترلكه القديمة وتنفّذ العملية هناك. لكنها لم ترغب أن تلطِّخ اعترافها المؤلم بدمها، فقد بدا لها هذا خطأ إذا ما أخذت بعين الاعتبار كل تفاصيل سفك الدماء ضمنه، لذا -

أخذت الصفحات من اللوح الورقيّ إلى غرفة الجلوس، حيث لا يزال التلفزيون مشتغلاً (كان شابٌ يبدو مجرماً يبيع روبوتاً لتنظيف

الأرضية)، ورمتها في حُضن سترلكه. "أمسك لي هذه يا لسّ"، قالت.

"لا مشكلة"، ردَّ عليها. لاحَظت أن جزءاً من دماغه المريض بدأ يجفّ الآن على كتفه العارية النحيلة. لا بأس بهذا.

خرَجت تَسّ إلى الظلمة العاصفة وركبت خلف مِقوَد الشاحنة ببطء. كان زعيق المِفصَلات عندما أغلقت باب السائق مألوفاً بشكل غريب. لكن لا، ليس غريباً جداً؛ ألم تسمعه في المتجر؟ بلى. كانت تحاول أن تُسدي له معروفاً، لأنه كان سيُسدي لها معروفاً - كان سيغيِّر لها عجلتها لكي تتمكن من العودة إلى منزلها وتُطعِم قطّها. "لم أرغب أن تفرغ بطاريته"، قالت، وضحِكت.

وَضَعت الفوهة القصيرة لمسدَّسها على صدغها، ثم عدلت عن رأيها. طلقةٌ كهذه ليست فعّالة دائماً. أرادت أن يساعد مالها النساء المتألمات، لا أن يُصرَف على كلفة العناية بها وهي ممدَّدة فاقدة الوعي سنة تلو الأخرى في منزلٍ ما للنباتات البشرية.

الفـم، هذا أفضل. موثوق أكثر.

كانت الفوهة زيتية على لسانها، وكان يمكنها الشعور بالنتوء الصغير لعلامة التسديد يحفر في سقف فمها.

لقد عشتُ حياة جيدة - جيدة جداً، على أي حال - ورغم أنني ارتكبتُ خطأً فظيعاً في نهايتها، ربما لن أُلام عليه إذا كان هناك شيء بعده.

آه، لكن رياح الليل كانت عذبة جداً. وكذلك كان الأريج الرقيق الذي حملته عبر نافذة جهة السائق نصف المفتوحة. من المؤسف المغادرة، لكن هل هناك خيار آخر؟ لقد حان وقت الرحيل.

أغمضت تَسّ عينيها، وشدَّت إصبعها على الزناد، وعندها تكلَّم التومتوم. كان غريباً أن يتمكن من فعل ذلك، لأنه موجود في سيارتها الإكسبديشن، والإكسبديشن في منزل الأخ الآخر، الذي يبعُد حوالي كيلومترين من هنا. كما أن الصوت الذي سمِعته لا يشبه أبداً الصوت الذي تتصنّعه للتومتوم عادة. كما لا يشبه صوتها. كان صوتاً بارداً. وهناك – هناك مسدَّس في فمها. لا يمكنها أن تتكلَّم أبداً.

" لم تكن أبداً محققة بارعة جداً، أليس كذلك؟".

أخرجته. "مَن؟ دورِين؟".

رغم كل شيء، شعرت بالصدمة.

"ومَن غيرها يا تَسّا جان؟ ولماذا ستكون محققة بارعة؟ لقد أتت من تَسّ القديم. أليس كذلك؟".

افترَضت تَسّ أن هذا صحيح.

"دورِين تظن أن السائق الكبير لم يغتصب ويقتل تلك النساء الأخريات. أليس هذا ما كتَبته؟".

"أنا"، قالت تَسّ. *"أنا* أكيدة. وكنتُ مُتعَبةً فقط لا غير. وأظن مصدومةً".

"ومذنبة أيضاً".

"نعم. مذنبة أيضاً".

"هل تعتقدين أن الأشخاص المذنبون يُجرون استنتاجات جيدة؟".

لا. ربما لا.

"ماذا تحاول أن تقول لي؟".

"أنك حللت جزءاً من اللغز فقط. وقبل أن تتمكني من حلّه كله -*أنتِ* وليس محققةً عجوزاً مبتذلةً - حصل شيء مشؤوم حقاً".

"مشؤوم؟ هل هذا ما تسمّيه؟". سمعت تَسّ نفسها تضحك من مسافة بعيدة. وكانت الرياح تجعل مزراباً رخواً في مكان ما يطرق على طُنُف سقفٍ. بدا صوته مثل لافتة السقن أپ في المتجر المهجور.

"قبل أن تطلقي النار على نفسك"، قال التومتوم الجديد الغريب (كان صوته يبدو أنثوياً أكثر طوال الوقت)، "لماذا لا *تفكّري* بنفسك؟ لكن ليس هنا".

"أين إذاً؟".

لم يُجب التومتوم على هذا السؤال، ولم يكن مضطراً أن يفعل ذلك. وما قاله كان، "وخذي هذا الاعتراف اللعين معك".

خرجت تَسّ من الشاحنة وعادت إلى داخل منزل لستر سترلكه. وَقَفت تفكِّر في مطبخ الرجل الميت. فعلت ذلك بصوتٍ عالٍ، بصوت التومتوم (الذي بدا أشبه بصوتها طوال الوقت). بدا أن دورِين انصرفت.

"سيكون مفتاح منزل آل في حمّالة المفاتيح مع مفتاح سيارته"، قال التومتوم، "لكن هناك الكلب. لا تريدين نسيان الكلب".

لا، سيكون هذا سيئاً. ذهَبت تَسّ إلى براد لستر. وبعد تفتيش بسيط، وجَدت حزمة همبرغر في الجهة الخلفية للرف السفلي. استخدَمت أحد أعداد *العمّ* هنري لتغلّفها، ثم عادت إلى غرفة الجلوس. رفعت الاعتراف عن حُضن سترلكه بحذر شديد، مُدركةً جيداً أن جزءه الذي أذاها - جزءه الذي تسبَّب بموت ثلاثة أشخاص هذه الليلة - يجلس تحت الصفحات مباشرة. "سآخذ طعامك المطحون،

لكن لا تحزن. إنني أُسدي لك معروفاً. فرائحته ستصبح كريهة عندما يتعفَّن".

"لصة بالإضافة إلى قاتلة"، قال السائق الصغير في صوته الميت المتكاسل. "هذا ليس لطيفاً".

"اصمت يا لسّ"، قالت، وغادرت.

- 43 -

قبل أن تطلقي النار على نفسك، لماذا لا تفكّري بنفسك؟

حاوَلت فعل ذلك أثناء قيادتها الشاحنة القديمة على الطريق العاصف إلى منزل ألفين سترلكه. وبدأت تشعر أن التومتوم، حتى عندما لا يكون في المركبة معها، كان محققاً أفضل من دورِين مركيز في أفضل أيامها.

"سأختصر"، قال التومتوم. "إذا كنتِ تعتقدين أن آل سترلكه لم يكن له دور في العملية – وأعني دور كبير – فأنت مجنونة".

"بالطبع أنا مجنونة"، ردَّت. "وإلا فلماذا أحاول إقناع نفسي أنني لم أطلق النار على الرجل الخطأ عندما أعرف أنني *فعلتُ ذلك*؟".

"هذا الشعور بالذنب الذي يتكلم، وليس المنطق"، ردَّ التومتوم. بدا معتدّاً بنفسه كثيراً. "لم يكن خروفاً بريئاً، ولا حتى خروفاً نصف أسود. استيقظي يا تَسّا جان. لم يكونا مجرد أخوين، كانا شريكين".

"شريكان *تجاريان*".

"لا يكون الإخوة مجرد شركاء تجاريين أبداً. المسألة معقَّدة أكثر من ذلك دائماً. خاصة عندما تكون لديك والدة مثل رامونا".

صعدت تَسّ الممر الخاص لمنزل آل سترلكه المرصوف بنعومة. وافترَضت أن التومتوم يمكن أن يكون محقاً في ما قاله. كانت تعرف شيئاً واحداً: دورِين وصديقاتها في جمعية الحياكة لم يلتقين امرأة مثل رامونا نورفيل أبداً.

أُضيء عمود الإنارة. بدأ الكلب ينبح كالمعتاد. انتظَرت تَسّ انطفاء الضوء لكي يهدأ الكلب وتخرج من الشاحنة.

"لا توجد أي طريقة لكي أتيقّن بها أيها التومتوم".

"لا يمكنك أن تكوني أكيدة من ذلك إلا إذا نظرتِ".

"حتى ولو كان يعرف، *لم يكن الشخص الذي اغتصبني*".

صمت التومتوم للحظة. فظنَّت أنه استسلَم. ثم قال، "عندما يرتكب شخصٌ عملاً شريراً ويعرف شخصٌ آخر لكنه لا يوقفه، يكون مذنباً بشكل مماثل له".

"في نظر القانون؟".

"وفي نظري *أنا* أيضاً. لنفترض أن لستر فقط مَن كان يقوم بالصيد والاغتصاب والقتل. لا أعتقد ذلك، لكن لنفترضه. إذا عرَف الأخ الكبير ولم يقل شيئاً، هذا يجعله يستحق القتل. في الواقع، سأقول إنه لا يستحق الرصاصات حتى. بل يستحق الطعن برمح حار".

هزَّت تَسّ رأسها بتثاقل ولمست المسدَّس الموضوع على المقعد. لا تزال هناك رصاصة واحدة فيه. إذا اضطرت أن تستخدمها على الكلب (وحقاً، ما ضرر عملية قتل أخرى بين الأصدقاء؟)، ستضطر عندها إلى البحث عن مسدَّس آخر، إلا إذا كانت تنوي أن تحاول شنق نفسها، أو شيء آخر. لكن العائلات أمثال عائلة سترلكه تملك

أسلحة نارية عادة. هذا هو الجزء الجميل، مثلما كانت رامونا لتقول.

"إذا عرَف، نعم. لكن لا دليل أنه استحق رصاصة في الرأس. أما الأم، فنعم – كان القرطان الدليل الوحيد الذي كنتُ بحاجة إليه. لكن لا دليل هنا".

"حقاً؟". كان صوت التومتوم منخفضاً لدرجة أن تَسّ بالكاد سمعته. "اذهبي وتحقّقي".

- 44 -

لم ينبح الكلب عندما صعدت الدرجات بتثاقل، لكن كان يمكنها تخيّله واقفاً وراء الباب مباشرة مُخفضاً رأسه ومُبرِزاً أنيابه.

"غُوبر؟". تباً، كان هذا إسماً جيداً لكلب ريفيّ كأي إسم آخر. "إسمي تَسّ. معي بعض الهمبرغر لك. ومعي أيضاً مسدَّس فيه رصاصة واحدة. سأفتح الباب الآن. لو كنتُ مكانك، لاخترتُ اللحم. اتفقنا؟

بقي لا ينبح. ربما ضوء عمود الإنارة هو الذي يحفّزه. أو سارقة أنثى مظهرها شهي. جرَّبت تَسّ أحد المفاتيح، ثم مفتاحاً آخر. لا فائدة. يبدو أن هذين المفتاحين لمكتب شركة النقل. دار المفتاح الثالث في القفل، وفتَحت الباب قبل أن تفقد جرأتها. كانت تتخيَّل كلباً من فصيلة البُلدُغ أو الروتْوايلر أو البيتبول بعينين حمراوين ولعاب يسيل من فمه. لكن ما رأته كان كلباً من فصيلة جاك راسلّ تِرْير ينظر إليها بأمل ويهزّ ذيله.

وضعت تَسّ المسدَّس في جيب سترتها وربَّتت على رأس الكلب. "كم هو مضحك"، قالت، "أنني كنتُ مرتعبة منك".

"لا داعي لذلك"، قال غُوبر. "على فكرة، أين آل؟".

"لا تسأل"، قالت. "هل تريد بعض الهمبرغر؟ أحذِّرك أنه كان يمكن أن يفسُد ولا يعود صالحاً للأكل".

"اعطني إياه يا عزيزتي"، قال غُوبر.

أطعَمَته تَسّ قطعة همبرغر، ثم دخَلت وأغلقت الباب، وأشعلت الأضواء. لما لا؟ لم يكن هناك أحد غيرها وغُوبر، في النهاية.

كان منزل ألفين سترلكه أنيقاً أكثر من منزل أخيه الأصغر. كانت الأرضية والجدران نظيفة، ولم تكن هناك كدسات من إعلانات العم هنري المبوَّبة، ورأت في الواقع بضعة كتب على الرفوف. كما رأت عدة مجموعات من تماثيل هامل، وصورة فوتوغرافية مؤطَّرة كبيرة للوالدة العملاقة على الجدار. اعتبرت تَسّ ذلك دلالةً، لكن بالكاد يمكنها اعتباره دليلاً قاطعاً. لأي شيء. *لو كانت هناك صورة فوتوغرافية لريتشارد ويدمارك في دوره الشهير تومي يودو، لاختلف الوضع.*

"لماذا تبتسمين؟"، سأل غُوبر. "هل تريدين المشاركة؟".

"في الواقع، لا"، قالت تَسّ. "من أين يجب أن نبدأ؟".

"لا أعرف"، قال غُوبر. "أنا فقط الكلب. ما رأيك بقطعة أخرى من تلك البقرة اللذيذة المذاق؟".

أطعَمَته تَسّ مزيداً من اللحم. نهض غُوبر على قائمتيه الخلفيتين واستدار مرتين. تساءلت تَسّ إن كانت تفقد عقلها.

"تومتوم؟ هل لديك أي شيء لتقوله؟".

"لقد وجَدتِ سروالك الداخلي في منزل الأخ الآخر، أليس كذلك؟".

"نعم، وأخذتُه. كان ممزَّقاً... ولا أريد أن أرتديه مرة أخرى أبداً حتى ولو كان سليماً... لكنه *ملكي*".

"وماذا وجدتِ أيضاً بالإضافة إلى مجموعة سراويل داخلية؟".

"ما قصدُك وماذا وجدتِ أيضاً؟".

لكن التومتوم لم يحتج إلى إخبارها ذلك. لم يكن سؤالاً عما وجَدته؛ كان سؤالاً عما لم تجده: لا جزدان ولا مفاتيح. الأرجح أن لستر سترلكه رمى المفاتيح في الغابة. هذا ما كانت تَسّ لتفعله بنفسها لو كانت مكانه. أما الجزدان فمسألة مختلفة. كان باهظ الثمن من ماركة كايت سبايد، وفي داخله قطعة حرير مطرَّز إسمها عليها. إذا لم يكن الجزدان - والأغراض التي فيه - في منزل لستر، وإذا لم يرمه في الغابة مع مفاتيحها، فأين هو؟

"أظنه هنا"، قال التومتوم. "هيا نبحث".

"لحما"، صاح غُوبر، وقام بدورة رقص أخرى.

- 45 -

من أين عليها أن تبدأ؟

"هيا"، قال التومتوم. "يحتفظ الرجال بمعظم أسرارهم في أحد مكانين: المكتب أو غرفة النوم. دورِين قد لا تعرف هذا، لكنك تعرفينه. وهذا المنزل لا يتضمن مكتباً".

دخلت غرفة نوم آل سترلكه (وغُوبر يلحقها)، حيث وجَدت سريراً مزدوج العرض طويلاً جداً تم ترتيبه بنمط عسكري. نظرت تَسّ تحته. لا شيء. بدأت تستدير نحو الخزانة، وتوقفت في أرضها، ثم

عادت لتنظر إلى السرير. رَفَعت الفِراش. نظرت. بعد خمس ثوانٍ - وربما عشر - نطقت كلمة واحدة بصوت خافت جاف.

مكتبة

"وجدتُها".

رأت ثلاث حقائب يد نسائية ملقيةً على صندوق النوابض. للحقيبة الوسطى مقبض قشدي اللون كانت تَسّ لتتعرّف عليه في أي مكان. فتحتها. لم يكن فيها شيء سوى بعض المحارم وقلم لحواجب العيون مع مشط صغير للرموش مخفي في نصفها العلوي. بَحَثت عن القطعة الحريرية المدروز إسمها عليها، لكنها لم تجدها. فقد أُزيلت بعناية، لكنها رأت شقّاً صغيراً جداً في الجلد الإيطالي الفاخر حيث كانت الغُرَز.

"حقيبتك؟"، سأل التومتوم.

"أنت تعرف أنها حقيبتي".

"وماذا بشأن قلم حواجب العيون؟".

"يبيعون هذه الأشياء بالآلاف في الصيدليات في كل أنحاء -"

"هل هو قلمك؟".

"نعم. إنه قلمي".

"هل أقتنعتِ؟".

"أنا...". وبلعت تَسّ ريقها. كانت تشعر بشيء، لكنها لم تكن متأكدة مما هو. ارتياح؟ رعب؟ "أظن أنني اقتنعتُ. لكن *لماذا*؟ لماذا *كلاهما*؟".

لم يقل التومتوم. لم يحتج إلى فعل ذلك. قد لا تعرف دورِين (أو لا تريد أن تعترف لو كانت تعرف، لأن السيدات العجائز اللواتي تابعنَ

مغامراتها لا يحبّذنَ الأمور البغيضة)، لكن تَسّ افترَضت أنها تعرف. لأن الأم شوَّهت عقلَيهما. هذا ما سيقوله أي طبيب نفسي. كان لستر المغتصِب؛ وآل المولَع بالأشياء المحسوسة الذي شارَك بشكل غير مباشر. وربما حتى ساعد مع إحدى المرأتين الموجودتين في الأنبوب أو كليهما. لن تتيقّن من هذا أبداً.

"قد تحتاجين حتى الفجر على الأرجح لتبحثي في المنزل بأكمله"، قال التومتوم، "لكن يمكنك البحث في بقية هذه الغرفة يا تَسّا جان. أظن أنه أتلفَ كل شيء كان موجوداً في الجزدان - قصّ بطاقات الإئتمان ورماها في نهر كولْويتش - لكن عليك التأكد، لأن أي شيء عليه إسمك سيُرشد الشرطة إلى بابك مباشرة. ابدأي بالخزانة".

لم تجد تَسّ بطاقات إئتمانها أو أي شيء آخر يخصّها في الخزانة، لكنها وجدت شيئاً. كان على الرف العلوي. نزلت عن الكرسي الذي كانت تقف عليه ودَرَسته برعبٍ متنامٍ: بطة محشوة ربما كانت اللعبة المفضَّلة لدى ولد ما. كانت إحدى عينيها مفقودة وفروها الاصطناعي متلبِّداً. كان ذلك الفرو في الواقع مفقوداً في بعض الأماكن، كما لو أن أحدهم داعب البطة حتى حدود الموت.

كانت هناك طرطشة كستنائية داكنة على المنقار الأصفر الباهت.

"هل هذا ما أظن أنه هو؟"، سأل التومتوم.

"آه يا تومتوم، أظنه ذلك".

"الجثتان اللتان رأيتهما في البربخ... هل يُعقَل أن تكون إحداهما جثة طفل؟".

لا، أيٌّ منهما لم تكن صغيرة إلى هذا الحد. لكن ربما البربخ الذي

يمتدّ تحت طريق ستاغ لم يكن مكتبَ الجثث الوحيد للإخوة سترلكه.

"أعيديها إلى الرف. دعي رجال الشرطة يعثرون عليها. عليك التأكد أنه لا يملك كمبيوتراً عليه أمور تخصّك. ثم عليك الخروج من هنا في أسرع وقت ممكن".

شيء بارد ورطب لمس يد تَسّ. كادت تصرخ. كان غُوبر، ينظر إليها بعينين ساطعتين.

"مزيد من اللحم!"، قال غُوبر، وأعطته تَسّ بعضاً منه.

"لو كان آل سترلكه يملكون كمبيوتراً"، قالت تَسّ، "كن أكيداً أنه سيكون محمياً بكلمة مرور. ولن يكون مفتوحاً على الأرجح لكي أبحث فيه بفضول".

"خذيه إذاً وارمه في النهر اللعين عندما تعودين إلى المنزل. دعيه ينام مع الأسماك".

لكن لم يكن هناك كمبيوتر.

عند الباب، أطعَمَت تَسّ غُوبر بقية الهمبرغر. سيتقيأه كله على الأرجح على السجادة، لكن هذا لن يزعج السائق الكبير.

قال التومتوم، "هل أنت راضية يا تَسّا جان؟ هل اقتنعتِ أنك لم تقتلي رجلاً بريئاً؟".

افترَضت أنها يجب أن تكون راضية، لأن الانتحار لم يعد يبدو خياراً لديها. "ماذا بشأن بيتسي نيل يا تومتوم؟ ماذا بشأنها؟".

لم يُجبها التومتوم... ومرة أخرى لم يحتج إلى أن يفعل ذلك.

لأنه، في النهاية، كان هي.

ألم تكن هي؟

لم تكن تَسّ متأكدة كلياً من ذلك. وهل هذا مهمّ، طالما أنها تعرف الخطوة التالية التي عليها القيام بها؟ أما بالنسبة للغد، فكان يوماً آخر. كانت سكارليت أوهارا محقّة بشأن ذلك.

أكثر شيء مهمّ هو إبلاغ الشرطة عن الجثث الموجودة في البربخ. فقط لأنه يوجد في مكان ما أصدقاءٌ وأنسباءٌ لا يزالون يتساءلون. وأيضاً لأن...

"لأن البطة المحشوة تقول إنه لا بدّ من وجود المزيد".

هذا كان صوتها.

وكان لا بأس بهذا.

- 46 -

عند السابعة والنصف في الصباح التالي، وبعد أقل من ثلاث ساعات من النوم المتقطِّع المليء بالكوابيس، شغَّلت تَسّ كمبيوتر مكتبها. لكن ليس للكتابة. فالكتابة أبعد شيء عن ذهنها حالياً.

هل بيتسي نيل عزباء؟ كانت تَسّ تظنّ ذلك. فهي لم تر خاتم زواج ذلك اليوم في مكتب نيل، وفي حين أنها قد تكون قد غفلت عن ذلك، إلا أنه لم تكن هناك صور عائلية أيضاً. والصورة الوحيدة التي يمكنها أن تتذكَّر رؤيتها كانت صورة فوتوغرافية مؤطَّرة لباراك أوباما... وهو متزوج من قبل. لذا نعم - كانت بيتسي نيل مطلَّقة على الأرجح أو عزباء. وغير مذكورة على الأرجح. في تلك الحالة، البحث على الانترنت لن يفيدها بشيء. افترَضت تَسّ أنه يمكنها الذهاب إلى نُزُل المترنّح وإيجادها هناك... لكنها لم ترغب العودة إلى النُزُل. أبداً.

"لماذا تسعين وراء المتاعب؟"، قال فريتزي عن عتبة النافذة. "تفحّصي دليل هاتف كولْويتش على الأقل. وما هذا الذي أشمّه عليك؟ هل هذه رائحة *كلب*؟".

"نعم. إنه غُوبر".

"خائنة"، قال فريتزي بازدراء.

أعطاها بحثها عشرة أشخاص كنيتهم نيل. وأحدهم إ نيل. هل إ اختصار إليزابيث؟ هناك وسيلة واحدة للتأكد.

من دون تردّد - فذلك كان سيُفقدها شجاعتها بكل تأكيد - طلبت تَسّ رقم الهاتف. كانت تتعرَّق، وقلبها ينبض بسرعة.

رنَّ الهاتف مرةً. مرتين.

ليست هي على الأرجح. يمكن أن يكون هذا رقم إيدث نيل. إدوينا نيل. وحتى إلفيرا نيل.

ثلاث مرات.

لو كان هاتف بيتسي نيل، فهي ليست هناك على الأرجح. الأرجح أنها في عطلة في الكاتسكيلز -

أربع مرات.

- أو تساكن أحد خبّازي الزومبي، ما رأيك بهذا؟ عازف الغيتار الرئيسي. وعلى الأرجح يغنّيان "هل يمكنك إطعام كلبي" سوية تحت الدُش بعد أن -

رفع أحدهم سمّاعة الهاتف، وتعرّفت تَسّ على الصوت فوراً.

"مرحباً، أنتم تتصلون ببيتسي، لكن لا يمكنني أن أردّ على الهاتف

الآن. هناك صفرة قادمة، وتعرفون ماذا عليكم فعله عندما تسمعونها. أتمنى لكم يوماً سعيداً".

كان يومي سيئاً، شكراً، وليلة أمس كانت، اسوأ بكثير -

أتت الصفرة، وسمعت تَسّ نفسها تتكلم قبل حتى أن تُدرك أنها كانت تقصد ذلك. "مرحبا آنسة نيل، أنا تَسّا جان - سيدة بستان الصفصاف؟ لقد التقينا في نُزُل المترنِّح. وقد أعدتِ لي جهازي التومتوم ووقَّعتُ توقيعي الشخصي لجَدّتك. لقد رأيتِ كيف كانت حالتي وكذبتُ عليك قليلاً. لم يكن سبب تلك الرضوض حبيبٌ يا آنسة نيل". بدأت تَسّ تتكلم أسرع، خائفةً أن ينفد شريط الرسالة قبل أن تُنهي كلامها... واكتشَفت أنها تريد بشدة إنهاء كلامها. "لقد اغْتُصِبتُ وهذا أمر سيئ، لكنني حاوَلتُ بعدها تصحيح الأمور و... أنا... عليَّ أن أتكلم معك بشأن ذلك لأن -"

سمعت صوت نقرة على الخط ثم أصبحت بيتسي نيل نفسها في أذن تَسّ. "ابدأي من جديد"، قالت، "لكن ببطء. لقد استيقظتُ للتو ولا زلتُ نصف نائمة".

- 47 -

التقتا على الغداء في حديقة بلدة كولْويتش. جلَستا على مقعد بالقرب من منصة الفرقة الموسيقية. لم تظن تَسّ أنها جائعة، لكن بيتسي نيل فرضت عليها شطيرة، ووجدت تَسّ نفسها تأكلها بقضمات كبيرة ذكَّرتها بغُوبر وهو يلتهم همبرغر لستر سترلكه.

"ابدأي من البداية"، قالت بيتسي. كانت هادئة، فكَّرت تَسّ في

سرّها - بشكل غير طبيعي تقريباً. "ابدأي من البداية وأخبريني كل شيء".

بدأت تَسّ من الدعوة التي تلقتها من بُوكس أند براون باغرز. لم تقل بيتسي نيل الكثير، بل كانت فقط تضيف "آه" أو "حسناً" من وقت لآخر لكي تُظهِر لتَسّ أنها لا تزال تصغي لها. جعلتها عملية إخبار الرواية تشعر بالعطش. لحسن الحظ أن بيتسي كانت قد أحضَرت أيضاً علبتَي مياه غازية بطعم الكريما. أخذت تَسّ واحدةً وشربِتها بطمع.

عندما انتهت، كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة بعد الظهر. وقد غادر الأشخاص القليلون الذين جاءوا إلى الحديقة ليأكلوا وجبات غدائهم. كانت هناك امرأتان تنزّهان طفلَين في عربتَي أطفال، لكنهما على مسافة بعيدة.

"دعيني أفهم هذا جيداً"، قالت بيتسي نيل. "كنتِ ستقتلين نفسك، ثم طلب منك صوتٌ وهميّ أن تعودي إلى منزل ألفين ستزلكه بدلاً من ذلك".

"نعم"، ردَّت تَسّ. "حيث وجَدتُ جزداني. والبطة بالدم عليها".

"ووجَدت سروالك الداخلي في منزل الأخ الأصغر".

"السائق الصغير، نعم. كان في سيارتي الإكسبديشن. والجزدان. هل تريدين رؤيتهما؟".

"لا. وماذا بشأن المسدَّس؟".

"إنه في السيارة، أيضاً. مع رصاصة واحدة باقية فيه". نظَرَت إلى نيل بفضول، وهي تفكّر في سرّها: *الفتاة التي لها عينا پيكاسو*. "ألستِ

خائفةً مني؟ أنتِ الجزء الوحيد غير المنجز. الوحيد الذي يمكنني تذكّره، على أي حال".

"نحن في منتزه عام يا تَسّ. كما أن اعترافك مسجَّل على آلة الردّ على المكالمات الهاتفية في منزلي". طرفت عينا تَسّ. هذا شيء آخر لم تفكِّر فيه.

"حتى ولو تمكّنتِ من قتلي بطريقة ما من دون أن تلاحظ تلك الوالدتان اليافعتان هناك –"

"لا أنوي أن أقتل أي شخص آخر. هنا أو في أي مكان آخر".

"جيد أن أعرف هذا. لأنك حتى ولو تدبّرتِ أمري وأمر شريط آلة ردّي على المكالمات الهاتفية، عاجلاً أم آجلاً سيجد شخصٌ سائق سيارة الأجرة الذي أقلّك من نُزُل المترنّح صباح السبت. وعندما تصل إليك الشرطة، سيجدون عليك مجموعة رضوض مُثبِتة للجُرم".

"نعم"، قالت تَسّ وهي تلمس أسوأها. "هذا صحيح. لذا ما العمل الآن؟".

"بادئ ذي بدء، أعتقد أنه من الحكمة أن تبقي بعيدةً عن الأنظار لأطول فترة ممكنة إلى أن يعود وجهك جميلاً مرة أخرى".

"أعتقد أنني بمأمن في هذه النقطة"، قالت تَسّ، وأخبَرَت بيتسي الحكاية التي أخبرتها لپاتسي ماكلاين.

"هذا جيد جداً".

"آنسة نيل... بيتسي... هي تصدِّقينني؟".

"آه نعم"، قالت، بذهول تقريباً. "اسمعيني الآن. هل تسمعينني جيداً؟".

أومأت تَسّ برأسها.

"نحن امرأتان تتنزّهان قليلاً في المنتزه، ولا بأس بهذا. لكن لا يجب أن نلتقي بعد اليوم أبداً. مفهوم؟".

"مثلما تشائين"، قالت تَسّ. شَعَرت بدماغها مثلما شَعَرت بفكّها بعد أن حقنها طبيب الأسنان حقنة بروفوكاين.

"أشاء. وعليك تأليف قصة أخرى، فقط في حال تكلَّم رجال الشرطة إما مع سائق الليموزين الذي أقلَّك إلى المنزل –"

"مانويل. كان إسمه مانويل".

"– أو مع سائق سيارة الأجرة الذي أقلَّك من نُزُل المترنِّح صباح السبت. لا أعتقد أن أحداً سيربط بينك وبين عائلة سترلكه طالما أن هويتك لا تظهر في السياق، لكن عندما تنكشف القصة، سيُحدِث هذا الخبر وقعاً كبيراً ولا يمكننا افتراض أن التحقيق لن يمسّك". مالت إلى الأمام ولمست تَسّ مرةً فوق صدرها الأيسر. "إنني أتّكل عليك أن تضمني أن المسألة لن تمسّني أبداً. لأنني لا أستحق هذا".

لا. لا تستحقه أبداً.

"ما هي القصة التي ستُخبِريها للشرطة يا عزيزتي؟ شيء جيد من دون ذكر إسمي فيه. هيا، أنت الكاتبة".

بقيت تَسّ تفكِّر لدقيقة كاملة. وتركتها بيتسي تفعل ذلك.

"سأقول إن رامونا نورفيل أخبرتني عن طريق ستاغ المختصرة بعد انتهائي من تقديم المحاضرة – وهذا صحيح – وأنني رأيت نُزُل المترنِّح عندما مررتُ بجانبه. سأقول إنني توقَفتُ لتناول العشاء بعد القيادة لعدة كيلومترات على الطريق، ثم قرّرتُ أن أعود وأتناول بعض الشراب.

وأستمع إلى عزف الفرقة الموسيقية".

"هذا جيد. الفرقة تدعى –"

"أعرف إسمها"، قالت تَسّ. ربما كان مفعول البروفوكاين يزول. "سأقول إنني التقيتُ ببعض الشباب، وشربِتُ قليلاً، وقرّرتُ أنني ثملة جداً لكي أقود سيارتي. أنتِ لستِ في هذه القصة، لأنك لا تعملين في الليالي. وأستطيع أن أقول أيضاً –"

"هذا يكفي. أنت بارعة جداً في هذه الأمور بعدما تبدأ قريحتك الأدبية بالعمل. فقط لا تُكثري من التفاصيل".

"حسناً"، قالت تَسّ. "وهذه قصة قد لا أضطر إلى أن أرويها أبداً. فبعدما يعثرون على جثث عائلة سترلكه وضحايا عائلة سترلكه، سيبدأون البحث عن قاتل يختلف كثيراً عن مؤلّفة روايات صغيرة مثلي".

ابتسمت بيتسي نيل. "يا لك من مؤلّفة روايات صغيرة. أنت شريرة أصيلة". ثم رأت نظرة جفول على وجه تَسّ. "ماذا؟ ما بك؟".

"سيتمكنون من ربط النساء في الأنبوب بعائلة سترلكه، أليس كذلك؟ على الأقل بلستر؟".

"هل استخدمَ واقياً ذكرياً عندما اغتصبك؟".

"لا، لا. كان سائله لا يزال على فخذَي عندما وصلتُ إلى المنزل. وداخلي". ارتجفت.

"إذاً لا بدّ أنه فعل الشيء نفسه مع الأخريات. أدلة كثيرة. سيضعون النقاط على الحروف. طالما أن ذلك الشريرين تخلّصا من هويتك حقاً، يجب أن تكوني بأمان. ولا داعي للقلق بشأن أمور لا يمكنك التحكم بها، صح؟".

"صح".

"أما بالنسبة لك... لا تنوين الذهاب إلى المنزل وقطع معصميك في حوض الاستحمام، أليس كذلك؟ أو استخدام تلك الرصاصة الأخيرة؟".

"لا". تذكَّرت تَسّ كم بدا هواء الليل عذباً أثناء جلوسها في الشاحنة والفوهة القصيرة لعصّارة الليمون في فمها. "لا، أنا بخير".

"إذاً حان الوقت لكي تغادري. سأجلس هنا لبعض الوقت".

بدأت تَسّ تنهض عن المقعد، ثم جلست مرة أخرى. "هناك شيء أحتاج إلى معرفته. إنك تجعلين نفسك شخصاً يؤوي مجرماً وهو يعلم أنه مجرم. لماذا ستفعلين ذلك لامرأة لا تعرفينها حتى؟ امرأة التقيتها مرةً واحدةً فقط؟".

"هل ستصدِّقين إذا قلتُ لك لأن جَدّتي تحبّ كتبك وسيخيب أملها كثيراً إن دخلتِ السجن لجريمة قتل ثلاثية؟".

"لن أصدِّق أبداً"، قالت تَسّ.

لم تقل بيتسي شيئاً للحظة. رفَعت صفيحة مياهها الغازية، ثم عادت ووضعتها من يدها. "الكثير من النساء يتعرّضن للاغتصاب، ألا توافقينني الرأي؟ أعني، لستِ الوحيدة في هذه المسألة، أليس كذلك؟".

لا، كانت تَسّ تعرف أنها ليست الوحيدة في هذه المسألة، لكن المعرفة لم تخفِّف من حجم الألم والخِزي. كما لن تساعدها في تمالك أعصابها بينما تنتظر نتائج فحص الإيدز الذي ستخضع له قريباً.

ابتسمت بيتسي. لم يكن هناك شيء لطيف في الأمر. أو جميل. "النساء في كل أنحاء العالم يُغتصبن بينما نتكلَّم الآن. الفتيات أيضاً.

وبعضهن لديهن ألعاب محشوة مفضَّلة بلا شك. بعضهن يُقتلنَ، وبعضهن ينجونَ. من بين الناجيات، كم برأيك عدد اللواتي يتقدمن بشكوى بشأن ما حصل لهن؟".

هزَّت تَسّ رأسها.

"لا أعرف أيضاً"، قالت بيتسي، "لكنني أعرف ما يقوله تقرير الاستطلاع الوطني لجريمة الظُلم، لأنني بحثتُ عنه على غُوغل. لا يتم التبليغ عن ستين بالمئة من حالات الاغتصاب. ثلاثة من كل خمسة. أعتقد أن هذه النسبة ضئيلة، لكن مَن يمكنه أن يجزم بذلك؟ خارج حصص الرياضيات، من الصعب برهنة رقم سلبي. مستحيل في الواقع".

"مَن اغتصبك؟"، سألت تَسّ.

"زوج أمي. كنتُ في الثانية عشرة. وضعَ سكيناً على وجهي بينما فعل فعلته. بقيتُ جامدةً - كنتُ خائفة - لكن السكين انزلَقت من يده عندما انتهى. دون قصد على الأرجح، لكن مَن يمكنه الجزم؟".

أنزلت بيتسي الجفن السفلي لعينها اليسرى بيدها اليسرى. وكوَّرت يدها اليمنى تحتها، وتدحرَجت العين الزجاجية إلى راحة يدها. كان المحجر الفارغ أحمر قليلاً ومائلاً إلى أعلى، كما لو أنه يحدِّق في العالم متفاجئاً.

"كان الألم... حسناً، لا توجد أي طريقة لوصف هكذا ألم، ليس حقاً. بدا لي أنها نهاية العالم. كان هناك دم، أيضاً. الكثير منه. أخذتني أمي إلى الطبيب. وقالت إن عليَّ إخباره أنني كنتُ أركض مرتديةً جوارب فقط في قدمَي وانزلَقتُ على أرضية المطبخ لأنها كانت قد شمَّعته للتو. وأنني سقطتُ إلى الأمام وارتطمت عيني بزاوية منضدة

المطبخ. قالت إن الطبيب سيريد أن يتكلم معي على انفراد، وكانت تعتمد عليَّ. 'أعرف أنه فعلَ شيئاً فظيعاً لك'، قالت، 'لكن إذا عرف الناس بذلك، سيُلقون اللوم عليَّ. أرجوك يا حبيبتي، اصنعي هذا المعروف معي وسأضمن لك أن أي مكروه آخر لن يصيبك أبداً'. لذا هذا ما فعلتُه".

"وهل حصل مرة أخرى؟".

"ثلاث أو أربع مرات أخرى. وكنتُ أبقى جامدةً دائماً، لأنه لم تبقَّ لديَّ إلا عين واحدة. اسمعي، هل انتهينا هنا أم لا؟".

اقتربت تَسّ منها لتعانقها، لكن بيتسي ارتعدت وتراجعت – *مثل طفل يرى أفعى أمامه*، فكَّرت تَسّ في سرّها.

"لا تفعلي ذلك"، قالت بيتسي.

"لكن –"

"أعرف، أعرف، شكراً جزيلاً للتضامن، للتعاطف الأبدي، الخ الخ. لا أحبّ أن يعانقني أحدٌ، فقط لا غير. هل انتهينا هنا، أم لا؟".

"انتهينا".

"اذهبي إذاً. وارمي مسدَّسك في النهر أثناء عودتك إلى المنزل. هل حرقتِ الاعتراف؟".

"نعم. بالتأكيد".

أومأت بيتسي برأسها. "وسأمحو الرسالة التي ترَكتها على آلة ردّي على المكالمات الهاتفية".

ابتعَدت تَسّ. اِلتفَتت إلى الوراء مرةً. كانت بيتسي نيل لا تزال تجلس على المقعد. لقد أعادت عينها إلى محجرها.

في سيارتها الإكسبديشن، أدركت تَسّ أنها قد تكون فكرة جيدة جداً أن تحذف رحلاتها الأخيرة القليلة من نظام تموضعها العالمي. ضغطت زر الطاقة، فسطَعت الشاشة. قال التومتوم: "مرحباً يا تَسّ. أرى أننا نقوم برحلة".

انتهت تَسّ من حذف ما يجب حذفه، ثم أطفأت نظام التموضع العالمي مرة أخرى. لا رحلة، ليس حقاً؛ ستعود إلى المنزل فقط. ويمكنها إيجاد الطريق من تلقاء نفسها.

تطويل معقول

لم ير ستريتر سوى اللافتة لأنه اضطر أن يركن جانباً ويتقيأ. أصبح يتقيأ كثيراً الآن، ويكون التحذير بسيطاً جداً - أحياناً غثيان خفيف، وأحياناً مذاق نحاسي في مؤخرة فمه، وأحياناً لا شيء على الإطلاق؛ مجرد انقباض في الحلق ويخرج كل شيء، كيف حالك. هذا جَعَل القيادة أمراً محفوفاً بالمخاطر، لكنه يقود كثيراً الآن، جزئياً لأنه لن يكون قادراً على فعل ذلك في أواخر الخريف، وجزئياً لأن لديه الكثير ليفكِّر فيه. ولطالما خطرت أفضل الأفكار على باله خلف المِقوَد.

كان عند ملحق جادة هاريس، وهو شارع عريض يمتدّ لثلاثة كيلومترات بجانب مطار مقاطعة دِيري والشركات المصاحبة له: في أغلبها فنادق رخيصة ومستودعات. كان الملحق مزدحماً خلال النهار، لأنه يربط غرب دِيري بشرقها كما يؤمِّن صيانة للمطار، لكنه يصبح مهجوراً تقريباً في المساء. ركَنَ ستريتر في ممر الدرّاجات، وانتزَع أحد أكياس تقيؤه البلاستيكية من كدستها على مقعد الراكب، وأدخَلَ وجهه فيه، وترك معدته تفعل فعلها. أطلّ العشاء أمامه مرة أخرى. أو كان ليفعل ذلك، لو كان فاتحاً عينيه. لكنه لم يفتحهما. بعدما تكون قد رأيت ملء بطنٍ من القيء، ستكون قد رأيتها كلها.

عندما بدأت مرحلة التقيؤ، لم يكن هناك ألم. وقد حذَّره الدكتور هندرسون من أن ذلك سيتغيَّر، وقد تغيَّر فعلاً خلال الأسبوع الفائت. ليس عذاباً بعد؛ بل مجرد ضربة برق سريعة من الأمعاء صعوداً إلى

الحنجرة، مثل الحرقة في المعدة. حصل ذلك، ثم خفُتَ. لكنه سيزداد سوءاً. أخبَرَه الدكتور هندرسون بذلك أيضاً.

رفعَ رأسه من الكيس، وفتح صندوق القفاز، وأخرَج رباطاً سلكياً، وأوثَقَ كيس عشائه قبل أن تعبق السيارة بالرائحة. نظر إلى يمينه ورأى لحسن حظه سلة نفايات ذات غطاء متدلٍّ بابتهاج ومطليّة عليها الجملة "ضع النفايات مكانها!".

خرَج ستريتر من السيارة، وذهَب إلى سلة النفايات، ورمى أحدث مقذوفات جسمه المتعطِّل. كانت شمس الصيف تغرب حمراء فوق أرض المطار المسطَّحة (والمهجورة حالياً)، والظل العالق بكعبَيه طويلاً ورفيعاً بشكل متنافر. كان الأمر كما لو أن الظل يسبق جسمه بأربعة أشهر، ومدمَّراً مسبقاً كلياً من السرطان الذي سيلتهمه حيّاً قريباً.

عاد إلى سيارته ورأى اللافتة على الطريق. ظنَّ في البدء - على الأرجح لأن عينيه كانتا لا تزالان تدمعان - أنها تقول "تطويل للشعر". ثم طرفت عيناه ورأى أنها تقول في الواقع "تطويل معقول". وتحتها، بأحرف أصغر: "سعر معقول".

تطويل معقول، سعر معقول. بدا هذا جيداً، ومنطقياً تقريباً.

كانت هناك منطقة حصى على الجانب البعيد للملحق، خارج السياج السلكي الذي يحيط أرض مطار المقاطعة. ينصُبُ الكثير من الناس منصات على جانب الطريق هناك خلال ساعات الذروة، لأن الزبون سيكون قادراً على التوقف من دون أن يزحَمه أحد (إذا كان سريعاً وتذكَّر أن يستخدم الضوء الوامض). عاش ستريتر حياته كلها في مدينة دِيري الصغيرة في ولاية ماين، وقد رأى على مرّ تلك السنوات

أشخاصاً يبيعون سرخساً طازجاً هناك في الربيع، وتوتاً طازجاً وأكواز ذرة في الصيف، وكركنداً على مدار السنة تقريباً. وفي موسم الوحول، يستولي عجوزٌ مجنونٌ يناديه الجميع "رجل الثلج" على البقعة، ويبيع زينة رخيصة فُقِدَت في الشتاء ونَبَشها من الأرض بعد ذوبان الثلج. منذ عدة سنوات، اشترى ستريتر دمية قماشية جميلة من ذلك الرجل هديةً لابنته ماي، التي كانت في الثانية أو الثالثة من عمرها وقتها. وقد ارتكب خطأً إخبار جانيت أنه اشتراها من رجل الثلج، وأجبرته على رميها فوراً. "هل تعتقد أنه يمكننا أن نغلي دميةً قماشيةً محشوةً لنقتل الجراثيم؟"، سألته. "أتساءل أحياناً كيف يمكن لرجل ذكي أن يكون بهذا الغباء".

حسناً، السرطان لا يميِّز عندما يُصيب الأدمغة. ذكياً كان أم غبياً، كان جاهزاً ليترك المباراة ويخلع زيّه.

كانت هناك طاولة ورق لعب منصوبة في المكان الذي يعرض فيه رجل الثلج سلعه. وكان الرجل القصير والبدين الجالس خلفها يتظلَّل من الأشعة الحمراء للشمس المنخفضة تحت مظلّة صفراء كبيرة أمالها عند زاوية متأنقة.

وَقَف ستريتر أمام سيارته لدقيقة، وكاد يركبها (لم ينتبه له الرجل القصير والبدين؛ بدا أنه يشاهد تلفزيوناً محمولاً صغيراً)، ثم تغلَّبت عليه حشريته. تفحّص حركة المرور، ولم يجدّ أياً منها – كان الملحق ميتاً كما هو متوقّع في مثل هذه الساعة، فكل الركاب في منازلهم يتناولون طعام العشاء ويأخذون حالاتهم غير السرطانية كقضية مسلَّمة – واجتاز الممرات الفارغة الأربعة. تبِعهُ ظله الهزيل، شبح ستريتر القادم.

رفعَ الرجل القصير والبدين نظره. "مرحباً"، قال. وقبل أن يُطفئ

التلفزيون، تسنّى لستريتر الوقت ليرى أن العجوز كان يشاهد برنامج إنسايد إيديشن. "كيف حالنا هذه الليلة؟".

"حسناً، لا أعرف بشأنك، لكنني كنتُ أفضل من الآن"، قال ستريتر. "تأخّر الوقت نوعاً ما للبيع، أليس كذلك؟ حركة المرور خفيفة جداً هنا بعد ساعة الذروة. إنها الجهة الخلفية للمطار. ولا شيء هنا سوى توصيل الشحنات. الركاب يدخلون من شارع ويتشام".

"نعم"، قال الرجل القصير والبدين، "لكن لسوء الحظ، التقسيم إلى مناطق يؤذي الشركات الصغيرة على جانب الطريق مثل شركتي عند الجهة المزدحمة للمطار". وهزَّ رأسه من ظلم العالم. "كنت سأُغلق وأعود إلى المنزل عند السابعة، لكن انتابني شعورٌ بأن عميلاً محتملاً آخر قد يأتي".

نظر ستريتر إلى الطاولة، ولم ير أشياء للبيع (إلا إذا كان التلفزيون للبيع)، وابتسم. "لا يمكنني أن أكون حقاً عميلاً محتملاً، يا سيد –؟"

"جورج ألڤيد"، قال الرجل القصير والبدين وهو يقف ويمدّ يداً قصيرة وبدينة أيضاً.

صافحه ستريتر. "دايف ستريتر. ولا يمكنني أن أكون عميلاً محتملاً حقاً، لأنه ليست لديَّ أي فكرة ما الذي تبيعه. ظننتُ في البدء أن اللافتة تقول تطويلاً *للشعر*".

"هل *تريد* تطويلاً للشعر؟"، سأل ألڤيد وهو يرمقه نظرةً خاطفةً حرِجةً. "أسألك لأن شعرك يبدو لي أنه يصبح خفيفاً".

"وسيختفي قريباً"، قال ستريتر. "إنني أتعالج كيميائياً".

"آه. يوسفني هذا".

"شكراً. رغم أن هدف العلاج الكيميائي يمكن أن يكون...". وهزَّ كتفيه متعجِّباً من مدى سهولة قول هذه الأشياء لغريبٍ. فهو لم يُخبر حتى أولاده، رغم أن جانيت تعرف، بالطبع.

"فرص الشفاء ضئيلة؟"، سأل ألفيد. كان هناك تعاطف بسيط في صوته - لا أكثر ولا أقل - وشَعَر ستريتر بعينيه تمتلئان دموعاً. البكاء أمام جانيت أحرجه إلى حد كبير، وقد فعل ذلك مرتين فقط. أما هنا، مع هذا الغريب، فبدا الأمر مقبولاً. ومع ذلك، أخذ منديله من جيبه الخلفي ومسح عينيه به. سمع صوت طائرة صغيرة تستعد للهبوط، وقد بدا ظلّها في الشمس الحمراء مثل طائر صغير.

"ما أسمعه هو أنه لا فرصة أبداً"، قال ستريتر. "لذا أظن أن العلاج الكيميائي فقط... لا أعرف...".

"مثل قرعة حظ؟".

ضحِك ستريتر. "بالضبط".

"ربما عليك أن تفكِّر بتبديل العلاج الكيميائي بمزيد من مسكِّنات الألم. أو يمكنك إجراء صفقة تجارية صغيرة معي".

"مثلما بدأتُ أقول، لا يمكنني حقاً أن أكون عميلاً محتملاً إلى أن أعرف ما الذي تبيعه".

"آه، حسناً، معظم الناس سيسمّونه زيت الأفعى"، قال ألفيد وهو يبتسم ويرتدّ على أصابع قدمَيه خلف طاولته. لاحَظ ستريتر مع بعض الافتتان أن ظل جورج ألفيد، رغم قصر قامته وبدانته، كان نحيلاً ويبدو مريضاً مثل ستريتر. افترَض أن ظل الجميع بدأ يبدو مريضاً عند الغروب، خاصة في أغسطس، عندما تكون نهاية اليوم طويلة ومتلكئة

وغير لطيفة جداً بطريقة ما.

"لا أرى الزجاجات"، قال ستريتر.

وقف ألفيد وأسنَدَ نفسه على أصابعه على الطاولة ومالَ إلى الأمام، وبدت عليه نظرة جدّية فجأة. "أبيع تطويلات"، قال.

"وهذا ما يجعل إسم هذا الطريق بالذات محظوظاً".

"لم أفكِّر بالمسألة بهذه الطريقة أبداً، لكنني أظن أنك محقّ". رغم أن السيجار أحياناً مجرد دخانٍ والصُدفة مجرد صُدفةٍ. الجميع يريد تطويلاً يا سيد ستريتر. لو كنتَ امرأة يافعة تعشق التسوّق، لكنتُ عرضتُ عليك تطويلاً لمهلة الإئتمان. ولو كنتَ رجلاً لديه عضو تناسلي صغير - يمكن أن يكون التركيب الوراثي ظالماً جداً - لكنتُ عرضتُ عليك تطويلاً له".

شعَرَ ستريتر بالدهشة والاستمتاع من صراحته. ولأول مرة منذ شهر - منذ أن شُخِّص مرضه - نسي أنه يعاني من شكلٍ عدواني جداً وسريع الانتشار من السرطان. "أنت تمزح".

"آه، أنا أمزح كثيراً، لكنني لا أمزح أبداً بشأن الأعمال التجارية. لقد بعتُ عشرات التطويلات للعضو التناسلي، وبقوا يسمّونني *الكبير* في أريزونا لبعض الوقت. أنني أكلّمك بكل صراحة، لكن لحسن حظي أنني لا أطلب منك ولا أتوقعك أن تصدِّقني. غالباً ما يريد الرجال القِصار تطويلاً للطول. وإذا كنتَ *تريد* مزيداً من الشعر يا سيد ستريتر، سيسرّني أن أبيعك تطويلاً للشعر".

"هل يستطيع رجلٌ لديه أنف كبير - مثل جيمي دورانتي - الحصول على أنف أصغر؟".

هزَّ ألڤيد رأسه مبتسماً. "أنت الآن مَن يمزح. الجواب هو لا. إذا كنت بحاجة إلى تقصير، عليك الذهاب إلى مكان آخر. أنا متخصِّص في التطويلات فقط، وهذا منتَج أميركي صافٍ. لقد بعتُ تطويلات للحب، تسمّى أحياناً *جرعات*، إلى أشخاص محرومين من الحب، وتطويلات للقروض إلى أشخاص يعانون من نقص شديد في المال - وهم كثر في هذا الاقتصاد - وتطويلات للوقت إلى أشخاص لديهم موعد نهائي وشيك، وفي إحدى المرات تطويلاً للعين إلى شخص أراد أن يصبح طيّاراً في سلاح الجو وكان يعرف أنه لا يمكنه النجاح في اختبار البصر".

كان ستريتر يبتسم من المتعة. كان ليقول إن الاستمتاع أصبح أمراً بعيداً عن متناوله الآن، لكن الحياة مليئة بالمفاجآت.

كان ألڤيد يبتسم أيضاً، كما لو أنهما يتشاركان نكتة ممتازة. "وفي إحدى المرات"، قال، "لوَّحت بتطويلٍ للواقع أمام رسام - رجل موهوب جداً - كان ينزلق في فِصام الارتياب. كان *ذلك* مُكلفاً".

"كم؟ إذا سمحتُ لنفسي أن أسأل؟".

"إحدى لوحاته، التي تزيِّن منزلي الآن. ستعرف الإسم؛ مشهور في النهضة الإيطالية. الأرجح أنك درَسته لو أخذت مقرّراً تعليمياً في تقدير الفنون في الكلية".

استمر ستريتر يبتسم، لكنه خطا خطوة إلى الوراء، من باب الاحتياط فقط لا غير. لقد تقَبَّل حقيقة أنه سيموت، لكن ذلك لا يعني أنه أراد أن يموت اليوم، على يد هاربٍ محتملٍ من مصحّ جونيبر هيل للمجانين الجنائيين في أوغستا. "ماذا نقول إذاً؟ أنك شخص... لا أعرف... لا يموت؟".

"معمَّر طويلاً، بالطبع"، قال ألفيد. "وأظن أن هذا يأخذنا إلى ما يمكنني أن أفعله لك. سيُعجبك على الأرجح تطويلٌ *للحياة*".

"لا يمكن فعل هذا، أليس كذلك؟"، سأل ستريتر. كان يحتسب في ذهنه المسافة للعودة إلى سيارته، وكم من الوقت سيستغرق ذلك.

"بالطبع يمكن فعله... لقاء ثمن".

ستريتر، الذي كان قد لعِب الكثير من مباريات السكرابل في حياته، تخيَّل مسبقاً أحرف إسم ألفيد على قِطع وأعاد ترتيبها. "المال؟ أو ربما نتكلم عن شبحي؟".

لوَّح ألفيد بيده وأرفقَ تلك الإيماءة بشقلبة خبيثة من عينيه. "على رأي المثل، لن أعرف شبحاً حتى ولو وقف أمامي مباشرة. لا، المال هو الجواب، كالعادة دائماً. خمسة عشر بالمئة من مدخولك طوال السنوات الخمسة عشرة القادمة. يمكنك اعتباره أجر وكيلٍ".

"هذا هو طول تطويلي؟". راح ستريتر يُمعِن التفكير بفكرة خمس عشرة سنة بطمعٍ حزينٍ. بدت المدة طويلة جداً، خاصة عندما قارنها بما ينتظره في الواقع: ستة أشهر من التقيؤ، وزيادة في الألم والغيبوبة والموت. زائد نعي سيتضمن بلا شك جملة "بعد صراع طويل وشجاع مع السرطان". كذا وكذا، مثلما قالوا في حلقة ساينفلد.

رفعَ ألفيد يديه إلى كتفَيه في إيماءة "مَن يعرف" صريحة. "قد تكون عشرين سنة. لا يمكن الجزم بذلك؛ فهذا ليس علم الصواريخ. لكن إذا كنتَ تتوقع عدم الموت أبداً، فأنت تحلم. أنا أبيع تطويلاً معقولاً فقط لا غير. وهذا أفضل ما أقدر عليه".

"هذا يناسبني"، قال ستريتر. فقد أبهَجه الرجل، وإذا كان بحاجة

إلى رجل موثوق، كان ستريتر مستعداً ليلتزم بذلك. إلى حد ما، على أي حال. مستمراً في الابتسام، مدَّ يده فوق طاولة ورق اللعب. "خمسة عشر بالمئة، خمس عشرة سنة. رغم أنه من واجبي إخبارك أن خمسة عشر بالمئة من راتب مساعد مدير مصرف لن تضعك خلف مِقوَد رولز رويس. جيو، ربما، لكن -"

"هذا ليس كل شيء"، قال ألفيد.

"بالطبع ليس كل شيء"، قال ستريتر. تنهَّد وسحَب يده. "لقد سرّني جداً التحدّث معك يا سيد ألفيد، وقد وضعتَ إشراقةً في مسائي، وكنتُ أظنّ أن هذا مستحيلاً، وآمل أن تحصل على مساعدة لمشكلتك الذهنية -"

"اصمت أيها الغبي"، قال ألفيد، ورغم أنه كان لا يزال يبتسم، إلا أنه لم يكن هناك أي لطف في ابتسامته الآن. بدا أطول فجأة - أطول بثماني سنتيمترات على الأقل - ولم يعد قصيراً وبديناً.

إنه الضوء، فكَّر ستريتر في سرّه. *ضوء الغروب مخادع*. والرائحة البغيضة التي لاحَظها فجأة كانت على الأرجح مجرد رائحة احتراق وقود الطيران، وقد وصلت إلى هذا المربع الصغير المرصوف بالحصى خارج السياج السلكي بسبب نسمة رياح تائهة. كل شيء منطقي... لكنه صمتَ مثلما قيل له.

"لماذا سيحتاج رجلٌ أو امرأةٌ إلى تطويلٍ؟ هل سألت نفسك هذا يوماً ما؟".

"بالطبع سألتُ نفسي"، قال ستريتر ببعض الحدّة. "أنا أعمل في مصرف يا سيد ألفيد - مصرف دِيري للتوفير. والناس يطلبون مني تطويلاً لأمد قروضهم طوال الوقت".

"إذاً أنت تعرف أن الناس يحتاجون إلى *تطويلات* للتعويض عن عجزهم - إئتمان قصير، عضو تناسلي قصير، بصر قصير، الخ".

"أجل، إنه عالم مليء بالأشياء القصيرة"، قال ستريتر.

"تماماً. لكن حتى للأشياء غير الموجودة وزناً. وزن *سلبي*، وهو أسوأ الأنواع. الوزن الذي يُرفَع عن كاهلك يجب أن يذهب إلى مكان آخر. إنها قواعد الفيزياء البسيطة. يمكننا القول الفيزياء *النفسية*".

دَرَس ستريتر ألفيد بافتتانٍ. وقد زال ذلك الانطباع الوجيز جداً بأن الرجل أصبح أطول (وأنه يوجد عدد كبير من الأسنان في ابتسامته). كان هذا مجرد رجل قصير وبدين لديه على الأرجح بطاقة مريض غير مقيم خضراء في محفظته - إن لم تكن صادرة عن جونيبر هيل، فهي مصحّة أكاديا الذهنية في بانغور إذاً. هذا إذا كانت لديه محفظة. وبالطبع لديه حالة متقدمة جداً من وهم الجغرافيا، وهذا يجعله دراسةً مثيرةً للاهتمام.

"هل يمكنني أن أدخل صُلب الموضوع يا سيد ستريتر؟".

"رجاءً".

"عليك نقل الوزن. وبكلمات ذات مقطع لفظي واحد، عليك إلقاء القذارة على شخص آخر إذا كنتَ تريد رفعها عنك".

"فهمتُ". لقد عاد ألفيد إلى الرسالة، والرسالة كلاسيكية.

"لكن لا يمكنه أن يكون أي شخص. لقد جُرِّبَت التضحية المجهولة في السابق، وهي لا تنجح. يجب أن يكون شخصاً تكرهه. هل هناك شخص تكرهه يا سيد ستريتر؟".

"لستُ مغرماً جداً بالرئيس كيم جونغ إل"، قال ستريتر. "وأعتقد

أن السجن غير كافٍ للأوغاد الأشرار الذين فجَروا المدمِّرة يو أس أس كول، لكنني لا أظن أنهم سوف -"

"كن جدّياً أو انصرف"، قال ألڤيد، وبدا أطول مرة أخرى. تساءل ستريتر إن كان هذا تأثيرٌ جانبيٌ غريبٌ للأدوية التي يتناولها.

"إذا كنتَ تقصد في حياتي الشخصية، فأنا لا أكره أحداً. هناك أشخاص لا *يروقون* لي - جارتي السيدة دنبرو في الشقة المقابلة تُخرِج صفائح نفاياتها من دون أغطية، وإذا هبّت الرياح، تتطاير الفضلات إلى كل أرجاء فنائي -"

"إذا سمحتُ لنفسي باقتباس المرحوم دينو مارتينو بشكل خاطئ يا سيد ستريتر، فإن كل شخص يكره شخصاً آخر أحياناً".

"ويل روجرز قال -"

"كان ملفِّق أخبار يرتدي قبعته حول عينيه مثل ولد صغير يلعب دور راعي بقر. بالإضافة إلى ذلك، إذا كنت لا تكره أحداً حقاً، فلا يمكننا إتمام أي صفقة بيننا".

فكَّر ستريترلقد ملياً. ثم أخفَض نظره إلى حذائه وتكلَّم بصوت منخفض بالكاد أدرك أنه صوته. "أظن أنني أكره توم غُودهيو".

"مَن هو في حياتك؟".

تنهَّد ستريتر. "أفضل صديق لي منذ مدرسة النحو".

سادت لحظة صمت قبل أن يبدأ ألڤيد بالضحك بصوتٍ عالٍ. خطا خطوات كبيرة حول طاولة ورق لعبه، وربَّت على ظهر ستريتر (بيد باردة وأصابع بدت طويلة ورفيعة بدلاً من قصيرة وبدينة)، ثم خطا خطوات كبيرة عائداً إلى كرسيه. رمى نفسَه عليه، وهو لا يزال يشخر

ويهدر. كان وجهه أحمر، وبدت الدموع المنهمرة على وجهه حمراء أيضاً - دموية، في الواقع - في ضوء الغروب.

"أفضل... منذ مدرسة... آه، هذا...".

لم يعد ألفيد قادراً على إمساك نفسه. فدخل في نوبات عويل وتشنّجات، وراح ذقنه (الحاد بشكل غريب بالنسبة لهكذا وجه بدين) يومئ وينحني أمام سماء الصيف البريئة (لكن المظلمة). ثم تمالك نفسه في النهاية. وفكَّر ستريتر بأن يعرض عليه منديله، وقرّر أنه لا يريده أن يلمس بشرة بائع التطويلات.

"ممتاز يا سيد ستريتر"، قال. "يمكننا عقد صفقة".

"هذا رائع"، قال ستريتر، وخطا خطوة أخرى إلى الوراء. "إنني أستمتع بسنواتي الخمسة عشرة الإضافية منذ الآن. لكنني ركنتُ سيارتي في ممر الدرّاجات، وهذه مخالفة لقانون المرور. يمكن أن أنال مخالفة".

"لا تقلق بشأن هذا"، قال ألفيد. "ربما تكون قد لاحظت أنه لم تمرّ أي سيارة *مدنية* منذ أن بدأنا حديثنا، ناهيك عن سيارة شرطة. حركة المرور لا تتدخَّل بأعمالي أبداً عندما أنكبّ على عقد صفقة جدّية مع رجل جدّي أو امرأة جدّية؛ أنا أضمن ذلك".

نظر ستريتر حوله بانزعاج. كان ذلك صحيحاً. يمكنه سماع حركة المرور في شارع ويتشام المتوجّهة إلى أمايل هيل، لكن هنا، كانت دِيري مهجورة تماماً. *بالطبع*، ذكَّر نفسه، *حركة المرور خفيفة هنا دائماً عندما ينتهي يوم العمل*.

لكن *غائبة*؟ *غائبة* كلياً؟ قد تتوقع ذلك خلال منتصف الليل، لكن ليس عند السابعة والنصف مساءً.

"أخبرني لماذا تكره أعزّ أصدقائك"، دعاه ألفيد.

ذكَّر ستريتر نفسه مرة أخرى أن هذا الرجل مجنون. أي شيء يقوله ألفيد لن يكون صادقاً. كانت هذه الفكرة محرِّرة.

"كان توم أكثر وسامة عندما كنا صغاراً، وهو أكثر وسامة بكثير الآن. وهو بارع في ثلاث رياضات؛ بينما الرياضة الوحيدة التي أبرع فيها قليلاً فقط هي الغولف المصغَّرة".

"لا أعتقد أنه توجد فرقة تشجيع لهكذا رياضة"، قال ألفيد.

ابتسم ستريتر بتجهّم، وهو يمهِّد لموضوعه. "توم ذكي جداً، لكنه تكاسل في الدراسة في ثانوية دِيري. كانت طموحاته لدخول الكلية معدومة. لكن عندما انخفضت علاماته بما يكفي لتعريض أهليته الرياضية للخطر، أُصيب بالذعر. ثم مَن تلقى مكالمةً؟".

"أنتَ!"، صاح ألفيد. "السيد المسؤول العزيز! لقد درَّسته، أليس كذلك؟ وربما كَتَبت له بعض المقالات أيضاً؟ مع تأكدك من ارتكاب نفس الأخطاء الإملائية التي اعتاد أساتذة توم على رؤيته يرتكبها؟".

"تماماً. في الواقع، عندما أصبحنا في السنة المدرسية الأخيرة – السنة التي نال فيها توم جائزة الرياضي في ولاية ماين – كنتُ عبارة عن *طالبين* في الواقع: دايف ستريتر وتوم غُودهيو".

"هذا صعب".

"هل تعرف ما هو أصعب؟ كانت لديَّ حبيبة. فتاة جميلة تدعى نورما ويتن. شعر بني داكن وعينان بنيتان، بشرة خالية من العيوب، عظام وجنية جميلة –"

"صدرٌ لا يتوقف عن –"

"نعم بالفعل. لكن إذا وضعنا الجاذبية الجسدية جانباً –"

"طبعاً أنتَ لم تضع الجاذبية الجسدية جانباً أبداً –"

"– كنتُ أحبّ تلك الفتاة. هل تعرف ماذا فعل توم؟".

"سرقها منك!"، قال ألفيد بسخط.

"صحيح. جاء الاثنان إليّ، واعترفا بآثامهما".

"يا له من تصرّف نبيل!".

"ادّعيا أنهما لم يكونا قادرين على منع نفسيهما من فعل ذلك".

"ادّعيا أنها يحبّان بعضهما، أنهما *منغرمان*".

"نعم. قوة الطبيعة. هذا الشيء أكبر من كلينا. الخ".

"دعني أتكهّن. جعلها حاملاً".

"بالفعل". كان ستريتر ينظر إلى حذائه مرة أخرى، وتذكّر تنورةً محدَّدةً كانت نورما ترتديها عندما كانت طالبة في السنة المدرسية الثانية أو الثالثة. كانت مشقوقة لتُظهر القليل فقط من ملابسها الداخلية. كان هذا منذ ثلاثين سنة تقريباً، لكنه لا يزال يتذكّر تلك الصورة أحياناً عندما يجامِع جانيت. لم يجامِع نورما أبداً – ليس بشكل كامل، على أي حال؛ فهي لم تكن تسمح له. رغم أنها كانت متلهّفة كفاية لتُنزل سروالها لتوم غُودهيو. *الأرجح في أول مرة طلب منها ذلك.*

"وتركها مع كعكةٍ في الفرن".

"لا". تنهَّد ستريتر. "لقد تزوَّجها".

"ثم طلَّقها! ربما بعد أن أشبعها ضرباً؟".

"أسوأ من ذلك. لا يزالان متزوجين. ثلاثة أولاد. عندما تراهما يسيران في حديقة باسي، يكونان ممسكين يدَي بعضهما عادة".

"هذا أسوأ شيء سمعتُه في حياتي. ولا يوجد الكثير الذي يمكن أن يجعله أسوأ. إلا إذا...". نظر ألڤيد إلى ستريتر بدهاء تحت حاجبين كثيفين. "إلا إذا كنتَ أنتَ مَن يجد نفسه مجمَّداً في جبل جليد زواجٍ خالٍ من أي حب".

"على الإطلاق"، قال ستريتر متفاجئاً من الفكرة. "أحبّ جانيت كثيراً، وهي تحبني. طريقة وقوفها بجانبي خلال هذا السرطان مذهلة تماماً. إذا كان هناك أي تناغم في الكون، فسأكون وتوم قد حصلنا على أفضل شريكة لكلينا. تماماً. لكن...".

"لكن؟"، نظر إليه ألڤيد بلهفة مبتهجة.

أدرك ستريتر فجأة أن أظافره تنغرس في راحتَي يديه. وبدلاً من إرخاء قبضتيه، شدَّ أكثر. شدَّ أكثر إلى أن شعَر بقطرات دم عليهما. "لكن *اللعين سرقها* مني!". وهذا كان يأكله منذ سنوات، وشعَر براحة من قول ذلك بصوتٍ عالٍ.

"بالفعل، ولا نتوقف أبداً في رغبة ما نريده، سواء كان جيداً لنا أم لا. ألا توافقني الرأي يا سيد ستريتر؟".

لم يردّ ستريتر بأي كلمة. كان يتنفس بصعوبة، مثل رجل ركض للتو خمسين متراً أو انخرط في عراك في الشارع. طافت نقاط ألوان صغيرة حادّة على خدّيه الشاحبين سابقاً.

"وهل هذا كل شيء؟"، قال ألڤيد بنبرة لطيفة هادئة.

"لا".

"فضفِض كل شيء إذاً. أفرِغ تلك البثرة".

"إنه مليونير. لا يجب أن يكون كذلك. في أواخر الثمانينات –

بعد فترة قصيرة من الفيضان اللعين الذي كاد يمسَح البلدة عن الخريطة - أسَّس شركة نفايات... لكنه سمّاها دِيري لإزالة المخلّفات وإعادة تصنيعها. هذا إسم أجمل".

"أقل امتلاءً بالجراثيم".

"أتى إليَّ ليقترض مني، ورغم أن الاقتراح بدا متزعزعاً للجميع في المصرف، إلا أنني أيّدته. هل تعرف *لماذا* أيّدته يا ألفيد؟".

"طبعاً! لأنه صديقك!".

"تكهّن مرة أخرى".

"لأنك اعتقَدت أنه سيفشل ويغرق في الديون".

"صح. صرف كل مدّخراته ليشتري أربع شاحنات نفايات، ورهَن منزله ليشتري قطعة أرض عند أطراف بلدة نيوبورت. لمكبّ النفايات. من النوع الذي يملكه رجال عصابات نيوجيرسي ليغسلوا فيه أموالهم من تجارة المخدرات والدعارة ويستخدموه ليطمروا فيه جثث ضحاياهم. وجدتُ ذلك ضرباً من الجنون ولم أكن أستطيع الانتظار لأمنحه القرض. لا يزال يحبّني مثل أخ له. ولا يكفّ عن إخبار الناس كيف واجهتُ إدارة المصرف وعرَّضتُ وظيفتي للخطر. 'دايف حملني، تماماً مثلما فعل في الثانوية'، يقول. هل تعرف ماذا يسمّي الأولاد في البلدة مكبّ نفاياته الآن؟".

"أخبرني!".

"جبل تراشمور! إنه ضخم! لن أتفاجأ إذا كان مُشعّاً! صحيح أنه مغطّى بتربة خضراء، لكن هناك لافتات 'ممنوع الدخول' حول كل جهاته، وهناك على الأرجح جرذان ماهاتن تحت ذلك العشب

الأخضر اللطيف! الجرذان مُشعّة أيضاً على الأرجح!".

توقّف عن الكلام، مُدركاً أنه يبدو مضحكاً، ولا يكترث. كان ألفيد مجنوناً، لكن - مفاجأة! تبيَّن أن ستريتر مجنون أيضاً! على الأقل فيما يتعلق بصديقه القديم. كما أنه...

السرطان يكشف الحقيقة، فكَّر ستريتر.

"لذا دعنا نلخِّص". بدأ ألفيد يعدّد النقاط على أصابعه، التي لم تكن طويلة أبداً بل قصيرة وبدينة، وغير كريهة مثل بقيته. "كان توم غُودهيو أكثر وسامة منك، حتى عندما كنتما صغيرين. وكان يملك مواهب رياضية لا يمكنك سوى أن تحلم بامتلاكها. والفتاة التي أبقت فخذَيها البيضاوين الناعمين مُغلقين في المقعد الخلفي لسيارتك فتحتهما لتوم. وتزوَّجا. ولا يزالان يحبان بعضهما. وأظن أن الأولاد بخير، أليس كذلك؟".

"بصحة جيدة وجميلين!"، صاح ستريتر. "أحدهم متزوِّج، وأحدهم في الكلية، والثالث في الثانوية! إنه كابتن فريق كرة القدم! الولد سرّ أبيه!".

"صحيح. و- حبّة الكرز على قالب الشوكولا - إنه غني وأنت تجهد لتدبّر أمورك الحياتية براتب ستين ألفاً تقريباً في السنة".

"نلتُ علاوةً لمنحه القرض"، تمتم ستريتر. "*لبعد نظري*".

"لكن ما كنت تريده في الواقع هو ترقيةً".

"كيف تعرف ذلك؟".

"أنا رجل أعمال الآن، لكنني كنتُ موظفاً متواضعاً في فترة من الفترات. وطُردتُ قبل أن أستقلّ في عملي. كان ذلك أفضل شيء

حصل لي. أعرف كيف تسير هذه الأمور. هل من شيء آخر؟ من الأفضل أن تريح صدرك منه أيضاً".

"يشرب شراب شعير صنف الدجاجة المرقَّطة!"، صاح ستريتر.

"لا أحد في دِيري يشرب هذا الصنف الرنّان اللعين! فقط هو! فقط توم غُودهيو، ملك النفايات!".

"هل يملك سيارة رياضية؟"، سأل ألفيد بهدوء، بكلمات مبطَّنة بحرير.

"لا. لو فعل ذلك، لكنتُ استطعتُ على الأقل أن أهزأ مع جانيت حول سن يأس السيارات الرياضية. إنه يقود رانج روفر لعينة".

"أعتقد أنه قد يكون هناك شيء واحد آخر"، قال ألفيد. "إذا كان الأمر كذلك، من الأفضل أن تريح صدرك منه أيضاً".

"ليس مُصاباً بالسرطان"، قال ستريتر همساً تقريباً. "إنه في الحادية والخمسين، مثلي تماماً، وصحته... اللعينة... *ممتازة*".

"وأنتَ أيضاً"، قال ألفيد.

"ماذا؟".

"لقد تم الأمر يا سيد ستريتر. أو، بما أنني شفيتُ لك سرطانك، مؤقتاً على الأقل، هل يمكنني أن أناديك دايف؟".

"أنت رجل مجنون جداً"، قال ستريتر، ليس من دون إعجابٍ.

"لا يا سيدي. أنا عاقل تماماً. لكن لاحظ أنني قلتُ *مؤقتاً*. نحن الآن في مرحلة 'جرّبه، ستشتريه' في علاقتنا. وستدوم أسبوعاً على الأقل، وربما عشرة أيام. ألحّ عليك أن تزور طبيبك. أعتقد أنه سيجد تحسّناً باهراً في حالتك. لكن ذلك لن يدوم. إلا إذا...".

"إلا إذا؟".

مال ألڤيد إلى الأمام، مبتسماً بشكل ودود. بدت أسنانه مرة أخرى كثيرة (وكبيرة جداً) لفمه غير الكريه. "أظهر هنا من وقت لآخر"، قال. "في مثل هذا الوقت من اليوم عادة".

"قبل الغروب مباشرة".

"بالضبط. معظم الناس لا يلاحظونني - ينظرون عبري إذا لم أكن هناك - لكنك ستنظر. أليس كذلك؟".

"إذا كانت حالي أفضل، سأفعل ذلك بالطبع"، قال ستريتر.

"وستُحضِر لي شيئاً".

اتّسعت ابتسامة ألڤيد، ورأى ستريتر شيئاً مدهشاً فظيعاً: لم تكن أسنان الرجل كبيرة جداً أو كثيرة جداً فحسب. كانت حادّة.

كانت جانيت تطوي الملابس في غرفة الغسيل عندما عاد. "ها أنت"، قالت. "بدأتُ أقلق عليك. هل كانت قيادتك لطيفة؟".

"نعم"، قال. وتفحّص مطبخه. بدا مختلفاً. بدا مثل مطبخ في حلم. ثم أضاء ضوءاً، وذلك كان أفضل. ألڤيد كان الحلم. ألڤيد ووعوده. مجرد معتوه في زيارةٍ لمصحّة أكاديا.

أتت إليه وقبّلت خده. كانت متورّدة من حرارة المجفّف وجميلة جداً. كانت في الخمسين من عمرها، لكنها بدت أصغر بسنوات. شعَرَ ستريتر أنها ستعيش حياة سعيدة على الأرجح بعد أن يموت. وخمَّن أنه سيكون لماي وجاستن زوج أُمٍ في المستقبل.

"تبدو جيداً"، قالت. "هناك بعض اللون على وجهك في الواقع".

"حقاً؟".

"أجل". وابتسمت له ابتسامة تشجيع كانت منزعجة في الخفاء. "تعال وكلّمني بينما أطوي بقية هذه الأشياء. الأمر مُضجر جداً".

تبَعها ووَقَف عند باب غرفة الغسيل. كان يدرك أن عليه ألا يعرض مساعدته؛ فقد قالت إنه يطوي حتى مناشف الأطباق بالطريقة الخطأ.

"جاستن اتصل"، قالت. "إنه في البندقية مع كارل. في نُزُل للشباب. قال إن سائق سيارة أجرتهم يتكلَّم الإنكليزية بشكل جيد جداً. إنه يستمتع بوقته".

"رائع".

"كنتَ محقاً بإبقاء خبر التشخيص لنفسك"، قالت. "كنتَ محقاً وكنتُ مخطئةً".

"حدثٌ يحصل لأول مرة في زواجنا".

جعَّدت أنفها له. "كان جاسّ يتطلّع بقوة ليقوم بهذه الرحلة. لكن عليك أن تُخبره عندما يعود. وماي قادمة من سيرزبورت لحضور عرس غرايسي، وذلك سيكون الوقت المناسب". غرايسي كانت غرايسي غُودهيو، الإبنة الكبرى لتوم ونورما. وكارل غُودهيو، رفيق جاستن في السفر، الإبن الأوسط.

"سنرى"، قال ستريتر. كان لديه أحد أكياس التقيؤ في جيبه الخلفي، لكنه لم يشعر أبداً بعدم الرغبة بالتقيؤ مثل الآن. وما شعر برغبةٍ بفعله هو أن يأكل. لأول مرة منذ عدة أيام.

لم يحصل شيء هناك - أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟ هذا مجرد

"مثل خط شعري"، قال.

"ماذا قلت يا حبيبي؟".

"لا شيء".

"آه، وبمناسبة الحديث عن غرايسي، نورما اتصلت. ذكَّرتني أنه دورهم في دعوتنا إلى العشاء في منزلهم ليلة الخميس. قلتُ إنني سأسألك، لكنك مشغول جداً في المصرف، تعمل لساعات متأخرة، كل تلك الرهون العقارية السيئة. لم أعتقد أنك سترغب برؤيتهم".

كان صوتها عادياً وهادئاً كالمعتاد، لكنها انفجرت بالبكاء فجأة وسالت الدموع على خدّيها. يصبح الحب مملاً في السنوات اللاحقة للزواج، لكنه تضخَّم الآن مثلما كان في الأيام الأولى، حيث يعيشان في شقة رديئة في شارع كوسوث، ويجامعان بعضهما أحياناً على سجادة غرفة الجلوس. دخلَ غرفة الغسيل، وأخذ القميص الذي كانت تطويه من يديها، وعانَقها. عانَقته بدورها بقوة.

"هذا صعب وظالم جداً فحسب"، قالت. "سنتخطاه. لا أعرف كيف، لكننا سنتخطاه".

"هذا صحيح. وسنبدأ بأن نتناول العشاء مع توم ونورما ليلة الخميس، تماماً مثلما نفعل دائماً".

تراجعت إلى الخلف، ونظرت إليه بعينيها الرطبتين. "هل ستُخبرهما؟".

"ونُفسد العشاء؟ لا".

"هل ستكون قادراً على أن تأكل من الأصل؟ من دون...".

وَضَعت إصبعين على شفتيها المُغلقتين، ونَفَخت خدّيها، وحَوَلت عينيها: إيماءة هزلية قصَدَت بها التقيؤ جعلت ستريتر يبتسم.

"لا أعرف بشأن الخميس، لكن يمكنني أن آكل شيئاً الآن"، قال. "هل لديك مانع إن دلَّلتُ نفسي بهمبرغر؟ أو يمكنني الخروج إلى ماكدونالد... وربما أحضِر لك حلوى شوكولا...".

"يا إلهي"، قالت ومسَحت عينيها. "هذه أعجوبة".

"لن أعتبرها أعجوبة، بالضبط"، قال الدكتور هندرسون لستريتر بعد ظهر الأربعاء. "لكن...".

كان قد مرّ يومان منذ أن ناقش ستريتر مسائل الحياة والموت تحت مظلّة السيد ألفيد الصفراء، ولا يزال هناك يوم واحد على عشاء آل ستريتر الأسبوعي مع آل غُودهيو، الذي سيجري هذه المرة في المسكن الأخطبوطي الذي يسمّيه ستريتر أحياناً "المنزل الذي شيّدته النفايات". لم تكن المحادثة تجري في عيادة الدكتور هندرسون، بل في غرفة معاينة طبية صغيرة في مستشفى دِيري. حاوَل هندرسون أن يثني ستريتر عن إجراء تصوير بالرنين المغنطيسي، مُخبراً إياه أن تأمينه لن يغطي الكلفة وستأتي النتائج مخيّبة للآمال بالتأكيد. لكن ستريتر أصَرَّ.

"لكن ماذا يا رودي؟".

"يبدو أن الأورام انكمَشت، ورئتاك تبدوان صافيتين. لم أر هكذا نتيجة أبداً، وكذلك الطبيبان الآخران اللذان أحضَرتُهما لينظرا إلى الصور. الأهم – وهذا بيني وبينك حصراً – فنّي التصوير بالرنين المغنطيسي لم ير أي شيء مماثل أبداً، وأنا أثق بهؤلاء الأشخاص حقاً. يعتقد أن السبب وجود خطأ في كمبيوتر الآلة على الأرجح".

"لكنني أشعر بتحسّن"، قال ستريتر، "لهذا السبب طَلَبتُ إجراء الفحص. هل هذا خطأ في الآلة؟".

"هل تتقيأ؟".

"تقيأتُ مرتين"، اعترف ستريتر، "لكنني أعتقد أن العلاج الكيميائي هو السبب. بالمناسبة، سأتوقف عن الخضوع له مؤقتاً".

عبَس رودي هندرسون. "هذا قرار غير حكيم أبداً".

"القرار غير الحكيم كان الخضوع له من الأصل يا صديقي. ستقول لي، 'آسف يا دايف، لكن فرص أن تموت قبل أن يتسنّى لك الاحتفال بذكرى الحبّ تتخطى التسعين في المئة، لذا سنُفسد الوقت المتبقي لك عبر ملء جسمك بالسموم. قد تشعر أسوأ إذا حقَنتُك ببعض الطين من مكبّ نفايات توم غُودهيو، لكن على الأرجح لا'. وأنا المغفَّل وافقتُك".

بدا هندرسون مستاءً. "العلاج الكيميائي هو أفضل آخر أمل لـ-"

"لا تستخدم كلاماً فارغاً مع ملك الكلام الفارغ"، قال ستريتر مع ابتسامة لطيفة. وأخذ نَفَساً عميقاً دخلَ حتى أعماق رئتيه. كان شعوره *رائعاً*. "عندما يكون السرطان عدوانياً، لا يكون العلاج الكيميائي للمريض. بل هو مجرد عذاب إضافي يعاني منه المريض لكي يتمكن الأطباء والأنسباء معانقة بعضهم البعض فوق تابوته عندما يموت ويقولون 'لقد فعلنا كل ما في وسعنا'".

"هذا فظّ"، قال هندرسون. "أنت تعرف أنك معرَّض لانتكاسة، أليس كذلك؟".

"قُل هذا للأورام"، قال ستريتر. "التي لم تعد موجودة".

نظرَ هندرسون إلى صور ستريتر التي كانت لا تزال معروضة على شاشة قاعة المؤتمرات وتنهّد. كانت صوراً جيدةً، وحتى ستريتر عرَف ذلك، لكن بدا أنها أحزنت طبيبه.

"اهدأ يا رودي". قال ستريتر بلطف، مثلما كان سيتكلّم يوماً مع ماي أو جاستن إذا ضيّعا أو حطّما لعبةً مفضّلةً. "المصائب تحصل؛ والأعاجيب أيضاً تحصل أحياناً. لقد قرأتُ هذا في ريدرز دايجست".

"حسب خبرتي، لم تحصل أي أعجوبة أبداً في جهاز التصوير بالرنين المغنطيسي". أمسك هندرسون قلمه وضربه بلطف بملف ستريتر، الذي ازدادت سماكته بشكل كبير في الأشهر الثلاثة الماضية.

"هناك مرة أولى لكل شيء"، قال ستريتر.

مساء الخميس في دِيري؛ غسق ليلة صيف. الشمس الغاربة ترمي أشعتها الحمراء الحالِمة على الفدادين الثلاثة المجزوزة والمروية جيداً التي يملك توم غُودهيو الخفّة ليسمّيها "الفناء الخارجي القديم". جلس ستريتر على كرسي حديقة في الفناء، وراح يستمع إلى طرطقة الأطباق وضحك جانيت ونورما وهما تملآن غسّالة الأطباق.

فناء؟ هذا ليس فناء، بل ما يسمّيه المولَع بقناة التسوّق نعمةً.

حتى إنه كانت هناك نافورة في وسطها ولد من رخام. لكن أكثر ما أزعج ستريتر نوعاً ما كان الطفل البريء العاري (الذي يبوِّل، بالطبع). كان أكيداً أنها فكرة نورما – فقد عادت إلى الكلية لتحصل على شهادة في الفنون المتحرِّرة، وكانت لديها إدعاءات كلاسيكية غير كافية – لكن ومع ذلك فإن رؤية شيء كهذا هنا في التوهّج المُحتضَر لمساء ماين مثالي ومعرفة وجوده كانت نتيجة احتكار توم للنفايات...

وعلى ذكر الذئب (*أو الفيل، إذا كنتَ تفضّل ذلك أكثر*، فكَّر ستريتر في سرّه)، دخلَ ملك النفايات حاملاً عنقَي زجاجتَي شراب شعير متعرّقتين من صنف الدجاجة المرقَّطة بين أصابع يده اليسرى. بجسمه النحيل في قميصه أكسفورد ذي العنق المفتوح وسرواله الجينز الباهت، وبوجهه الهزيل المُضاء تماماً في توهّج الغروب، بدا توم غُودهيو مثل عارض أزياء في إعلان بمجلة عن شراب الشعير. حتى إن ستريتر كان قادراً على رؤية الإعلان: *عِش الحياة الجيدة، واشرب الدجاجة المرقَّطة*.

"فكَّرتُ أنك قد ترغب بواحدة باردة، بما أن زوجتك الجميلة تقول إنها مَن سيقود السيارة".

"شكراً". أخذ ستريتر إحدى الزجاجتين، ووضعها على شفتيه، وشرِب. رنّانة أم لا، كان مذاقها لذيذاً.

بينما كان غُودهيو يجلس، ظهر جاكوب لاعب كرة القدم ومعه طبق جبن ورقائق بسكويت هشّ. كان عريض الكتفين ووسيماً على غرار توم في الماضي. *الأرجح أن المشجّعات يتنافسن عليه*، فكَّر ستريتر في سرّه. *والأرجح أنه يضطر إلى إبعادهن عنه بالقوة*.

"فكَّرت أمي أنك قد تحبّ هذه"، قال جاكوب.

"شكراً يا جايك. هل ستخرج؟".

"لبعض الوقت فقط. أرمي صحن الفريسبي مع بعض الشباب في الحديقة إلى أن يحلّ الظلام، ثم ادرس".

"ابق في هذه الجهة. لقد عاود اللبلاب السام النمو هناك".

"أجل، نعرف. لمسَهُ دينيه عندما كنا في الإعدادية، وكانت حالته سيئة لدرجة أن أمه ظنّت أنه يعاني من السرطان".

"تباً!"، قال ستريتر.

"لا تُسرع في القيادة يا بُنيّ. ولا تتباهى بنفسك".

"طبعاً". وضع الفتى ذراعاً حول أبيه وقبّل خدّه بانعدام وعي ذاتي وجده ستريتر مسبّباً للكآبة. لم يكن لدى توم صحة جيدة فقط، وزوجة لا تزال فاتنة، وطفل بريء مضحك يبوّل؛ بل إبن وسيم في الثامنة عشرة لا يزال يشعر أنه من الطبيعي توديع أبيه بقبلة قبل خروجه مع أصدقائه.

"إنه فتى مؤدَّب"، قال غُودهيو بحنان، وهو يراقب جاكوب يصعد الدرجات إلى المنزل ويختفي في الداخل. "يدرس جيداً وينال علامات عالية، خلافاً لإبيه. لحسن حظي أنك كنتَ معي".

"من حسن حظنا"، قال ستريتر وهو يبتسم ويضع بعض الجبنة على رقاقة بسكويت هشّ. ثم رماها في فمه.

"يسرّني أن أراك تأكل يا صديقي"، قال غُودهيو. "بدأتُ أتساءل ونورما إن كانت لديك أي مشكلة صحية".

"أبداً أبداً"، قال ستريتر، وشرِب المزيد من شراب الشعير اللذيذ (والمُكلف بلا شك). "لكنني كنتُ أفقد شعري من الجهة الأمامية. جانيت تقول إن هذا يجعلني أبدو أنحف".

"هذا شيء لا تضطر السيدات إلى القلق بشأنه"، قال غُودهيو، ثم مرَّر يده في شعره، الذي كان كثيفاً على غرار ما كان عليه في الثامنة عشرة من عمره. ولم تكن فيه أي شعرة رمادية أيضاً. كانت جانيت ستريتر لا تزال قادرة على أن تبدو في الأربعين من عمرها في يوم جيد، لكن في الضوء الأحمر للشمس الغاربة، كان ملك النفايات يبدو في الخامسة والثلاثين من عمره. لم يكن يدخّن، ولا يُفرط في تناول

الشراب، ويتمرَّن في نادٍ صحي يتعامل تجارياً مع مصرف ستريتر لكن ستريتر لا يستطيع تحمّل كلفة العضوية فيه. كان ولده الأوسط، كارل، يقوم حالياً برحلة أوروبية مع جاستن ستريتر، وكلاهما يسافران على نفقة كارل غُودهيو. وهذه تتم، في الواقع، على نفقة ملك النفايات.

الرجل الذي يملك كل شيء، ويدعى غُودهيو، فكَّر ستريتر في سرّه، وابتسم لصديقه العزيز.

ابتسم له صديقه القديم بدوره، ولمسَ عنق زجاجة شراب شعيره بزجاجة ستريتر. "الحياة جميلة، أليس كذلك؟".

"جميلة جداً"، وافَق ستريتر. "أيام طويلة وليالٍ لطيفة".

رفعَ غُودهيو حاجبَي عينيه. "من أين جئت بهذه الجملة؟".

"أظنني ابتكرتُها"، قال ستريتر. "لكنها صحيحة، أليس كذلك؟".

"إذا كانت صحيحة، فأنا أَدين لك بالكثير من لياليَّ اللطيفة"، قال غُودهيو. "خطر على بالي، يا صديقي العزيز، أنني أَدين لك بحياتي". وأشار إلى فنائه الخارجي المجنون. "الجزء المُشرق منها، على أي حال".

"لا، أنت رجل عصامي".

أخفضَ غُودهيو صوته وتكلَّم بسرية. "أتريد الحقيقة؟ المرأة صنعت هذا الرجل. تقول حكمة قديمة 'مَن يستطيع إيجاد امرأة جيدة؟ لأن قيمتها تفوق قيمة الياقوت'. شيء من هذا القبيل، على أي حال. وأنتَ مَن عرّفنا على بعض. لا أعرف إن كنتَ تتذكَّر هذا".

شَعَر ستريتر برغبة مفاجئة ولا تُقاوَم تقريباً ليحطِّم زجاجة شراب شعيره على حجر الفناء وغرز طرفها الحادّ والذي لا يزال يُزبِد في عينَي صديقه العزيز. لكنه ابتسم بدلاً من ذلك، ورَشَف بعضاً من شراب

الشعير، ثم نهض. "أظن أنني بحاجة إلى دخول الحمّام".

"المرء لا يشتري شراب الشعير، بل يستأجره فقط"، قال غُودهيو، ثم انفجر ضاحكاً. كما لو أنه ابتكرَ هذا القول بنفسه، في هذه اللحظة بالذات.

"كلمات أكثر صدقاً، الخ"، قال ستريتر. "اعذرني".

"تبدو أفضل حقاً"، صاح به غُودهيو وهو يصعَد الدرجات.

"شكراً"، قال ستريتر. "يا صديقي العزيز".

أغلَق باب الحمّام، وأوصَدَ القفل، وأنار الأضواء، و- لأول مرة في حياته - فتح خزانة الأدوية في منزل شخص آخر. أول شيء رآه أبهَجه للغاية: قارورة شامبو "للرجال فقط". كانت هناك أيضاً بعض قوارير وصفات طبية.

فكَّر ستريتر في سرّه أن *الأشخاص الذين يتركون أدويتهم في حمّام يستخدمه الضيوف يجلبون المتاعب لأنفسهم بكل بساطة.* لم يكن هناك أي شيء مثير للاهتمام: كانت نورما تتناول دواءً للربو؛ وتوم يتناول دواءً لضغط الدم - أتينولول - ويستخدم مرهماً للبشرة.

كانت قارورة الأتينولول نصف ممتلئة. أخذ ستريتر حبَّة منها، ووضعها في جيب الساعة في سرواله الجينز، وشدَّ مقبض مياه المرحاض. ثم خرج من الحمّام، وهو يشعر كما لو أنه تسلَّل للتو عبر حدود دولة أجنبية.

كان المساء التالي مظلماً، لكن جورج ألڤيد كان لا يزال جالساً

تحت المظلّة الصفراء ويشاهد أيضاً إنسايد إيديشن على تلفزيونه المحمول. كان الخبر الرئيسي عن ويتني هيوستن، التي فقدتَ الكثير من وزنها بعد فترة قصيرة من توقيعها عقداً ضخماً لتسجيل أسطوانة جديدة. سخَر ألفيد من هذه الإشاعة بأن فتَلَ أصابعه القصيرة والبدينة ونظرَ إلى ستريتر بابتسامة.

"كيف حالك يا دايف؟".

"أفضل".

"حقاً؟".

"نعم".

"تقيؤ؟".

"ليس اليوم".

"طعام؟".

"بشهية كبيرة".

"وأنا أكيد أنك أجريتَ بعض الفحوص الطبية".

"كيف عرفت؟".

"لا أتوقع أقل من ذلك من مصرفيّ ناجح. هل أحضرتَ لي شيئاً؟".

بقي ستريتر يفكّر للحظة بالمغادرة. حقاً. ثم مدَّ يده إلى جيب السترة الخفيفة التي كان يرتديها (كان المساء قارساً بالنسبة لشهر أغسطس، ولا يزال على الجانب الرقيق) وأخرَجَ محرمة مربَّعة صغيرة. تردَّد، ثم مرَّرها عبر الطاولة إلى ألفيد، الذي أخذها وفتحها.

"آه، أتينولول"، قال ألڤيد. وضعَ الحبة في فمه وبلعها.

فغَر فم ستريتر، ثم أغلقه ببطء.

"لا تبدو مصدوماً جداً"، قال ألڤيد. "لو كانت وظيفتك عالية الإجهاد مثل وظيفتي، لكنتَ عانيتَ من مشاكل في ضغط الدم أيضاً. وارتجاع حمض المعدة الذي أعاني منه. لن ترغب أن تعرف المزيد".

"ماذا سيحصل الآن؟"، سأل ستريتر. حتى مرتدياً السترة، شعَر بالبرد.

"الآن؟"، بدا ألڤيد متفاجئاً. "ستبدأ الآن بالاستمتاع بخمس عشرة سنة من الصحة الجيدة. وربما عشرين أو حتى خمس وعشرين. مَن يدري؟".

"ومن السعادة؟".

رمقه ألڤيد بنظرة خبيثة مُداعِبة. كانت لتكون مضحكة لولا البرودة التي رآها ستريتر في خباياها. *والعمر*. تأكَّد في تلك اللحظة أن جورج ألڤيد كان يمارس أعماله التجارية منذ وقت طويل جداً، سواء كان يعاني من ارتجاع حمض المعدة أم لا. "جزء السعادة متروك لك يا دايف. ولعائلتك، بالطبع - جانيت وماي وجاستن".

هل أخبرَ ألڤيد بأسمائهم؟ لا يستطيع ستريتر أن يتذكَّر.

"ربما الأولاد أهم شيء. هناك قول قديم عن أن الأولاد رهائننا للحظ، لكن برأيي الأولاد في الواقع مَن يأخذ *الأهل* رهينة. قد يُصاب أحدهما بحادث مميت أو مسبِّب للعجز على طريق ريفي مهجور... أن يقع فريسة مرضٍ موهِنٍ...".

"هل تقول إن -"

"لا، لا، لا! هذه ليست حكاية أخلاقية غير ملائمة. أنا *رجل أعمال*، ولستُ إحدى شخصيات رواية 'الشرير ودانيال وبستر'. كل ما أقوله هو أن سعادتك بين يديك وأيدي الأشخاص الأقرب إليك والأعزّ على قلبك. وإذا كنت تعتقد أنني سأظهر بعد حوالي عقدَين من الزمن لأستولي على شبحك وأضعه في حقيبة يدي القديمة المتعفِّنة، فمن الأفضل لك أن تعيد التفكير. لقد أصبحت أشباح البشر أشياء تعيسة وشفافة".

لقد تكلَّم، فكَّر ستريتر في سرّه، مثلما كان الثعلب ليفعل بعد أن برهنت له قفزاته المكرَّرة أن العنب بعيد عن متناوله حقاً. لكن لم تكن لدى ستريتر أي نيّة ليقول هكذا شيء. الآن وقد تمت الصفقة، كل ما كان يريد فعله هو الخروج من هنا. لكنه تلكَّأ، لأنه لم يرغب أن يطرح السؤال الذي كان يراوده لكنه يعرف أن عليه أن يطرحه. لأن ما يجري بينهما لم يكن تبادلاً للهدايا أبداً؛ لقد بقي ستريتر يعقد صفقات تجارية معظم حياته في المصرف، ويعرف الصفقة بمجرد أن يلمح طرفها. أو عندما يشمّها: رائحة خفيفة كريهة مثل احتراق وقود الطيران.

بكلمات ذات مقطع لفظي واحد، عليك إلقاء القذارة على شخص آخر إذا كنتَ تريد رفعها عنك.

لكن سرقة حبّة واحدة لداء ارتفاع ضغط الدم لم يكن إلقاءً للقذارة بالضبط. أليس كذلك؟

كان ألفيد، في غضون ذلك، يُغلق مظلّته الكبيرة. وعندما طواها ولفّها، انتبه ستريتر إلى حقيقة مدهشة ومُثبِطة للعزيمة: لم تكن صفراء أبداً. بل رمادية كالسماء. كان الصيف قد أوشك على الانتهاء.

"معظم عملائي راضون تماماً، وسعداء جداً. هل هذا ما تريد أن تسمعه؟".

نعم... ولا.

"أشعر أن لديك سؤالاً أكثر صلة بالموضوع"، قال ألفيد. "إذا كنت تريد جواباً، توقفّ عن اللفّ والدوران واسأله. ستُمطر، وأريد الاحتماء قبل هطوله. وآخر شيء أحتاج إليه في عمري هو التهاب الشُعُب الهوائية".

"أين سيارتك؟".

"آه، هذا كان سؤالك؟"، قال ألفيد بسخرية واضحة. كان خدّاه هزيلين، وغير بدينين أبداً، وعيناه مرتفعتين عند أطرافهما، حيث ينتهي بياضهما عند سوادٍ بغيضٍ و- نعم، كان هذا صحيحاً - سرطانٍي. بدا كما لو أنه أقل مهرّج مضحك في العالم، مع زوال نصف ماكياجه.

"أسنانك"، قال ستريتر بغباء. "مدبّبة".

"سؤالك يا سيد ستريتر!".

"هل سيُصاب توم غُودهيو بالسرطان؟".

فغَر فاه ألفيد للحظة، ثم بدأ يقهقه. كان الصوت أزّازاً، ومليئاً بالغبار، وبغيضاً - مثل كاليوب مُحتضَرة.

"لا لا"، قال. "لن يُصاب توم غُودهيو بالسرطان. ليس هو".

"مَن إذاً؟ مَن؟".

الازدراء الذي تفحّصه به ألفيد جعَله يشعر بضعف في عظامه - كما لو أن هناك فجوات فيها بسبب حمض غير مؤلم لكن أكّال بشكل رهيب. "لماذا ستهتم؟ أنت تكرهه، لقد قلتَ ذلك بنفسك".

"لكن –"

"راقب. انتظر. *استمتع*. وخذ هذه". سلَّم ستريتر بطاقة تعريف مهنة مكتوب عليها *صندوق الأولاد غير المتزّمتين* وعنوان مصرف في جُزُر كايمان.

"ملاذ ضريبي"، قال ألفيد. "سترسل الخمسة عشر بالمئة نسبتي إلى هناك. وإذا توقفتَ فجأة، سأعرف. وعندها الويل لك يا صغيري".

"ماذا لو اكتشفت زوجتي وراحت تسألني؟".

"لزوجتك دفتر شيكات شخصي. وأبعد من ذلك، لا تنظر إلى أي شيء أبداً. إنها تثق بك. هل أنا محق؟".

"في الواقع...". راح ستريتر يراقب من دون أي تفاجؤ أن قطرات المطر التي تلامس يدَي ألفيد وذراعيه تبخَّرت. "نعم".

"بالطبع أنا محق. لقد انتهت صفقتنا. اخرج من هنا وعُد إلى زوجتك. وأنا أكيد أنها سترحِّب بك أحسن ترحاب. خذها إلى السرير، وجامعها متظاهراً أنها زوجة أعز أصدقائك. أنت لا تستحقها، لكنك محظوظ".

"ماذا لو أردتُ التراجع"، همَس ستريتر.

رمقه ألفيد بابتسامة متحجّرة كشفت حلقةً من الأسنان آكلة لحوم البشر. "لا يمكنك ذلك"، قال.

كان ذلك في أغسطس 2001، قبل أقل من شهر من سقوط البرجين.

في ديسمبر (في نفس يوم إلقاء القبض على وايونا رايدر وهي

تسرق ملابس من المتجر، في الواقع)، صرَّح الدكتور رودريك هندرسون أن دايف ستريتر خالٍ من السرطان - وأن حالته عبارة عن أعجوبة طبية في العصر الحديث.

"ليس لديَّ تفسير لهذا"، قال هندرسون.

كان لدى ستريتر تفسيرٌ، لكنه بقي صامتاً.

جرى الكشف الطبي في عيادة هندرسون. وفي مستشفى دِيري، في قاعة المؤتمرات حيث نظرَ ستريتر إلى الصور الأولى لجسمه المُشفى بأعجوبة، جلست نورما غُودهيو على نفس الكرسي الذي جلس عليه ستريتر، وراحت تنظر إلى صور رنين مغنطيسي أقل لطافةً من صوره. وراحت تستمِع بشكل خَدِر إلى طبيبها وهو يُخبرها - بألطف قدر ممكن - أن الكتلة في صدرها الأيسر سرطانٌ بالفعل، وقد انتشَر إلى عُقدها اللمفاوية.

"الحالة سيئة، لكن ليس ميؤوساً منها"، قال الطبيب وهو يمدّ يده عبر الطاولة ليُمسك يد نورما الباردة. وابتسم. "سنريد أن نبدأ العلاج الكيميائي فوراً".

في يونيو من السنة التالية، نال ستريتر ترقيته أخيراً. وقُبلت ماي ستريتر في كلية كولومبيا للصحافة. وأخذ ستريتر وزوجته عطلة مؤجَّلة منذ فترة طويلة إلى هاواي ليحتفلا. وجامَعا بعضهما مرات عديدة. في يومهما الأخير في ماوي، اتصل توم غُودهيو. كان الاتصال سيئاً وبالكاد يمكنه أن يتكلم، لكن الرسالة وصلت: نورما ماتت.

"سنكون إلى جانبك"، وعده ستريتر.

عندما أخبرَ جانيت بالخبر، انهارت على سرير الفندق وهي تبكي واضعةً يديها على وجهها. استلقى ستريتر بجانبها، واحتضنها بقوة، وراح يفكِّر: حسناً، *كنا عائدين إلى المنزل على أي حال*. ورغم أنه شعَر بالأسى تجاه نورما (وببعض الأسى تجاه توم)، كان هناك جانب إيجابي في الأمر: لقد تجنّبا موسم الحشرات، والذي يمكن أن يكون كارثياً في دِيري.

في ديسمبر، أرسل ستريتر شيكاً بأكثر من خمسة عشر ألف دولار إلى صندوق الأولاد غير المتزمّتين. واحتسبه مبلغاً مقتطعاً من إقراره الضريبي.

في العام 2003، نال جاستن ستريتر مرتبة شرف على لائحة العميد في براون و– من باب اللهو – اخترَع لعبة فيديو تدعى أعد فيدو إلى المنزل. هدف اللعبة هو أن تعيد كلبك المقيَّد من المركز التجاري بينما تتجنّب السائقين السيئين، والأشياء المتساقطة من شرفات مبنى ذي عشر طوابق، ومجموعة سيدات عجائز مخبولات يسمّين أنفسهن الجَدّات قاتلات الكلاب. بدت هذه اللعبة نكتةً بالنسبة لستريتر (وقد أكَّد له جاستن أنها مجرد تهكُّم)، لكن شركة الألعاب ألقت نظرة واحدة عليها ودفعت لإبنه الوسيم والبَشوش سبعمئة وخمسين ألف دولار لشراء حقوق اللعبة. زائد الجُعالات. اشترى جاسّ لوالديه سيارتَي تويوتا باثفايندر رباعيتَي الدفع، زهرية للوالدة وزرقاء للوالد. وقد بكت جانيت وعانَقته وسمّته فتىً أحمق، متهوّراً، كريماً، رائعاً. وأخذه ستريتر إلى مقصف روكسي واشترى له شراب شعير من صنف الدجاجة المرقَّطة.

في أكتوبر، عاد زميل غرفة كارل غُودهيو في جامعة إمرسون من الحصة الدراسية ليجد كارل ممدَّداً على بطنه على أرضية مطبخ الشقة وشطيرة الجبن المشوي التي كان يعدّها لنفسه لا تزال تدخّن في المقلاة. رغم أنه كان لا يزال في الثانية والعشرين من عمره، إلا أن كارل أُصيب بنوبة قلبية. وقد أشار الأطباء الذين درسوا حالته إلى وجود عيب في القلب منذ الولادة – جدار أذيني رفيع – لم يتم اكتشافه. لم يمت كارل؛ فقد وصل إليه زميل غرفته في الوقت المناسب وكان يعرف كيفية تنفيذ عملية الإنعاش القلبي الرئوي. لكنه عانى من حرمان الأكسجين، والشاب الذكي والوسيم والرشيق جسدياً الذي جال في أوروبا منذ فترة غير بعيدة مع جاستن ستريتر أصبح ظلاً يمشي بتثاقل لشخصه السابق. لم يكن قادراً على التحكّم بتبوّله دائماً، ويتوه إذا ابتعد أكثر من مربع سكني واحد أو مربعين سكنيين عن المنزل (عاد ليعيش مع أبيه الذي كان لا يزال حزيناً)، وأصبح نطقه ضبابياً بحيث فقط توم يستطيع فهمه. وظَّف غُودهيو رفيقاً له ليعطيه العلاج البدني ويتأكد من تغيير كارل لملابسه. كما كان يأخذه أيضاً في "نزهات" كل أسبوعين. و"النزهة" الأكثر شيوعاً كانت إلى متجر البوظة، حيث يأخذ كارل دائماً مخروطاً بالفستق الحلبي ويمرمغه على كل وجهه. بعد ذلك ينظّفه الرفيق، بصبر، بمحارم رطبة.

توقفت جانيت عن الذهاب مع ستريتر إلى العشاء في منزل توم. "لا يمكنني تحمّل ذلك"، اعترَفت له. "ليس من طريقة سير كارل، أو طريقة تبليله سرواله أحياناً – بل من النظرة التي في عينيه، كما لو أنه يتذكَّر كيف كان، ولا يستطيع أن يتذكَّر بالضبط كيف أصبح على هذه الحال الآن. و... لا أعرف... هناك دائماً شيء *متفائل* على

وجهه يُشعرني كما لو أن كل شيء في الحياة هو نكتة".

عرَف ستريتر ما كانت تقصده، وغالباً ما كان يفكِّر بذلك خلال وجبات العشاء مع صديقه القديم (من دون نورما لتطبخ، كان الطعام في أغلبه الآن يُطلب من المطاعم). كان يستمتع بمشاهدة توم يُطعِم إبنه المشوَّه، ويستمتع بنظرة التفاؤل على وجه كارل. تلك النظرة التي تقول، "كل هذا مجرد حلم، وسأستيقظ منه قريباً". كانت جانيت محقةً، كانت هذه نكتةً، لكنها نكتة من النوع الجيد.

إذا فكَّرتَ بالمسألة بشكل جدّي.

في العام 2004، حصلت ماي ستريتر على وظيفة في صحيفة بوسطن غلوب وأعلنت نفسها أسعد فتاة في الولايات المتحدة الأميركية. وابتكر جاستن ستريتر لعبة "زعزِع المنزل"، التي ستصبح الأكثر مبيعاً في التاريخ إلى أن ظهرت "بطل الغيتار" وأخذت محلها. كان جاسّ قد انتقَل وقتها إلى برنامج كمبيوتر للتأليف الموسيقي يدعى "أنت مركّبي الصوتي يا عزيزي". وأصبح ستريتر نفسه مدير فرع مصرفه، وسرت بعض الإشاعات عن تولّيه منصباً إقليمياً في المستقبل. أخذ جانيت إلى كانكون، وأمضيا وقتاً رائعاً. وبدأت تسمّيه "أرنبي".

اختلس محاسب توم غُودهيو مليونَي دولار من شركته لإزالة المخلّفات وفرَّ إلى جهة مجهولة. وكشفت المراجعة اللاحقة للحسابات أن الشركة تقف على شفير الهاوية؛ فذلك المحاسب القديم الشرير بقي يقضم من أموالها لسنوات.

يقضم؟ فكَّر ستريتر في سرّه وهو يقرأ الخبر في صحيفة دِيري نيوز. *ينتشها نتشاً* هو *تشبيه أدق*.

لم يعد توم يبدو في الخامسة والثلاثين من عمره؛ بل بدا في الستين. ولا شكّ أنه عرَف ذلك، لأنه توقَّف عن صبغ شعره. وقد ابتهج ستريتر من رؤية أنه لم يصبح أبيض تحت اللون الاصطناعي؛ كان شعر غُودهيو رمادياً مملاً وباهتاً مثل مظلّة ألڤيد عندما طواها ولفّها. لون شعر العجائز، قرَّر ستريتر، الذين تراهم يجلسون على مقاعد المنتزه ويُطعِمون الحمام. سمِّه "للفاشلين فقط".

في العام 2005، جاكوب لاعب كرة القدم، الذي كان قد بدأ يعمل في شركة أبيه المُحتضَرة بدلاً من دخوله الكلية (والتي كان ليدخلها بمنحة تعليمية رياضية كاملة)، تعرَّف على فتاة وتزوَّجها. سمراء صغيرة تدعى كامي دورينغتون. اتفق ستريتر وزوجته على أن الزفاف كان جميلاً، رغم أن كارل غُودهيو بقي يصيح ويصفّر ويغمغم طوال مراسمه، ورغم أن البنت الكبرى لغُودهيو - غرايسي - تعثَّرت بحاشية فستانها على سلالم دار العبادة أثناء خروجها، وسقَطت، وكسرت رِجلها في مكانين. إلى أن حصل ذلك، كان توم غُودهيو يبدو مثل سابق عهده تقريباً. بمعنى آخر، سعيداً. لم يحسده ستريتر على سعادته الصغيرة. وافترَض أنه حتى في حياة الشقاء التام، يحصل الأشخاص على رشفة ماء بارد عَرَضيّة، ربما فقط لكي يمكنهم تقدير الرعب الكامل للعطش عندما يحلّ عليهم مرة أخرى.

ذهب العروسان إلى بيليز لقضاء شهر العسل. *أنا أكيد أنها ستُمطر طوال الوقت*، فكَّر ستريتر في سرّه. لم تُمطر، لكن جاكوب أمضى معظم الأسبوع في مستشفى شبه متهدِّم، وهو يعاني من التهاب عنيف في المعدة والأمعاء ويتبرَّز في حفاضات للأطفال. لم يشرب سوى ماء معلّب، لكنه نسي مرةً ونظَّف أسنانه بماء الحنفية. "ذنبي

الشخصي اللعين"، قال.

تُوفِّي ما يزيد عن ثمانمئة جندي أميركي في العراق. حظ سيئ لكل أولئك الفتيان والفتيات.

بدأ توم غُودهيو يعاني من داء النقرس، وأصبحت مشيته عرجاء، وبدأ يستخدم عصا.

كان شيك تلك السنة إلى صندوق الأولاد غير المتزمّتين ذا قيمة كبيرة جداً، لكن ستريتر لم يتردَّد في توقيعه. كان العطاء مُرضياً أكثر من التلقي بكثير. هكذا يقول كل الأشخاص الطيبين.

في العام 2006، وقعت غرايسي إبنة توم ضحيةً لالتهاب اللثة وفقدت كل أسنانها. كما فقدت حاسة شمّها. وفي ليلة بعد ذلك بوقت قصير، خلال عشاء غُودهيو وستريتر الأسبوعي (كانا يأكلان لوحدهما فقط لأن كارل كان قد ذهب في "نزهة" مع رفيقه)، أجهش توم غُودهيو بالبكاء. كان قد بدَّل شراب شعيره الفاخر بشراب أقوى، وكان ثملاً جداً. "لا أفهم ماذا يحصل لي". وشهِق. "أشعر... لا أعرف... أن لعنة أصابتني!".

احتضنه ستريتر وراح يواسيه. وأخبَرَ صديقه القديم أن السُحُب تأتي دائماً إلى حياة الشخص، وتنحسر عاجلاً أم آجلاً.

"حسناً، لكن سُحُبي تلازمني منذ وقت طويل!"، صاح غُودهيو، وطرقَ ستريتر على ظهره بقبضة مُغلقة. لم يمانعها ستريتر. فصديقه القديم لم يعد قوياً مثل الماضي.

تطلَّق تشارلي شين، وتوري سبيلينغ، ودايفد هاسلهوف، لكن في دِيري، احتفلَ دايفد وجانيت ستريتر بذكرى زواجهما الثلاثين. أقاما

حفلة. وقبل نهايتها بقليل، رافَق ستريتر زوجته إلى الجهة الخلفية للمنزل. كان قد حضَّر بعض الألعاب النارية. صفَّق الجميع ما عدا كارل غُودهيو. حاوَل، لكن يديه بقيتا تُخفقان في إصابة بعضهما. أخيراً، استسلم طالب إمرسون السابق عن محاولة التصفيق وراح يشير إلى السماء، وهو يصيح.

في العام 2007، دخلَ كيفر ساذرلاند السجن (ليس لأول مرة) بتهمة القيادة وهو ثمل، وتُوفِّي زوج غرايسي غُودهيو ديكرسون في حادث سيارة، بعد أن انحرَف سائق ثمل إلى داخل ممر المنزل بينما كان آندي ديكرسون عائداً من وظيفته. كان الخبر الجيد أن الثمِل لم يكن كيفر ساذرلاند، والخبر السيئ أن غرايسي ديكرسون كانت حاملاً في شهرها الرابع وانهارت. كان زوجها قد تخلّى عن بوليصة تأمينه على الحياة لتوفير المصاريف. فعادت غرايسي لتعيش مع أبيها وأخيها كارل.

"بحظهم هذا، سيولَد ذلك الطفل مشوَّهاً"، قال ستريتر لزوجته في إحدى الليالي بينما كان مستلقياً على السرير بعد مجامعته لها.

"اصمت!"، صاحت جانيت مصدومةً.

"إذا قلتِ الأمر، فلن يحصل"، شرح لها ستريتر، وسرعان ما غفا الأرنبان في أحضان بعضهما البعض.

شيك تلك السنة لصندوق الأولاد كان بقيمة ثلاثين ألف دولار. كَتَبه ستريتر من دون أي وخز في الضمير.

وُلد طفل غرايسي في ذروة عاصفة ثلجية في فبراير 2008. كان الخبر الجيد أنه لم يولَد مشوَّهاً، والخبر السيئ أنه وُلد ميتاً. ذلك العيب اللعين في قلوب العائلة. أُصيبت غرايسي – الأرملة الخالية من الأسنان،

وغير القادرة على شمّ أي شيء - بانهيار عصبي قوي. فكّر ستريتر أن ذلك يبرهن سلامة عقلها. فلو أخذت تتصرَّف على مبدأ "لا تقلق، كن سعيداً"، لكان نصحَ توم أن يُخفي كل الأغراض الحادّة في المنزل.

تحطَّمت طائرةٌ تنقل عضوَين من فرقة الروك بلينك-182. الخبر السيئ هو وفاة أربعة أشخاص، والخبر الجيد هو صمود الفرقة الموسيقية في الواقع لمرةٍ... رغم أن أحد أعضائها سيموت بعد وقت قصير.

"لقد أذنبتُ في حياتي"، قال توم خلال إحدى وجبات العشاء التي بدأ الرجلان يسمّيانها الآن "ليلة الأعزب". كان ستريتر قد أحضَر بعض المعكرونة من مطعم كارا ماما، والتهم طبقه بالكامل. أما توم غُودهيو فبالكاد لمس طعامه. في الغرفة الأخرى، كان كارل وغرايسي يشاهدان برنامج أميركان آيدول، غرايسي بصمت، وطالب إمرسون السابق يصيح ويتمتم. "لا أعرف كيف، لكنني أذنبتُ".

"لا تقل هذا، لأنه غير حقيقي".

"أنتَ لا تعرف ذلك".

"*بلى*"، قال ستريتر بشكل جازم. "كلامك هراء".

"كما تشاء يا صديقي". اغرورقت عينا توم بالدموع، وسالت على خدّيه. تدلَّت قطرةٌ واحدةٌ منها للحظة على خط فكّه غير الحليق، ثم سقطت على معكرونته غير المأكولة. "الحمد لله أن جاكوب بخير. يعمل في محطة تلفزيون في بوسطن هذه الأيام، وزوجته محاسبة في مستشفى بريغهام أند ويمنز. يريان ماي بين الحين والآخر".

"خبر رائع"، قال ستريتر من كل قلبه، وكله أمل أن جايك لن يلوّث إبنته بصحبته لها بطريقة أو بأخرى.

"ولا تزال تأتي لزيارتي. أفهم لماذا لا تأتي جانيت، ولا ألومها، لكن... أشتاق إلى تلك الليالي. إنها مثل رابطٍ بالأيام الخوالي".

نعم، فكَّر ستريتز في سرّه، الأيام الخوالي عندما كنتَ تملك كل شيء وأنا كنتُ مريضاً بالسرطان.

"سأكون إلى جانبك دائماً"، قال، وأمسكَ إحدى يدَي غُودهيو المرتعشتين قليلاً بيديه. "أصدقاء إلى النهاية".

2008، يا له من عام! استضافت الصين الألعاب الأولمبية! أصبح كريس براون وريهانا أرنبَين! انهارت مصارفٌ والبورصة! وفي نوفمبر، أغلقت وكالة حماية البيئة جبل تراشمور، آخر مصدر للدخل بالنسبة لتوم غُودهيو. وأعلنت الحكومة عن نيّتها رفع دعوى في مسائل تتعلق بتلوث المياه الجوفية والرمي غير القانوني للنفايات الطبية. وألمحت صحيفة دِيري نيوز إلى إمكانية حتى رفع دعوى جنائية.

غالباً ما كان ستريتز يقود سيارته على ملحق جادة هاريس في الأمسيات، بحثاً عن مظلّةٍ صفراء. لم يُرد أن يساوم؛ أراد أن يثرثر فقط. لكنه لم ير المظلّة أو مالكها أبداً. خاب أمله لكنه لم يتفاجأ. فصانعو الصفقات مثل أسماك القرش؛ عليهم التنقّل باستمرار وإلا يموتون.

كتَب شيكاً وأرسله إلى المصرف في كايمان.

في العام 2009، ضَرَب كريس براون أرنبته المفضَّلة بعنف بعد حفل توزيع جوائز غْرامي، وبعد بضعة أسابيع، ضَرَب جاكوب غُودهيو لاعب كرة القدم السابق زوجته كامي بعنف بعد أن عثرت على ملابس داخلية نسائية ونصف غْرام من الكوكايين في جيب سترته.

ممدَّدة على الأرض، وهي تبكي، وصَفتْهُ بالسافل. فكانت ردّة فعله أن طعنها في بطنها بشوكة اللحم. ندِم على فعلته فوراً واتصل برقم الطوارئ 911، لكن الضرر كان قد وقع؛ فقد ثقبَ لها معدتَها في مكانين. أخبَرَ الشرطة لاحقاً أنه لا يذكُر أي شيء من هذا. قال إنه كان في حالة جنون كلي.

كان محاميه الذي عيَّنته له المحكمة مغفّلاً جداً ليطلب تخفيضاً على الكفالة. ناشَد جايك غُودهيو أباه، الذي كان بالكاد قادراً على دفع فواتيره الكهربائية، ناهيك عن تزويد إحدى مواهب بوسطن القانونية المُكلِفة لإبنه المسيء إلى زوجته. فلجأ غُودهيو إلى ستريتر، الذي لم يدع صديقه القديم يُكمِل كلامه الذي تدرَّب عليه بشكل مؤلم قبل أن يقول له *بالتأكيد*. لا يزال يتذكَّر الطريقة الحنونة التي قبَّل بها جاكوب خدّ إبيه. كما أن دفع الرسوم القانونية سمحَ له أن يسأل المحامي عن حالة جايك الذهنية، التي لم تكن جيدة؛ كان الذنب والاكتئاب الشديد قد أضنياه. أخبَرَ المحامي ستريتر أن الفتى سيُحكَم بالسجن لخمس سنوات على الأرجح، على أمل تعليق ثلاث منها.

وعندما يخرج، يمكنه العودة إلى المنزل، فكَّر ستريتر في سرّه. *يمكنه مشاهدة أميركان آيدول مع غرايسي وكارل، إذا كان لا يزال يُبثّ. وهذا مرجَّح.*

"لا يزال لديَّ تأميني"، قال توم غُودهيو في إحدى الليالي. كان قد فقَدَ الكثير من وزنه، وأصبحت ملابسه فضفاضة عليه، وعيناه مُتعَبتين حتى الإجهاد، وأُصيب بداء الصَدَفية. راح يحكّ ذراعيه بلا هوادة، مخلّفاً علامات حمراء طويلة على بشرته البيضاء. "كنتُ انتحرتُ لو أضمَن أنه يمكنني إظهار الوفاة وكأنها ناتجة عن حادث".

"لا أريد سماعك تتكلم هكذا"، قال ستريتر. "ستتحسَّن الأوضاع".

في يونيو، تُوفِّي مايكل جاكسون. وفي أغسطس، حذا كارل غُودهيو حذوه، مختنقاً حتى الموت من قطعة تفاح. كان الرفيق لينقّذ مناورة هايمليخ عليه ويُنقذه، لكن كان قد تم الاستغناء عن خدماته بسبب قلّة الأموال قبل ذلك بستة عشر شهراً. سمعت غرايسي كارل يغرغر لكنها قالت إنها اعتقَدت أن ذلك "كان مجرد كلامه الفارغ الاعتيادي". كان الخبر الجيد أنه توجد بوليصة تأمين على الحياة لكارل أيضاً. بوليصة ذات قيمة صغيرة فقط، لكنها كافية لدفنه.

بعد الجنازة (بقي توم غُودهيو يبكي طوال طريق العودة، متمسكاً بصديقه القديم للدعم)، شعَرَ ستريتر ببعض الكرم. فبحث عن عنوان ستديو كيفر ساذرلاند وأرسل له الكتاب الشهير الذي يعلِّم المرء كيفية التخلّص من إدمانه على الشراب. سيرميه في سلة النفايات على الأرجح (إلى جانب بقية النُسخ التي لا تُعدّ ولا تُحصى من ذلك الكتاب التي أرسلها له محبّوه على مر السنوات)، لكن لا أحد يعلم. فالأعاجيب تحصل أحياناً.

في أوائل سبتمبر 2009، وفي مساء صيفي حارّ، قاد ستريتر وجانيت على الطريق المحاذي للجهة الخلفية لمطار دِيري. لم يكن هناك أحد يبيع في الباحة المرصوفة بالحصى خارج السياج السلكي، لذا رَكَن سيارته الباثفايندر الزرقاء الفاخرة هناك ووضع ذراعه حول زوجته، التي كان يحبّها أكثر بكثير من أي وقت مضى. كانت الشمس تغرب في كُرة حمراء.

استدار إلى جانيت ورأى أنها تبكي. فأدار ذقنها نحوه ومسحَ لها دموعها بوقار. هذا جَعَلها تبتسم.

"ما الأمر يا حبيبتي؟".

"كنتُ أفكِّر بآل غُودهيو. لم أعرف أبداً في حياتي عائلة أصابها هذا الكمّ من الحظ السيئ. *حظ سيئ؟*"، وضحِكت. "حظ لعين هو الوصف الأكثر دقة".

"وأنا أيضاً"، قال، "لكن هذا يحصل طوال الوقت. إحدى النساء اللواتي قُتلن في هجمات مومباي كانت حاملاً، هل كنتِ تعرفين هذا؟ وقد نجا طفلها ذو العامَين، لكنه كان قد ضُرب بعنف. و–"

وَضَعت إصبعين على شفتيها. "اصمت. هذا يكفي. الحياة ليست عادلة. نحن نعرف هذا".

"لكنها *عادلة*!"، قال ستريتر بنبرة جدّية. كان وجهه متورِّداً وصحياً في ضوء الغروب. "فقط انظري إليَّ. كان هناك وقت ظننتِ فيه أنني لن أعيش أبداً لأرى العام 2009، أليس هذا صحيحاً؟".

"نعم، لكن –"

"وزواجنا، لا يزال قوياً مثل الصخر. أم هل أنا مخطئ؟".

هزَّت رأسها. لم يكن مخطئاً.

"وقد بدأتِ تبيعين مقالات مستقلة لصحيفة دِيري نيوز، وماي تحقِّق نجاحات رائعة في صحيفة الغلوب، وإبننا المهووس بالعلم قطب من أقطاب الإعلام في الخامسة والعشرين من عمره".

بدأت تبتسم مرة أخرى. وشعَرَ ستريتر بالسرور. كان يكره رؤيتها مكتئبة.

"الحياة *عادلة*. كلنا أولاد تسعة، ثم يبدأ النرد بالتدحرج. يحصل بعض الأشخاص على مجموع نقاط يساوي سبعة. ويحصل بعض الأشخاص، لسوء الحظ، على الرقم واحد مرتين. هكذا يسير العالم".

وَضَعت ذراعيها حوله. "أحبك. أنت تنظر دائماً إلى الجانب الإيجابي من الأمور".

هزّ ستريتر كتفيه بتواضع. "قانون المعدلات الوسطية يفضِّل المتفائلين، أي مصرفي سيقول لك هذا. للأشياء طريقتها الخاصة في تحقيق التوازن في النهاية".

ظهر كوكب الزُهرة أمام العين المجرَّدة فوق المطار، مشعّاً فوق السماء الزرقاء المظلمة.

"أمنية!"، أمرَها ستريتر.

ضحِكت جانيت وهزَّت رأسها. "ماذا يمكنني أن أتمنى؟ لديَّ كل شيء أريده".

"وأنا أيضاً"، قال ستريتر، ثم مثبّتاً عينيه على الزُهرة، تمنّى المزيد.

زواج جيد

- 1 -

الشيء الوحيد الذي لا يسأله أحد في أي محادثة عادية، فكَّرت دارْسي في الأيام التي تلت إيجادها ما وجَدته في المرأب، كان هذا: *كيف حال زواجك؟* فالجميع يسأل *كيف كانت عطلة نهاية أسبوعك* و *كيف كانت رحلتك إلى فلوريدا* و *كيف صحتك* و *كيف حال الأولاد*؛ حتى إنهم يسألون *كيف حال الحياة معك يا عزيزتي؟* لكن لا أحد يسأل *كيف حال زواجك؟*

جيد، كانت لتُجيب على السؤال قبل تلك الليلة. كل شيء بخير.

لقد وُلدت كـ دارْسلين مادسن (دارْسلين، هذا إسم فقط الأهل المفتونون بكتاب لأسماء الأطفال مُشترى حديثاً يستطيعون أن يحبّوه)، في سنة انتخاب جون ف. كينيدي رئيساً. وقد ترعرعت في فريبورت، ماين، عندما كانت لا تزال بلدة وليست ملحقةً بـ ل. ل. بِين، أول متجر ضخم في أميركا، وستة متاجر أخرى للبيع بالتجزئة أكبر من المعتاد من النوع المسمى "متجر تصفيات" (كما لو أنها مجاري للصرف الصحي وليست أماكن للتسوّق). درست في ثانوية فريبورت، ثم في كلية أديسون لإدارة الأعمال، حيث تعلَّمت المهارات السكرتيرية. وتوظَّفت في جو رانسوم شيفروليه، والتي كانت في العام 1984، عندما ترَكت الشركة، أكبر وكالة سيارات في بورتلاند. كانت عادية، لكن بمساعدة صديقتين متطوّرتين أكثر قليلاً، تعلَّمت ما يكفي من مهارات الماكياج لتجعل نفسها جميلة في أيام العمل وملفتة للنظر في ليالي

الجمعة والسبت، عندما كان بعضهن يحببن الخروج لتناول الشراب في مقصف المنارة أو مايك المكسيكي (حيث توجد موسيقى حيّة).

في العام 1982، استعان جو رانسوم بشركة محاسبة في بورتلاند لمساعدته على اكتشاف وضعه الضريبي، الذي كان قد أصبح معقَّداً ("من نوع المشاكل الذي تريد أن يصيبك"، سمِعته دارْسي بالصُدفة يقول لأحد الباعة الخبراء). جاء رجلان، أحدهما عجوز والآخر يافع، يحمل كل واحد منهما حقيبة، ويرتدي نظارات وبذلة مُحافِظة، وقد مشَّط شعره القصير بشكل أنيق بعيداً عن جبهته بطريقة ذكَّرت دارْسي بالصور الفوتوغرافية في الكتاب السنوي لأمها "ذكريات 1954"، الذي يُظهر غلافه صورة مشجِّع رياضي يضع بوقاً أمام فمه.

كان المحاسب اليافع يدعى بوب أندرسون. وقد تكلّمت معه في يومهما الثاني في الوكالة، وفي سياق حديثهما، سألته إن كانت لديه أي هوايات. نعم، قال، كان عالِم عملات.

بدأ يُخبرها عن ماهية هذا الأمر فقالت، "أعرف. أبي يجمِّع قِطع النقود التي تُظهر صورة سيدة الحرية أو رأس الجاموس. يقول إنها هوايته منذ الطفولة. هل لديك هواية منذ الطفولة يا سيد أندرسون؟".

أجل: سنتات القمح. وكان أكبر آماله أن يعثر في يوم من الأيام على سنت مزدوج السنة 1955، الذي كان –

لكنها عرفت ذلك أيضاً. كان السنت المزدوج السنة 1955 خطأً. خطأً *قيماً*.

ابتهجَ السيد أندرسون اليافع، ذو الشعر البني السميك والممشَّط بعناية، من هذا الجواب. وطلب منها أن تناديه بوب. لاحقاً، خلال

الغداء – الذي تناولاه على مقعد تحت أشعة الشمس خلف ورشة تصليح السيارات، وكان عبارة عن شطيرة طون بخبز الجاودار له وسلطة يونانية في حاوية بلاستيكية لها – سألها إن كانت تقبل الذهاب معه يوم السبت إلى سوق في الهواء الطلق في كاسل روك. فقد استأجَر شقة جديدة للتو، وكان يبحث عن أريكة. وتلفزيون أيضاً، إذا كان هناك أحدٌ يبيع واحداً جيداً بسعر معقول. *واحداً جيداً* بسعر *معقول* هي جملة ستعتاد عليها بشكل مريح في السنوات القادمة.

كان عادياً مثلها، مجرد شاب آخر ستمرّ به في الشارع من دون أن تلاحظه، ولن يكون لديه أي ماكياج أبداً ليجعله أجمل... ما عدا ذلك اليوم على المقعد. فقد تورَّد خدّاه عندما سألها إن كانت توافق على الخروج معه، بما يكفي فقط ليُضيء وجهه ويعطيه بعض التوهّج.

"لا مجموعات عملات معدنية؟"، سألته ممازحةً.

ابتسم، كاشفاً عن أسنان مستوية. أسنان صغيرة، يُعتنى بها جيداً، وبيضاء. لم يخطر على بالها أبداً أن بإمكان تلك الأسنان أن تجعلها ترتجف – فلماذا سيخطر على بالها ذلك؟

"إذا رأيتُ مجموعة لطيفة من العملات المعدنية، سأعاينها بالطبع"، قال.

"خاصة سنتات القمح؟"، ممازحةً، لكن قليلاً فقط.

"خاصة تلك. هل ترغبين بالذهاب معي يا دارْسي؟".

ذهبت. وذهبت ليلة عرسهما أيضاً. ليس في أغلب الأحيان بعد ذلك، لكن بين الحين والآخر. ما يكفي في أغلب الأحيان لتعتبر نفسها عادية وسعيدة.

في العام 1986، نال بوب ترقيةً. وبدأ أيضاً (بتشجيع من دارْسي ومساعدتها) شركة صغيرة لبيع العملات المعدنية الأميركية بالبريد. حقّقت الشركة نجاحاً منذ البداية، وفي العام 1990، أضاف بطاقات نجوم البيسبول وتذكارات الأفلام القديمة. لم يكن يحتفظ بمخزون للمُلصقات الإعلانية للأفلام، لكن عندما يسأله الناس عن هكذا بنود، يتمكن من إيجادها دائماً تقريباً. في الواقع، كانت دارْسي مَن يجدها، مستخدمةً فهرس بطاقاتها المُتخَم في تلك الأيام التي سبقت ظهور الكمبيوتر لكي تتصل بالمجمِّعين في كل أنحاء البلاد. لم ترتفع أعمال الشركة إلى حد كبير أبداً لكي تصبح عملاً بدوام كامل، وكان لا بأس بهذا. فكلاهما لم يرغبا بحصول هكذا شيء. وقد اتفقا على ذلك مثلما اتفقا على المنزل الذي اشترياه في نهاية المطاف في باونال، وعلى الأولاد عندما حان الوقت لإنجابهم. اتفقا. وعندما لم يتفقا، توصلا إلى تسويةٍ. لكنهما اتفقا في الأغلب.

كيف حال زواجك؟

كان جيداً. كان زواجاً جيداً. وُلد دوني في العام 1986 - استقالت من وظيفتها لكي تُنجبه، ولم تشغَل وظيفة أخرى أبداً ما عدا المساعدة في أعمال أندرسون للعملات المعدنية والمقتنيات - ووُلدت پترا في العام 1988. بدأ وقتها شعر بوب أندرسون البني السميك يخفّ عند قمة رأسه، وفي العام 2002، وهو العام الذي ابتلع فيه كمبيوتر دارْسي فهرس بطاقاتها كلياً، أصبحت لديه بقعة صلعاء لامعة كبيرة في الخلف هناك. اختبَر عدة طرق مختلفة لتمشيط ما بقي من شعره، لكن ذلك جَعَل البقعة الصلعاء ملفتة للانتباه أكثر، برأيها. وقد أزعجها بتجربته تركيبتين من التركيبات العجيبة "أعد تنميته كله"، وهي من

الأمور التي يبيعها أشخاص ذو مظهر ماكر في وقت متأخر من الليل (أصبح بوب أندرسون أشبه ببومة ليل عندما أصبح في منتصف عمره). لم يُخبِرها أنه فعل ذلك، لكنهما يتشاركان غرفة نوم واحدة ورغم أنها ليست طويلة كفاية لترى الرف العلوي للخزانة دون مساعدة، إلا أنها كانت تستخدم كرسياً أحياناً لترتّب له "قمصانه لأيام السبت"، القمصان التائية التي يرتديها ليملأ وقته في الحديقة. وها هي هناك: زجاجة سائل في خريف 2004، وزجاجة كبسولات هلامية خضراء صغيرة بعد سنة. بحثت عن أسمائها على الانترنت، ولم تكن رخيصة. *بالطبع النتائج العجيبة ليست رخيصة أبداً*، تذكّرت قولها هذا لنفسها.

لكن، منزعجةً أم لا، التزمت الصمت بشأن الجرعات العجيبة، وكذلك بشأن جيب الشيفروليه سوبربان المستعمل الذي اشتراه لسبب من الأسباب في نفس السنة التي بدأت فيها أسعار الوقود ترتفع كثيراً. مثلما التزم الصمت هو أيضاً، حسبما افترَضت (حسبما عَرفت، في الواقع)، عندما أصرَّت على إرسال الأولاد إلى مخيَّمات صيفية جيدة، وشراء غيتار كهربائي لدوني (عزف عليه لسنتين، وهذه مدة طويلة كفاية ليصبح جيداً بشكل مدهش، ثم توقف فجأة)، وتعليم پترا ركوب الخيل. الزواج الناجح عبارة عن توازن دقيق - هذا شيء يعرفه الجميع. كما أن الزواج الناجح يعتمد على مستوى مرتفع من تقبّل الأمور المزعجة لدى الشريك - كان هذا شيئاً تعرفه دارْسي. مثلما تقول أغنية ستيڤي وينوود، عليك أن تسير مع التيار يا عزيزي.

فسارت مع التيار. وكذلك فعل هو.

في العام 2004، غادر دوني إلى الكلية في بنسلفانيا. وفي العام 2006، ذهَبت پترا إلى كولبي القريبة في ووترفيل. وقتها، كانت دارْسي

مادسن أندرسون قد أصبحت في السادسة والأربعين من عمرها. وبوب في التاسعة والأربعين، ولا يزال يشارك في تجمّعات أشبال الكشّافة مع ستان مورين، مقاول بناء يعيش على بُعد كيلومتر في آخر الطريق. كانت تجد أن زوجها الأصلع يبدو مضحكاً في الشورت الكاكي اللون والجوارب البنّية الطويلة التي يرتديها للنزهات البرية الشهرية، لكنها لم تقل له ذلك أبداً. أصبحت بقعته الصلعاء موطَّدة جيداً؛ وأصبحت نظاراته ثنائية البؤرة؛ وارتفع وزنه من ثمانين إلى حوالي مئة كيلوغرام. وأصبح شريكاً في شركة المحاسبة - فأصبحت شركة بنسون وبايكون تدعى الآن بنسون وبايكون وأندرسون. وقد انتقلا من المنزل الصغير في باونال إلى منزل أغلى في يارموث. وأصبح صدرها، الصغير والثابت والمرتفع سابقاً (وهو أفضل ميزاتها، برأيها دائماً؛ لم ترغب أبداً أن تبدو مثل نادلات مطعم هوترز) أكبر الآن، ولم يعد ثابتاً، وبالطبع يتهدَّل عندما تخلع حمّالة صدرها في الليل - ماذا تتوقع عندما يقترب سنّك من حدود نصف قرن؟ - لكن بوب لا يزال يقترب منها من الخلف بين الحين والآخر ويحتضنهما بيديه. وكانت هناك الاستراحة اللطيفة بين الحين والآخر في غرفة نومهما في الطابق العلوي التي تطلّ على فدّانَي أرضهما المسالمين، وإذا كان سريعاً قليلاً في سحبه وتركها غير مكتفية في أغلب الأحيان، أغلب الأحيان لم يكن دائماً، والرضى من احتضانها بعد ذلك، والشعور بجسم رَجلها الدافئ الغافي جنبها... هذا الرضى لم يخيّب ظنّها أبداً. كان، حسبما افترَضت، الرضى من معرفتها أنهما لا يزالان معاً على عكس آخرين كُثُر؛ والرضى من معرفتها أنهما اقتربا من اليوبيل الفضي لزواجهما، والمسار لا يزال هادئاً أمامها.

في العام 2009، وبعد خمس وعشرين سنة من زواجهما في دار

عبادة صغير لم يعد موجوداً (حلّ محله مرأب سيارات)، أقام لهما دوني ويترا حفلة مفاجئة في مطعم على البحر حضرها أكثر من خمسين ضيفاً، وتناولوا فيها الشراب ذي الفقاقيع (من الصنف الجيد)، وأكلوا شرائح لحم مشوي، وقالب حلوى رباعي الطبقات. ورقَص المحتفى بهما على أنغام أغنية كيني لوغينز "فُوتلوس"، تماماً مثلما فعلا في عرسهما. صفَّق الضيوف لحركة بوب الانفصالية في الرقص، وهي حركة نسيتها إلى أن رأتها مرة أخرى، ولا يزال تنفيذها برشاقة يسبِّب لها غُصّة. حسناً، يجب ذلك؛ صحيح أن كرشه نما ليتماشى مع البقعة الصلعاء المُحرِجة (مُحرِجة له، على الأقل)، لكن قدمَيه لا تزالان خفيفتين بالنسبة لمحاسب.

لكن كل ذلك أصبح من التاريخ، أمور تُذكر في نعي الموتى، وكانا لا يزالان يافعين جداً ليفكِّرا بها. هذه تتجاهَل تفاصيل الزواج، وهكذا أسرار عادية، برأيها (برأيها *بكل يقين*)، هي الأمور التي تُثبت صحة الشراكة. المرة التي أكَلت فيها جمبري فاسداً وبقيت تتقيأ طوال الليل، جالسةً عند حافة السرير وشعرها المبلَّل بالعرق ملتصق بقفا عنقها والدموع تسيل على خدّيها المتورّدين وبوب جالسٌ بجانبها، وهو يحمل الحوض بصبر ثم يأخذه إلى الحمّام، حيث يفرِّغه ويشطفه بعد كل تقيؤ - لكي لا تزيد رائحته من حالة انزعاجها، حسبما قال. كان يحمّي السيارة ليأخذها إلى غرفة الطوارئ عند السادسة في الصباح التالي عندما بدأ الغثيان الرهيب ينحسِر أخيراً. اتصل بشركته ليأخذ عطلة مَرَضية؛ كما ألغى رحلةً إلى وايت ريفر لكي يتمكن من الجلوس معها في حال عاد غثيانها.

يجري هذا النوع من الأمور في الاتجاهين؛ فما ينطبق على الطرف

الأول في إحدى السنوات يجب أن ينطبق على الطرف الآخر في السنة التالية. فقد جلَست معه في صالة الانتظار في مستشفى سانت ستيفن - في العام 1994 أو 1995 - ينتظران صدور نتائج فحص الخزعة بعد أن اكتشَف (تحت الدُش) كتلة مشبوهة على إبطه الأيسر. كانت نتيجة الفحص سلبية، والتشخيص هو أن لديه عقدة لمفاوية ملتهبة. بقيت الكتلة لشهر آخر تقريباً، ثم زالت من تلقاء نفسها.

مشاهدة كتاب الكلمات المتقاطعة على حُضنه عبر باب الحمّام نصف المفتوح وهو يجلس على كرسي المرحاض. رائحة العطر على خدّيه، والتي تعني أن السوبربان ستختفي من الممر الخاص للمنزل ليوم أو يومين، وستبقى جهته من السرير فارغة لليلة أو ليلتين لأن عليه تسوية حسابات أحدهم في نيو هامبشاير أو فيرمونت (لشركة محاسبته الآن عملاء في كل ولايات نيو إنغلاند الشمالية). رائحة العطر تعني أحياناً قيامه برحلة لينظر إلى تشكيلة عملات معدنية ينوي مالكها بيعها، لأنه لا يمكن إتمام كل عمليات شراء العملات وبيعها عبر الكمبيوتر، وكلاهما يعرف ذلك. مشاهدة حقيبة سفره السوداء القديمة، تلك التي يرفض أن يتخلّى عنها مهما تذمَّرت منها، في القاعة الأمامية. خُفّه عند الطرف الآخر للسرير، وإحدى الفردتَين مدسوسة داخل الأخرى دائماً. كوب الماء على طاولته الصغيرة، وحبة الفيتامين البرتقالية بجانبه، موضوعةً على عدد ذلك الشهر من مجلة "تجميع العملات الورقية والمعدنية". كيف يقول دائماً، "مساحة أكبر في الخارج مما يوجد في الداخل" بعد أن يتجشأ و"انتبهوا، هجوم بالغاز!" بعد أن يُخرِج ريحاً. معطفه على الخطّاف الأول في القاعة. انعكاس فرشاة أسنانه على المرآة (كان ليواصل استخدام نفس فرشاة الأسنان منذ أن

تزوّجا، تقول دارْسي مقتنعةً، لو كانت لا تستبدلها له بشكل دوري). الطريقة التي يربِّت بها شفتيه بمنديله بعد كل ثاني أو ثالث قضمة من الطعام. ترتيبه اليقظ لمعدّات التخييم (تتضمن بوصلة إضافية دائماً) قبل أن ينطلق مع ستان ومجموعة أخرى من الأولاد في التاسعة من أعمارهم في نزهة على درب الرجل الميت - وهذا درب خطير ومروِّع يمرّ عبر الغابات الموجودة خلف مركز البستان الذهبي التجاري وينتهي عند "مدينة فاينبرغ للسيارات المستعملة". شكل أظافره، قصيرة ونظيفة دائماً. مذاق علكة دانتين في أنفاسه عندما يقبّلان بعضهما. هذه الأشياء وعشرة آلاف شيء آخر تشكِّل التاريخ السري لزواجهما.

كانت تعرف أنه لا شك يملك تاريخاً سرياً خاصاً به، كل شيء من مرهم الشفاه بنكهة القرفة الذي تستخدمه في الشتاء إلى رائحة الشامبو عندما يقبِّل عنقها (لم تعد تلك القبلات تحصل في أغلب الأحيان الآن، لكنها لا تزال تحصل) إلى صوت مفاتيح كمبيوترها في الثانية فجراً في تلك الليلتين أو الثلاثة في الشهر التي تعاني فيها من الأرق لسبب من الأسباب.

مرَّت الآن سبع وعشرون سنة على زواجهما، أو - متَّعت نفسها باحتساب هذا اليوم بالذات باستخدام برنامج الحاسبة على كمبيوترها - تسعة آلاف وثمانئة وخمسة وخمسون يوماً. حوالي رُبع مليون ساعة وأكثر من أربعة عشر مليون دقيقة. بالطبع أن بعض ذلك الوقت مضى وهو غائب في رحلة عمل، وقد قامت ببضع الرحلات بنفسها (أتعسها كانت الرحلة التي أمضتها مع والدَيها في مينيابوليس بعد وفاة أختها الصغرى براندولين في حادث غريب)، لكنهما كانا معاً في الأغلب.

هل تعرف كل شيء عنه؟ بالطبع لا. ليس أكثر مما يعرفه عنها -

كيف تزدرد أحياناً (في أغلب الأيام الماطرة أو تلك الليالي التي يصيبها فيها الأرق) ألواح شوكولا حتى بعد أن تزول رغبتها في تناولها، وحتى بعد أن تشعر بغثيان في معدتها. أو كيف شعرت أن ساعي البريد الجديد جذّاب نوعاً ما. لم تكن هناك معرفة بكل شيء، لكنها شعَرت أنهما يعرفان كل الأشياء المهمة بعد سبع وعشرين سنة. كان زواجاً جيداً، واحداً من الخمسين بالمئة تقريباً من الزيجات التي تستمر على المدى الطويل. كانت مقتنعة بذلك بنفس قناعتها الراسخة بأن الجاذبية ستُبقيها على كوكب الأرض عندما تسير على الرصيف.

حتى تلك الليلة في المرأب.

- 2 -

توقف جهاز التحكم بالتلفزيون عن بُعد عن العمل، ولم تكن هناك بطاريات حجم AA في خزانة المطبخ على يسار المغسلة. كانت هناك بطاريات حجم D وبطاريات حجم C، وحتى حزمة غير مفتوحة من البطاريات الصغيرة جداً حجم AAA، لكن ليس بطاريات لعينة حجم AA. لذا خرَجت إلى المرأب لأنها تعرف أن بوب يحتفظ بكمية من بطاريات دوراسيل هناك، وكان هذا كل ما يلزم لتغيير حياتها. كان كما لو أن الجميع في الهواء، *مرتفعين* في الهواء. خطوة صغيرة رديئة في الاتجاه الخطأ وستقع.

كان المطبخ والمرأب متصلين ببعض عبر سقيفة. وقطعتها دارسي على عجل، وهي تشدّ معطفها المنزلي عليها - قبل يومين من وصول موجة الحرّ الهندي الشديد، وبدا الطقس الآن أشبه بنوفمبر من أكتوبر. لسعت الرياح كاحلَيها. كان عليها على الأرجح ارتداء جوارب

وسروال فضفاض، لكن البرنامج الفكاهي "رجلان ونصف" كان سيبدأ بعد أقل من خمس دقائق، والتلفزيون اللعين مجمَّد على محطة CNN. لو كان بوب هنا، لكانت طلبت منه تغيير القناة يدوياً - هناك أزرار لهكذا أمر في مكان ما، على الأرجح على الجهة الخلفية حيث يستطيع فقط رجلٌ إيجادها - ثم أرسلته ليُحضِر البطاريات. ففي النهاية، كان المرأب ميدانه في الأغلب. وهي تذهَب إلى هناك فقط لتُخرج سيارتها، وهذا يحصل في الأيام ذات الطقس السيئ فقط؛ وإلا لكانت رَكَنتها في الممر الخاص للمنزل. لكن بوب في مونبلييه، يقيِّم مجموعة سنتات فولاذية تعود للحرب العالمية الأولى، وكانت، مؤقتاً على الأقل، المسؤولة الوحيدة عن منزل آل أندرسون.

بحَثت بارتباك عن المفتاح الكهربائي الثلاثي بجانب الباب ورفعته إلى الأعلى بكَعب يدها. صدر أزيز عن الأضواء الفلورية في السقف وهي تُضاء. كان المرأب فسيحاً ونظيفاً، والأدوات معلَّقة على ألواح الألياف الخشبية المضغوطة المثقوبة، ومنضدة عمل بوب مرتّبةً. كانت الأرضية أسمنتية رمادية. ولم تكن هناك بُقع زيت؛ قال بوب إن بُقع الزيت على أرضية المرأب إما تعني أن مالك المرأب يقود خردةً أو أنه مُهمِل بشأن الصيانة. كانت هناك سيارته البريوس التي يبلغ عمرها سنة والتي يستخدمها لتنقّلاته إلى بورتلاند خلال الأسبوع؛ وكان قد أخذ سيارته الرباعية الدفع التي قطعت مسافات طويلة إلى فيرمونت. وكانت سيارتها الفولفو مركونة في الخارج.

"من السهل جداً ركنها"، قال في أكثر من مناسبة (عندما يمضي على زواجك سبع وعشرون سنة، فإن التعليقات الأصلية تميل إلى أن تكون نادرة). "فقط استخدمي فتّاحة الباب على الواقية من الشمس".

"أفضّلها حيث يمكنني رؤيتها"، كانت تردّ عليه دائماً، رغم أن السبب الحقيقي هو خوفها من لطم باب المرأب أثناء إخراجها السيارة عكسياً. كانت تكره القيادة عكسياً. وافترَضت أنه يعرف ذلك... تماماً مثلما تعرف أن لديه عادة غريبة بإبقاء جانب الوجه في العملات الورقية في محفظته إلى الأعلى، ولا يترك أي كتاب مفتوحاً ومقلوباً على صفحاته أبداً عندما يتوقف عن قراءته مؤقتاً - لأن هذا، حسب قوله، يُفسد كعب الكتاب.

على الأقل كان المرأب دافئاً؛ أنابيب فضية كبيرة (على الأرجح تسمّى قنوات، لكن دارْسي لم تكن متأكدة تماماً) متقاطعة عند السقف. سارت إلى المقعد، حيث تصطف عدة علب مربعة، وكل واحدة منها تحمل لصقة أنيقة: مسامير ملولبة، براغي، مِفصَلات وكلاّبات، سمكرة، و- وجَدت هذا ودوداً قليلاً - متفرقات. كان هناك تقويم على الجدار يُظهِر فتاة في ثوب سباحة بدت يافعة وجذّابة بشكل مسبِّب للكآبة؛ وعلى يسار التقويم صورتان فوتوغرافيتان مثبَّتتان بدبوس. الأولى صورة قديمة لدوني وبترا في ملعب دوري يارموث الصغير، يرتديان قميصين صوفيين لفريق ريد سوكس بوسطن، وقد كتب بوب تحتها بخط كبير "الفريق المحلي، 1999". والثانية، وهي أحدث بكثير، تُبيِّن بترا الناضجة والجميلة واقفة مع خطيبها مايكل أمام كوخ على شاطئ أولد أرتشارد وهما يحضنان بعضهما البعض. والكلمة تحتها تقول "السعيدان!".

كانت هناك لصقة على الخزانة التي تحتوي على البطاريات مكتوب عليها "الأغراض الكهربائية"، وقد وُضعت على يسار الصور الفوتوغرافية. سارت دارْسي في ذلك الاتجاه من دون أن تنظر إلى أين

كانت تذهب - واثقةً من هَوَس بوب بالنظافة والترتيب - وتعثَّرت بصندوق كرتوني لم يُدفَع كلياً تحت منضدة العمل. ترنَّحت، ثم تمسَّكت بمنضدة العمل في آخر لحظة. كسرت ظفراً - وكان هذا مؤلماً ومزعجاً - لكنها أنقذت نفسها من سقوط بغيض، وكان هذا جيداً. جيداً *جداً*، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنه لا يوجد أحدٌ في المنزل ليتصل برقم الطوارئ 911، لو أنها كسرت جمجمتها على الأرض - الخالية من الشحوم والنظيفة، لكن الصلبة جداً.

كان يمكنها أن تدفَع الصندوق ببساطة إلى تحت المنضدة بطرف قدمها - ستُدرِك هذا لاحقاً وتفكِّر فيه ملياً، مثل عالِم رياضيات يستعرض معادلة مُبهَمة ومعقَّدة. كانت على عجل، في النهاية. لكنها رأت كتالوغ حياكة فوق الصندوق، وركعت لتأخذه مع البطاريات. وعندما رَفَعته، رأت تحته كتالوغ أجهزة كهربائية كانت قد أضاعته يوماً. وتحته كتالوغ ألبسة نسائية لپولا يونغ... وتالبوتس... وفورزييري... وبلومينغدايل...

"بوب!"، صاحت، لكن الكلمة خرجت منها بنبرة ساخطة (مثلما يحصل عندما يدخل وحذاؤه ملطَّخ بالوحل أو يترك مناشفه المُبتلّة للغاية على أرضية الحمّام، كما لو أنهما في فندق فاخر وخادمة الغرفة ستنظّف من ورائه). لأنه يمكنها، حقاً، قراءته مثل كتاب. كان يعتبر أنها تشتري أشياء كثيرة من كتالوغات الشراء بالبريد، وحتى اتّهمها مرةً أنها مدمنة عليها (وهذا كان مضحكاً، فهي مدمنة على ألواح الشوكولا). ذلك التحليل النفسي الصغير أكسبَه جفاءً في المعاملة ليومين. لكنه يعرف كيف يعمل ذهنها، وأنها مع الأشياء غير الحيوية أبداً، تكون حقاً من الصنف "البعيد عن الأنظار، بعيد عن البال". لذا

جمَّع كل كتالوغاتها، الماكر، وخبّأها هنا. الأرجح أن محطتها التالية هي سلة إعادة التصنيع.

دانسكين... اكسبرس... كمبيوتر آوتليت... ماك وورلد... مانكي وورد... ليلي غرايس...

كلما تعمقّت أكثر، كلما أصبحت ساخطة أكثر. قد يظن المرء أنهم كانوا على شفير الإفلاس بسبب طرق تبذيرها، وهذا هراء تام. لقد نسيت كل شيء عن البرنامج الفكاهي "رجلان ونصف"؛ وكانت تجمِّع أفكارها للأشياء التي ستقولها لبوب عندما يتصل من مونبلييه (كان يتصل بها دائماً بعد أن يتناول العشاء ويعود إلى الفندق). لكنها تنوي أولاً إعادة كل تلك الكتالوغات إلى المنزل اللعين، وهذا سيستلزم منها ثلاث أو ربما أربع رحلات، لأن ارتفاع الكدسة ستّون سنتيمتراً على الأقل، وتلك الكتالوغات *ثقيلة*. لا عجب حقاً أنها تعثَّرت بالصندوق.

الموت بالكتالوغات، فكّرت في سرّها. *الآن هذه ستكون طريقة ساخرة لـ* –

انقطعت الفكرة فجأة مثل غصن جاف. كانت تستعرض بينما تفكّر، وأصبحت الآن عند رُبع المسافة في الكدسة، وتحت "رقعة الكشمش" (ديكور ريفيّ)، وصلت إلى شيء لم يكن كتالوغاً. لا، ليس كتالوغاً أبداً. كان مجلة تدعى *حقيرات العبودية*. لم تلمسها تقريباً، ولن تلمسها على الأرجح حتى ولو صادفتها في أحد جواريره، أو على ذلك الرف العالي مع منتجات الشعر البديل العجيبة. لكن العثور عليها هنا، مُخبأة في كومة ما يمكن أن يكون مئتَي كتالوغ على الأقل... كتالوغاتها هي... كان هناك شيء في هذا يتخطى حدود الإحراج الذي قد يشعر به الرجل بشأن ميوله الغريبة.

كانت المرأة على الغلاف مقيَّدة بكرسي وعارية ما عدا من غطاء أسود للرأس، لكن الغطاء غطّى النصف العلوي لوجهها فقط ويمكن رؤية أنها تصرخ. كانت مقيَّدة بحبال سميكة تضغط بقوة على صدرها وبطنها، وهناك دم مزيَّف على ذقنها وعنقها وذراعيها. وفي أسفل الصفحة، بخط أصفر صارخٍ، الجملة البغيضة التالية: *بائعة الهوى الحقيرة بريندا طلبت ذلك وستناله على الصفحة 49!*

لم تكن لدى دارْسي أي نيّة لتقلب إلى الصفحة 49، أو إلى أي صفحة أخرى. كانت تفسِّر ماهية هذا لنفسها من قبل: *حشرية ذكورية*. كانت تعرف عن الحشرية الذكورية من مقال قرأته في الكوزموبوليتان في عيادة طبيب الأسنان. فقد راسلت امرأةٌ أحد مستشاري المجلة العديدين (كان ذلك المستشار طبيبةً نفسيةً متخصصةً في العنف في العلاقات الحميمة) لتستسفر عن عثورها على مجلتين عن المثلية الجنسية في حقيبة ملفات زوجها. صور صريحة جداً، قالت كاتبة الرسالة، وكانت قلقة الآن أن زوجها قد يكون مثلياً. رغم أنه إذا كان كذلك، تابَعت تقول، فإنه يُخفي ذلك بشكل جيد في غرفة النوم.

لا داعي للقلق، قالت سيدة المشورة. فالرجال مُغامِرون بطبيعتهم، والعديد منهم يحبّ أن يستطلع السلوك الذي يكون إما بديلاً – المثليّة هي الرقم واحد في هذا المجال، والمجامعات الجماعية تحلّ في المرتبة الثانية – أو ولعاً بالأشياء المحسوسة: الرياضات المائية، ارتداء ملابس الجنس الآخر، المجامعة في الأماكن العامة، ملابس اللاتكس. وبالطبع، العبودية. وأضافت أن بعض النساء أيضاً مفتونات بالعبودية، وهذا أذهَلَ دارْسي، لكنها كانت لتكون أول مَن يعترف أنها لا تعرف كل شيء.

الحشرية الذكورية، هذا كل ما في الأمر. ربما رأى المجلة في كشك صحف في مكان ما (رغم أنه عندما حاوَلت دارْسي أن تتخيَّل هذا الغلاف بالذات على كشك صحف، توقف ذهنها عن العمل كلياً)، وشعَرَ بالفضول. أو ربما أخذها من صفيحة نفايات في متجرٍ. وأعادها معه إلى المنزل، وتصفّحها هنا في المرأب، وشعَرَ بالاشمئزاز مثلها (كان واضحاً أن الدم على امرأة الغلاف مزيَّفٌ، لكن الصرخة بدت حقيقية جداً)، فوضَعَها في هذه الكدسة الكبيرة من الكتالوغات التي كان ينوي رميها في سلة إعادة التصنيع لكي لا تراها بالصدفة وتوبِّخه بسببها. هذا كل ما في الأمر، حادثة لمرة واحدة. وإذا بحثت في بقية تلك الكتالوغات، لن تجد أي شيء آخر مماثل. ربما بضعة أعداد من مجلة بنتهاوس ومثيلاتها - كانت تعرف أن معظم الرجال يحبّون الحرير والملابس المخرَّمة، ولم يكن بوب استثناءً فيما يتعلّق بهذا الأمر - لكن لا شيء أكثر في مجال *حقيرات العبودية*.

نظَرَت إلى الغلاف مرة أخرى، ولاحظت شيئاً غريباً: لم يكن هناك سعر عليه. ولا باركود أيضاً. فحَصت الغلاف الخلفي، وهي تشعر بالفضول عن ثمن هكذا مجلة، وجفَلت من الصورة المعروضة هناك: شقراء عارية مقيَّدة بما بدا أنه طاولة غرفة عمليات فولاذية. لكن نظرة الرعب في هذه الصورة بدت حقيقية مثل ورقة الدولارات الثلاثة، وهذا كان مريحاً نوعاً ما. والرجل البدين الواقف فوقها مُمسكاً ما بدا أنه سكين حادّة بدا مُضحكاً في عصابة ذراعه وسرواله الداخلي الجلدي - بدا أشبه بمحاسب منه شخص على وشك أن يذبح حقيرة العبودية المختارة لهذا اليوم.

بوب *محاسِبٌ*، ذكّرها ذهنها.

انطلقت فكرة غبية من "المنطقة الغبية" الكبيرة جداً في دماغها. دفَعتها جانباً تماماً مثلما دفَعت المجلة البغيضة إلى كومة الكتالوغات بعد التحقّق من عدم وجود سعر أو باركود على غلافها الخلفي أيضاً. وبينما كانت تدفع الصندوق إلى تحت منضدة العمل - غيَّرت رأيها بشأن نقل الكتالوغات إلى المنزل - جاءها التفسير لسبب عدم وجود سعر أو باركود. إنها إحدى تلك المجلات التي تُباع داخل مغلّف بلاستيكي يغطي كل الأجزاء البذيئة. وكان السعر والرمز على المغلَّف، بالطبع، وهل هناك أي تفسير آخر؟ لا شك أنه اشترى هذا الشيء اللعين من مكان ما، على افتراض أنه لم يُخرجه من النفايات.

ربما اشتراه عبر الانترنت. هناك مواقع على الأرجح متخصِّصة في هذا النوع من الأشياء. ناهيك عن نساء يافعات يرتدين ملابس فتيات في الثانية عشرة من أعمارهن.

"لا يهمّ"، قالت، وأومأت برأسها إيماءة رشيقة واحدة. هذه قضية وانتهت، رسالة ميتة، مناقشة مُغلقة. إذا ذكرَتها له على الهاتف عندما يتصل لاحقاً هذه الليلة، أو عندما يعود إلى المنزل، سينحرج ويصبح دفاعياً. وحتى قد يصفها بالساذجة في العلاقات الحميمة، وهي تظن أنها كذلك، ويتّهمها بالمبالغة في ردة الفعل، وهي كانت مصمِّمة ألا تفعل ذلك. ما كانت مصمِّمة أن تفعله هو أن تسير مع التيار يا عزيزي. الزواج يشبه منزلاً قيد التشييد المتواصل، وكل سنة تشهد اكتمال غرف جديدة. الزواج البالغ عمره سنة واحدة هو كوخٌ؛ والزواج البالغ عمره سبع وعشرون سنة هو قصر ضخم ومتشعّب. ولا مفرّ من وجود زوايا مظلمة ومساحات تخزين، معظمها مليء بالغبار ومهجور، وبعضها يحتوي على بقايا بغيضة سرعان ما ستتمنى لو أنك لم تعثر

عليها. لكن هذا ليس أمراً ذا شأن كبير. فإما أن ترمي تلك البقايا خارجاً، أو تأخذها إلى ركن النوايا الحسنة.

أعجبتها هذه الفكرة (التي غمرتها بشعور جيد) كثيراً لدرجة أنها قالتها بصوتٍ عالٍ: "ليس أمراً ذا شأن كبير". ولكي تبرهن ذلك، دفعت الصندوق بكل قوتها، مما أعاده إلى الوراء حتى لامس الجدار.

حيث سمعت قرقعةً. ما هذا؟

لا أريد أن أعرف، قالت لنفسها، وكانت متأكدةً تماماً أن هذه الفكرة لم تكن آتية من المنطقة الغبية بل من المنطقة الذكية. المكان مُظلم هناك تحت طاولة العمل، وقد تكون هناك فئران. فحتى مرأب نظيف ومرتّب مثل هذا يمكن أن يحتوي على فئران، خاصة بعدما يحلّ الطقس البارد، والفأرة الخائفة قد تعضّ.

نهضت دارسي، ومسحت رُكبتَي معطفها المنزلي، وغادرت المرأب. في منتصف الطريق تحت السقيفة، سمِعت الهاتف وقد بدأ يرنّ.

- 3 -

وصلت إلى المطبخ قبل أن تعمل آلة الردّ على المكالمات الهاتفية، لكنها انتظَرت. إذا كان بوب المتصل، فستدع الآلة تعمل. لم تكن تريد أن تكلّمه في هذه اللحظة بالذات. فقد يسمع شيئاً في صوتها. سيفترض أنها ذهبت إلى متجر الزاوية أو ربما إلى قرية الفيديو وسيعاود الاتصال بعد ساعة. بعد ساعة، ستكون صدمة اكتشافها البغيض قد هدأت قليلاً، وستكون قد أصبحت بخير ويمكنهما إجراء محادثة لطيفة.

لكنه لم يكن بوب، بل دوني. "تباً، أردتُ حقاً التكلم معكما".

رفَعت سمّاعة الهاتف، ومالت إلى الوراء وأسندت نفسها على المنضدة، وقالت، "تكلّم إذاً. كنتُ عائدة من المرأب".

كان دوني يفور بالأخبار. يعيش الآن في كليفلاند، أوهايو، وبعد سنتين من الكدح الجاحِد في منصب متواضع في أكبر شركة إعلانات في المدينة، قرّر وأحد أصدقائه أن يجازفا بالعمل على حسابهما. كان بوب قد نصحه بشدة عدم فعل ذلك، وأخبرَه أنه لن يحصل وشريكه أبداً على قرض الانطلاق اللذين يحتاجان إليه في السنة الأولى.

"استيقظ"، قال بعد أن أعطته دارْسي سمّاعة الهاتف. كان ذلك في أوائل الربيع، وآخر بقايا الثلج لا تزال مختبئة تحت الأشجار والأجمات في الفناء الخارجي. "أنت في الرابعة والعشرين يا دوني، وكذلك صديقك كين. لا تستطيعان أيها الأخرقان حتى تدبير كلفة التأمين على سياراتيكما لسنة أخرى. لن يقبل أي مصرف أن يمنحكما قرضاً بسبعين ألفَ دولار، خاصة في الوضع الاقتصادي الحالي".

لكنهما حصلا على القرض، وفازا بعميلين كبيرين الآن، في اليوم نفسه. أحدهما تاجر سيارات يبحث عن أسلوب جديد لجذب المشترين في الثلاثينات من أعمارهم. والآخر المصرف نفسه الذي أصدر شيك القرض بإسم أندرسون وهايوورد. صرخت دارْسي من فرحتها، وصاح دوني فوراً. تكلّما لحوالي عشرين دقيقة. ومرةً خلال المحادثة قاطعتهما الصفرة المزدوجة التي تشير إلى ورود مكالمة أخرى.

"هل تريدين الردّ عليها؟"، سأل دوني.

"لا، هذا أبوك فقط. إنه في مونبلييه ينظر إلى تشكيلة سنتات فولاذية. سيعاود الاتصال قبل أن ينام".

"كيف حاله؟".

بخير، فكّرت في سرّها. *يطوّر اهتمامات جديدة.*

"واقف ويشمّ الهواء"، قالت. كان هذا أحد التعابير المفضّلة لدى بوب، ويُضحِك دوني. كانت تحبّ أن تسمعه يضحك.

"وحال بَتْس؟".

"اتصل بها بنفسك يا دونالد".

"سأفعل، سأفعل. أنا أفعل ذلك دائماً. في غضون ذلك، أعطني فكرة سريعة".

"إنها رائعة. مشغولة بتفاصيل العرس".

"سيظن المرء أنه الأسبوع القادم وليس في يونيو القادم".

"دوني، إذا كنتَ لن تبذل جهداً لتفهم النساء، فلن تتزوَّج أبداً".

"لستُ مستعجلاً، وأنا أتسلى كثيراً الآن".

"طالما أنك تتسلى بحذر".

"أنا حذِر جداً ومهذّب جداً. عليَّ أن أنهي المكالمة يا ماما. سألتقي كين لتناول بعض الشراب بعد نصف ساعة. سنبدأ جلسات طرح أفكار بشأن معرض السيارات".

كادت تقول له ألا يُكثر من تناول الشراب، ثم منعت نفسها. قد لا يزال يبدو طالباً في الثانوية، وأوضح صورة له في ذاكرتها عندما كان في الخامسة من عمره ويرتدي سترة حمراء مضلّعة، ويدفع درّاجته بلا كلل صعوداً ونزولاً على المسارات الأسمنتية لحديقة جوشوا تشامبرلاين في باونال، لكنه لم يعد لا هذا ولا ذاك من الفتيان. بل أصبح شاباً، ورغم عدم احتمال ذلك أيضاً، إلا أنه مستثمر يافع يشقّ طريقه في الحياة.

"حسناً"، قالت. "شكراً لاتصالك يا دوني. سرّني ذلك".

"وأنا أيضاً. سلّمي لي على العجوز عندما يعاود الاتصال".

"سأفعل".

"واقف ويشمّ الهواء"، قال دوني، وضَحَك بفتور. "كم عدد أشبال الكشّافة الذين علَّمهم هذا القول؟".

"كلهم". فتحت دارْسي البراد لترى إن كان هناك احتمال وجود لوح شوكولا، ينتظِر نواياها الغرامية. لا. "هذا مروِّع".

"أحبّك يا ماما".

"أحبّك أيضاً".

أغلقت السمّاعة، وعاد شعورها جيداً مرة أخرى. ابتسمت. لكن أثناء وقوفها هناك، متكئةً على المنضدة، خفتت الابتسامة.

قرقعة.

لقد سمعت قرقعةً عندما دفَعت صندوق الكتالوغات إلى الخلف تحت منضدة العمل. ليس قرقعةً، كما لو أن الصندوق ارتطم بأداة مرمية على الأرض، بل قرقعةً من النوع المجوَّف.

لا يهمّني.

لسوء الحظ، لم يكن هذا صحيحاً. بدت القرقعة وكأنها عمل غير مُنجَز. الصندوق أيضاً. هل توجد مجلات أخرى مثل *حقيرات العبودية* مُخبأة هناك؟

لا أريد أن أعرف.

صح، صح، لكن ربما عليها أن تعرف. لأنه إذا كان يوجد ذلك

العدد فقط لا غير، فستكون محقّة بشأن حشريته الجنسية التي أشبعها ببعض النظرات على عالمٍ بغيضٍ (وغير رصينٍ، أضافت لنفسها). وإذا كانت هناك أعداد أكثر، لربما لا بأس بذلك أيضاً – فهو كان يرميها، في النهاية – لكن ربما عليها أن تعرف.

في الأغلب... تلك القرقعة. بقيت تشغل بالها أكثر من مسألة المجلات.

انتزَعت مشعلاً كهربائياً من حجرة المؤن وعادت إلى المرأب. شدّت معطفها المنزلي عليها وتمنت فوراً لو أنها ارتدت سترتها. كان الجو بدأ يصبح بارداً حقاً.

– 4 –

ركعت دارْسي على رُكبتَيها، ودفَعَت صندوق الكتالوغات جانباً، وسلَّطت الضوء تحت طاولة العمل. لم تفهم للحظة ما الذي كانت تراه: خطّين من الظلمة يقطعان نعل الجدار الناعم، أحدهما أسمك من الآخر بقليل. ثم شعرت بانقباض مزعج يمتدّ منَ وسط صدرها نزولاً إلى معدتها. إنه مخبأ.

اتركي هذا وشأنه يا دارسي. ولكي تستمر راحة بالك، عليك إبقاء الأمور على هذا النحو.

نصيحة جيدة، لكنها قطعت شوطاً طويلاً لكي تأخذ بها. زحَفت تحت طاولة العمل حاملةً المشعل الكهربائي في يدها، ومستعدةً ذهنياً لتُبعد بيوت العناكب بيدها، لكنها لم تكن موجودة. إذا كانت فتاةً من النوع "البعيد عن الأنظار، بعيد عن البال"، فإن زوجها شبل

الكشّافة الأصلع والمجمّع للعملات من النوع "نظِّف ولمِّع كل شيء".

كان يزحَف هنا بنفسه أيضاً، لذا لم تكن تتسنى فرصة لكي تتشكَّل بيوت العناكب.

هل هذا صحيح؟ لا تعرف في الواقع ، أليس كذلك؟

لكنها اعتقَدت أنها تعرف.

كانت التشقّقات عند طرفَيْ قسم من نعل الجدار طوله عشرون سنتيمتراً يبدو وكأنه يوجد دِسار أو شيء في وسطه لكي يمكن تحريكه. كانت قد ضرَبته بالصندوق بقوة كافية لفتحه، لكن ذلك لم يفسِّر القرقعة. ضغطت على أحد طرفَيْ قسم النعل، فاستدار إلى الداخل عند أحد طرفيه وإلى الخارج عند الطرف الآخر، كاشفاً عن مخبأ طوله عشرون سنتيمتراً، وارتفاعه ثلاثون سنتيمتراً، وعمقه ربما خمسة وأربعون سنتيمتراً. اعتقَدت أنها قد تكتشف المزيد من المجلات، ملفوفة ربما، لكن لم تكن هناك أي مجلات. بل كان هناك صندوق خشبي صغير، واحدٌ كانت متأكدةً تماماً أنها تعرفه. كان الصندوق الذي أحدثَ صوت القرقعة. كان يقف على طرفه، حيث أن نعل الجدار المتحرِّك قد أسقطه.

مدَّت يدها وأمسكته، و- بريبة قوية لدرجة أنه يمكنها الشعور بثقلها تقريباً - أخرجته. كان صندوق السنديان الصغير الذي أهدته إياه في احتفال الشتاء منذ خمس سنوات، وربما أكثر. أم هل أهدته إياه في ذكرى ولادته؟ لم تعد تتذكَّر، سوى أنها اشترته بسعر جيد من متجر الحِرفيات في كاسل روك. كانت هناك سلسلة منحوتة باليد على سطحه العلوي. وهناك كلمة تحت السلسلة، منحونة أيضاً، تُظهر الهدف المُعلَن للصندوق: أزرار. كان بوب يملك مجموعةً من الأزرار

المعدنية للأكمام، ورغم أنه يفضِّل القمصان ذات الأزرار العادية للعمل، إلا أن بعض مجوهرات المعصم التي يملكها لطيفة جداً. تذكَّرت قولها لنفسها إن هذا الصندوق سيساعده على تنظيمها. وتذكَّرت أيضاً أنها رأته على المكتب الموجود في جهته من غرفة النوم لبعض الوقت بعد أن فتح الهدية وأبدى إعجابه بها، لكن لا يمكنها أن تتذكَّر رؤيتها له مؤخراً. بالطبع لم تره. فقد كان هنا، في المخبأ تحت طاولة عمله، وكانت متيقّنة تماماً أنها إذا فتَحته، لن تجد فيه الأزرار المعدنية للأكمام.

لا تنظري إذاً.

نصيحة جيدة أخرى، لكنها قطعت الآن شوطاً طويلاً *جداً* لكي تأخذ بها. شعرت كما لو أنها امرأة دخلت صالة ألعاب حظ ولسببٍ مجنونٍ ما وضعت كل مدّخرات عمرها على ورقة لعب واحدة، وفتَحت الصندوق.

أرجو أن يكون فارغاً. أرجو أن يكون فارغاً.

لكنه لم يكن فارغاً. كان يحتوي على ثلاث بطاقات بلاستيكية مستطيلة مربوطة بحزام مطاطي. رفعت الحزمة، بأطراف أصابعها فقط - مثلما ستفعل المرأة عندما تتعامل مع خرقة مُهمَلة تخشى أن تكون مليئة بالجراثيم وقذرة أيضاً. نزعت دارْسي الحزام المطاطي.

لم تكن بطاقات إئتمان، مثلما ظنّت في البدء. كانت البطاقة العليا بطاقة تبرّع بالدم بإسم مارجوري دوفال. كانت فئتها +A، ومنطقتها نيو إنغلاند. أدارت دارْسي البطاقة ورأت أن مارجوري - أياً تكن هذه الإنسانة - تبرَّعت بالدم لآخر مرة في 16 أغسطس 2010. منذ ثلاثة أشهر.

مَن هي مارجوري دوفال اللعينة؟ وكيف يعرفها بوب؟ ولماذا بدا لها هذا الإسم مألوفاً ولو قليلاً جداً؟

كانت البطاقة التالية بطاقة مارجوري دوفال في مكتبة كونواي الشمالية، وعليها العنوان: 17 ممر العسل، جنوبي غانستّ، نيو هامبشاير.

القطعة البلاستيكية الأخيرة كانت رخصة قيادة مارجوري دوفال في نيو هامبشاير. بدت امرأة أميركية عادية تماماً في منتصف الثلاثينات من عمرها، وغير جميلة جداً (رغم أن لا أحد يبدو بأفضل أحواله في صورة رخصة القيادة)، لكنها أنيقة. وهناك شعر أشقر داكن مسحوب إلى خلف وجهها، إما مربوطاً على شكل كعكة أو على شكل ذيل حصان؛ لا يمكن الجزم في الصورة. تاريخ الولادة، 6 يناير 1974. كان العنوان نفسه الموجود على بطاقة المكتبة.

أدركت دارْسي أنها تُصدِر صوت مواء كئيب. كان رهيباً سماع هكذا صوت قادم من حنجرتها، لكنها لم تتمكن من إيقافه. وحلّت كُرةٌ معدنيةٌ محل معدتها، وكانت تسحب كل أحشائها نزولاً، وتطوّلها إلى أشكال جديدة وبغيضة. لقد رأت وجه مارجوري دوفال في الصحيفة. في نشرة أخبار الساعة السادسة أيضاً.

بيدين خاليتين من أي شعور على الإطلاق، أعادت وضع الحزام المطاطي حول بطاقات الهوية، وأعادتها إلى داخل الصندوق، ثم أعادت الصندوق إلى مخبئه. كانت تستعد لإغلاقه مرة أخرى عندما سِمِعت نفسها تقول، "لا، لا، لا، هذا غير صحيح.لا يُعقَل".

هل كان ذلك صوت دارْسي الذكية أم دارْسي الغبية؟ كان من

الصعب الجزم. كل ما كانت متيقّنة منه هو أن دارْسي الغبية هي التي فتحت الصندوق. وبفضل دارْسي الغبية، كانت تقع.

أعادت إخراج الصندوق. وراحت تفكِّر في سرّها، *هذا خطأ، لا شك أنه خطأ، نحن متزوجان منذ أكثر من نصف حياتنا، وسأعرف هكذا أمر، سأعرف*. فتحت الصندوق. وتابعت تفكِّر في سرّها، *هل يعرف الشخص أي شخص آخر حقاً؟*

قبل هذه الليلة كانت لتظن أن الجواب إيجابي بكل تأكيد.

كانت رخصة قيادة مارجوري دوفال في أعلى الكدسة الآن. بينما كانت في الأسفل قبل ذلك. أعادتها دارْسي إلى هناك. لكن أي بطاقة من البطاقتين الأخريين كانت في الأعلى، بطاقة التبرّع بالدم أم بطاقة المكتبة؟ كان الجواب بسيطاً، *لا بدّ* أن يكون بسيطاً عندما يكون لديك خياران فقط، لكنها كانت منزعجة جداً لكي تتذكّر. وَضَعت بطاقة المكتبة في الأعلى وعرَفت فوراً أنها مخطئة، لأن أول شيء رأته عندما فتَحت الصندوق كان اللون الأحمر، أحمر مثل الدم، وبالطبع أن بطاقة التبرّع بالدم ستكون حمراء، وهذه هي البطاقة في الأعلى.

وَضَعتها هناك، وبينما كانت تعيد وضع الحزام المطاطي حول البطاقات البلاستيكية، بدأ الهاتف في المنزل يرنّ مرة أخرى. كان هو. كان بوب، يتصل من فيرمونت، ولو كانت في المطبخ لتردّ على المكالمة، لسمعت صوته المبتهِج (صوتاً تعرفه مثل صوتها) يسألها، *مرحباً يا حبيبتي، كيف حالك؟*

ارتعَشت أصابعها ونقفت الحزام المطاطي. طار بعيداً، فصرَخت، ولم تعرف إن فعلت ذلك من خيبة أملها أو من خوفها. لكن حقاً،

لماذا ستكون خائفة؟ سبع وعشرون سنة من الزواج ولم يضع يده عليها أبداً، إلا لمداعبتها. ورفعَ صوته عليها في حالات قليلة فقط.

رنَّ الهاتف مرة أخرى... ومرة أخرى... ثم توقف في منتصف الرنّة. سيترك لها رسالة الآن. *مشتاق لك مرة أخرى! تباً! اتصلي بي لكي لا أقلق، اتفقنا؟ الرقم هو...*

وأضاف رقم غرفته أيضاً. لم يترك شيئاً للصدفة، ولم يأخذ أي شيء كقضية مسلَّمة.

ما كانت تفكِّر فيه لا يُعقَل أن يكون صحيحاً أبداً. كان مثل أحد أوهام الوحوش تلك التي ترتفع أحياناً من الوحول القابعة في قعر ذهن الشخص، وتتلألأ بمعقولية بشعة: أن الحرقة في المعدة بداية نوبة قلبية، وأن الصُداع ورمٌ في الدماغ، وأن عدم اتصال بترا ليلة الأحد يعني أنها تعرّضت لحادث سيارة وتقبع في غيبوبة في إحدى المستشفيات. لكن تلك الأوهام تأتي عادة عند الرابعة فجراً، عندما يسيطر الأرق على الشخص. وليس عند الثامنة مساءً... وأين ذلك الحزام المطاطي اللعين؟

وجَدته أخيراً، جالساً خلف صندوق الكتالوغات الذي لم ترغب أن تنظر إليه مرة أخرى أبداً. وَضَعته في جيبها، وبدأت تنهض لتبحث عن واحد آخر من دون أن تتذكَّر أين كانت، فارتطم رأسها بأسفل الطاولة. بدأت دارْسي تبكي.

لم تكن هناك أحزمة مطاطية في أي جارور من جوارير طاولة العمل، وهذا جَعَلها تبكي أكثر. عادت عبر السقيفة، وبطاقات الهوية الفظيعة المتعذِّر تفسيرها في جيب معطفها المنزلي، وأخرجت حزاماً

مطاطياً من جارور المطبخ حيث تحتفظ بكافة أصناف الأشياء التافهة نصف المفيدة: مشابك للورق، ربطات للخبز، مغنطيسات للبرّاد فقدت معظم قوتها. وأحد تلك المغنطيسات يقول "دارْسي الحاكمة"، وكان هدية صغيرة من بوب في احتفال الشتاء.

على المنضدة، كان الضوء فوق الهاتف يومض بثبات، وكأنه يقول *رسالة، رسالة، رسالة.*

أسرعَت إلى المرأب من دون أن تُغلق معطفها المنزلي. لم تعد تشعر بالقشعريرة في الخارج، لأن القشعريرة التي في الداخل كانت أقوى. ثم كانت هناك الكُرة المعدنية التي تشدّ أحشاءها نزولاً. تطوّلها. كانت تُدرك بشكل طفيف أن عليها تفريغ مثانتها، وبشكل سريع.

لا يهمّ. تمالكي نفسك. تظاهري أنك على الطريق السريع ومنطقة الاستراحة التالية أمامك بثلاثين كيلومتراً. أنجزي هذا. أعيدي كل شيء بالطريقة التي كان عليها. ثم يمكنك –

ثم يمكنها ماذا؟ نسيان الأمر؟

الاحتمال ضئيل.

ربَطت بطاقات الهوية بالحزام المطاطي، وأدركت أن رخصة القيادة عادت إلى الأعلى بطريقة ما، ووصفت نفسها بالحقيرة الغبية... وهذا إزدراء كانت لتصفع وجه بوب لو حاوَل توجيهه لها مرةً. طبعاً أنه لم يفعل ذلك أبداً.

"حقيرة غبية لكن ليس حقيرة عبودية"، تمتمت، وأصابها تشنّجٌ في بطنها. ركعت على رُكبتَيها وتجمَّدت في تلك الوضعية، بانتظار أن يزول. لو كان هناك حمّام هنا لهرعت إليه، لكن لم يكن هناك واحدٌ.

عندما زال التشنّج - على مضض - أعادت ترتيب البطاقات بالشكل الذي كانت متأكدةً منه (التبرّع بالدم، المكتبة، رخصة القيادة)، ثم أعادتها إلى صندوق الأزرار. وأعادت الصندوق إلى الفجوة. وأدارت قطعة نعل الجدار لإغلاق باب المخبأ. ثم أعادت صندوق الكتالوغات إلى حيث كان عندما تعثَّرت به: ناتئ قليلاً. لن يلاحظ الفرق أبداً.

لكن هل هي متأكدة من ذلك؟ إذا كان بوب ما تعتقده – من الشناعة أن يخطر هكذا أمر على بالها، بينما كل ما كانت تريده منذ نصف ساعة فقط هو العثور على بطاريات جديدة لجهاز التحكم عن بُعد اللعين – إذا كان كذلك، فهذا يعني أنه بقي حريصاً لفترة طويلة. وهو *كان* حريصاً، كان منظَّماً، كان حقاً من النوع الذي ينظِّف ويلمّع كل شيء، لكن إذا كان ما توحي به تلك البطاقات البلاستيكية *اللعينة*، فلا شك أنه كان حريصاً *بشكل خارق*. يقظاً بشكل خارق. خبيثاً.

كانت هذه كلمة لم تفكِّر فيها أبداً تجاه بوب قبل هذه الليلة.

"لا"، قالت للمرآب. كانت تتعرَّق، وقد التصق شعرها بوجهها في سُنَيبِلات غير جميلة، وكانت متشنّجة ويداها ترتعشان مثل شخص مصاب بالباركنسون، لكن صوتها هادئ بشكل غريب. "لا، ليس هكذا. هذا خطأ. *زوجي ليس بِيدي*".

عادت إلى المنزل.

– 5 –

قرَّرت أن تصنع بعض الشاي. فالشاي مهدئ للأعصاب.

كانت تملأ الغلاية عندما بدأ الهاتف يرنّ مرة أخرى. أفلَتت الغلاية في المغسلة - جَعَلها صوت ارتطامها تصرخ صرخة صغيرة - ثم ذهَبت إلى الهاتف، ومسحت يديها الرطبتين بمعطفها المنزلي.

اهدأي، اهدأي، قالت لنفسها. *إذا كان يمكنه الاحتفاظ بسّر، فأنا يمكنني ذلك أيضاً. وتذكّري أن هناك شرحاً منطقياً لكل هذا -*

آه، حقاً؟

- وأنا فقط لا أعرف ما هو. أحتاج إلى وقت للتفكير فيه، هذا كل شيء. لذا: اهدأي.

رفَعت سمّاعة الهاتف وقالت بنبرة فرحة، "إذا هذا أنت أيها الوسيم، فتعال فوراً. زوجي خارج البلدة".

ضحِك بوب. "مرحباً يا حبيبتي، كيف حالك؟".

"واقفة وأشمّ الهواء. وأنت؟".

ساد صمتٌ طويلٌ. بدا طويلاً، على أي حال، رغم أنه لا يمكن أن يكون أطول من بضع ثوانٍ. سمِعت فيه بطريقة أو بأخرى النحيب الفظيع للبراد، وسقوط قطرات الماء من الحنفية على غلاية الشاي التي أوقعتها في المغسلة، ونبضات قلبها - بدا ذلك الصوت الأخير وكأنه قادم من حنجرتها وأذنيها وليس من صدرها. كانا متزوجين منذ فترة طويلة جداً لدرجة أنهما أصبحا متفهِّمين لبعضهما البعض بشكل كليّ تقريباً. هل يحصل هذا في كل زواج؟ لا تعرف. تعرف زواجها فقط. ما عدا أنها بدأت تتساءل الآن إن كانت تعرف حتى زواجها.

"تبدين مضحكة"، قال. "وصوتك ثخين. هل كل شيء على ما يرام يا حبيبتي؟".

كان يجب أن تتأثر عاطفياً، لكنها ارتعبت بدلاً من ذلك. مارجوري دوفال: لم يعلق الإسم أمام عينيها فحسب؛ بل بدا أنه يومض بشكل متواصل، مثل لافتة من أضواء النيون. بقيت عاجزة عن الكلام للحظة، وما زاد من رعبها هو أن المطبخ الذي لطالما عرَفته جيداً كان يتمايل أمامها أكثر مع تجمّع مزيد من الدموع في عينيها. وعاد الثقل المتشنّج إلى أحشائها أيضاً. مارجوري دوفال. A+. 17 ممر العسل. كما في مرحباً *يا حبيبتي، كيف حال الحياة معك، هل أنت واقفة وتشتّمين الهواء؟*

"كنت أفكِّر في براندولين"، سمِعت نفسها تقول.

"آه، عزيزتي"، قال، وكان التعاطف في صوته نموذجياً. كانت تعرفه جيداً. ألم تتكئ عليه مرة تلو الأخرى منذ العام 1984؟ وحتى قبل ذلك، عندما كانا لا يزالان يتغازلان وأدركت أنه الشخص المنشود؟ بالتأكيد فعلت ذلك. مثلما اتكأ عليها هو أيضاً. والفكرة بأن هكذا تعاطف لا يمكن أن يكون سوى زينة حلوة على قالب حلوى مسموم كانت فكرة مجنونة. وحقيقة أنها تكذب عليه في هذه اللحظة كانت مجنونة أكثر. إذا كان الحال هكذا، فإن هناك درجات للجنون. أو ربما الجنون يشبه الفرادة، ولا توجد صيغة تفضيل له. وبماذا كانت تفكِّر؟ حقاً، بماذا؟

لكنه كان يتكلم، ولم تكن لديها أي فكرة عما قاله للتو.

"أعِد ما قلته مرة أخرى. كنتُ أُحضر الشاي". كذبة أخرى، وكانت يداها ترتعشان بقوة لكي تكون قادرة على إحضار أي شيء، لكنها كذبة صغيرة مقبولة. ولم يكن صوتها يرتعش. على الأقل لم تعتقد أنه كان يرتعش.

"قلتُ، ما الذي ذكّرك بها؟".

"دوني اتصل وسأل عن أخته. فتذكّرت أختي. خرَجتُ وتمشيت قليلاً. وبدأت أنخرْ، رغم أن بعض ذلك سببه البرد فقط. على الأرجح أنك سمِعته في صوتي".

"أجل، فوراً"، قال. "اسمعي، يجب أن أتخطى برلنغتون غداً وأعود إلى المنزل".

كادت تصرخ *لا!*، لكن ذلك سيكون خطأً كبيراً. وقد تجعله يعود من الفجر، وقلق كبير يعتريه.

"افعل ذلك وسألكمك على عينك"، قالت، وشعرت بالراحة عندما ضحِك. "لقد أخبَرَك تشارلي فرايدي أن مزاد العقارات في برلنغتون يستحق الذهاب إلى هناك، وأن لديه معارف جيدة. وأن حدسه جيد أيضاً. لطالما قلتَ هذا".

"أجل، لكن لا يعجبني أن أسمعك مكتئبة هكذا".

أن يعرف (وحالاً! *حالاً!*) وجود خطب ما فيها كان أمراً سيئاً. وأن تضطر إلى الكذب عن طبيعة المشكلة – آه، كان هذا أسوأ. أغمضت عينيها، ورأت بائعة الهوى الحقيرة بريندا تصرخ داخل الغطاء الأسود، وفتحتهما من جديد.

"كنتُ مكتئبة، لكنني لم أعد كذلك الآن"، قالت. "كان ذلك مجرد اضطراب وجيز جداً. كانت أختي، ورأيتُ أبي يُحضِرها إلى المنزل. أفكِّر بالمسألة أحياناً، فقط لا غير".

"أعرف"، قال. وهو يفكِّر فيها أيضاً. لم يكن موت أختها هو سبب وقوعها في غرام بوب أندرسون، لكن تفهّمه لحزنها عزَّز الرابط.

تُوفِّيت براندولين مادسن بعد أن صدمها سائق درّاجة ثلج ثمل بينما كانت تتزلّج بعيداً. فرّ السائق تاركاً جثتها في الغابة على بُعد كيلومتر من منزل آل مادسن. وعندما لم تعُد براندي عند الساعة الثامنة، بدأ رجلا شرطة من فريبورت وأفراد فريق حماية الحي المحلي البحث عنها. كان والد دارْسي مَن عثر على جثتها، وأعادها إلى المنزل عبر كيلومتر من غابات الصنوبر. كانت دارْسي - المرابِطة في غرفة الجلوس، تراقب الهاتف وتحاول إبقاء أمها هادئة - أول مَن رآه. أتى ماشياً على المَرجة تحت الوهج الحادّ لبدرٍ شتويٍ وهو يلهث أنفاسه في سُحُب بيضاء. أول فكرة خطرت على بال دارْسي (كان هذا لا يزال فظيعاً بالنسبة لها) كانت عن أفلام الحب السوداء والبيضاء القديمة المبتذلة تلك التي تُعرَض أحياناً على التلفزيون وتُظهِر شاباً يحمل عروسه الجديدة فوق عتبة كوخ شهر عسلهما السعيد بينما يعزف خمسون كماناً في الخلفية.

اكتشَفت دارْسي أن بإمكان بوب أندرسون أن يتفهَّم مشاعر الآخرين بطريقة لا يستطيعها العديد من الناس. لم يفقد أخاً أو أختاً؛ بل فَقَد أعزّ صديق له. كان الفتى قد اندفع نحو الطريق ليُمسك طابةً تائهةً خلال مباراة في البيسبول (لم يكن بوب مَن رماها، على الأقل؛ لم يكن يلعب البيسبول يومها، بل كان قد ذهب ليسبح)، فصدمته شاحنة توصيل، ومات في المستشفى بعدها بوقت قصير. لم تكن صُدفة الأحزان القديمة هذه هي الشيء الوحيد الذي جَعَل زاوجهما يبدو مميزاً لها، بل كانت الشيء الذي جَعَله يبدو غامضاً بطريقة ما - ليس صُدفةً بل شيئاً خُطِّط له.

"ابق في فيرمونت يا بوبي. اذهب إلى مزاد العقارات. أحبك

لقلقك عليَّ، لكن إذا أتيت مهرولاً إلى المنزل، سأشعر أنني طفلة. ثم سأغضب كثيراً".

"حسناً. لكنني سأتصل بك غداً عند السابعة والنصف. وقد أُعذر مَن أَنذر".

ضحِكت، وارتاحت من سماعها أنها كانت ضحكة حقيقية... أو حقيقية تقريباً بحيث يصعب تمييزها عن الضحكة الحقيقية. ولماذا لا يجب أن يُسمَح لها بأن تضحك ضحكة حقيقية؟ نعم لماذا؟ فهي تحبّه، وستعطيه صك البراءة. من كل *التهم*. ولم يكن هذا خياراً. لا يمكنك إطفاء الحب - حتى الحب الغائب، الذي يؤخَذ كقضية مسلَّمة أحياناً بعد سبع وعشرين سنة زواج - بنفس طريقة إطفاء مفتاح الضوء. الحب يتدفّق من القلب، وللقلب ضروراته الخاصة.

"بوبي، أنت تتصل دائماً عند السابعة والنصف".

"أُقرّ بذنبي. اتصلي هذه الليلة إذا -"

"- احتجتُ إلى أي شيء، مهما تكن الساعة"، أكملت الجملة نيابة عنه. بدأت تشعر الآن أنها عادت إلى طبيعتها تقريباً. كان مدهشاً حقاً عدد الإصابات الصعبة التي يستطيع الذهن الشفاء منها. "سأفعل".

"أحبّك حبيبتي". إنها التقفيلة الاعتيادية للعديد من المحادثات على مر السنوات.

"أحبّك أيضاً"، قالت مبتسمةً. ثم أغلقت السمّاعة، ووضعت جبهتها على الجدار، وأغمضَت عينيها، وبدأت تبكي قبل أن تتمكن الابتسامة من الزوال عن وجهها.

كان كمبيوترها، وهو آي ماك قديم جداً لكي يبدو الآن من فترة ما قبل التاريخ، موجوداً في غرفة خياطتها. نادراً ما كانت تستخدمه لأي شيء آخر غير تفحّص البريد الإلكتروني وزيارة موقع إيباي، لكنها فتَحت غُوغل الآن وكتبت إسم مارجوري دوفال. تردَّدت قبل أن تضيف كلمة *بِيدي* إلى البحث، لكنها لم تتردَّد طويلاً. لماذا إطالة العذاب؟ سيظهر على أي حال، كانت متأكدةً من ذلك. ضغطت زر الإدخال، وبينما راحت تراقب دائرة الانتظار الصغيرة تدور وتدور في أعلى الشاشة، أصابتها تلك التشنّجات مرة أخرى. أسرعَت إلى الحمّام، وجلست على كرسي المرحاض، وتدبّرت أمرها واضعةً وجهها بين يديها. كانت هناك مرآة على الجهة الخلفية للباب، ولم ترغب أن ترى نفسها فيها. لماذا كانت هناك، على أي حال؟ لماذا سمحت لها أن تكون هناك؟ مَن أراد مراقبة نفسه جالساً على المرحاض؟ حتى في أفضل الأوقات، وهذا الوقت لم يكن أحدها بالطبع؟

عادت إلى الكمبيوتر ببطء، وهي تجرّ قدميها مثل طفلة تعرف أنها على وشك أن تُعاقَب لارتكابها أحد تلك الأشياء التي تسمّيها والدتها "ذنباً كبيراً". رأت أن غُوغل زوَّدها بما يزيد عن خمسة ملايين نتيجة لبحثها: آه يا غُوغل العليم، الكريم والفظيع جداً. لكن أول نتيجة جعَلتها تضحك في الواقع؛ فهي دعتها إلى متابعة مارجوري دوفال بِيْدي على تويتر. شعَرت دارْسي أنه يمكنها تجاهل ذلك الرابط. فإذا لم تكن مخطئة (وكم سيجعلها ذلك ممنونةً بقوة)، فإن المارجوري التي تبحث عنها غرَّدت آخر تغريداتها منذ بعض الوقت.

كانت النتيجة الثانية من صحيفة بورتلاند برس هيرالد، وعندما ضغطت دارْسي عليها، كانت الصورة الفوتوغرافية التي حيَّتها (بدت تلك التحية وكأنها صفعة على وجهها) هي الصورة التي تذكَّرتها من التلفزيون، وعلى الأرجح في هذا المقال بالذات، بما أنها كانت من قرّاء صحيفة برس هيرالد. لقد نُشر المقال قبل عشرة أيام، وكان الخبر الرئيسي. [امرأة في نيو هامبشاير قد تكون الضحية الحادية عشرة لـ "بِيْدي"]، قال العنوان الرئيسي. وقال العنوان الفرعي: [مصادر الشرطة: "نحن متأكدون تسعين بالمئة"].

بدت مارجوري دوفال أجمل بكثير في صورة الصحيفة، وهي صورة مُلتقطَة في ستديو تصوير تُظهِرها في وضعية كلاسيكية، وترتدي فستاناً أسود أنيقاً. كان شعرها منسدلاً، وبدت شقراء بدرجة أفتح بكثير في هذه الصورة. تساءلت دارْسي إن كان زوجها هو الذي زوَّد الصورة. افترَضت ذلك. وافترَضت أنها كانت على رف موقدهما في 17 ممر العسل، أو ربما مثبَّتة على الحائط في الردهة. المضيفة الجميلة للمنزل تستقبل ضيوفها بابتسامتها الأبدية.

الرجال يفضِّلون الشقراوات لأنهم يتعبون من عصر البثور السوداء.

أحد أقوال بوب. لطالما كرهت هذا القول، وتكره الآن أنه خطر على بالها.

عُثر على مارجوري دوفال في وادٍ يبعُد عشرة كيلومترات عن منزلها في جنوبي غانستّ، مباشرة فوق أطراف بلدة كونواي الشمالية. وخمَّن مأمور المقاطعة أن موتها نتجَ على الأرجح عن الخَنْق، لكن لا يمكنه الجزم بذلك؛ فهذه وظيفة الطبيب الشرعي للمقاطعة. رفَض أن يخمِّن أكثر، أو أن يجيب على أي أسئلة أخرى، لكن المصدر المجهول

للمراسِل الصحفي (الذي كانت معلوماته موثوقة إلى حد ما على الأقل بسبب "قُربه من التحقيق") قال إن دوفال تعرَّضت للعضّ والتحرّش الجنسي "بأسلوب متناغم مع بقية ضحايا بِيْدي".

وهذا كان انتقالاً طبيعياً إلى ملخَّص كامل عن جرائم القتل السابقة. حصلت الأولى في العام 1977. وحصلت جريمتان في العام 1978، وجريمة أخرى في العام 1980، ثم جريمتان أخريان في العام 1981. ووقعت جريمتان من جرائم القتل في نيو هامبشاير، وجريمتان في ماساتشوستس، والخامسة والسادسة في فيرمونت. بعد ذلك، مرت فترة انقطاع دامت ست عشرة سنة. فافترضت الشرطة حصول أحد ثلاثة أشياء: انتقل بِيْدي إلى منطقة أخرى من البلاد وكان يمارس هوايته هناك، أو اعتُقل بِيْدي بتُهمة أخرى غير مرتبطة بجرائم القتل وسُجِن، أو بِيْدي قتل نفسه. الشيء الوحيد الذي *لم* يكن مرجَّحاً، وفقاً لطبيب نفسي استشاره المراسِل الصحفي، كان أن بِيْدي ضجِر من المسألة. "هؤلاء الأشخاص لا يضجرون"، قال الطبيب النفسي. "إنها رياضتهم، دافعهم الذي لا يُقاوَم. وأكثر من ذلك، إنها حياتهم السرية". مكتبة

حياتهم السرية. يا لها من حبة سكاكر مسمومة هذه الجملة.

ضحية بِيْدي السادسة كانت امرأة من باري، تكشَّفت جثتها في ركام ثلجي بعد مرور محراث هناك قبل احتفال الشتاء بأسبوع. *كم كان الاحتفال في تلك السنة رائعاً لأنسبائها*، فكَّرت دارْسي. لا تقصد أنها أمضت احتفال شتاء جميل هي أيضاً تلك السنة. فقد كانت وحيدة بعيداً عن المنزل (وهذه حقيقة لن تبوح بها لأمها أبداً عند التكلم معها)، وتعمل في وظيفة لم تكن متأكدة أنها مؤهَّلة لها حتى بعد ثمانية عشر شهراً وترقيةً واحدةً مستحقّةً، ولم تشعر بأي رغبة

بالاحتفال. كانت لديها معارف (فتيات الأقحوان)، لكن لا أصدقاء حقيقيين. لم تكن بارعة طوال حياتها في مسألة تكوين أصدقاء. خجولة هي كلمة ملطَّفة لشخصيتها، وانطوائية أكثر دقة على الأرجح.

ثم دخلَ بوب أندرسون حياتها بابتسامة على وجهه - بوب الذي دعاها إلى الخروج معه ولم يقبل أن ترفض أبداً. ليس بعد ثلاثة أشهر من كشف الحراث لجثة آخر ضحايا بِيْدي في "الجولة الأولى". وَقَعا في حبّ بعضهما. وتوقف بِيْدي عن أعماله لمدة ست عشرة سنة.

بسببها؟ لأنه أحبَّها؟ لأنه أراد التوقف عن ارتكاب ذنوب كبيرة؟

أو هذه مجرد صُدفة. هذا ممكن.

محاولة جيدة، لكن الهويات التي عثرت عليها مخبأة في المرأب جَعَلت فكرة الصُدفة تبدو أقل ترجيحاً بكثير.

ضحية بِيْدي السابعة، وهي الأولى في ما أسمته الصحيفة "الجولة الجديدة"، كانت امرأة من ووترفيل، ماين تدعى ستايسي مُور. عثر عليها زوجها في القبو بعد عودته من بوسطن، حيث ذهب ليحضر مباريات فريق ريد سوكس مع اثنين من أصدقائه. حصل ذلك في أغسطس 1997. كان رأسها محشوراً في سلة الذرة الحلوة التي يبيعها آل مُور في منصة المزرعة على جانب الطريق رقم 106. كانت عارية، ويداها مربوطتين خلف ظهرها، وردفاها وفخذاها معضوضين في عشرة أماكن.

بعد يومين، وصلت رخصة قيادة ستايسي مُور وبطاقة انتسابها إلى جمعية الرفق بالحيوان، مربوطتين بحزام مطاطي، إلى أوغستا، معنونة بأحرف لاتينية كبيرة إلى "المحامي المعتوه للقسم الفام للتحقيق الإجماري". وكانت هناك ملاحظة أيضاً: *مرحباً! لقد عدتُ! بِيْدي!*

كانت هذه رزمةٌ تعرَّف عليها المحققون المسؤولون عن جريمة قتل مُور حالاً. فقد وصلت رزمة مشابهة تضم هوية - وملاحظة مبتهِجة مشابهة - بعد كل جريمة من الجرائم السابقة. كان يعرف متى تكون الضحية لوحدها. فيعذّبها، بأسنانه في الدرجة الأولى؛ ثم يغتصبها أو يتحرّش بها جنسياً؛ ويقتلها؛ ويرسل هويتها إلى أحد مخافر الشرطة بعد عدة أسابيع أو أشهر. ليسخر بها من رجال الشرطة.

لكي يتأكد من نيله الفضل، فكّرت دارْسي بتجهّم.

حصلت جريمة قتل أخرى على يد بِيْدي في العام 2004، وحصلت التاسعة والعاشرة في العام 2007. هاتان الأخيرتان كانتا الأسوأ، لأن إحدى الضحيتين كان ولداً. فإبن المرأة البالغ عمره عشر سنوات أُعيد من المدرسة بعد اشتكائه من وجع في البطن، ويبدو أنه دَخَل المنزل بينما كان بِيْدي لا يزال يعمل. عُثر على جثة الفتى مع أمه، في غدير قريب. وعندما وصلت هوية المرأة - بطاقتَي إئتمان ورخصة قيادة - إلى مخفر شرطة ماساتشوستس، كانت البطاقة المرفقة بها تقول: *مرحباً! كان مقتل الفتى حادثاً! آسف! لكنه كان سريعاً، ولم "يتألم!" بِيدي!*

كانت هناك مقالات عديدة أخرى يمكنها الاطلاع عليها (آه يا غُوغل العليم)، لكن ما الفائدة؟ فالحلم العذب لمساءٍ عاديٍ آخر في حياةٍ عاديةٍ ابتلعه كابوسٌ. هل قراءة المزيد عن بِيْدي ستبدِّد الكابوس؟ الجواب واضح.

انقبض بطنها. ركَضت إلى الحمّام - الذي لا تزال رائحته كريهة رغم المروحة، يمكنك عادة تجاهل الرائحة الكريهة للحياة، لكن ليس دائماً - وسقطت على رُكبتَيها أمام المرحاض، وراحت تحدِّق في الماء

الأزرق فاتحةً فمها. اعتقَدت للحظة أن الحاجة إلى التقيؤ ستزول، ثم تذكَّرت ستايسي مُور ووجهها المخنوق الأسود مدفوناً في الذرة وردفيها مُغطيين بالدم الذي جفَّ إلى لون الحليب بالشوكولا. جعلها هذا تتقيأ مرتين، وبقوة كافية لكي يتطرطش وجهها بمطهِّر المراحيض وببضع نقاط من قيئها الكريه.

شطَفت المرحاض وهي تبكي وتلهث. يجب تنظيف الحوض، لكنها اكتفت الآن بإنزال غطائه البلاستيكي البيج البارد وأسندت خدّها المشطوف عليه.

ماذا سأفعل؟

كانت الخطوة الواضحة هي الاتصال بالشرطة، لكن ماذا لو فعلت ذلك وتبيَّن لها أنها مخطئة؟ لطالما كان بوب أكثر الرجال كرماً وتسامحاً - عندما اصطدم بشاحنتهما القديمة بشجرة عند حافة مرأب سيارات مكتب البريد وتحطَّم الزجاج الأمامي، كان همّه الوحيد التأكد أن وجهها لم يتأذَّ - لكن هل سيسامحها إذا اتّهمته عن خطأ بإحدى عشرة جريمة تعذيب وقتل لم يرتكبها؟ وسيعرف العالم. مذنباً كان أم بريئاً، ستُنشَر صورته في الصحف. وعلى الصفحة الأمامية. وصورتها أيضاً.

ضغطت دارْسي على نفسها لتقف على قدميها، وأخرجت فرشاة فرْك المرحاض من خزانة الحمّام، ونظَّفت الفوضى التي سبَّبتها. فعلت ذلك ببطء. فقد شعرت بوجع في ظهرها. افترَضت أنها تقيأت بقوة كافية لكي تمطّ عضلةً.

في منتصف عملية التنظيف، أدركت الحقيقة التالية. لن يتم تداول أخبارهما لوحدهما فقط في ثرثرات الصحف ونشرات أخبار التلفزيون

على مدار الساعة؛ عليها التفكير بالولدَين أيضاً. فاز دوني وكين بأول عميلين لهما، لكن المصرف وتاجر السيارات اللذان يبحثان عن أسلوب جديد سيفرّان بعد ثلاث ساعات فقط من انفجار هذه الفضيحة. شركة أندرسون وهايوورد، التي أخذت اليوم أول نَفَس حقيقي لها، ستكون ميتة غداً. لا تعرف دارْسي كم استثمر كين هايوورد، لكن دوني استثمر كل ما لديه. قد لا يكون المبلغ المالي كبيراً، لكن هناك أشياء أخرى تستثمرها عندما تنطلق في رحلتك الخاصة. قلبك، دماغك، تقديرك لذاتك.

ثم هناك پترا ومايكل، المنكبّان على الأرجح في هذه اللحظة بالذات على التخطيط أكثر وأكثر لعرسهما، غير مُدركَين أن هناك خزنة وزنها ثلاثة أطنان تتدلّى فوقهما على حبل رثّ جداً. لطالما كانت بَتْس تفتخر بوالدها. ماذا سيحلّ بها إذا عرَفت أن اليدين اللتين دفعتاها على الأرجوحة في الفناء الخارجي هما نفس اليدين اللتين سلبتا الحياة من إحدى عشرة امرأة؟ أن الشفتين اللتين قبّلتاها قبل أن تنام كانتا تخفيان أسناناً عضَّت إحدى عشرة امرأة، ووصولاً حتى العظام في بعض الحالات؟

جالسةً أمام كمبيوترها مرة أخرى، تراءى عنوان صحيفة فظيع في ذهنها، ترافقه صورة فوتوغرافية لبوب يرتدي وشاحاً حول عنقه، وشورتاً كاكي اللون، وجوربين طويلين. كان العنوان واضحاً لدرجة أنه يمكن أن يكون قد نُشر من قبل:

القاتل الجماعي "بِيْدي"
كان قائداً لأشبال الكشّافة لـ 17 سنة

غطّت دارْسي فمها بيدها. كان يمكنها الشعور بعينيها تنبضان في محجرَيهما. خطرت على بالها فكرة الانتحار، وبقيت هذه الفكرة تبدو منطقية تماماً لبضع لحظات قليلة (لحظات طويلة)، الحل المعقول الوحيد. يمكنها ترك رسالة تقول إنها فعلت ذلك لأنها كانت خائفة من أنها مصابة بالسرطان. أو ببداية مُبكرة للألزهايمر، والذي كان أفضل حتى. لكن الانتحار يلقي ظلاً داكناً على العائلات أيضاً، وماذا لو كانت مخطئة؟ ماذا لو كان بوب قد عثر على رزمة الهويات بجانب الطريق، أو شيء من هذا القبيل؟

هل تعرفين كم أن هذا غير محتمل؟ سخَرت منها دارْسي الذكية.

حسناً، نعم، لكن أن يكون غير محتمل ليس مماثلاً لأن يكون مستحيلاً، أليس كذلك؟ وهناك شيء آخر أيضاً، شيء جَعَل الهرب من القفص المسجونة فيه غير ممكن: ماذا لو كانت محقّة؟ ألن يحرِّر موتها بوب لكي يقتل أكثر، لأنه لن يعود مضطراً أن يحيا حياة مزدوجة؟ كما أن الانتحار حرام. وماذا لو تواجهت مع مجموعة النساء المخنوقات المدموغات بأسنان زوجها، وكل واحدة منهن اتّهمتها بالتسبّب بوفاتها عبر اعتمادها الحل السهل بنفسها؟ ألن يكون ذلك الاتهام صحيحاً إذا تجاهلت ما اكتشفته؟ هل تظن أنه يمكنها حقاً التسبّب بموت رهيب لمزيد من النساء لمجرد أن تتمكّن إبنتها من إقامة عرس لطيف في يونيو؟

فكَّرت في سرّها: *أتمنى لو أنني كنتُ ميتة.*

لكنها لم تكن ميتة.

لأول مرة منذ سنوات، انزلَقت دارْسي مادسن أندرسون عن كرسيها إلى رُكبتَيها وبدأت تدعو. كان المنزل فارغاً ما عدا منها.

لم تدوّن يوماً في دفتر يوميات، لكن لديها ما مقداره عشر سنوات من دفاتر المواعيد المخزَّنة في أسفل خزانة خياطتها الفسيحة. وما مقداره عقود من سجلات أسفار بوب محشورة في أحد جوارير الملفات في الخزانة التي يحتفظ بها في مكتبه في المنزل. فبصفته محاسب ضرائب (وواحد لديه عمل خاص جانبي ليهتمّ به)، كان شديد التدقيق عندما تتعلق المسألة بمسك الدفاتر، وتدوين كل مبلغ مقتطع، وكل إئتمان ضريبي، وكل قرش من إهتلاك السيارات.

كدَّست ملفاته بجانب كمبيوترها قرب دفاتر مواعيدها. وفتَحت موقع غُوغل وأجبرت نفسها على إجراء البحث الذي تحتاج إليه، وراحت تدوّن أسماء ضحايا بِيْدي وتواريخ موتها (بعضها كان تقريبياً بالضرورة). ثم بعد أن تجاوزت الساعة الرقمية في كمبيوترها العاشرة مساءً بصمت، بدأت عملية المقارنة المرهِقة.

كانت مستعدة لتخصِّص عشر سنوات من حياتها لتجد شيئاً سيبرّئه بشكل لا يقبل الشك من إحدى جرائم القتل حتى، لكن دفاتر مواعيدها جَعَلت الأمور أسوأ فقط. عُثر على جثة كيلي جيرفيس، من كين، نيو هامبشاير، في الغابة الواقعة خلف مكبّ النفايات المحلي في 15 مارس 2004. وفقاً للطبيب الشرعي، كانت قد تُوفِّيت قبل ثلاثة إلى خمسة أيام. ووجدت دارْسي أنها خربشت على دفتر مواعيدها بين 10 إلى 12 مارس 2004 أن *بوب سافر إلى فيتزويليام، برات*. كان جورج فيتزويليام عميلاً غنياً لبنسون وبايكون وأندرسون. وكلمة "برات" هي اختصارها لكلمة براتلبارو، حيث يعيش فيتزويليام. وهي على مسافة قريبة من كين، نيو هامبشاير.

عُثر على جثتَي هيلين شايفرستون وإبنها روبرت في جدول نيوري، في بلدة آيمزبَري، في 11 نوفمبر 2007. كانا يعيشان في قرية تاسّل، على بُعد حوالي عشرين كيلومتراً. وعلى صفحة نوفمبر 2007 في دفتر عناوينها، كانت قد رسمت خطاً من الثامن إلى العاشر من نوفمبر، وخربشت أن بوب في ساغوس، *مزادان للعقارات زائد مزاد للعملات المعدنية في بوسطن*. وهل تتذكَّر اتصالها بفندقه في ساغوس في إحدى تلك الليالي وعدم إيجاده ليردّ عليها؟ على افتراض أنه أطال السهر في الخارج حتى وقت متأخر مع بائع عملات معدنية ليأخذ منه معلومات سرية تفيده في عمله، أو ربما كان يستحمّ؟ *بدا* أنها تتذكّر ذلك. إذا كان الأمر كذلك، هل كان حقاً على الطريق تلك الليلة؟ ربما عائداً من إنجاز مأمورية (إنزال صغير) في بلدة آيمزبَري؟ أو إذا كان يستحمّ *فعلاً*، فما الذي كان يحاول أن يزيله عن جسمه؟

انتقلت إلى سجلات أسفاره وإيصالاتها عندما تجاوزت الساعة الإلكترونية الحادية عشرة وبدأت تقترب من منتصف الليل، وهي الساعة التي يُقال إن المقابر تتثاءب فيها. راحت تعمل بحذر وتتوقف في أغلب الأحيان لتتحقق من صحة عملها. كانت الأمور من أواخر السبعينات غير مكتملة وغير مفيدة كثيراً - لم يكن أكثر من مجرد موظف مكتب أساسي في تلك الأيام - لكن كل شيء من الثمانينات كان هناك، والعلاقات المتبادلة التي عثرت عليها لجرائم قتل بِيْدي في العامين 1980 و1981 كانت واضحة ولا يمكن إنكارها. كان يسافر في الأوقات الصحيحة وإلى المناطق الصحيحة. وإذا، مثلما أصَرّت دارْسي الذكية، وجدتِ كمية كافية من شعرات قطة في منزل أحدهم، فعليك أن تفترضي بكل ثقة أنه يوجد سِنَّور يعيش هناك.

بدا الجواب أن عليها حمل رأسها المرتبك والخائف إلى الطابق العلوي. شكَّت أن تتمكّن من النوم، لكنها ستتمكن على الأقل من أخذ دُش ماء ساخن ثم تستلقي على السرير. كانت منهكة، وظهرها يؤلِمها من التقيؤ، ورائحتها نتنة للغاية من عرقها.

أطفأت كمبيوترها وصعدت إلى الطابق الثاني بتثاقل. خفَّف الدُش ألم ظهرها، وحبّتا تايلينول قد تخفّفانه أكثر حوالي الثانية فجراً؛ كانت متأكدةً أنها ستكون مستيقظة لتعرف ذلك. عندما أعادت زجاجة التايلينول إلى خزانة الأدوية، أخذت زجاجة الأمبين، وأمسكتها بيدها لحوالي دقيقة كاملة، ثم أعادتها إلى مكانها أيضاً. لن يجعلها هذا تنام، بل فقط مشوَّشة الذهن و- ربما - مرتابة أكثر مما كانت من قبل.

استلقت وراحت تنظر إلى المنضدة على الجهة الأخرى للسرير. ساعة بوب. نظارات القراءة الاحتياطية لبوب. كتاب يدعى *الكوخ*. *يجب أن تقرأي هذا يا دارس، إنه كتاب مغيِّر للحياة*، قال لها قبل ليلتين أو ثلاث من رحلته الأخيرة هذه.

أطفأت مصباحها، ورأت ستايسي مُور محشورة في سلة الذرة، وأعادت إضاءة المصباح من جديد. كانت الظلمة صديقتها في معظم الليالي - مقدمةً لنوم لطيف - لكن ليس الليلة. كانت الظلمة هذه الليلة مزدحمة بحريم بوب.

لا تعرفين هذا. تذكَّري أنك لا تعرفين هذا بشكل مُطلق.

لكن إذا وجدتِ ما يكفي من شعرات قطة...

كفى التفكير بشعرات القطة أيضاً.

بقيت مستلقية هناك، وحتى مستيقظة أكثر مما كانت تخشى، وذهنها يصول ويجول، وهي تفكّر بالضحايا الآن، تفكّر بأولادها، تفكّر بنفسها. ألقت نظرة سريعة على ساعة بوب بعد مرور ما بدا لها ساعة من الهيام حول دائرة القلق البائسة تلك، ورأت أنه مرَّت اثنتا عشرة دقيقة فقط. نهضت على مِرفق واحد وأدارت وجه الساعة نحو النافذة.

لن يعود إلى المنزل قبل السادسة مساء الغد، فكّرت في سرّها... رغم أنها افترَضت أن عودته إلى المنزل ستحصل هذه الليلة تقنياً، بما أن الوقت تخطى منتصف الليل الآن. ومع ذلك فإن هذا يعطيها ثماني عشرة ساعة. وهذه مدة كافية بالتأكيد لتتوصل إلى قرار ما. سيفيدها لو تستطيع أن تنام، ولو قليلاً – للنوم طريقته في إعادة ضبط الذهن – لكن هذا غير وارد على الإطلاق. ستسهو قليلاً، ثم تتذكّر مارجوري دوفال أو ستايسي مُور أو (وهذا كان أسوأ) روبرت شايفرستون، في العاشرة من عمره. *لم "يتألم!"*. وعندها يزول أي احتمال للنوم مرة أخرى. خطر على بالها أنها قد لا تعود قادرة على النوم مرة أخرى أبداً. كان هذا مستحيلاً، بالطبع، لكنه بدا مقبولاً تماماً أثناء استلقائها هناك ومذاق التقيؤ لا يزال في فمها رغم شطفه بمطهِّر.

وجَدت نفسها في مرحلة من المراحل تتذكَّر يوماً في طفولتها المُبكرة عندما راحت تطوف في المنزل وهي تنظر إلى المرايا. فتقف أمام إحداها وتكوِّر يديها عند طرفَي وجهها وتلمس الزجاج بأنفها، لكنها تحبس أنفاسها لكي لا يتضبَّب السطح.

إذا قبضت عليها أمها، ستطردها بعيداً. *هذا سيترك لطخةً، وسأضطر إلى تنظيفها. لماذا أنت مهتمة جداً بنفسك، على أي حال؟ لن تُشنقي أبداً لجمالك. ولماذا تلتصقين بالمرآة؟ لن تتمكني من رؤية*

أي شيء بهذه الطريقة يستحق النظر إليه.

كم كان عمرها وقتها؟ أربعة؟ خمسة؟ كانت يافعة جداً لتشرح أنها غير مهتمة بانعكاس صورتها، على أي حال - أو بالأحرى لم يكن ذلك في أعلى سلّم اهتماماتها. كانت مقتنعة أن المرايا مداخل إلى عالم آخر، وما رأته منعكساً على الزجاج لم يكن غرفة جلوسهم أو حمّامهم، بل غرفة جلوس أو حمّام عائلة أخرى. منزل آل ماتسون بدلاً من منزل آل مادسن، ربما. لأنه كان *مشابهاً* على الجهة الأخرى للزجاج، لكنه ليس *نفسه*، وإذا نظرت ما يكفي من وقت، يمكنها بدء ملاحظة بعض الفروق: سجادة بدت بيضوية الشكل هناك وليست مستديرة كما هو الحال هنا، باب بدا أن له مزلاجاً وليس مسماراً ملولباً، زر ضوء بدا موضوعاً على الجهة الخطأ للباب. لم تكن الفتاة الصغيرة هي نفسها، أيضاً. كانت دارْسي متأكدةً أنهما نسيبتين - أختا المرآة؟ - لكن لا، ليست نفسها. فبدلاً من دارْسلين مادسن، قد يكون إسم تلك الفتاة الصغيرة جاين أو ساندرا أو حتى إليانور ريغبي، وتحبّ لسبب من الأسباب (لسببٍ *مخيفٍ*) أن تلمّ حبّات الأرز في الأعراس.

مستلقيةً في دائرة مصباح طرفها من السرير، وهي تغفو من دون أن تُدرك ذلك، افترَضت دارْسي أنها *لو كانت* قادرةً على إخبار أمها عما كانت تبحث، لو أنها شرَحت لها عن "الفتاة المكفهِرّة" التي لم تكن هي بالذات، لربما أمضت بعض الوقت مع طبيب نفسي للأطفال. لكنها لم تكن مهتمة بالفتاة أبداً. ما كان يهمّها هو فكرتها بوجود عالم آخر خلف المرايا، وإذا كانت تستطيع عبور ذلك المنزل الآخر ("المنزل المكفهِرّ") والخروج من بابه، لوجدت بقية ذلك العالم بانتظارها.

بالطبع أن هذه الفكرة زالت، وبمساعدة دمية جديدة (سمَّتها السيدة بترْوورث تيمّناً بشراب فطائر تحبّه) ومنزل دمى جديد، انتقَلت إلى تخيّلات مقبولة أكثر لفتاة صغيرة: طبخ، تنظيف، تسوّق، توبيخ الطفل، تغيير الملابس للعشاء. الآن، وبعد كل تلك السنوات، وجَدت طريقها عبر المرآة في النهاية. لكن لم تكن هناك فتاة صغيرة تنتظرها في المنزل المكفهِرّ؛ بل كان هناك زوجٌ مكفهِرٌّ، زوجٌ كان يعيش خلف المرآة طوال الوقت، ويفعل أشياء فظيعة هناك.

واحدٌ جيّد بسعر معقول، كان بوب يحبّ أن يقول - عقيدة المحاسبين إذا كانت هناك واحدةٌ.

واقف وأشتّم الهواء - جوابٌ لـ *كيف حالك* يعرفه جيداً كل ولد في كل فرقة أشبال كشّافة سار يوماً ما على درب الرجل الميت. جوابٌ لا شكّ أن بعض أولئك الفتيان لا يزالون يكرِّرونه حتى بعد أن أصبحوا رجالاً ناضجين.

الرجال يفضّلون الشقراوات، لا تنسَ هذا. لأنهم يتعبون من عصر...

لكن النوم استولى على دارْسي أخيراً، ورغم أن ذلك المرض الناعم لم يتمكن من حملها بعيداً، إلا أن الخطوط على جبهتها وعند زوايا عينيها المحمَرّتين المنتفختين هدأت قليلاً. كانت قريبة كفايةً من استعادة وعيها عندما ركنَ زوجها سيارته في الممر الخاص للمنزل، لكنها لم تكن قريبة كفاية لتستيقظ. كانت لتستيقظ على الأرجح لو أن أضواء السوبربان الأمامية أضاءت سقف الغرفة، لكن بوب كان قد أطفأها قبل دخوله الممر الخاص لكي لا يوقظها.

كانت قطةٌ تملّس خدّها بكفّ مخملي. بخفة كبيرة لكن بإلحاح كبير.

حاوَلت دارْسي إبعادها، لكن بدا لها أن وزن يدها طناً. وهذا حلمٌ، على أي حال – بالتأكيد أنه حلم. لأنه ليست لديهم قطة. *رغم أنه إذا كانت هناك كمية كافية من شعرات قطة في منزل أحدهم، فيجب أن تكون هناك قطة في مكان ما*، أخبرَها ذهنها الذي يكافح لكي يستيقظ، وبمنطق معقول جداً.

بدأ الكفّ الآن يملّس شعر جبهتها، ولا يمكنها أن تكون قطة لأن القطط لا تتكلم.

"استيقظي يا دارْس. استيقظي يا حبيبتي. علينا أن نتكلم".

الصوت، ناعم ومهدئ للأعصاب مثل اللمسة. صوت بوب. وليس كفّ قطة بل يداً. يد بوب. لكن لا يمكن أن يكون هو، لأنه في مونب –

فتحت عينيها وكان جالساً هناك بجانبها على السرير، يملّس وجهها وشعرها مثلما يفعل أحياناً عندما تكون متوعِّكة. كان يرتدي بذلة ثلاثية القِطع من متجر جوس أ. بانك (كان يشتري كل بذلاته من هناك)، لكنه فكّ أزرار قميصه وحلّ ياقته. كان يمكنها رؤية طرف ربطة عنقه تطلّ من جيب معطفه مثل لسان أحمر، وبطنه المنتفخ فوق حزامه، وأول فكرة متماسكة خطرت على بالها هي *عليك حقاً فعل شيء لوزنك يا بوبي، لأن هذا غير جيد لقلبك*.

"ماذ – "، لكن الكلمة خرجت نعيباً لا يمكن فهمه.

ابتسم وبقي يملّس شعرها، وخدّها، وقفا عنقها. تنحنحت وحاوَلت مرة أخرى.

"ماذا تفعل هنا يا بوبي؟ لا شك أن -"، ورفعت رأسها لتنظر إلى ساعته، وهذا لم ينفعها بالطبع. فقد أدارتها إلى الجدار.

ألقى نظرة سريعة على ساعة يده. كان يبتسم وهو يملّس وجهها لإيقاظها، وكان يبتسم الآن. "الثالثة إلا رُبعاً. بقيتُ جالساً في غرفة فندقي القديمة الغبية لحوالي ساعتين بعد أن تكلَّمنا، محاولاً إقناع نفسي بأن ما كنتُ أفكِّر فيه لا يمكن أن يكون حقيقياً. سوى أنني لم أتوصل إلى ما أنا عليه الآن بتفادي الحقيقة. لذا هرعتُ إلى السوبربان وانطلقتُ. حركة المرور معدومة تماماً. لا أعرف لماذا لا أسافر أكثر في وقت متأخر من الليل. ربما عليَّ فعل ذلك. هذا إذا لم أكن في سجن شوشانك. أو سجن ولاية نيو هامبشاير في كونكورد. لكن هذا الأمر متروك لك نوعاً ما. أليس كذلك؟".

يده، تملّس وجهها. كان ملمسها مألوفاً، حتى رائحتها مألوفة، ولطالما أحبّت ذلك. لكنها لم تحبّ ذلك الآن، ولم يكن هذا من اكتشافات الليل البائسة فحسب. كيف يُعقَل أنها لم تلاحظ أبداً كم هي تلك اللمسة تملّكية؟ *أنتِ حقيرة عجوز، لكنك حقيرتي العجوز،* بدا لها أن اللمسة تقول هذا الآن. *ما عدا أنك بَوَّلت على الأرض هذه المرة بينما كنتُ غائباً، وهذا سيئ. في الواقع، هذا ذنب كبير.*

دفَعت يده بعيداً واستوت جالسةً. "بالله عليك عما تتكلم؟ تدخل متسلّلاً، وتوقظني -"

"نعم، كنتِ نائمة والضوء مضاء - رأيته حالما دخلتُ الممر الخاص". لم يكن هناك ذنب في ابتسامته. لا شيء شرير، أيضاً. كانت

نفس ابتسامة بوب أندرسون اللطيفة التي أحبّتها منذ البداية تقريباً. عادت الذاكرة بها للحظة إلى مدى لطافته في ليلة عرسهما، حيث لم يكن يستعجلها. بل يعطيها وقتاً كافياً لكي تعتاد على الشيء الجديد.

وهذا ما سيفعله الآن، فكّرت في سرّها.

"أنتِ لا تنامين أبداً والضوء مضاء يا دارْس. ورغم أنك ترتدين قميص نومك، إلا أنك لا تزالين ترتدين حمّالة صدرك تحته، وأنتِ لا تفعلين هذا أبداً، أيضاً. لقد نسيتِ أن تخلعيها فحسب، أليس كذلك؟ حبيبتي المسكينة. فتاة مُتعَبة مسكينة".

لمَس صدرها للحظة واحدة، ثم - لحسن الحظ - أبعدَ يده.

"كما أنك أدرتِ ساعتي لكي لا ترين الوقت. لقد كنتِ منزعجة، وأنا السبب. آسف يا دارْس. من أعماق قلبي".

"لقد أكَلتُ شيئاً أزعجني". كان هذا كل ما خطر على بالها.

ابتسم بصبر. "لقد وجَدتِ مخبأي الخاص في المرأب".

"لا أعرف عما تتكلم".

"آه، كنتِ بارعة في إعادة وضع الأشياء التي وجَدتها، لكنني يقظ جداً بشأن هكذا أمور، والشريط اللاصق الذي وَضَعتُه على المفصل في نعل الجدار انقطع. لم تلاحظي ذلك، أليس كذلك؟ ولماذا ستلاحظينه؟ إنه شريط من الصنف غير المرئي تقريباً بعد وضعه. كما أن الصندوق في الداخل كان أقرب بسنتيمترين أو ثلاثة إلى يسار المكان الذي وَضَعتُه فيه - حيث أضعه دائماً".

مدَّ يده ليملّس خدها مرة أخرى، ثم سحَب يده (على ما يبدو من دون ضغينة) عندما أشاحت بوجهها.

"بوبي، يمكنني أن أرى أنك تشكّ بأمر ما، لكنني لا أعرف بصدق ما هو. ربما كنتَ تجهد نفسك في العمل".

مال فمه نزولاً في إيماءة حزن، وكانت عيناه تدمعان. غير معقول. عليها حقاً منع نفسها من الشعور بالأسى تجاهه. يبدو أن الأحاسيس عادة بشرية أخرى، يمكن تكييفها مثل أي شيء آخر. "أظن أنني عرَفتُ دائماً أن هذا اليوم سيأتي".

"ليست لديَّ أدنى فكرة عما تتكلم".

تنهَّد. "كان طريق العودة طويلاً لأفكِّر في هذا يا حبيبتي. وكلما أطلتُ التفكير، كلما فكّرتُ بعمق *أكبر*، كلما بدا لي أن هناك سؤالاً واحداً فقط يحتاج إلى جواب حقاً: ماذا ستفعل دارْسي".

"أنا لا –"

"صه"، قال، ووضع إصبعاً لطيفاً على شفتيها. شمّت رائحة صابون عليه. لا شكّ أنه استحمّ قبل أن يغادر الفندق، وهذا تصرّف نموذجي منه. "سأُخبِرك كل شيء. سأريح ضميري. أظن أنني، في أعماق نفسي، لطالما أردتُك أن تعرفي".

لطالما أرادها أن تعرف؟ يا إلهي. قد تكون هناك أشياء أسوأ بانتظارها، لكن هذا كان أفظع شيء حتى الآن. "لا *أريد* أن أعرف. مهما يكن الشيء العالق في رأسك، لا *أريد* أن أعرف".

"أرى شيئاً مختلفاً في عينيك يا حبيبتي، وقد أصبحتُ بارعاً جداً في قراءة عيون النساء. أصبحتُ خبيراً نوعاً ما. ماذا ستفعل دارْسي. في هذه الحالة، ماذا ستفعل دارْسي إذا وجَدت مخبأي الخاص، ورأت ما في داخل صندوقي الخاص. بالمناسبة، لطالما أحببتُ ذلك الصندوق،

لأنك أنتِ مَن أهداني إياه".

مال إلى الأمام وطبعَ قبلةً سريعةً بين حاجبَيها. كانت شفتاه رطبتين. لأول مرة في حياتها، قزَّزها ملمسهما على بشرتها، وخطر على بالها أنها قد تصبح ميتة قبل شروق الشمس. لأن النساء المتوفيات لا يخبرن حكايات. رغم أنه، فكّرت في سرّها، *سيحاول ضمان أنني لن أتألم*".

"أولاً، سألتُ نفسي إن كان إسم مارجوري دوفال سيعني أي شيء لك. كنتُ أفضِّل أن أُجيب سلباً على هذا السؤال، لكن يجب أن يكون المرء واقعياً أحياناً. أنتِ لستِ أكثر شخص مدمن أخبار في العالم، لكنني عشتُ معك ما يكفي من الوقت لأعرف أنك تتابعين الأخبار الرئيسية على التلفزيون وفي الصحيفة. واعتقَدتُ أنك ستتذكّرين الإسم، وحتى لو لم تتذكّريه، اعتقَدتُ أنك ستتعرّفين على الصورة على رخصة القيادة. بالإضافة إلى ذلك، قلتُ لنفسي، ألن تكون فضولية لتعرف لماذا أحتفظ ببطاقات الهوية تلك؟ النساء فضوليات دائماً. خذي باندورا كمثال".

أو زوجة ذو اللحية الزرقاء، فكّرت في سرّها. *المرأة التي اختلست النظر إلى الغرفة المُقفلة ووجدت الرؤوس المقطوعة لزوجاته السابقات.*

"بوب، أُقسِم لك أنه ليست لديَّ أي فكرة عما تتكلَّم –"

"لذا أول شيء فعلتُه عندما دخَلتُ هو تشغيل كمبيوترك، وفتح فايرفوكس – إنه محرّك البحث الذي تستخدمينه دائماً – وتفحَّصتُ المحفوظات".

"تفحَّصتَ ماذا؟".

ضحك ضحكة خافتة كما لو أنها قالت جملةً ظريفةً جداً. "أنتِ لا تعرفين حتى. لم أعتقد أنك تعرفين، لأنه كلما تفحّصتُ، أجد كل شيء هناك. أنتِ لا تُفرغينها أبداًا". وضحك ضحكة خافتة أخرى، مثلما سيفعل الرجل عندما تُظهِر زوجته صفةً يجدها ودودة جداً.

شَعَرت دارْسي بأولى بوادر غضب عارم. الأرجح أن هذا منافياً للعقل، نظراً للظروف، لكن ها هو.

"أنتَ تتفحَّص *كمبيوتري*؟ أيها الخسيس! أيها الخسيس القذر!".

"*بالطبع* أتفحَّصه. لديَّ صديق سيئ جداً يفعل أشياء سيئة جداً. يجب على أي رجل في هكذا حالة أن يبقى مطلعاً على كل ما يفعله الأقربون إليه. وبما أن ولدَينا غادرا المنزل، لم يبق أحدٌ غيرك".

صديق سيئ؟ صديق سيئ يفعل أشياء سيئة؟ كان رأسها يدور، لكن كان هناك شيء واحد بدا واضحاً تماماً: مواصلة الإنكار لن تنفع. كانت تعرف، وكان يعرف أنها تعرف.

"لم تُجري أبحاثاً عن مارجوري دوفال فقط". لم تسمع أي خِزي أو موقف دفاعي في صوته، بل فقط ندم بشع أن الأمور وصلت إلى هذا الحدّ. "أجريتِ أبحاثاً عنهن كلهن". ثم ضحِك وقال، "تباًا".

استوت جالسةً عند اللوح الرأسي للسرير، وهذا أبعدها قليلاً عنه. وهذا أمر جيد. كانت المسافة أمراً جيداً. لقد أمضت كل تلك السنوات تستلقي ملتصقة به، والآن أصبحت المسافة أمراً جيداً.

"أي صديق سيئ؟ عما تتكلّم؟".

أمال رأسه إلى إحدى الجهتين، وهذه لغة جسده ليقول *أجدك بلهاء، لكن هذا مسلٍ*. "براين".

لم تكن لديها أي فكرة في البدء عمن يتكلم، وظنَّت أنه بلا شك شخصٌ من العمل. ربما شريكٌ في الجرائم؟ لم يبدُ ذلك مرجّحاً، وكانت لتقول إن بوب رديء مثلها في تكوين الأصدقاء، لكن الرجال الذين يفعلون هكذا أمور يكون لديهم شركاء أحياناً. الذئاب تصطاد في قطيع، في النهاية.

"براين ديلاهانتي"، قال. "لا تقولي لي إنك نسيتِ براين. لقد أخبَرتُك كل شيء عنه بعد أن أخبَرتني عما حصل لبراندولين".

فغَر فاهُها. "صديقك من الإعدادية؟ بوب، إنه ميت! لقد صدمتهُ شاحنة بينما كان يطارد كرة البيسبول، وتُوفيِّ".

"حسناً...". اتّسعت ابتسامة بوب بشكل اعتذاري. "نعم... ولا. لطالما سمَّيتُه براين عندما أكلِّمك عنه، لكن هذا ليس الإسم الذي كنتُ أناديه به في المدرسة، لأنه يكرهه. كنتُ أناديه بأحرفه الأولى. كنتُ أناديه ب.د.".

بدأت تسأله ما علاقة هذا بسعر الشاي في الصين، لكنها عرَفت عندها. بالطبع عرَفت.

ب.د.

بِيْدي.

– 9 –

بقي يتكلَّم لوقت طويل، وكلما طال كلامه، كلما ازداد ذعرها. لقد كانت تعيش مع مجنون كل تلك السنوات، لكن كيف كان يمكنها أن تعرف؟ كان جنونه مثل بحر تحت الأرض. كانت هناك طبقة

صخور فوقه، وطبقة تربة فوق طبقة الصخور؛ وقد نمت زهور هناك. يمكنك التنزّه بينها ولن تشعر أبداً بوجود الماء هناك... لكنه هناك. لطالما كان هناك. إنه يلوم ب.د. (الذي أصبح بِيْدي بعد سنوات فقط، في رسائله إلى الشرطة) على كل شيء، لكن دارْسي شعرت أن بوب أكثر وعياً من ذلك؛ فإلقاء اللوم على براين ديلاهانتي سيسهّل عليه أن يُبقي حياتيه منفصلتين.

كانت فكرة بِيْدي مثلاً أن يأخذا مسدَّسات إلى المدرسة ويفجّرا جولة عنف كبيرة. وفقاً لبوب، خطرت هذه الفكرة على بالهما في الصيف بين السنتين الأولى والثانية في المرحلة الثانوية في مدرسة كاسل روك. "1971"، قال وهزَّ رأسه بلطف، مثلما قد يفعل أي رجلٍ عندما يتذكَّر بعض هفوات الطفولة غير المؤذية. "قبل فترة طويلة من أن يصبح أولئك البُلهاء حتى بريقاً في عيون آبائهم. كانت هناك فتيات يحتقرننا. ديان رامدج، لوري سْوَنسون، غلوريا هاغرتي... وبضع أخريات أيضاً، لكنني نسيتُ أسماءهن. كانت الخطة تقضي بالحصول على بعض المسدَّسات - كان والد براين يملك حوالي عشرين بندقيةً ومسدَّساً في قبوه، بما في ذلك مسدَّسَي لوجر ألمانيين من الحرب العالمية الأولى كنا مفتونين بها كلياً - ونأخذها إلى المدرسة. لم يكن يتم تفتيش الطلاب وقتها ولا تُستخدَم كاشفات للمعادن.

"كنا سنحصّن أنفسنا في جناح العلوم. فنوصد الأبواب بسلسلة، ونقتل بعض الأشخاص - أساتذة في الأغلب، لكن بعض الطلاب الذين لم نكن نحبّهم أيضاً - ثم نُطلق سراح بقية الأولاد في فرار جماعي عبر باب الحريق البعيد في نهاية القاعة. حسناً... معظم الأولاد. كنا سنُبقي الفتيات اللواتي يحتقرننا رهائن. خطَّطنا - بِيْدي خطَّط - أن

نفعل كل ذلك قبل أن تتمكن الشرطة من الوصول إلى هناك، صح؟ فرسَم بعض الخرائط، ووضع لائحة بكل الخطوات التي سنقوم بها على دفتر رياضياته. أعتقد أن مجموعها حوالي عشرين خطوة، بدءاً من 'رنّ إنذارات الحريق للتسبّب ببعض الإرباك'". ضحك ضحكة خافتة. "وبعد أن نُقفِل المكان...".

ابتسم لها ابتسامةً خجولةً قليلاً، لكنها اعتقَدت أن ما كان خجِلاً منه في الأغلب هو مدى غباء تلك الخطة من الأساس.

"حسناً، يمكنك أن تتكهّني على الأرجح. فتَيان مراهقان نسبة الهرمونات لديهما مرتفعة جداً بحيث يُستثاران كلما هبّت الرياح. كنا سنقول لتلك الفتيات إنهن إن، تعرفين، وافقن على مجامعتنا بقوة، سنُطلق سراحهن. وإلا سنضطر إلى قتلهن. وسيوافقن عندها على مجامعتنا بكل تأكيد".

أومأ برأسه ببطء.

"سيجامعن لكي يحافظن على حياتهن. كان بِيْدي محقاً في ذلك".

تاهَ في قصته. فقد أصبحت عيناه ضبابيتين من الحنين (هذا أمر غريب لكن حقيقي). حنين إلى ماذا؟ إلى أحلام الشباب المجنونة؟ كانت خائفة أن يكون هذا هو الجواب حقاً.

"لم نكن ننوي أن نقتل أنفسنا مثل مجانين الموسيقى الصاخبة أولئك في كولورادو. لا محالة. كان هناك قبو تحت جناح العلوم، وقال براين إنه يوجد نفق هناك يمتدّ من غرفة المؤن إلى مركز الإطفاء القديم على الجهة الأخرى للطريق 119. وقال براين إنه عندما كانت الثانوية لا تزال مجرد مدرسة نحو من روضة الأطفال حتى الصف الثامن في

الخمسينات، كان يوجد منتزه هناك يلعب فيه الأولاد الصغار خلال فترة الاستراحة. وقد شُيِّد النفق لكي يستطيعوا الوصول إلى المنتزه من دون الاضطرار إلى اجتياز الطريق".

ضحِك بوب، مما أجفلها.

"صدّقته بكل ما قاله، لكن تبيَّن أنه ثرثار مغفَّل. نزلتُ إلى هناك في الخريف التالي لأبحث بنفسي. كانت غرفة المؤن هناك، مليئةً بالورق وتعبق بالرائحة النتِنة لذلك الحبر الذي كانوا يستخدمونه للآلة الناسخة، لكن إذا كان هناك نفق، فلم أعثر عليه أبداً، وحتى وقتها كنتُ دقيقاً جداً في بحثي. لا أعرف إن كان يكذب على كلينا أم فقط على نفسه، ما أعرفه فقط هو أنه لم يكن هناك نفق. كنا سنعلق في الطابق العلوي، ومَن يدري، ربما كنا قتلنا أنفسنا في النهاية. لا يمكن أبداً معرفة ماذا يمكن أن يفعله مراهقٌ في الرابعة عشرة من عمره، أليس كذلك؟ فيتدحرج مثل قنبلة غير منفجرة".

لم تعد غير منفجر بعد الآن، فكّرت في سرّها. *أليس كذلك يا بوب؟*

"ربما كنا سنُصاب بالهلع، على أي حال. لكن ربما لا. وربما كنا حاوَلنا تنفيذ الخطة. فقد أثار بِيْدي حماستي بالكامل في تكلّمه عن كيف أننا سنتحسّسهن أولاً، ثم نجعلهن ينزَعن ملابس بعضهن البعض...". نظَرَ إليها بحماسة. "نعم، أعرف كيف يبدو لك هذا، مجرد أوهام مراهقين، لكن تلك الفتيات كانت حقيرات حقاً. تحاولين التكلم معهن، فيضحكن ويبتعدن. ثم يقفن في زاوية الكافيتيريا، وينظرن إلينا من فوق إلى تحت ويضحكن أكثر. لذا لا يمكنك أن تلومينا حقاً، صح؟".

نظَرَ إلى أصابعه، وراح ينقر بلا هوادة على سرواله المشدود على فخذيه، ثم عاد ونظر إلى دارْسي.

"الشيء الذي عليك فهمه - الذي عليك رؤيته حقاً - هو أن براين مُقنِعٌ جداً. كان أسوأ مني بكثير. كان مجنوناً *حقاً*. ولا تنسي أن البلاد بأكملها كانت تثور في تلك الفترة، وهذا كان جزءاً من المسألة أيضاً".

أشكّ في ذلك، فكّرت في سرّها.

المدهش هو كيف أنه يجعل المسألة تبدو عادية جداً، كما لو أن الأوهام الجنسية لكل مراهِق تتضمن الاغتصاب والقتل. الأرجح أنه صدَّق ذلك، تماماً مثلما صدَّق براين ديلاهانتي بشأن نفق الهروب الخرافي. أو هل صدَّقه حقاً؟ كيف يمكنها أن تجزم؟ فهي كانت، في النهاية، تستمع إلى ذكريات شخص مجنون. كان من الصعب تصديق ذلك - حتى الآن! - لأن المجنون كان بوب. زوجها بوب.

"على أي حال"، قال وهو يهزّ كتفيه، "لم يحصل أبداً. كان ذلك الصيف الذي ركض فيه براين إلى الطريق وقُتل. أُقيم استقبال في منزله بعد الجنازة، وقالت أمه إنه يمكنني الذهاب إلى غرفته وأخذ شيء منها، إذا أردتُ. تذكار، تعرفين. وقد أردتُ ذلك! بالتأكيد أردتُ ذلك! أخذتُ دفتر رياضياته، لكي لا يتصفّحه أحدٌ ويرى خططه لحفلة إطلاق النار والمجامعة العظيمة في كاسل روك. هذا ما كان يسمّيها".

ضحِك بوب بأسى وقال، "أظن أنني نجوتُ من قدري المشؤوم".

"وقدرك أن تعذِّب النساء وتقتلهن؟"، سألت دارْسي. لم تكن قادرةً على منع نفسها من قول ذلك.

نظَرَ إليها موبِّخاً. "كانت حقيرات"، قال، ورفعَ إصبعاً تأديبياً. "كما أنها لم تكن خطتي. بِيْدي هو الذي خطَّط لتلك الأمور - وأقول هذا لسببٍ يا دارْس. لأن كل ذلك أصبح خلفي الآن".

"بوب - صديقك بِيْدي تُوفِّي منذ حوالي أربعين سنة. لا شك أنك تعرف ذلك. لا شك".

قَذَف يديه في الهواء: إيماءة استسلام لطيف. "هل تريدين تسميته تجنُّب الشعور بالذنب؟ هذا ما سيسمّيه الطبيب النفسي، أظن، ولا بأس إذا كان هذا يريحك. لكن اسمعي يا دارْسي!". ومال إلى الأمام وضغطَ إصبعاً على جبهتها، بين حاجبَي عينيها. "اسمعي هذا واحفظيه في ذهنك. *كان* براين. لقد لوَّثني بـ... حسناً، أفكار معيّنة، دعينا نقول هذا. أفكار معيّنة، بعدما تصبح في ذهنك، لا يمكنك عدم التفكير فيها. لا يمكنك...".

"إعادة معجون الأسنان إلى داخل الأنبوب؟".

صفَّق بيديه، فكادت تصرخ. "*بالضبط!* لا يمكنك إعادة معجون الأسنان إلى داخل الأنبوب. براين تُوفِّي، لكن أفكاره بقيت حيّة. تلك الأفكار - القبض على النساء، وفعل أي شيء بهنّ، أي شيء مجنون يخطر على البال - أصبحت شبحه".

رفع عينيه صعوداً وإلى اليسار عندما قال ذلك. لقد قرأت في مكان ما أن هذا يعني أن الشخص يكذب عن قصد. لكن هل يهمّ إن كان يكذب؟ أو على أي واحد منهما يكذب؟ لم تظن ذلك.

"لن أدخل في التفاصيل"، قال. "هذا ليس شيئاً لتسمعه حبيبتي، وسواء أعجبك أم لا - وأعرف أنه لا يعجبك الآن - لا تزالين

حبيبتي. لكن يجب أن تعرفي أنني حارَبتُها. حارَبتُها لسبع سنوات، لكن تلك الأفكار - أفكار *براين* - بقيت تنمو وتنمو في رأسي. إلى أن قلتُ لنفسي أخيراً، 'سأجرِّبها لمرة واحدة، فقط لكي أُخرجها من رأسي. لكي *أُخرجه* من رأسي. وإذا قُبض عليَّ، يكون قد قُبض عليَّ - على الأقل سأتوقف عن التفكير فيها. عن *التساؤل* بشأنها. وكيف سيكون شعوري عند تنفيذها'"؟

"تقصد أن تقول إنها كانت حشرية ذكورية"، قالت برتابة.

"حسناً، نعم. أفترض أنه يمكنك قول ذلك".

"أو مثل محاولة تدخين سيجارة ممنوعات فقط لرؤية سبب كل ذلك الصراخ".

هزَّ كتفيه بتواضع، بصبيانية. "نوعاً ما".

"لم تكن حشريةً يا بوبي. لم تكن تجربة لسيجارة ممنوعات. كان *خطف حياة امرأة*".

لم تر لديه أي شعور بالذنب أو الخِزي، على الإطلاق - بدا غير قادر على هكذا أمور، بدا أن قاطعة الدارة التي تتحكَّم بتلك الأمور محترقة، وربما حتى قبل ولادته - لكنه نظَرَ إليها الآن نظرة حَرَد. نظرة مراهق تعني "أنت لا تفهمينني".

"دارْسي، كانت *حقيرات*".

أرادت كوب ماء، لكنها كانت خائفة من النهوض والذهاب إلى الحمّام. كانت خائفة أن يوقفها، وماذا سيحصل بعد ذلك؟

"بالإضافة إلى ذلك"، استأنَف يقول، "لم أعتقد أنه سيُقبَض عليَّ. ليس إذا كنتُ حذراً ووضعت خطة مسبقة. ليس خطة فتى

مراهق مستثار في الرابعة عشرة من عمره، تعلمين، بل خطة واقعية. وأدركْتُ شيئاً آخر، أيضاً. لا يمكنني أن أفعل ذلك شخصياً. حتى ولو لم أُخطئ بدافع العصبية، فقد أُخطئ بدافع الذنب. لأنني كنتُ أحد الأخيار. هكذا كنتُ أرى نفسي، وصدّقي أو لا تصدّقي، لا أزال أرى نفسي هكذا. ولديَّ البرهان، أليس كذلك؟ منزل جيد، زوجة جيدة، ولدان جميلان راشدان يبدأان حياتهما. كما أنني أردّ الجميل للمجتمع. لهذا السبب قبلتُ وظيفة أمين صندوق البلدة لسنتين، مجاناً. لهذا السبب أعمل مع ڤيني أشلر كل سنة في حملة التبرّع بالدم".

كان عليك أن تطلب من مارجوري دوفال أن تتبرَّع بدمها، فكَّرت دارْسي. *كانت فئتها +A.*

ثم نفخ صدره قليلاً - مثل رجل يدعم حجته بنقطة أخيرة غير قابلة للجدل - وقال: "هذه هي طِباع شبل الكشّافة. لقد اعتقَدتِ أنني سأتوقف عندما ذهَب دوني إلى فتيان الكشّافة، أعرف أنك كنت تعتقدين ذلك. لكنني لم أتوقف. لأن المسألة لا تتعلق به فقط، ولم تكن تتعلَّق به يوماً. بل تتعلَّق بالمجتمع. بردّ الجميل".

"إذاً أعِد لمارجوري دوفال حياتها. أو ستايسي مُور. أو روبرت شايفرستون".

أثَّر عليه هذا الإسم الأخير؛ فجفَل كما لو أنها ضرَبته. "كان الفتى صدفةً. لم يكن يُفترَض به أن يكون هناك".

"لكن وجودك هناك لم يكن صدفةً؟".

"لم يكن *أنا*"، قال، ثم أضاف بسخافة سريالية مُطلقة، "لستُ خائناً. كان بِيْدي. لطالما كان بِيْدي. إنه ذنبه أن يزرع تلك الأفكار في رأسي من الأساس. لما كنتُ قد فكَّرت فيها من تلقاء نفسي. كنتُ

أوقِّع رسائلي إلى الشرطة بإسمه فقط لأوضِّح هذه النقطة. بالطبع غيَّرتُ الإملاء، لأنني كنتُ أناديه ب.د. أحياناً مثلما أخبرتُك في البدء. قد لا تتذكَّرين هذا، لكنني أخبرتُك".

كانت مندهشة من مدى الوسوَسة التي وصل إليها. لا عجب أنه لم يُقبَض عليه. فلو لم يرتطم إصبع قدمها بذلك الصندوق اللعين -

"لم يكن لأي واحدة منهن أي علاقة بي أو بوظيفتي. كلِا الوظيفتين. فذلك سيكون سيئاً جداً. خطيراً جداً. لكنني أسافر كثيراً، وأبقى متيقظاً. بِيْدي - بِيْدي الذي في داخلي - يبقى متيقظاً أيضاً. نحذر من الحقيرات. يمكنك تمييزهن دائماً. يرتدين تنانير قصيرة جداً ويُظهِرن حمّالات صدرهن عمداً. يتقصَّدن إغراء الرجال. خذي ستايسي مُور مثلاً. أنا أكيد أنك قرأت عنها. متزوجة، لكن ذلك لم يمنعها من حفّ صدرها بي. كانت نادلة في مقهى - سانيسايد في ووترفيل. كنتُ أذهب إلى هناك لزيارة متجر ميكلسون للعملات المعدنية، هل تتذكَّرين؟ حتى إنك ذهَبتِ معي بضع مرات، عندما كانت بَتْس في كولبي. كان هذا قبل أن يُتوفّ جورج ميكلسون ويبيع إبنه كل المخزون لكي يتمكن من الذهاب إلى نيوزيلندا أو مكان آخر. كانت تلك المرأة تتحرَّش بي باستمرار يا دارْس! فتسألني دائماً إن كنتُ أريد المزيد من القهوة الساخنة، وتقول أموراً مثل ما رأيك بفريق الريد سوكس، وتنحني وتحفّ صدرها على كتفي، وتحاول جهدها لكي تستثيرني. وقد نجحت، أعترف بهذا، أنا رجل لديه احتياجات، ورغم أنكِ لم تصدّيني أو ترفضيني أبداً... حسناً، نادراً... إلا أنني رجل لديه احتياجات، ولطالما كانت لديَّ نسبة عالية من الاستثارة. تشعر بعض النساء بهذا ويرغبن استغلاله. هذا يستثيرهن".

كان ينظر إلى حُضنه بعينين مظلمتين متأمِّلتين. ثم تذكَّر شيئاً آخر وارتفع رأسه فجأة. تطاير شعره الخفيف، ثم استقرّ من جديد.

"يتسمن دائماً! أحمر شفاه ويتسمن دائماً! حسناً، أنا أعرف هكذا ابتسامات. معظم الرجال يعرفها. 'ها-ها، أعرف ماذا تريد، يمكنني أن أشمّه عليك، لكن هذا الحفّ الصغير هو كل ما ستحصل عليه، لذا تعامل مع الأمر'. يمكنني! يمكنني أن أتعامل معه! لكن ليس بِيْدي، ليس هو".

هزَّ رأسه ببطء.

"النساء اللواتي من هذا الطراز كثيرات. من السهل معرفة أسمائهن. ويمكنك عندها تتبّعهن على الانترنت. ستجدين معلومات كثيرة إذا كنتِ تعرفين كيف تبحثين عنها، والمحاسبون يعرفون كيف. لقد فعلتُ ذلك... آه، عشرات المرات. وربما حتى مئة مرة. أظن أنه يمكنك اعتبارها هوايةً. ويمكنك القول إنني أجمِّع معلومات بالإضافة إلى العملات المعدنية. عادة تضيع جهودي سُدًى. لكن بِيْدي سيقول أحياناً، 'إنها المرأة التي تريد إكمال العمل عليها يا بوبي. تلك المرأة التي هناك. سنضع الخطة معاً، وعندما يحين الوقت، دعني أتولى الأمر'. وهذا ما أفعله".

أمسك يدها، وطوى أصابعها الضعيفة والباردة بأصابعه.

"تعتقدين أنني مجنون. يمكنني رؤية ذلك في عينيك. لكنني لستُ مجنوناً يا حبيبتي. بِيْدي هو المجنون. بالمناسبة، إذا قرأتِ القصص في الصحف، ستعرفين أنني أضع الكثير من الأخطاء الإملائية في رسائلي إلى الشرطة عن قصد. وحتى أُخطئ في إملاء العناوين. أحتفظ بلائحة

بالأخطاء الإملائية في محفظتي لكي أرتكبها دائماً بنفس الطريقة. هذا تضليلٌ. أريدهم أن يظنّوا أن بِيْدي مغفّل - أميّ، على أي حال - ويظنّون ذلك. لأنهم *مغفّلون*. لقد خضعتُ للاستجواب لمرة واحدة فقط، منذ سنوات، وبصفة شاهد، بعد حوالي أسبوعين من قتل بِيْدي للمرأة مُور. كان المحقِّق عجوزاً ذا مشية عرجاء ونصف متقاعد. طلب مني أن أتصل به إذا تذكَّرتُ أي شيء. وقلتُ إنني سأفعل ذلك. كانت تلك التجربة غنية جداً".

ضحك ضحكة خافتة بصمت، مثلما كان يفعل أحياناً عندما يشاهدان البرنامج الفكاهي "عائلة عصرية" أو "رجلان ونصف". لطالما أعجبتها طريقته هذه في الضحك، قبل هذه الليلة.

"هل تريدين معرفة شيء يا دارْس؟ إذا قبضوا عليَّ وكان لديهم ما يكفي من أدلّة، سأعترف - على الأقل أظن أنني سأعترف، لا أعتقد أن أي شخص يكون متأكداً مئة بالمئة ماذا سيفعل في حالة كهذه - لكن لا يمكنني أن أُدلي باعتراف كامل. لأنني لا أتذكَّر الكثير عن... الأفعال. فبِيْدي مَن يرتكبها، وأنا... لا أعرف... أكون فاقد الوعي. أفقد الذاكرة. يا له من أمر لعين".

آه، أيها الكذّاب. أنت تتذكَّر كل شيء. هذا واضح في عينيك، حتى في طريقة تحرّك فمك عند أطرافه.

"والآن... كل شيء في يدَي دارْسلين". ثم رفعَ إحدى يديها إلى شفتيه وقبّلها، كما لو أنه يشدِّد على هذه النقطة. "هل تعرفين القول الشهير، 'يمكنني إخبارك، لكنني سأضطر عندها إلى قتلك'؟ هذا لا ينطبق هنا. لا يمكنني أبداً قتلك. كل شيء أفعله، كل شيء بنيتُه... رغم تواضعه بنظر بعض الأشخاص... فعلتُه وبنيتُه لك. للأولاد أيضاً،

بالطبع، لكن في الأغلب لك. لقد دخلتِ حياتي، وهل تعرفين ماذا حصل؟".

"توقَفت"، قالت.

ابتسم ابتسامة كبيرة. "لأكثر من عشرين سنة!".

ست عشرة سنة، فكَّرت في سرّها.

"طوال معظم تلك السنوات، عندما كنا نربّي الأولاد ونكافِح لإنجاح تجارة العملات المعدنية - رغم أنك أنتِ مَن بذل القسم الأكبر من ذلك الجهد - كنتُ أركض هنا وهناك في نيو إنغلاند لإنجاز الضرائب وإعداد الأساسات -"

"أنتَ الذي أنجَحَ التجارة"، قالت، وصُدمَت قليلاً مما سِمعته في صوتها: هدوء ودفء. "أنتَ كنتَ صاحب الخبرة".

بدا متأثراً بما يكفي لكي يبدأ البكاء مرة أخرى، وعندما تكلَّم كان صوته أجشّ. "شكراً حبيبتي. يسرّني كثيراً سماع هذا منك. هل تعلمين أنك أنقذتني؟ بأكثر من طريقة واحدة".

تنحنح.

"لاثنتي عشرة سنة، لم يقم بِيْدي بأي حركة. واعتقَدتُ أنه رحل. صدقاً. لكنه عاد. مثل شبح". بدا أنه يفكِّر في هذا، ثم أومأ برأسه ببطء. "هذا ما هو عليه. شبح... وشرير أيضاً. بدأ يشير لي إلى النساء في أسفاري. 'أنظر إلى هذه، تريد أن تتأكد أنك ترى حلماتها، لكن إذا لَمَستها ستصرخ للشرطة ثم تضحك مع صديقاتها عندما يلقون القبض عليك. أنظر إلى هذه، تلعق شفتيها بلسانها، وتعرف أنك ترغب بأن تضعه في فمك وتعرف أنك تعرف أنها لن تفعل ذلك أبداً.

أنظر إلى هذه، تتباهى بسروالها الداخلي عندما تخرج من سيارتها، وإذا كنت تعتقد أنه حصل بالخطأ، ستكون أحمق. إنها مجرد حقيرة أخرى تظنّ أنها لن تحصل أبداً على ما تستحقه".

توقَّف، وكانت عيناه مظلمتين وحزينتين مرة أخرى. كان فيهما البوبي الذي تملَّص منها بنجاح لسبع وعشرين سنة. البوبي الذي كان يحاول أن يتظاهر أنه شبح.

"عندما بدأتُ أشعر بتلك الرغبات، حارَبْتُها. هناك مجلات... مجلات معيّنة... اشتريتها قبل أن نتزوَّج، واعتقَدتُ أنني إذا فعلتُ ذلك مرة أخرى... أو بعض المواقع على الانترنت... اعتقَدتُ أنه يمكنني... لا أعرف... استبدال الواقع بالخيال، أظن أن هذا ما يُقال... لكن بعدما تختبرين الشيء الحقيقي، يصبح الخيال تافهاً".

شعرت دارْسي أنه يتكلم مثل رجل وَقَع في حُبّ طعامٍ شهيٍ مُكلفٍ. الكافيار. الكمأة. الشوكولا البلجيكية.

"لكن المهم هو أنني توقَّفتُ. طوال كل تلك السنوات، *توقَّفتُ*. ويمكنني أن أتوقف مرة أخرى يا دارْسي. بشكل دائم هذه المرة. إذا كانت هناك فرصة لنا. إذا كنتِ قادرة على مسامحتي وقلب الصفحة". نظَرَ إليها بجدّية وبعينين دامعتين. "هل يمكنك فعل ذلك؟".

تخيَّلت امرأةً مدفونةً في ركام ثلجي، وقد كُشفَت رِجلاها العاريتان بعد مرور محراث فوقها - بإبنة والدةٍ، كانت يوماً ما دُرّة عين والدها، وهي ترقص ببراءة على مسرح مدرسة النحو في فستان باليه زهري. تخيَّلت والدةً وإبناً اكتُشفا في نهر متجمِّد، وشعرهما متموّج في المياه الجليدية السوداء. تخيَّلت امرأةً رأسها محشور في الذرة.

مكتبة

"أحتاج إلى التفكير بالأمر"، قالت، بحذر شديد.

أمسكها بذراعيها العلويتين ومال نحوها. واضطرت أن تضغط على نفسها لكي لا تجفل، ولكي تلاقي نظرة عينيه. كانت عينيه... ولم تكونا. *ربما هناك بعض الحقيقة في مسألة الشبح في النهاية*، فكّرت في سرّها.

"هذا ليس أحد تلك الأفلام التي يطارد فيها الزوج المضطرب عقلياً زوجته الصارِخة في كل أرجاء المنزل. إذا قررتِ إبلاغ الشرطة عني، لن أرفع إصبعاً لأمنعك. لكنني أعرف أنك فكَّرتِ بتأثير ذلك على الأولاد. لن تكوني المرأة التي تزوَّجتُها إذا لم تفكِّري في ذلك. لكن ما لم تفكِّري فيه على الأرجح هو تأثير ذلك عليك. لن يصدِّق أحدٌ أنك كنت متزوجة بي كل تلك السنوات ولم تعرفي أبداً... أو تشتبهي على الأقل. سيكون عليك الانتقال والعيش على مدّخراتنا، لأنني لطالما كنتُ المعيل، ولا يستطيع الرجل أن يكسب قوته عندما يكون في السجن. وقد لا تتمكنين حتى من الحصول على مدّخراتنا، بسبب الدعاوى المدنية. وبالطبع الأولاد –"

"توقف، لا تتكلم عنهما عندما تتكلم عن هذا، *أبداً*".

أومأ برأسه بتواضع، وهو لا يزال يُمسك ساعدَيها بخفة. "لقد هزَمتُ بِيْدي مرةً – هزَمتُه لعشرين سنة –"

ست عشرة سنة، فكّرت في سرّها مرة أخرى. *ست عشرة سنة، وأنت تعرف ذلك.*

"– ويمكنني أن أهزمه مرة أخرى. بمساعدتك يا دارْس. بمساعدتك أستطيع أن أفعل أي شيء. حتى ولو عاد بعد عشرين سنة أخرى، وما

الضرر في ذلك؟ يا لهذا الشأن العظيم! سأكون قد أصبحت في الثالثة والسبعين. ومن الصعب أن أذهب لاصطياد الحقيرات عندما أسير على عكّاز!". ضحِك بانشراح من هذه الصورة المنافية للعقل، ثم هدأ مرة أخرى. "لكن – اسمعيني الآن جيداً – إذا عدتُ إلى طريق الشر ولو لمرة واحدة، سأقتل نفسي. لن يعرف الولدان أبداً، ليسا ملزمين أن يُصابا أبداً ب ... *وصمة العار*... لأنني سأجعله يبدو حادثاً... لكنك تعرفين. وتعرفين السبب. ما رأيك إذاً؟ هل يمكننا وضع هذا خلفنا؟".

بدت أنها تفكِّر. كانت *تفكِّر*، في الواقع، رغم أن عمليات التفكير تلك التي تسعى لتحصل على دعمٍ منها لم تكن تسير في اتجاه سيفهمه على الأرجح.

ما فكَّرت فيه كان: *هذا ما يقوله مدمنو المخدرات. "لن أتعاطى هذا الشيء مرة أخرى أبداً. لقد أقلعتُ عنه في السابق وسأُقلع عنه بشكل دائم هذه المرة. أنا جادّ في كلامي". لكنهم ليسوا جادّين، حتى عندما يظّنون أنهم جادّون، وهو أيضاً ليس جادّاً.*

ما فكَّرت فيه كان: *ماذا سأفعل؟ لا يمكنني خداعه، فنحن متزوجان منذ زمن طويل.*

ردَّ صوتٌ باردٌ على ذلك، صوتٌ لم تظنّ أبداً أنه داخلها، صوتٌ مرتبطٌ على الأرجح بصوت بِيْدي الذي همَس لبوب عن الحقيرات اللواتي يراهن في المطاعم، ويضحكن عند نواصي الشوارع، ويركبن سيارات رياضية غالية بعد إخفاضهن السقف، ويتهامسن ويبتسمن لبعضهن البعض عبر شرفات المباني السكنية.

أو ربما كان صوت "الفتاة المكفهِرّة".

لماذا لا يمكنكِ؟ سألها. فهو في النهاية... خدعك.

وماذا يحصل بعد ذلك؟ لا تعرف. تعرف فقط أن الآن هو الآن، ويجب التعامل مع الآن.

"سيكون عليك أن تعدني بالتوقف"، قالت ببطء شديد وعلى مضض. "أخلص وأقوى وعد لديك بأنك ستتوقف".

امتلأ وجهه بارتياح شامل - صبياني إلى حد ما - لدرجة أنها تأثّرت. نادراً ما بدا الفتى الذي كان عليه. طبعاً كان ذلك أيضاً الفتى الذي خطَّط في أحد الأيام ليذهب إلى المدرسة حاملاً مسدَّسات. "سأتوقف يا دارْسي. حقاً. أعدُك. لقد قلتُ لك هذا من قبل".

"ولا يمكننا أن نتكلم عن هذا مرة أخرى أبداً".

"أفهم هذا".

"ولن ترسل هوية دوفال إلى الشرطة أيضاً".

رأت خيبة الأمل (الصبيانية بشكل غريب أيضاً) التي اعترت وجهه عندما قالت ذلك، لكنها كانت مصمِّمة على الإصرار على رأيها. يجب أن يشعر أنه مُعاقَب، ولو قليلاً فقط. بهذه الطريقة سيصدِّق أنه أقنَعها.

ألم يُقنعك؟ آه يا دارسلين، ألم يُقنعك؟

"أحتاج إلى أكثر من مجرد وعود يا بوبي. الأفعال أبلَغ من الأقوال. احفر حفرةً في الغابة واطمر بطاقات هوية تلك المرأة".

"بعدما أفعل ذلك، هل -"

مدَّت يدها ووضعتها على فمه. كافَحت ليبدو صوتها صارماً. "أُسكت. لا تتكلَّم أكثر".

"حسناً. شكراً يا دارْسي. شكراً جزيلاً".

"لا أعرف عما تشكرني". ثم، ورغم أن فكرة استلقائه بجانبها ملأتها باشمئزاز ورعب، أجبَرت نفسها على قول الباقي.

"اخلع ملابسك الآن وتعال إلى السرير. كلانا بحاجة إلى بعض النوم".

- 10 -

غفا حالما وضع رأسه على الوسادة، لكن حتى بعد فترة طويلة من بدء شخيره الصغير المهذّب، بقيت دارْسي مستيقظة، وهي تفكِّر أنها إذا تركت نفسها تنجرف، ستستيقظ ويداه حول حنجرتها. كانت في السرير مع مجنون، في النهاية. وإذا أضافها إلى لائحته، سيصبح العدد الإجمالي دزينةً بالتمام والكمال.

لكنه كان جادّاً، فكّرت في سرّها. كان هذا في الوقت الذي بدأت فيه السماء تزداد إشراقاً في الشرق. *قال إنه يحّبني، وكان جادّاً. وعندما قلتُ إنني سأحفظ سره - لأن هذه هي خلاصة المسألة، حفظ سره - صدَّقني. ولماذا لن يصدِّقني؟ فأنا كدتُ أُقنِع نفسي.*

ألم يكن ممكناً أن يفي بوعده؟ لا يفشل كل مدمني المخدرات في المحافظة على نظافتهم، في النهاية. وبينما لا يمكنها أبداً أن تحتفظ بسره لنفسها، ألم يكن ممكناً أن تفعل ذلك كرمى للأولاد؟

لا أستطيع. لن أستطيع. لكن أي خيار لديَّ؟

أي خيار لعين؟

أثناء التفكير ملياً في هذا السؤال، استسلَم ذهنها المُتعَب

والمرتبك أخيراً وغفت.

حلَمت بدخول غرفة الطعام ورؤية امرأة مقيَّدة بسلاسل بطاولة إيثن أَلِن الطويلة الموجودة هناك. كانت المرأة عارية ما عدا من غطاء جلدي أسود غطى النصف العلوي لوجهها. *لا أعرف هذه المرأة، هذه المرأة غريبة بالنسبة لي*، فكَّرت في حلمها، ثم قالت يترا من تحت الغطاء: "ماما، هل هذه أنتِ؟".

حاوَلت دارْسي أن تصرخ، لكن المرء لا يستطيع أن يصرخ أحياناً في الكوابيس.

- 11 -

عندما كافَحت أخيراً لتستيقظ - مع صداع وشعور بالبؤس والدوار - كان النصف الآخر للسرير فارغاً. كان بوب قد أعاد برم ساعته، ورأت أنها العاشرة والربع. هذه أكثر مرة تنام فيها حتى هذا الوقت المتأخر منذ سنوات، لكنها بالطبع لم تغفُ قبل خيوط الضوء الأولى، وكان نومها مليئاً بالأهوال.

استخدَمت المرحاض، وأنزلت معطفها المنزلي عن الخطّاف على الجهة الخلفية لباب الحمّام، ثم نظّفت أسنانها - كان المذاق في فمها كريهاً. *مثل قعر قفص عصافير*، سيقول بوب في الصباحات النادرة بعد أن يكون قد شرب كوباً زائداً من شراب العنب على العشاء أو كوباً ثانياً من شراب الشعير خلال مباراة بيسبول. بصَقت، وبدأت تعيد فرشاتها إلى كوب فراشي الأسنان، ثم توقفت وراحت تنظر إلى انعكاس صورتها. لقد رأت هذا الصباح امرأةً تبدو عجوزاً وليس امرأةً

في منتصف العمر: بشرة شاحبة، خطوط عميقة حول الفم، رضوض أرجوانية تحت العينين، الشعر المنفوش المخبول الذي يحصل فقط جرّاء التقلُّب في الفراش أرقاً. لكن كل ذلك غير مهم بالنسبة لها؛ فكيف يبدو مظهرها هو آخر شيء تفكّر فيه. راحت تحدِّق فوق انعكاس كتفها في المرآة وعبر باب الحمّام المفتوح إلى غرفة نومهما. ما عدا أنها لم تكن غرفة نومهما؛ كانت غرفة النوم المكفهِرّة. بمكنها رؤية خُفّه، لكنه لم يكن خُفّه. من الواضح أن حجمه كبير جداً ليكون خُفّ بوب، ويكاد يكون خُفّ عملاق. إنه خُفّ الزوج المكفهِرّ. والسرير المزدوج ذو الملاءة المجعَّدة والبطانيات المُزاحة؟ إنه السرير المكفهِرّ. أعادت نظرها إلى المرأة ذات الشعر المنفوش والعينين الخائفتين المُحتقِنتين بالدم: الزوجة المكفهِرّة، في كل مجدها الهرِم. كان إسمها الأول دارْسي، لكن كنيتها لم تكن أندرسون. الزوجة المكفهِرّة كانت السيدة براين ديلاهانتي.

مالت دارْسي إلى الأمام إلى أن لمس أنفها الزجاج. حبست أنفاسها وكوَّرت يديها على جانبَي وجهها مثلما فعلت عندما كانت فتاةً ترتدي شورتاً ملطَّخاً بالعشب وجوارب بيضاء هابطة. بقيت تنظر إلى أن لم يعد بإمكانها حبس أنفاسها أكثر، ثم زفرت لهيثاً جعل المرآة ضبابية. مسَحتها بمنشفة، ثم نزلت إلى الطابق السفلي لتواجه يومها الأول بصفتها زوجة الوحش.

كان قد ترَك لها رسالة تحت وعاء السكر.

دارس –

ستهتم بتلك المستندات مثلما طلبتِ. أحبك يا حبيبتي.

بوب

كان قد رسم قلباً صغيراً حول إسمه، وهذا شيء لم يفعله منذ سنوات. شعَرت بموجة حب تجاهه، سميكة ومُتخِمة مثل رائحة الزهور المُحتضَرة. أرادت إطلاق عويل مثل النساء في العصر الحجري، لكنها كبتت صوتها بمنديل. اشتغل محرّك البراد وبدأ دويّه العديم الشفقة. وسال ماء في المغسلة، مُزعِجاً سكون الخزف. كان لسانها أشبه بإسفنجة حامضة محشورة داخل فمها. شعَرت بالوقت - بكل الوقت القادم، بصفتها زوجته في هذا المنزل - يخنقها مثل سترة المجانين. أو التابوت. هذا كان العالم الذي صدَّقت وجوده في طفولتها. كان هنا طوال الوقت. ينتظرها.

استمرّ دويّ محرّك البراد، وسيلان الماء في المغسلة، ومرَّت الثواني الجافة. هذه هي الحياة المكفهِرّة، حيث كل حقيقة تُكتَب عكسياً.

- 12 -

كان زوجها قد درَّب الدَوري الصغير (أيضاً مع ڤيني أشلر، الذي كان خبيراً في النكات عن البولنديين والعناقات الذكورية القوية الخانقة) خلال السنوات التي لعِب فيها دوني في فريق أجهزة كافنديش، ولا تزال دارْسي تتذكَّر ما قاله بوب للفتيان - وكان العديد منهم يبكي - بعد أن خسروا المباراة النهائية لدورة المقاطعة 19. حصل ذلك في العام 1997، على الأرجح قبل حوالي شهر فقط من قتل بوب لستايسي مُور وحشرها في سلة الذرة الخاصة بها. الكلمة التي ألقاها أمام تلك المجموعة من الفتيان المتهدِّلين الدامعين كانت قصيرة وحكيمة و (اعتقدت ذلك وقتها ولا تزال تعتقده بعد ثلاث عشرة سنة) من النوع الذي لا يُصدَّق.

أعرف كم أنتم حزينون أيها الفتيان، لكن الشمس ستظل تُشرق غداً. وعندما تفعل ذلك، سيتحسَّن شعوركم. وعندما تُشرق الشمس بعد الغد، سيتحسَّن شعوركم قليلاً أكثر. هذه المباراة مجرد جزء من حياتكم، وقد انتهى هذا الجزء. كان أفضل بكثير لو فزنا، لكن في الحالتين، انتهى هذا الجزء. ستستمر الحياة.

مثلما استمرت حياتها، بعد رحلتها المنحوسة إلى المرأب لإحضار بطاريات جديدة. عندما عاد بوب إلى المنزل من عمله بعد يومها الطويل الأول في المنزل (لم تتحمّل فكرة خروجها بمفردها، فقد كانت تخشى أن تكون معرفتها مكتوبة على وجهها بأحرف بارزة)، قال: "حبيبتي، بشأن ليلة أمس –"

"لم يحصل شيء ليلة أمس. لقد عدتَ إلى المنزل باكراً، فقط لا غير".

أخفضَ رأسه بطريقته الصبيانية تلك، وعندما رفعه مرة أخرى، كان وجهه مُضاءً بابتسامة كبيرة ممنونة. "هذا جيد، إذاً"، قال. "أُغلقت القضية؟".

"كلياً".

فتَح ذراعيه. "اعطنا قبلةً يا حلوة".

ففعلت، متسائلةً إن كانت قد قبَّلت *كليهما*.

افعلي هذا بشكل جيد، استخدمي حقاً لسانك المثقَّف، ولن أُقطِّعك إرباً، تخيّلته يقول. *ضعي كل جوارح قلبك الصغير الحقير فيها*.

أمسكها بعيداً عنه، ويديه على كتفيها. "لا نزال أصدقاء؟".

"لا نزال أصدقاء".

"متأكدة؟".

"نعم. لم أطبخ أي شيء، ولا أريد الخروج. لماذا لا تغيِّر ملابسك وتذهب لتُحضر لنا بيتزا".

"حسناً".

"ولا تنسَ أن تأخذ حبّة البرايلوزيك".

ابتسم لها. "طبعاً".

راقَبته يصعد السلالم، وفكَّرت أن تقول *لا تفعل ذلك يا بوبي، لا تختبر قلبك هكذا*.

لكن لا.

لا.

t.me/ktabpdf t.me/ktabrwaya

دعه يختبره قدر ما يشاء.

- 13 -

أشرقت الشمس في اليوم التالي. والتالي. مرَّ أسبوعٌ، ثم أسبوعان، ثم شهرٌ. استأنَفا طرقهما القديمة، العادات الصغيرة لزواجٍ طويلٍ. فكانت تنظّف أسنانها بينما يستحمّ (يغني عادة بعض أغاني الثمانينات بصوتٍ يصيب اللحن لكنه ليس شجياً)، رغم أنها لم تعد تفعل ذلك عاريةً، لكي تدخل الدُش حالما يُخليه؛ أصبحت تستحمّ الآن بعد أن يغادر إلى عمله. إذا كان قد لاحَظ هذا التغيير الطفيف في عادتها، فلم يذكره. استأنَفت ذهابها إلى نادي الكتاب، وأخبرت بقية السيدات والرجلَين المتقاعدَين اللذين يشاركان في النادي أنها كانت متوعِّكة ولم ترغب نقل العدوى مع رأيها بكتاب باربرا كينغسولفر الجديد، وضحك

الجميع بتهذيب. بعد ذلك بأسبوع، استأنَفت دائرة الحياكة. وتجد نفسها أحياناً تغني مع الراديو أثناء عودتها من مكتب البريد أو متجر البقالة. وتشاهد التلفزيون مع بوب ليلاً - البرامج الكوميدية دائماً، وليس برامج الجرائم أبداً. أصبح يعود إلى المنزل باكراً الآن؛ لم تعد هناك رحلات برية منذ تلك الرحلة إلى مونبلييه. نزَّل برنامجاً يدعى سكايب على كمبيوتره، قائلاً إنه يمكّنه من رؤية تشكيلات العملات المعدنية بنفس السهولة وسيوفّر ثمن الوقود. لم يقل إنه سيوفّر أيضاً كلفة اندفاعه للشراء، لكنه لم يكن مضطراً أن يقول ذلك. راحت تراقب الصحف لترى إن ظهرت هوية مارجوري دوفال، لأنه إذا كذَب عليها بهذا الشأن، سيكون قد كذَب عليها بشأن كل شيء. لكنها لم تظهر. خرَجا بعد أسبوع لتناول العشاء في أحد مطعمَي يارموث الرخيصين. وطلبَ طبق لحم وطلبت طبق سمك. شرِب شاياً مُثلَّجاً وشرِبت عصير عنبيّة. العادات القديمة تموت بصعوبة. *وفي أغلب الأحيان*، فكّرت في سرّها، *لا تموت إلى أن نموت نحن*.

خلال النهار، بعدما يكون قد غادر، نادراً ما أصبحت تشغّل التلفزيون الآن. فهذا يسهّل الاستماع إلى صوت البراد، وإلى أصوات الصرير الصغيرة لمنزل يارموث اللطيف وهو يستعدّ لشتاء ماين آخر. كما يسهِّل التفكير. ويسهِّل مواجهة الحقيقة: سيفعلها مرة أخرى. سيمتنع قدر إمكانه، ستعطيه بسرور هذا القدر، لكن عاجلاً أم آجلاً سيعيد بِيْدي اكتساب اليد العليا. لن يرسل هوية المرأة التالية إلى الشرطة، معتقداً أن هذا قد يكون كافياً لخداعها، لكنه لن يكترث على الأرجح إذا رأت تغييراً في طريقة عمله. *لأنها*، برأيه، *أصبحت جزءاً من المسألة الآن. وعليها أن تُقر أنها كانت تعرف. ستستخرج الشرطة منها*

ذلك حتى ولو حاولت إخفاءه.

اتصل دوني من أوهايو. كانت أعماله تسير بشكل رائع، حيث وقّعا عقداً مع شركة منتجات مكتبية قد يمتدّ على نطاق الوطن كله. سُرَّت دارْسي بهذا الخبر (وكذلك بوب، معترفاً بانشراح أنه كان مخطئاً بشأن فرص دوني بالنجاح في هذا السن اليافع). واتصلت بترا لتقول إنهما اتفقا مبدئياً على فساتين زرقاء للشاهدات، ضيقة عند الخصر وتتّسع نزولاً، وقصيرة حتى الرُّكبتين، مع أوشحة مطابقة من الشيفون، وهل تجد دارْسي هذا أنيقاً، أم ستبدو هذه الملابس طفولية قليلاً؟ قالت دارْسي إنها تعتقد أنها ستبدو جميلة، وانتقلت كلتاهما إلى مناقشة الأحذية - زرقاء ذات كعب منخفض، ارتفاعه سنتيمتران بالتحديد. مرضت والدة دارْسي في بوكا غراندي، ويبدو أنها قد تحتاج إلى دخول المستشفى، لكنهم بدأوا عندها إعطاءها دواءً جديداً وتحسّنت صحتها. أشرقت الشمس وغربت. أُزيلت زينة القرعات الورقية المضيئة من نوافذ المتاجر، وعُرضَت زينة طيور الديك الرومي. ثم عُرضَت زينة احتفال الشتاء. وظهرت أولى بوادر الثلج، في موعدها المحدَّد.

في منزلها، بعد أن أخذ زوجها حقيبة ملفاته وذهب إلى عمله، راحت دارْسي تتنقَّل بين الغرف، وتتوقف لتنظر إلى مختلف المرايا. ولوقت طويل في أغلب الأحيان. وتسأل المرأة التي في داخل ذلك العالم الآخر عما عليها أن تفعل.

بدا أن الجواب يميل تدريجياً إلى أن عليها عدم فعل أي شيء.

- 14 -

في يوم دافئ بشكل غير اعتيادي قبل أسبوعين من احتفال

الشتاء، عاد بوب إلى المنزل في منتصف بعد الظهر، وهو ينادي إسمها. كانت دارْسي تقرأ كتاباً في الطابق العلوي. رمته على منضدة السرير (بجانب مرآة اليد التي استوطنت هناك بشكل دائم الآن) وهرعت عبر الردهة لتنزل إلى الطابق السفلي. كانت فكرتها الأولى (رعبٌ ممزوج بارتياحٍ) أن كل شيء انتهى أخيراً. لقد اكتُشف أمره. وسيأتي رجال الشرطة إلى هنا قريباً. سيقبضون عليه، ثم يعودون ليسألوها السؤالين التقليديين: ماذا تعرف، ومتى أصبحت تعرفه؟ وستركن شاحنات الأخبار في الشارع. وسيصوِّر رجالٌ ونساءٌ صفَّفوا شعرهم بشكل أنيق تحقيقات صحفية أمام منزلهما.

ما عدا أن ما في صوته لم يكن خوفاً؛ عرَفت ما كان حتى قبل أن يصل إلى أسفل السلالم ويرفع وجهه نحوها. كان إثارةً. وربما حتى تهلُّلاً.

"بوب؟ ماذا –"

"لن تصدّقي أبداً!". كان معطفه الطويل مفتوحاً، ووجهه متورِّداً حتى أعلى جبهته، وبقايا شعره مبعثراً يميناً ويساراً. كان يبدو كما لو أنه قاد طول الطريق إلى المنزل فاتحاً كل نوافذ سيارته. ونظراً للطقس الربيعي، افترَضت دارْسي أنه فعل ذلك.

نزلت بحذر ووَقَفت على الدرجة الأولى، مما جعل نظرها على مستوى نظره. "أخبرني".

"أجمل حظ ممكن! حقاً! لو احتجتُ يوماً ما إلى أي علامة تشير إلى أنني على المسار الصحيح مرة أخرى – إلى *أننا* – يا إلهي، فهذه هي!". مدَّ يديه. كانت مُغلقتين في قبضتين ومفاصل أصابعه إلى

أعلى. كانت عيناه تتلألأن. ترقصان تقريباً. "أي يد؟ اختري".

"بوب، لا أريد أن ألعب –"

"اختري!".

أشارت إلى يده اليمنى، فقط لكي ترتاح من هذه المسألة. ضحِك. "لقد قرأتِ أفكاري... لطالما كنتِ قادرة على فعل ذلك، أليس كذلك؟".

أدار قبضته اليمنى وفتحها. كانت هناك عملة معدنية واحدة على راحة يده، تُظهر وجهها الخلفي، لكي تتمكن من رؤية أنها سنت قمح. لم تكن غير متداوَلة بأي وسيلة، لكن حالتها لا تزال رائعة. وعلى افتراض عدم وجود أي خدوش على جهة لينكولن، اعتقَدت أنها إما F أو VF. مدَّت يدها، ثم توقفت. فأومأ لها برأسه لكي تمدّها. قلَبَتها وهي متأكدة جداً مما سترى. لا شيء آخر يستطيع أن يفسّر إثارته بشكل ملائم. كان ما توقَّعته: سنت مزدوج السنة 1955.

"يا إلهي! من أين...؟ هل اشتريته؟". فقد بيع مؤخراً سنتاً مزدوج السنة 1955 غير متداوَلٍ في مزاد علني في ميامي بأكثر من ثمانية آلاف دولار، وهذا ثمن قياسي جديد. لم يكن هذا السنت بتلك الحالة، لكن كل تاجر عملات معدنية لديه نصف دماغ لن يقبل أن يتخلّى عن هذا السنت بأقل من أربعة آلاف دولار.

"لا، لا! دعاني بعض الزملاء إلى الغداء في المطعم التايلاندي، الوعود الشرقية، وكدتُ ألبّي دعوتهم، لكنني كنت أعمل على حساب فيجن أسوسييتس اللعين – تعرفين، ذلك المصرف الخاص الذي أخبَرتُك عنه؟ – لذا أعطيتُ مونيكا عشرة دولارات وطلبتُ منها أن تُحضر لي

شطيرةً وعصيراً من سابواي. أحضَرتها تاركةً الفكّة في الكيس. أخرجتُ الفكّة... ورأيته أمامي!". انتزع السنت من يدها ورفعه فوق رأسه، وهو يضحك له.

ضحِكت معه، ثم فكَّرت (مثلما تفعل في أغلب الأحيان هذه الأيام): *لم "يتألم!"*.

"أليس هذا رائعاً يا حبيبتي؟".

"نعم"، قالت. "أنا سعيدة لك". وسواء كان هذا غريباً أم لا (منحرفاً أم لا)، كانت سعيدة له حقاً. فقد تاجَرَ بعدة سنتات قمح على مرّ السنوات ويمكنه أن يشتري واحداً لنفسه في أي وقت، لكن هذا لا يُقارَن بمجرد العثور على واحد. حتى إنه منعها من أن تُهديه واحداً على احتفال الشتاء أو ذكرى ولادته. يُعتبر العثور غير المقصود أكثر لحظة سارة لأي مجمِّعٍ، أخبَرَها بذلك خلال محادثتهما الحقيقية الأولى، والآن تحقّقت أمنيته بعدما أمضى كل عمره يتفحَّص حفنات الفكّة التي تصل إلى يده. وقد جاءه السنت داخل كيس ورقي أبيض إلى جانب شطيرة لحم ديك رومي.

أحاطها بعناقٍ. وعانَقته بدورها، ثم أبعدته عنها بلطف. "ماذا ستفعل به يا بوبي؟ هل ستضعه في صندوق عرضٍ شفافٍ؟".

كانت تحاول أن تمازحه، وهو يعرف ذلك. صنعَ شكل مسدَّس بأصابع يده وأطلق رصاصة على رأسها. لا بأس بذلك، لأنك لن "تتألم" عندما تتلقى رصاصةً من مسدَّس مصنوع بأصابع اليد.

بقيت تبتسم له، لكنها عادت ورأته الآن (بعد هفوة الحُب القصيرة تلك) على حقيقته: الزوج المكفهِرّ. غولوم وخاتمه النفيس.

"أنتِ أدرى من ذلك. سأصوِّره، وأعلِّق الصورة على الجدار، ثم أخبئه في صندوق وديعتنا الآمن. ما رأيك، هل هو F أو VF؟".

فحَصته مرة أخرى، ثم نظرت إليه بابتسامة حزينة. "أودّ حقاً أن أقول إنه VF، لكن –"

"نعم، أعرف، أعرف – ولا يجب أن أهتمّ. لا يُفترضَ بالمرء أن يعدّ الأسنان عندما يهديه أحدهم حصاناً، لكن من الصعب مقاومة ذلك. لكنه أفضل من VG، أليس كذلك؟ رأيك الصادق يا دارْس".

رأيي الصادق هو أنك ستفعلها مرة أخرى.

"أفضل من VG بالتأكيد".

خفَّت ابتسامته. كانت متأكدة للحظة أنه خمَّن ما كانت تفكِّر فيه، لكن كان عليها أن تكون أدرى من ذلك؛ على هذه الجهة من المرآة، يمكنها الاحتفاظ بأسرار أيضاً.

"المسألة ليست حول النوعية، على أي حال. بل حول فكرة العثور عليه. وليس الحصول عليه من تاجر أو اختياره من كتالوغ، بل العثور عليه في الواقع على نحو مفاجئ كلياً".

"أعرف". ابتسمت. "لو كان أبي هنا الآن، لكان فتح زجاجة شراب ذي فقاقيع ليحتفل به".

"سأهتم بهذا التفصيل الصغير على العشاء هذه الليلة"، قال. "لكن ليس في يارموث. سنذهب إلى بورتلاند. لؤلؤة الساحل. ما رأيك؟".

"آه يا حبيبي، لا أعرف –"

أمسكها بخفة من كتفَيها على عادته دائماً عندما يريد أن يُفهِمها

أنه جدّي حقاً حول أمرٍ ما. "هيا - سيكون الطقس لطيفاً كفاية هذه الليلة لكي ترتدي أجمل فستان صيفي لديك. سمِعتُ ذلك في نشرة الطقس عندما كنت أقود إلى هنا. وسأشتري لك كل الشراب ذي الفقاقيع التي يمكنك أن تشربيه. كيف يمكنك رفض هكذا عرض؟".

"حسناً...". فكَّرت. ثم ابتسمت. "أظن أنه لا يمكنني رفضه".

- 15 -

لم يفتحا زجاجة واحدة فقط من ذلك الشراب ذي الفقاقيع المُكلِف جداً بل زجاجتين، وشرِب بوب معظمهما. لذا دارْسي هي التي قادت سيارته البريوس الصغيرة الهادئة في طريق العودة بينما كان بوب يجلس على مقعد الراكب، يغني "سنتات الحظ" بصوتٍ يصيب اللحن لكن ليس شجياً جداً. أدرَكت أنه ثمل. ليس ثملاً قليلاً، بل ثملاً جداً. هذه أول مرة تراه فيها في هذه الحالة منذ عشر سنوات. فهو عادة يقظ جداً بشأن كمية الشراب التي يشربها، وإذا سأله أحدهم في حفلةٍ لماذا لا يشرب، يُجيبه مقتبساً جملةً من رواية *العزيمة الحقيقية*: "لن أضع لصاً في فمي ليسرق عقلي". هذه الليلة، منتشياً من اكتشافه السنت المزدوج السنة، سمح لعقله أن يُسرَق، وعرَفت ماذا تنوي أن تفعل حالما طلبَ زجاجة الشراب الثانية تلك. في المطعم، لم تكن متأكدة أنه يمكنها تنفيذ ذلك، لكنها عرَفت عند الاستماع إليه يغني في طريقة العودة إلى المنزل. بالطبع يمكنها تنفيذه. كانت الزوجة المكفهِرّة الآن، والزوجة المكفهِرّة تعرَف أن ما ظنَّه حظه السعيد كان في الواقع حظّها السعيد هي.

داخل المنزل، لفَّ سترته الرياضية حول الشمّاعة التي بجانب الباب وسحَبها إلى ذراعيها ليقبِّلها قبلة طويلة. كان بمكنها أن تشعر بطعم الشراب ذي الفقاقيع وحلوى الكريما المحروقة في أنفاسه. لم يكن هذا مزيجاً سيئاً، رغم أنها عرَفت أنه إذا سارت الأمور حسبما يجب، لن ترغب أن تتناول أياً منهما مرة أخرى أبداً. امتدّت يده إلى صدرها. تركتها تتلكَّأ هناك، تتلمسّها، ثم دفَعَته بعيداً. بدا خائب الأمل، لكن وجهه سطَع عندما ابتسمت.

"سأصعد إلى الطابق العلوي وأتخلّص من هذا الفستان"، قالت. "هناك زجاجة مياه غازية في البراد. إذا أحضرتَ لي كوباً - مع قطعة حامض - فقد تكون محظوظاً يا سيد".

ابتسم لذلك - ابتسامته القديمة المحبوبة جداً. لأنه كانت هناك عادة راسخة في الزواج لم يستأنفاها منذ الليلة التي شمَّ فيها اكتشافها (نعم، شمَّه، تماماً مثلما يشمّ ذئبٌ عجوزٌ حكيمٌ رائحة طُعم مسمَّم) وهرع عائداً إلى المنزل من مونبلييه. يوماً بعد يوم سوَّرا ما كان عليه - نعم، بالتأكيد مثلما سوَّر مونتريزور صديقه القديم فورتوناتو - والمجامعة في السرير الزوجي ستكون آخر قرميدة في ذلك السور.

طرقَ كعبَيه ببعضهما وقدَّم لها تحيةً بريطانية الطابع، مُلصقاً أصابعه بجبهته، ومُظهِراً راحة يده. "حاضر سيدتي".

"لا تتأخر"، قالت مبتسمةً. "الماما تريد ما تريده الماما".

راحت تفكِّر في سرّها وهي تصعد السلالم: *لن ينجح هذا أبداً. الشيء الوحيد الذي ستنجحين في فعله هو التسبّب بموتك. قد لا يعتقد أنه قادر على فعل ذلك، لكنني أعتقد أنه قادر.*

لكن ربما لا بأس بذلك. على افتراض أنه لن يجعلها تتألم أولاً، مثلما فعل مع تلك النساء. ربما أي حل سيكون مقبولاً. لا يمكنها تمضية بقية حياتها تنظر في المرايا. لم تعد طفلةً، ولا يمكنها الإفلات من عواقب جنون طفلةٍ.

دخلت غرفة النوم، لكن لما يكفي من وقت فقط لترمي جزدانها على الطاولة التي بجانب مرآة اليد. ثم خرَجت مرة أخرى ونادت، "هل أنت قادم يا بوبي؟ أريد تلك الفقاقيع حقاً!".

"أنا قادم يا سيدتي، فقط أصبّه فوق الثلج!".

ثم خرَج من غرفة الجلوس إلى القاعة، حاملاً أحد أكواب البلّور الفاخر التي يملكونها عند مستوى نظره مثل نادل في مسرحية هزلية، وتمايل قليلاً عندما وصل إلى أسفل السلالم. تابَع يحمل الكوب عالياً أثناء صعوده، وقطعة الحامض تتمايل حول أعلى الكوب. ويده الحرة تُجرَّ بخفة على الدرابزين؛ ووجهه يسطع من السعادة والبهجة. كادت تضعُف للحظة، ثم ملأت صورة هيلين وروبرت شايفرستون الكئيبة عينيها بكل وضوح: الإبن وأمه المشوَّهة عائمان معاً في أحد أنهر ماساتشوستس الذي بدأت ضفافه تتجلَّد.

"كوب مياه غازية للسيدة، قادم -"

رأت الإدراك يملأ عينيه في اللحظة الأخيرة، شيءٌ قديمٌ وأصفر وعتيقٌ. كان أكثر من مفاجأة؛ كان حنقاً مصدوماً. في تلك اللحظة اكتمل فهمها له. كان لا يحبّ شيئاً، بالأخص هي. كل معاملة لطيفة، كل مداعبة، كل ابتسامة صبيانية، كل إيماءة رصينة - كل شيء مجرد تمويه. كان صَدفَةً لا يوجد شيء داخلها سوى الفراغ.

دفَعتهُ.

كانت دفعةً قويةً وكاد يتشقلب دائرةً كاملةً فوق السلالم قبل أن يقع على الدرجات، على رُكبتيه أولاً، ثم على ذراعه، ثم على وجهه. سمِعت ذراعه تنكسر. وتحطَّم كوب الووترفورد الثقيل على قائمة إحدى الدرجات غير المكسوة بالسجاد. تدحرَج مرة أخرى وسمِعت شيئاً آخر داخله ينكسر. صَرَخ من الألم وتشقلَب لمرة أخيرة قبل أن يحطّ على الأرضية الخشبية الصلبة للقاعة متكوِّماً على نفسه، والذراع المكسورة (غير مكسورة في مكان واحد فقط بل في عدة أمكنة) مفتولة إلى الخلف فوق رأسه عند زاوية غير طبيعية. كان رأسه مفتولاً، وأحد خدَّيه على الأرض.

أسرعَت دارْسي في نزول السلالم. وداست في لحظة ما على مكعّب ثلج، وانزلَقت، واضطرت أن تتمسك بالدرابزين لتُنقذ نفسها. رأت في الأسفل كتلةً ضخمةً ناتئةً الآن من قفا عنقه، محوِّلةً إياه إلى اللون الأبيض، وقالت: "لا تتحرّك يا بوب، أعتقد أن عنقك مكسور".

تحرّكت عيناه إلى الأعلى لينظر إليها. كان الدم يقطر من أنفه – الذي بدا مكسوراً أيضاً – والكثير من الدم كان يخرج من فمه. يتدفّق تقريباً. "لقد دفَعتني"، قال. "آه يا دارْسي، لماذا دفَعتني؟".

"لا أعرف"، قالت وهي تفكِّر في سرّها *كلانا يعرف*. بدأت تبكي. حصل البكاء بشكل طبيعي؛ فقد كان زوجها، وهو مصاب إصابة خطرة. "آه، لا أعرف. شيء استحوذ على تفكيري. آسفة. لا تتحرّك، سأتصل برقم الطوارئ وأطلب منهم إرسال سيارة إسعاف".

حفَّت قدمه على الأرض. "لستُ مشلولاً"، قال. "الحمد لله على ذلك. لكنني *أتألم*".

"أعرف يا حبيبتي".

"اطلبي الإسعاف! أسرِعي!".

دخلت المطبخ، وألقت نظرة سريعة على الهاتف الموضوع على الشاحن، ثم فتحت الخزانة تحت المغسلة. " مرحباً؟ مرحباً؟ هل هذا 911؟". أخرَجت علبة الأكياس البلاستيكية، تلك التي تستخدمها للفضلات عندما يأكلون دجاجاً أو لحم بقر مشوياً، وسحَبت واحداً من العلبة. "معكم دارْسلين أندرسون، إنني أتصل من 24 ممر مصنع السكر، في يارموث! هل دوَّنتم هذا؟".

ومن جارور آخر، أخذت منشفة أطباق من أعلى الكومة. كانت لا تزال تبكي. *أنفه مثل خرطوم مياه حريق*، كانوا يقولون عندما كانوا أطفالاً. كان البكاء مفيداً. احتاجت إلى أن تبكي، وليس فقط لأن ذلك سيجعلها تبدو أفضل لاحقاً. كان زوجها، وهو مصاب، واحتاجت إلى أن تبكي. تذكَّرت عندما كان شعر رأسه لا يزال لم يتساقط. تذكَّرت نقلاته المبهرَجة عندما يرقصان على أنغام "فُوتلوس". كان يهديها ورداً كل سنة على ذكرى ولادتها. لم ينسَ أبداً. سافرا إلى برمودا، حيث كان يركبان الدرّاجات في الصباح ويجامعان بعضهما بعد الظهر. لقد بَنَيا حياةً معاً، وتلك الحياة انتهت الآن، وتحتاج إلى أن تبكي. لفَّت منشفة الأطباق حول يدها ثم حشرت يدها في الكيس البلاستيكي.

"أحتاج إلى سيارة إسعاف، فزوجي سقَط عن السلالم. أعتقد أن عنقه مكسور. نعم! نعم! فوراً!".

عادت إلى القاعة ويدها اليمنى خلف ظهرها. رأت أنه سحَب

نفسه بعيداً عن أسفل السلالم قليلاً، وبدا لها أنه حاوَل أن يستدير على ظهره، لكنه فشل في ذلك. ركعت بجانبه.

"لم أسقط"، قال. "لقد دفَعتني. لماذا دفَعتني؟".

"أظن كرمى لفتى شايفرستون"، قالت، وأحضرت يدها من خلف ظهرها. كانت تبكي أكثر من أي وقت مضى. رأى الكيس البلاستيكي. رأى اليد داخله تُمسك المنشفة الملفوفة. فهِم ما كانت تنوي أن تفعل. ربما فعَلَ شيئاً مماثلاً لذلك هو أيضاً. ربما.

بدأ يصرخ... إلا أن صرخاته لم تكن صرخات حقاً. فقد كان فمه مليئاً بالدم، لأن شيئاً داخل حنجرته انكسر، والأصوات التي تصدر عنه هي زمجرات حَلْقية أكثر منها صرخات. حشرت الكيس البلاستيكي بين شفتيه وفي أعماق فمه. كانت عدة أسنان قد انكسرت عند سقوطه، واستطاعت أن تشعر ببقاياها الوعرة. إذا مزَّقت لها بشرتها، سيكون لديها بعض التبرير الجدّي لتقدّمه.

أخرجت يدها بسرعة قبل أن يتمكن من عضّها، تاركةً الكيس البلاستيكي ومنشفة الأطباق خلفها. أمسَكت فكّه وذقنه. ووضعت يدها الأخرى فوق رأسه الأصلع. كان اللحم هناك دافئاً جداً. ويمكنها الشعور بالدورة الدموية القوية. أطبقَت له فمه على لفافة البلاستيك والقماش. حاوَل أن يُبعدها، لكن لم تكن لديه سوى ذراع حرة واحدة فقط، وهذه كانت الذراع التي انكسرت عند السقوط. والأخرى مفتولة تحته. تحرّكت قدماه ذهاباً وإياباً بتشنّج على الأرضية الخشبية الصلبة. وانخلعت إحدى فردتَي حذائه. كان يغرغر. رفعت فستانها حتى خصرها، محرِّرةً رجلَيها، ثم اندفَعت إلى الأمام، محاولةً الجلوس فوقه. فإذا استطاعت فعل ذلك، لربما استطاعت سدَّ منخريه.

لكن قبل أن تتمكن من محاولة ذلك، بدأ صدره يخفق تحتها، وأصبحت الغرغرة نخراً عميقاً في حنجرته. ذكَّرها ذلك كيف كانت تضغط بقوة أحياناً، أثناء تعلّمها قيادة السيارة، على جهاز نقل الحركة محاولةً إيجاد الترس الثاني، الذي كان مراوغاً في شيفروليه أبيها القديمة. ارتعَش بوب، ونتأت عينه الوحيدة التي كان يمكنها رؤيتها في محجرها. وبدأ وجهه، الذي كان قرمزياً ساطعاً، يتحوَّل إلى الأرجواني. استوى على الأرض. وانتظَرت، وهي تلهث، بوجهها الذي يزبد بالمُخاط والدموع. لم تعد تلك العين تتحرّك، ولم تعد ساطعة من الذعر. اعتقَدت أنه كان –

انتفض جسم بوب انتفاضة أخيرة، ودفعها بعيداً عنه. استوى جالساً، ورأت أن نصفه العلوي لم يعد يطابق نصفه السفلي بشكل تام؛ يبدو أنه كسر ظهره وكذلك عنقه. تثاءب فمه المحشو بالبلاستيك. التقت عيناه بعينيها في نظرة عرَفت أنها لن تنساها أبداً... لكنها نظرة يمكنها التعايش معها، في حال اجتازت هذا.

"دار! ارررررررا".

سقط إلى الخلف. وأصدرَ رأسه صوتاً يشبه صوت انكسار بيضة على الأرض. زحَفت دارسي لتقترب منه، لكن ليس قريباً بما فيه الكفاية لتكون في الفوضى التي أحدثَتها. كان دمه عليها، بالطبع، ولا بأس بهذا – فهي حاوَلت مساعدته، وهذا أمر طبيعي – لكن هذا لا يعني أنها أرادت الاستحمام فيه. استوت جالساً، وأسنَدت نفسها على إحدى يديها، وراحت تراقبه وهي تنتظر أن تهدأ أنفاسها. راحت تراقبه لترى إن كان سيتحرّك. لم يتحرّك. عندما مرّت خمس دقائق وفقاً للساعة الصغيرة المرصَّعة بالجواهر على معصمها – الساعة التي ترتديها دائماً عندما يخرجان – مدَّت يداً إلى عنقه وبحثت عن نبضةٍ هناك.

أبقت أصابعها على بشرته إلى أن أنهت العدّ إلى ثلاثين، ولم يكن هناك شيء. وضعت أذنها على صدره، وهي تعرف أن هذه هي اللحظة التي سيعود فيها إلى الحياة ويُمسكها. لم يفعل ذلك لأنه لم تبق فيه أي حياة: لا قلب ينبض، ولا رئتان تتنفّسان. انتهى الأمر. لم تشعر بأي رضى (ناهيك عن أي انتصار) بل مجرد إصرار على إنهاء هذا وبشكل صحيح. جزئياً كرمى لنفسها، لكن في الأغلب كرمى لدوني وبَتْس.

دخلت المطبخ، بخطوات سريعة. عليهم أن يعرفوا أنها اتصلت حالما استطاعت ذلك؛ إذا وجدوا تأخيراً (إذا تسنّى لدمه الوقت لكي يتخثَّر كثيراً، مثلاً)، قد تكون هناك أسئلة مُربكة. *سأُخبِرهم أنه أُغمي عليَّ، إذا لزم الأمر*، فكّرت في سرّها. *سيصدِّقون ذلك، وحتى ولو لم يصدّقوه، لا يمكنهم دحضه. على الأقل، لا أعتقد أنه يمكنهم ذلك.*

أحضرت المشعل الكهربائي من حجرة المؤن، تماماً مثلما فعلت في الليلة التي تعثَّرت فيها حرفياً بسرّه. عادت إلى حيث بوب مستلقٍ محدِّقاً بالسقف بعينيه المتجمِّدتين. أخرجت الكيس البلاستيكي من فمه وتفحّصته بقلق. إذا كان ممزَّقاً، يمكن أن تبرز بعض المشاكل... وكان ممزَّقاً، في مكانين. أضاءت المشعل الكهربائي في فمه ولاحَظت قصاصة صغيرة جداً من الكيس على لسانه. أزالتها بأطراف أصابعها ووضعتها في الكيس.

هذا يكفي، هذا يكفي يا دارسلين.

لكنه لم يكن كافياً. ضغطت على خدّيه بأصابعها، الأيمن أولاً، ثم الأيسر. ووجدت على الجهة اليسرى قصاصة صغيرة جداً أخرى من البلاستيك، عالقة بلثّته. أزالتها ووضعتها في الكيس مع الأخرى. هل هناك قِطع أخرى؟ هل بلَعها؟ إذا كان الأمر كذلك، ستكون قد أصبحت بعيدةً عن متناولها وكل ما يمكنها فعله هو التمنّي من كل

قلبها ألا يكتشفها أحدٌ – لم تكن تعرف مَن – إذا كانت لديه ما يكفي من أسئلة ليطلب تشريح الجثة.

في غضون ذلك، كان الوقت يمرّ.

أسرعَت عبر السقيفة وإلى المرأب، دون ركض تقريباً. زحَفت تحت طاولة العمل، وفتحت مخبأه الخاص، وخبّأت الكيس البلاستيكي الملطَّخ بالدم مع منشفة الأطباق داخلها. أغلَقت المخبأ، واضعةً صندوق الكتالوغات القديمة أمامه، ثم عادت إلى المنزل. وأعادت المشعل الكهربائي إلى مكانه. رفَعت سمّاعة الهاتف، وأدركت أنها توقَفت عن البكاء، وأعادتها إلى مكانها. دخلت غرفة الجلوس ونظرت إليه. فكَّرت بالورود، لكن ذلك لم ينفع. *الورود، وليس الوطنية*، هي *الملجأ الأخير للوغد*، فكّرت في سرّها، وصُدمَت من سماع نفسها تضحك. ثم فكَّرت بولدَيها دوني وبِترا، اللذين يحبّان والدهما كثيراً، وقد نفَعَت هذه الخدعة. عادت باكيةً إلى هاتف المطبخ وطلب رقم الطوارئ 911. "مرحباً، إسمي دارْسلين أندرسون، وأحتاج إلى سيارة إسعاف –"

"مهلاً يا سيدتي"، قال الموزِّع. "أجد صعوبة في فهمك".

هذا جيد، فكَّرت دارْسي.

تنحنحت. "هل هذا أفضل؟ هل يمكنك فهمي؟".

"نعم، سيدتي، أستطيع الآن. هوِّني عليكِ. قلتِ إنك بحاجة إلى سيارة إسعاف؟".

"نعم، إلى 24 ممر مصنع السكر".

"هل تأذيتِ سيدة أندرسون؟"

"ليس أنا، زوجي. سقَط على السلالم. قد يكون فاقد الوعي

فقط، لكنني أعتقد أنه تُوفِّيَ".

قال الموزِّع إنه سيرسل سيارة إسعاف فوراً. وخمَّنت دارْسي أنه سيرسل سيارة شرطة يارموث أيضاً. سيارة شرطة الولاية أيضاً، إذا كانت هناك واحدة في المنطقة حالياً. أملت ألا تكون هناك واحدة. عادت إلى القاعة الأمامية وجلست على المقعد هناك، لكن ليس لوقت طويل. كان عيناه، تنظران إليها. تتّهمانها.

أخذت معطفه الرياضي، ولفَّته حول نفسها، وخرَجت لتنتظر سيارة الإسعاف.

- 17 -

الشرطي الذي أخذ إفادتها كان هارولد شروزبري، من السكان المحليين. لا تعرفه دارْسي، لكن صدف أنها تعرف زوجته؛ كانت أرلين شروزبري عضواً في جمعية الحياكة. كلَّمها في المطبخ بينما كان أفراد الفريق الطبي يفحصون جثة بوب، ثم نقلوها إلى سيارة الإسعاف، دون أن يعرفوا عن وجود جثة أخرى داخله. رجلٌ أخطر بكثير من المحاسب روبرت أندرسون.

"هل تودّ بعض القهوة أيها الضابط شروزبري؟ لا عناء في الأمر".

نظَرَ إلى يديها المرتعشتين وقال إنه سيكون سعيداً جداً بإعدادها لكليهما. "أنا مفيد جداً في المطبخ".

"لم تذكُر أرلين شيئاً كهذا أبداً"، قالت بينما كان ينهض. ترَك دفتر ملاحظاته مفتوحاً على طاولة المطبخ. حتى الآن لم يكتب أي شيء عليه سوى إسمها، وإسم بوب، وعنوانهما، ورقم هاتفهما. اعتبرت هذا الأمر دلالةً جيدةً.

"لا، إنها تحبّ إخفاء ضوئي تحت مكيالٍ"، قال. "سيدة أندرسون - دارْسي - توسفني جداً خسارتك، وأنا أكيد أن أرلين ستشعر هكذا أيضاً".

بدأت دارْسي تبكي مرة أخرى. فمزّق الضابط شروزبري حفنة من المناشف الورقية عن لفافتها وأعطاها إياها. "أكثر متانةً من المحارم".

"لديك خبرة في هذا"، قالت.

فحَص الإبريق، ورآه ممتلئاً، فشغّله. "أكثر مما أودّ". عاد وجلس. "هل يمكنك إخباري ماذا حصل؟ هل تشعرين أنك قادرة على ذلك؟".

أخبَرَته عن عثور بوب على السنت مزدوج السنة في فكّته من مطعم سابواي، وكم كان متحمّساً بسبب ذلك. عن عشائهما الاحتفالي في لؤلؤة الساحل، وكم كان ثملاً بسبب إكثاره من الشراب. كيف كان يسير متأرجحاً (وذكرَت التحية الهزلية التي قدّمها لها عندما طَلَبت منه كوب مياه غازية مع قطعة حامض). كيف صعد السلالم حاملاً الكوب عند مستوى نظره، مثل نادل. كيف أنه كاد يصل إلى أعلى السلالم عندما انزلَق. حتى إنها أخبَرَته كيف أنها كادت تنزلق بنفسها، على أحد مكعّبات الثلج المسكوبة، بينما أسرعت للنزول إليه.

دوَّن الضابط شروزبري شيئاً في دفتر ملاحظاته، وأغلقه، ثم نظر إليها بهدوء. "حسناً. أريدك أن تأتي معي. ارتدي معطفك".

"ماذا؟ إلى أين؟".

إلى السجن، بالطبع. لا تمرّي عبر مربع البداية، ولا تقبضي مئتَي دولار، اذهبي إلى السجن مباشرة. لقد أفلَت بوب من عواقب اثنتي عشرة جريمة قتل تقريباً، ولم تكن قادرة على الإفلات حتى من عواقب جريمة قتل واحدة (بالطبع خطَّطت لها، وبانتباه شديد للتفاصيل). لم

تعرف أين أخطأت، لكن لا شك سيتبيَّن أنه شيء بديهي. سيُخبِرها الضابط شروزبري في طريقهما إلى المخفر. سيكون ذلك أشبه بالفصل الأخير لإحدى روايات إليزابيث جورج.

"منزلي"، قال. "ستمضين هذه الليلة معي ومع أرلين".

فغَر فاهها من كلامه. "لا... لا يمكنني...".

"بلى يمكنك"، قال بصوت لا يقبل أي جدال. "ستقتلني إذا تركتُك هنا بمفردك. هل تريدين أن تكوني مسؤولة عن قتلي؟".

مسَحت الدموع عن وجهها وابتسمت بفتور. "لا، لا أظن. لكن... أيها الضابط شروزبري...".

"هاري".

"هناك مكالمات عليَّ إجراءها. ولداي... لا يعرفان بعد". أعاد هذا دموعاً جديدةً، واستخدمت لها آخر المناشف الورقية. مَن يستطيع أن يعلم بوجود هذا الكمّ الكبير من الدموع داخله؟ لم تلمس قهوتها والآن شربِت نصفه في ثلاث رشفات طويلة، رغم أنها لا تزال ساخنة.

"أعتقد أنه يمكننا تحمّل كلفة بعض المكالمات البعيدة المسافة"، قال هاري شروزبري. "واسمعيني. هل لديك شيء يمكنك أخذه؟ أي شيء، تعرفين، ذو طبيعة مهدئة؟".

"لا شيء من هذا القبيل"، همَست. "فقط أمبين".

"إذاً ستُعيرك أرلين إحدى حبّات الفاليوم الخاصة بها"، قال. "يجب أن تأخذي حبّة قبل نصف ساعة على الأقل من بدء إجرائك أي مكالمة عصيبة. في هذه الأثناء، سأُبلغها أننا قادمان".

"أنت لطيف جداً".

فتَح أول جوارير مطبخها، ثم جاروراً آخر، ثم جاروراً ثالثاً.

شَعَرت دارْسي بقلبها يقفز إلى حنجرتها عندما فتَح الجارور الرابع. أخذ منشفة أطباق منه وأعطاها إياها. "أكثر متانةً من المناشف الورقية".

"شكراً"، قالت. "جزيلاً".

"منذ كم من الوقت كنتما متزوِّجين يا سيدة أندرسون؟".

"سبع وعشرون سنة"، قالت.

"سبع وعشرون"، تعجَّب. "آه. هذا مؤسف جداً".

"أجل"، قالت، وطمرت وجهها في منشفة الأطباق.

- 18 -

دُفن أندرسون إيموري روبرت في مقبرة يارموث بعد يومين. وطوَّق دوني ويترا أمهما بينما راح الموقَّر يتحدّث عن مزايا الفقيد. كان الطقس قد أصبح بارداً ومظلماً؛ وراحت رياح قارسة تخشخَش الأغصان غير المورِقة. أغلقت شركة المحاسبة أبوابها لهذا اليوم، وحضرَ الجميع. تجمَّع المحاسبون في معاطفهم الطويلة السوداء معاً مثل غربان. لم تكن هناك نساء بينهم. لم تلاحظ دارْسي ذلك أبداً من قبل.

بقيت عيناها تغرورقان وتمسَحهما دورياً بالمنديل الذي كانت تُمسكه بإحدي يديها المكسوتين بقفّاز؛ وبقيت پترا تبكي من دون انقطاع؛ وكان دوني محمَرّ العينين ومتجهِّماً. كان شاباً وسيماً، لكن شعره بدأ يخفّ من قبل، على غرار أبيه في مثل هذا العمر. *طالما لا يزيد وزنه مثل بوب*، فكّرت في سرّها. *ولا يقتل النساء، بالطبع*. لكن بالتأكيد ذلك النوع من الأمور ليس وراثياً. أليس كذلك؟

قريباً سينتهي كل هذا. وسيبقى دوني ليومين فقط - كان هذا كل الوقت الذي يمكنه غيابه عن شركته في هذه المرحلة، قال. كان يأمل

أن تتفهَّم ذلك وقالت بالطبع إنها تتفهَّم. ستبقى پترا معها لأسبوع، وقالت إنه بمكنها البقاء لفترة أطول إذا أرادت دارْسي. أخبَرَتها دارْسي أن هذا لطف كبير منها، وكانت تأمل في سرّها ألا يطول بقاؤها أكثر من خمسة أيام. كانت تحتاج إلى البقاء لوحدها. تحتاج إلى... عدم التفكير، بالضبط، بل أن تجد نفسها مرة أخرى. أن تستعيد نفسها على الجهة الصحيحة للمرآة.

لا تقصد أن تقول إن خطأً ما حصل؛ أبداً. لم تعتقد أن بإمكان الأمور أن تسير أفضل مما حصل لو بقيت تخطِّط لقتل زوجها طوال عدة أشهر. فلو فعلت ذلك، لكانت أخطأت على الأرجح في تعقيد الأمور كثيراً. خلافاً لبوب، لم يكن التخطيط من نقاط قوتها.

لم تكن هناك أسئلة صعبة. كانت قصتها بسيطة، ممكن تصديقها، وحقيقية تقريباً. وأهم جزء فيها هو الأساس الصلب الذي يقف تحتها: يعود زواجهما الطويل إلى ثلاثة عقود تقريباً، وهو زواج جيد، ولم تكن هناك شجارات حديثة لكي تُفسده. حقاً، ماذا كان هناك لكي يتم التشكيك فيه؟

دعا الموقَّر أفراد العائلة إلى التقدّم إلى الأمام. ففعلوا.

"رحمة الله عليك يا بابا"، قال دوني، ورمى حفتة تراب على القبر فحطَّت على السطح اللامع للتابوت.

"بابا، سأشتاق لك كثيراً"، قالت پترا، ورمت حفنة تراب أيضاً.

كانت دارْسي الأخيرة. انحنت، وتناوَلت حفنة تراب في قفازها الأسود، وتركتها تسقط. لم تقل شيئاً.

دعا الموقَّر الجميع أن يقفوا دقيقة صمت. وحنى المشيِّعون رؤوسهم. وهزَّت الرياح الأغصان. في مكان ليس ببعيد جداً، كانت

حركة المرور مزدحمة على الطريق I-295. فكَّرت دارْسي: *يا إلهي، لتكن هذه نهاية المسألة.*

- 19 - مكتبة

لم تكن.

بعد حوالي سبعة أسابيع من الجنازة - كانت سنة جديدة قد بدأت الآن، والطقس كئيب وبارد - رنَّ جرس المنزل الواقع على ممر مصنع السكر. عندما فتحت دارْسي الباب، رأت رجلاً مسنّاً يرتدي معطفاً طويلاً أسود وشالاً أحمر، وحاملاً بيديه المكسوتين بقفّاز قبعة هومبرغ غير مجارية للعصر. كان وجهه مليئاً بالخطوط (من الألم وكذلك العمر، فكَّرت دارْسي) وكان ما بقي من شعره الرمادي زغِباً.

"نعم؟"، قالت.

بحَث بارتباك في جيبه وأوقَعَ قبعته. انحنت دارْسي ورفعتها له. عندما قوَّمت ظهرها، رأت أن الرجل المسنّ يُمسك بمجلد تعريف جلديّاً عليه شارة ذهبية وصورة زائرها (يبدو فيها أصغر سناً بكثير) على بطاقة بلاستيكية.

"هولت رمزي"، قال بنبرة بدت اعتذارية. "مكتب المدّعي العام. آسف جداً لإزعاجك يا سيدة أندرسون. هل يمكنني أن أدخل؟ ستتجمّدين من الوقوف هنا في هذا الفستان".

"رجاءً"، قالت، وتنحّت جانباً.

راقَبت مشيته العرجاء وطريقة وضعه يده اليمنى على وركه الأيمن عن غير إدراك - كما لو أنه يحاول منع انهياره - وملأت صورةٌ واضحةٌ ذهنها: بوب جالسٌ بجانبها على السرير، وأصابعها الباردة مطوَّقة بأصابعه الدافئة. بوب يتكلَّم، بابتهاج في الواقع. *أريدهم أن*

يظّنوا أن نْبِيدي مغفّل، ويظّنون ذلك. لأنهم مغفّلون. لقد خضعتُ للاستجواب لمرة واحدة فقط، وبصفة شاهد، بعد حوالي أسبوعين من قتل نْبِيدي للمرأة مُور. كان المحقّق عجوزاً ذا مشية عرجاء ونصف متقاعد. وها هو ذلك العجوز، يقف على بُعد بضع خطوات من المكان الذي مات فيه بوب. المكان الذي قتَلت فيه بوب. بدا هولت رمزي مريضاً ومتألماً، لكن عينيه ثاقبتان، تتحرّكان يميناً ويساراً بسرعة، تراقب كل شيء قبل أن تعود إلى وجهها.

كوني حذرة، قالت لنفسها. *كوني حذرة جداً من هذا الرجل يا دارسلين.*

"كيف يمكنني مساعدتك سيد رمزي؟".

"حسناً، شيء واحد – إذا لم يكن لديك مانع – يسرّني جداً تناول كوب قهوة. أشعر ببرد شديد. جئتُ في سيارة للدولة، وجهاز التدفئة لا يعمل أبداً. بالطبع إذا كان هذا يشكّل عبئاً عليكِ...".

"على الإطلاق. لكنني أتساءل... هل يمكنني رؤية بطاقة تعريفك مرة أخرى؟".

سلّمها المجلد برصانة كافية، وعلّق قبعته على الشمّاعة بينما راحت تدرسها.

"هذا الحرف ق تحت الختم... هل يعني أنك متقاعد؟".

"نعم ولا". رسمت شفتاه ابتسامةً كشفت أسناناً مثالية جداً لتكون أي شيء آخر غير طقم أسنان اصطناعية. "كان عليَّ أن أتقاعد، رسمياً على الأقل، عندما أصبحتُ في الثامنة والستين، لكنني أمضيتُ كل حياتي إما في الشرطة أو مكتب المدّعي العام، وأنا الآن أشبه بحصان عجوز لديه مكان فخري في الحظيرة. نوعٌ من التميمة لجلب الحظ".

أعتقد أنك أكثر من ذلك بكثير.

"دعني آخذ معطفك".

"لا، لا، أعتقد أنني سأبقى أرتديه. لن أُطيل البقاء إلى هذا الحد. كنتُ علّقته لو كانت تُثلج في الخارج - لكي لا أوسّخ أرضيتك - لكن السماء صاحية. الطقس قارس جداً لكي تُثلج، هكذا كان أبي يقول، وفي عمري هذا أشعر بالبرد أكثر بكثير مما كنتُ أشعر به منذ خمسين سنة. أو حتى خمس وعشرين".

سائرةً أمامه إلى المطبخ، وببطء لكي يستطيع مجاراتها، سألته عن سنّه.

"ثمانية وسبعون في مايو". تكلّم بفخر واضح. "إذا بقيتُ حيّاً حتى وقتها. أنا أضيف هذا دائماً للحظ السعيد. وقد نجح معي حتى الآن. يا له من مطبخ لطيف سيدة أندرسون - مكانٌ لكل شيء وكل شيء في مكانه. كانت زوجتي لتوافقني الرأي. تُوفِّيت منذ أربع سنوات. بنوبة قلبية، مفاجئة جداً. أفتقد لها كثيراً. أظن بنفس القدر الذي تفتقدين فيه لزوجك".

بحثت عيناه المتلألئتان - اليافعتان واليقظتان في محجريهما المجعّدين اللذين يطاردهما الألم - في وجهها.

إنه يعرف. لا أعرف كيف، لكنه يعرف.

فحَصت الإبريق وشغّلته. وسألته بينما كانت تُحضر كوبَين من الخزانة، "كيف يمكنني أن أساعدك اليوم يا سيد رمزي؟ أم هل عليَّ أن أناديك حضرة المحقق رمزي؟".

ضحِك، وتحوّلت الضحكة إلى سعال. "آه، لقد مرَّت سنوات منذ أن ناداني أي شخص بحضرة المحقق. لا تهتمّي بالكنية رمزي أيضاً،

لا أُمانع أبداً إن ناديتني بإسمي هولت فقط. في الواقع كنتُ أريد التحدّث مع زوجك، لكنه تُوفِّي بالطبع – مرة أخرى، تعازيّ الصادقة – لذا هذا غير وارد على الإطلاق. أجل، غير وارد على الإطلاق". هزَّ رأسه واستوى على أحد الكراسي التي بلا ظهر ولا ذراعين التي تحيط الطاولة الخشبية. أصدر معطفه الطويل حفيفاً. في مكان ما داخل جسده الهزيل، أصدرت عظمةٌ صريراً. "لكن دعيني أُخبِرك أمراً: العجوز الذي يعيش في غرفة مستأجَرة – نعم غرفتي مستأجَرة، رغم أنها غرفة لطيفة – يضجر أحياناً من صحبة التلفزيون فقط، لذا فكّرت في سري، تباً، سأقود إلى يارموث وأطرح أسئلتي الصغيرة القليلة. لن تكون قادرةً على الإجابة على العديد منها، قلتُ لنفسي، وربما عليها *كلها*، لكن لماذا لا أذهب على أي حال؟ أحتاج إلى الخروج قبل أن تضيق بي الغرفة، قلتُ لنفسي".

"في يومٍ يُفترَض به أن تصل درجة الحرارة القصوى إلى اثنتي عشرة درجة مئوية سلبية"، قالت. "في سيارة للدولة جهاز التدفئة فيها معطَّل".

"نعم، لكن لديَّ تدفئتي الخاصة"، قال بتواضع.

"ألا تملك سيارة خاصة بك يا سيد رمزي؟".

"بلى، بلى"، قال كما لو أن هذا لم يخطر على باله أبداً قبل الآن. "تفضَّلي بالجلوس يا سيدة أندرسون. لا داعي لأن تختبئي في الزاوية. أنا عجوز جداً لكي أعضّ".

"لا، القهوة ستصبح جاهزة في غضون دقيقة"، قالت. كانت خائفة من هذا العجوز. كان يجب أن يكون بوب خائفاً منه أيضاً، لكن بوب بالطبع أصبح الآن أبعد من الخوف. "في غضون ذلك، ربما يمكنك إخباري عما أردت أن تتكلّم مع زوجي".

"حسناً، لن تصدِّقي هذا يا سيدة أندرسون –"

"نادني دارْسي".

"دارْسي!"، بدا مبتهجاً. "أليس هذا أجمل إسم قديم الطراز!".

"شكراً. هل تأخذ الحليب مع القهوة؟".

"أشربها سوداء مثل قبعتي. فقط أحبّ أن أعتبر نفسي أحد القراصنة ذوي القبعة البيضاء، في الواقع. حسناً، أنا هكذا، أليس كذلك؟ مطاردة المجرمين وما شابه. هكذا حصلتُ على هذه الرِجل السيئة. في مطاردة سريعة في السيارة، في العام 1989. رجلٌ قتل زوجته وولديه. الآن جريمة مثل هذه تكون عادة بدافع الشغف، يرتكبها رجلٌ إما ثمل أو مخدَّر أو يعاني من مشكلة ذهنية جدّية". وأشار رمزي إلى شعره بإصبعٍ جعله التهاب المفاصل مفتولاً عن شكله الطبيعي. "ليس هذا الرجل. هذا الرجل فعلَ ذلك للتأمين. حاوَلتُ جعل المسألة تبدو مثل ماذا أسمّيها، غزوة منزل. لن أدخل في كل التفاصيل، لكنني بقيتُ أستقصي وأستقصي. لثلاث سنوات. وأخيراً شعَرتُ أنني أملك ما يكفي من أدلة لاعتقاله. ربما أدلة غير كافية لإدانته، لكن لم يكن هناك داعي لإخباره ذلك، صح؟".

"أظن ذلك"، قالت دارْسي. سخُنت القهوة، فصَبّتها. قرَّرت أن تشرب قهوتها سوداء أيضاً. وأن تشربها في أسرع وقت ممكن. بهذه الطريقة سيسري مفعول الكافيين بسرعة وينشّط حواسها.

"شكراً"، قال عندما أحضَرت القهوة إلى الطاولة. "شكراً جزيلاً. أنتِ اللطف بذاته. قهوة ساخنة في يوم بارد – وهل هناك أفضل من هذا؟ عصير تفاح مسخَّن، ربما؛ لا يمكنني التفكير بأي شيء آخر. على أي حال، أين كنا؟ آه، أعرف. دوايت شومينُو. يعيش في مكان

مرتفع في المقاطعة. جنوبي غابة هاينسفيل".

راحت دارْسي تعمل على قهوتها. نظَرت إلى رمزي فوق حافة كوبها وشعرت فجأة كما لو أنها متزوجة من جديد - زواج طويل، وفي عدة طرق زواج جيد (لكن ليس في كل الطرق)، من النوع الذي كان أشبه بنكتة: كانت تعرف أنه يعرف، ويعرف أنها تعرف أنه يعرف. كان هذا النوع من العلاقات أشبه بالنظر إلى مرآة ورؤية مرآة أخرى، صفٌ كاملٌ لا ينتهي من المرايا. السؤال الحقيقي الوحيد هنا ما الذي سيفعله بالأمور التي يعرفها. ما الذي يمكنه أن يفعله.

"حسناً"، قال رمزي وهو يضع كوب قهوته من يده ويبدأ عن غير إدراك بفرك رِجله التي تؤلمه، "الحقيقة البسيطة هي أنني كنتُ آمل استفزاز ذلك الرَجل. أعني، كان دم امرأةٍ وطفلَين صغيرين على يديه، لذا شعَرتُ أن لديَّ الحق بأن أتصرّف بدناءة معه. ونجح ذلك. فقد فرَّ، وطارَدتُه إلى داخل غابة هاينسفيل، حيث تقول الأغنية إنه يوجد شاهد قبر كل كيلومتر. واصطدمنا هناك عند منعطف ويكيت - هو بشجرة وأنا به. وعندها حصلتُ على هذه الرِجل، ناهيك عن القضيب الفولاذي الذي في عنقي".

"يوسفني هذا. والرَجل الذي كنت تطارده؟ على ماذا حصل؟".

زمَّ رمزي فمه صعوداً عند أطرافه في ابتسامة جافة باردة. وتتلألأت عيناه اليافعتان. "حصل على الموت يا دارْسي. وفَّر على الولاية إشغاله غرفة في شوشانك لأربعين أو خمسين سنة".

"أنت شخص رحوم عطوف، ألستَ كذلك يا سيد رمزي؟".

بدلاً من أن يبدو مُحتاراً، وَضَع يديه المشوَّهتين بجانب وجهه، مُديراً راحتَي يديه إلى الخارج، وراح يغني بصوت طالبٍ رتيبٍ: "فررَتُ

منه في الليالي والأيام، فررتُ منه في ظُلمات السنوات، فررتُ منه بوسائل معقّدة...'، الخ".

"تعلَّمت هذا في المدرسة؟".

"لا يا سيدتي، في جمعية الشباب المحلية. منذ سنوات عديدة. وفزتُ بكتاب أقوال حكيمة قديم، أضعتُه في مخيَّم صيفي بعد سنة. ما عدا أنني لم أضيّعه؛ بل سُرق مني. هل يمكنك أن تتخيَّلي شخصاً حقيراً كفاية ليسرق كتاب أقوال حكيمة قديم؟".

"نعم"، قالت دارْسي.

ضحِك. "دارْسي، ناديني هولت. رجاءً. كل أصدقائي ينادونني هكذا".

وهل أنت صديقي؟

لم تعرف، لكنها كانت أكيدة من شيء واحد: لم يكن ليصبح صديقاً لبوب.

"هل هذه القصيدة الوحيدة التي تحفظها عن ظهر قلب يا هولت؟".

"في الواقع، كنتُ أعرف 'موت رجل عامل'"، قال، "لكنني لا أتذكَّر الآن سوى الجزء الذي يقول إن المنزل هو المكان الوحيد الذي يضطرون إلى استقبالك فيه عندما تزوره. ألا توافقين أن هذا حقيقي؟".

"بالتأكيد".

بحثت عيناه – اللتان كانتا عسليتين فاتحتين – عن عينيها. كانت مودّة تلك النظرة غير لائقة، كما لو أنه ينظر إليها عاريةً. ولطيفة، ربما للسبب نفسه.

"ماذا كنتَ تريد أن تسأل زوجي يا هولت؟".

"حسناً، لقد تكلمت معه مرةً من قبل، تعرفين، رغم أنني لستُ

متأكداً أنه سيتذكّر ذلك لو كان لا يزال حيّاً. حصل ذلك منذ وقت طويل. كنا كلانا أصغر سناً بكثير، ولا شك أنك كنتِ مجرد طفلة وقتها، بما أنك يافعة وجميلة جداً الآن".

ابتسمت له ابتسامة باردة، ثم نهضت لتصبّ لنفسها كوباً ثانياً من القهوة. فقد فرغ كوبها الأول.

"الأرجح أنكِ سمعتِ عن جرائم قتل بِيْدي"، قال.

"الرجل الذي يقتل النساء ثم يرسل هوياتهن إلى الشرطة؟". عادت إلى الطاولة، وكوب قهوتها هادئ تماماً في يدها. "الصحف مليئة بأخباره".

أشار إليها بأصابعه - بشكل مسدَّس على غرار بوب - وغمزها. "أصبتِ. نعم سيدتي. 'إذا كان ينزف، فسيتصدَّر العناوين'، هذا هو شعارهم. وقد صدف أن عملتُ على القضية لبعض الوقت. لم أكن متقاعداً وقتها. وكانت سُمعتي أنني شخص يستطيع تحقيق نتائج أحياناً عبر استقصائي... مستخدماً ما يسمّى...".

"غريزة؟".

أعاد رسم شكل مسدَّس بأصابع يده مرة أخرى. وغمزة أخرى أيضاً. كما لو أن هناك سراً، وكلاهما على عِلم به. "على أي حال، أرسلوني لأعمل بمفردي، تعرفين - هولت العجوز الأعرج يعرض صوره، ويطرح أسئلته، و... تعرفين... يستقصي. لأنه لطالما كان لدي حدس قوي مع هذا النوع من الأعمال يا دارْسي، ولم أفقده أبداً في الواقع. كان هذا في خريف 1997، بعد فترة غير طويلة جداً من قتل امرأة تدعى ستايسي مُور. هل يبدو الإسم مألوفاً؟".

"لا أعتقد"، قالت دارْسي.

"ستتذكَّرينه لو رأيتِ صور مسرح الجريمة. جريمة قتل فظيعة - لا شك أن تلك المرأة عانت كثيراً. لكن بالطبع، ذلك الرجل الذي يسمّي نفسه بِيْدي توقف لفترة طويلة تزيد عن خمس عشرة سنة، ولا شك أن الكثير من البخار تراكم في غلايته، بانتظار لحظة انفجاره. وهي التي احترقت به".

"على أي حال، الزميل في مكتب المدّعي العام وقتها كلّفني بالقضية. 'لندع هولت العجوز يجرّب حظه'، قال، 'إنه لا يفعل أي شيء آخر، وهذا سيُلهيه عنا قليلاً'. حتى وقتها كانوا ينادونني هولت العجوز. أظن بسبب مشيتي العرجاء. تكلَّمتُ مع أصدقائها وأنسبائها وجيرانها هناك على الطريق 106، والأشخاص الذين عمِلت معهم في ووترفيل. آه، تكلَّمتُ كثيراً معهم. كانت نادلة في مكان يدعى مطعم السانيسايد هناك في البلدة. الكثير من عابري السبيل يتوقفون هناك، لأن الطريق الرئيسي قريب جداً، لكنني كنتُ مهتماً أكثر بزبائنها الدوريين. بزبائنها الدوريين *الذكور*".

"بالطبع ستكون كذلك"، همسَت.

"تبيَّن أن أحدهم رجلاً أنيقاً في منتصف أو أوائل الأربعينات من عمره. كان يأتي كل ثلاثة أو أربعة أسابيع، ويجلس دائماً في أحد أكشاك ستايسي. الآن، ربما لا يجب أن أقول هذا، بما أنه تبيَّن أن ذلك الرجل هو زوجك المتوفى - لا يجب التكلّم بسوء عن الميت، لكن بما أن *كليهما* متوفيان، أظن أن هذا الشرط يلغي نفسه، إذا فهمتِ قصدي...". صمتَ رمزي، وبدا مرتبكاً.

"كل الأمور مختلطة في ذهنك"، قالت دارْسي، مستمتعةً رغماً عنها. ربما *أرادها* أن تستمتع. لا يمكنها الجزم. "اصنع معروفاً مع نفسك وقل ما تريده بكل بساطة، أنا فتاة كبيرة. هل غازلتْهُ؟ هل هذا

ما حصل بينهما؟ لن تكون النادلة الأولى التي تغازل رجلاً مسافراً، حتى ولو كان ذلك الرجل يرتدي خاتم زواج في إصبعه".

"لا، ليس هذا ما حصل بالضبط. وفقاً لما أخبرتني إياه بقية النادلات - وبالطبع عليكِ أخذ ذلك بتحفّظ، لأنها كانت محبوبة من جميعهن - هو الذي غازلها. ووفقاً لهن، لم يعجبها ذلك كثيراً. قالت إن الرجل يسبّب لها القشعريرة".

"هذا لا يبدو زوجي". أو ما أخبَرَني إياه بوب.

"لا، لكنه كان زوجك على الأرجح. والزوجة لا تعرف دائماً ما يفعله زوجها في أسفاره، رغم أنها قد تظنّ أنها تعرف. على أي حال، أخبَرَتني إحدى النادلات أن ذلك الرجل يقود تويوتا فورْرنر. وعرَفت ذلك لأنها كانت تملك واحدةً مماثلةً تماماً. وهل تعلمين؟ العديد من جيران المرأة مُور رأوا سيارة فورْرنر مثلها في محيط مزرعة العائلة قبل أيام من مقتل المرأة. ومرةً قبل يوم من جريمة القتل".

"لكن ليس في اليوم *نفسه*".

"لا، لكن بالطبع أن رجلاً حذراً مثل بِيْدي سيحتاط من أمر كهذا. أليس كذلك؟".

"أفترض ذلك".

"حسناً، كانت لديَّ أوصافٌ واستطلعتُ المنطقة حول المطعم. لم يكن لديَّ شيء أفضل لأفعله. لم أحصل طوال أسبوع إلا على بثور وبضعة أكواب قهوة بدافع الشفقة - لكنها ليست لذيذة مثل قهوتك! - وكنتُ على وشك الاستسلام. ثم زرتُ صدفةً مكاناً في وسط المدينة. متجر ميكلسون للعملات المعدنية. هل يبدو *هذا* الإسم مألوفاً؟".

"بالطبع. كان زوجي عالِم عملات وميكلسون أحد أفضل ثلاثة

أو أربعة متاجر للبيع والشراء في الولاية. أُقفل المتجر الآن. فقد تُوفِّيَ السيد ميكلسون ولم يُكمل إبنه تجارة أبيه".

"أجل. حسناً، تعرفين ما تقوله الأغنية، الوقت يأخذ كل شيء في النهاية - عينيك، الحماس في مشيتك، وحتى تسديدك اللعين للكرة، اعذري لغتي الفرنسية. لكن جورج ميكلسون كان حيّاً وقتها -"

"واقف ويشمّ الهواء"، همسَت دارْسي.

ابتسم هولت رمزي. "مثلما قلتِ تماماً. على أي حال، تعرَّف على الأوصاف. 'هذا يبدو كأنه بوب أندرسون'، قال. ويا للصدفة! كان يقود سيارة تويوتا فورْرنر".

"آه، لكنه بدَّلها منذ وقت طويل"، قالت دارْسي. "لقاء -"

"شيفروليه سوبربان، أليس كذلك؟". لفظَ رمزي إسم الشركة *شيفالاي*.

"نعم". شبكت دارْسي يديها ببعضهما ونظرت إلى رمزي بهدوء. كانا قد وصلا تقريباً إلى بيت القصيد. كان السؤال الوحيد هو أي شريك في زواج أندرسون الزائل الآن كان هذا العجوز الحادّ البصر مهتماً به أكثر.

"لا أظن أن تلك السوبربان لا تزال معك، أليس كذلك؟".

"لا. بعتُها بعد حوالي شهر من وفاة زوجي. وَضَعتُ إعلاناً في إعلانات العم هنري المبوَّبة، وسارع شخصٌ إلى شرائها. اعتقَدتُ أنني سأجد صعوبة في بيعها، بسبب الكيلومترات الكثيرة التي قطعتها وارتفاع أسعار الوقود، لكن ذلك لم يحصل. بالطبع لم أبعها بثمن كبير".

وقبل يومين من قدوم الشاري لاستلامها، بحَثت فيها بعناية، من المقدمة إلى المؤخرة، دون أن تُهمِل إخراج السجادة من مقصورة البضائع.

لم تجد شيئاً، لكنها ومع ذلك دفعت خمسين دولاراً لغسلها من الخارج (والذي لم تكترث له) وتُنظَّف بالبخار من الداخل (التي اكترثت له).

"آه. العمّ هنري الطيب الذكر. لقد بعثُ فورد زوجتي المتوفاة بنفس الطريقة".

"سيد رمزي –"

"هولت".

"هولت، هل كنتَ قادراً على تحديد بشكل مؤكَّد أن زوجي هو الرجل الذي كان يغازل ستايسي مُور؟".

"حسناً، عندما كلَّمتُ السيد أندرسون، أقرَّ أنه زار السانيسايد من وقت لآخر – أقرَّ ذلك بكامل إرادته – لكنه ادّعى أنه لم تكن هناك نادلة بالتحديد لفتت نظره. وادّعى أن رأسه يكون مدفوناً عادة في أوراقه. لكنني أريتُهن صورته بالطبع – من رخصة قيادته، تفهمين هذا – وتعرَّفت عليه النادلات".

"وهل عرَف زوجي أن لديك... اهتماماً خاصاً به؟".

"لا. بالنسبة له، كنتُ مجرد عجوز أعرج يبحث عن شهود ربما يكونون قد رأوا شيئاً. لا أحد يخاف من عجوز مثلي".

أنا أخاف منك كثيراً.

"ليست قضية مكتملة"، قالت. "على افتراض أنك كنت تحاول صنع واحدة".

"لا توجد قضية من الأساس!". ضحِك بانشراح، لكن عينيه العسليتين كانتا باردتين. "لو كنتُ قادراً على صنع قضية، لما كنتُ أجريتُ حديثي القصير مع السيد أندرسون في مكتبه يا دارسي. كنتُ أجريته في مكتبي. حيث لا يستطيع المرء أن يغادر إلى أن أقول له إن

باستطاعته أن يغادر. أو إلى أن يُطلق محاميه سراحه، بالطبع".

"ربما حان الوقت لكي تتوقف عن الرقص يا هولت".

"حسناً"، قال موافقاً، "لما لا؟ لأن حتى الرقص البطيء يؤلمني كثيراً هذه الأيام. اللعنة على دوايت شومينُو، على أي حال! ولا أريد أن أضيِّع عليك كل صباحك، لذا هيا نسرِّع هذا. لقد كنتُ قادراً على تأكيد وجود تويوتا فوْررنر في أو بالقرب من مسرح جريمتين من جرائم القتل السابقة - ما نسمّيه جولة بِيْدي الأولى. ليس نفس السيارة؛ بلون مختلف. لكنني كنتُ قادراً أيضاً على تأكيد أن زوجك كان يملك سيارة فوْررنر أخرى في السبعينات".

"هذا صحيح. كان يحبّها، لذا بادلها بنفس النوع".

"أجل، يفعل الرجال هكذا أمر. والفوْررنر مركبة شعبية في الأماكن التي تُثلج فيها طوال نصف السنة اللعينة. لكن بعد جريمة قتل مُور - وبعد أن كلَّمتُه - بادلها بالسوبربان".

"ليس فوراً"، قالت دارْسي مبتسمةً. "بقي يملك تلك الفوْررنر بعد مطلع القرن".

"أعرف. بادلها في العام 2004، قبل فترة قصيرة من قتل أندريا هانيكَتّ على طريق ناشوا. سوبربان زرقاء ورمادية؛ موديل 2002. وقد شوهدَت سوبربان موديل نفس تلك السنة تقريباً ونفس هذين اللونين *بالذات* في أحيان كثيرة في حي السيدة هانيكَتّ خلال شهر تقريباً قبل مقتلها. لكن إليكِ الشيء المضحك". مال إلى الأمام. "وجَدتُ شاهداً قال إن لوحة رقم تلك السوبربان تابعة لفيرمونت، وشاهداً آخر - سيدة عجوز من النوع الذي يجلس عند نافذة غرفة جلوسها وتراقب كل تحرّكات الحي من الفجر حتى المساء، بما أنه ليس لديها أي شيء

أفضل لتفعله – قالت إن لوحة رقم السوبربان التي رأتها تابعة لنيويورك".

"لوحة رقم سيارة بوب تابعة لماين"، قالت دارْسي. "أنتَ تعرف هذا جيداً".

"طبعاً، طبعاً، لكن لوحات الأرقام يمكن سرقتها، مثلما تعرفين".

"ماذا بشأن جريمتَي قتل شايفرستون يا هولت؟ هل شوهدَت سوبربان زرقاء ورمادية في حي هيلين شايفرستون؟".

"أرى أنك كنت تتابعين قضية بِيْدي عن كثب أكثر قليلاً من معظم الأشخاص. عن كثب أكثر قليلاً مما ادّعيتِ أولاً، أيضاً".

"هل شوهدَت؟".

"لا"، قال رمزي. "في الواقع، لا. لكن شوهدَت سوبربان رمادية وزرقاء بالقرب من الجدول في آيمزبَري حيث ألقيتُ الجثتان". ابتسم مرة أخرى بينما دَرَستها عيناه الباردتان. "ألقيتًا مثل نفايات".

تنهَّدت. "أعرف".

"لم يستطع أحد إخباري عن لوحة رقم السوبربان التي شوهدَت في آيمزبَري، لكن حتى لو أخبرني أحدهم، أظن أنها ستكون لوحة تابعة لماساتشوستس. أو بنسلفانيا. أو أي ولاية أخرى ما عدا ماين".

مال إلى الأمام.

"كان بِيْدي يرسل لنا رسائل مرفقة بها هوية ضحاياه. كان يُعَيِّرنا – يتحدّانا أن نقبض عليه. وربما جزء منه حتى أراد أن يُقبَض عليه".

"ربما"، قالت دارْسي، رغم أنها تشكّ في ذلك.

"كُتبَت الرسائل بأحرف كبيرة. والأشخاص الذين يفعلون ذلك يظنّون أنه لا يمكن التعرّف على هكذا خط يد، لكنهم مخطئون معظم الأوقات. فأوجه الشبه تظهر. ولا أفترض أن لديك أي ملف من

ملفات زوجك، أليس كذلك؟".

"الملفات التي لم تعُد إلى شركته أُتلفَت. لكنني أظن أن لديهم عيّنات كثيرة. فالمحاسبون لا يرمون أي شيء أبداً".

تنهَّد. "أجل، لكن مع شركة كهذه، أحتاج إلى أمر قضائي لأحصل على أي شيء منها، وللحصول على أمر قضائي عليَّ تقديم سبب مُقنِع. ولا أملك واحداً بعد. لديَّ عدة صُدَف - رغم أنها ليست صُدَفاً برأيي. ولديَّ عدة... حسناً... *حالات قُرب*، أظن أنه يمكنك تسميتها هكذا، لكنها ليس كافية أبداً لتشكِّل دليلاً ظرفياً. لذا جئتُ إليك يا دارْسي. اعتقَدتُ أنني سأُطرَد على الأرجح قبل الآن، لكنك كنتِ لطيفة جداً".

لم تقل شيئاً.

مال إلى الأمام أكثر، محدِّباً ظهره تقريباً فوق الطاولة. مثل طير جارح. لكن برودة عينيه كانت تخفي شيئاً آخر. اعتقَدت أنه قد يكون لطفاً. تمنَّت من كل قلبها أن يكون لطفاً.

"دارْسي، هل كان زوجك بِيْدي؟".

كانت تُدرك أنه ربما يسجّل حديثهما هذا؛ بالطبع أن ذلك لم يكن أمراً مستبعداً كلياً. بدلاً من أن تنطق، رفعت يدها عن الطاولة، مُظهِرةً له راحة يدها الزهرية.

"لم تعرفي أبداً لوقت طويل، أليس كذلك؟".

لم تقل شيئاً. بل اكتفت بالنظر إليه. بالنظر إلى *داخله*، مثلما تنظر إلى أشخاص تعرفهم جيداً. ما عدا أن عليك أن تكون حذراً عندما تفعل ذلك، لأنك لن ترى دائماً ما اعتقَدت أنك ستراه. عرَفت ذلك الآن.

"ثم عرفتِ؟ عرفتِ في أحد الأيام؟".

"هل تريد كوب قهوة آخر يا هولت؟".

"نصف كوب"، قال. عاد وجلَس مستقيماً وطوى ذراعيه فوق صدره النحيل. "أكثر من ذلك سيسبِّب لي حرقة في المعدة، ونسيتُ أن آخذ حبّة الزانتاك هذا الصباح".

"أعتقد أن لديَّ بعض حبوب البرايلوزيك في خزانة الأدوية في الطابق العلوي"، قالت. "كانت لبوب. هل تريديني أن أُحضرها لك؟".

"لن آخذ أي شيء له حتى ولو كنت أحترق من الداخل".

"حسناً"، قالت بلطف، وصبَّت له بعض القهوة.

"آسف"، قال. "أحياناً تتغلَّب عليَّ أحاسيسي. تلك النساء... كل تلك النساء... والفتى، وكل مستقبله الذي كان أمامه. هذا الأسوأ بينهن جميعاً".

"نعم"، قالت وهي تمرِّر له الكوب. لاحَظت كيف ارتعَشت يده، وفكَّرت أن هذا آخر تحقيق له على الأرجح، مهما يكن ذكياً... وكان ذكياً بشكل مخيف.

"المرأة التي تكتشف حقيقة زوجها في وقت متأخر جداً في اللعبة ستكون في موقف صعب"، قال رمزي.

"نعم، أظن ذلك"، قالت دارْسي.

"مَن سيصدِّق أنها عاشت مع رجل كل تلك السنوات ولم تعرف حقيقته أبداً؟ ستكون مثل عصفور يعيش في فم تمساح".

"وفقاً للقصة"، قالت دارْسي، "التمساح يدع العصفور يعيش هناك لأنه يُبقي له أسنانه نظيفة. فيأكل الحبوب من بينها". وقلَّدت حركات نقر بأصابع يدها اليمنى. "ليست حقيقية على الأرجح...

لكن الحقيقة هي أنني كنتُ آخذ بوبي إلى عيادة طبيب الأسنان. فإذا تركتُ الأمر على عاتقه، فسينسى مواعيده عن قصد. كان طفلاً عندما يتعلّق الأمر بالألم". اغرورقت عيناها بشكل غير متوقع. فمسَحتهما بقفا يديها، وهي تشتمهما. هذا الرجل لن يحترم دموعاً تُذرَف على روبرت أندرسون.

أو ربما كانت مخطئة بهذا الشأن. كان يبتسم ويومئ برأسه. "وولداك. سيدهسهما الناس بعدما يعرفون أن أباهما كان قاتلاً تسلسلياً يعذِّب النساء. ثم يدهسوهما مرة أخرى عندما يقرِّر الناس أن أمهما كانت تغطي على أفعاله. وربما حتى تساعده، مثلما ساعدتْ ميرا هيندلي إيان برايدي. هل تعرفين مَن هما هذان الشخصان؟".

"لا".

"لا تهتمّي إذاً. لكن اسألي نفسك هذا: ماذا ستفعل امرأةٌ في موقف صعب كهذا؟".

"ماذا كنتَ ستفعل *أنتَ* يا هولت؟".

"لا أعرف. وضعي مختلف قليلاً. قد أكون مجرد متذمِّر عجوز – أقدم حصان في الحظيرة – لكن لديَّ مسؤولية تجاه أفراد عائلات تلك النساء المقتولات. يستحقون إغلاق القضية".

"يستحقون ذلك بالتأكيد... لكن هل *يحتاجون* إلى ذلك؟".

"لقد قُضِمَ العضو التناسلي لروبرت شايفرستون، هل كنتِ تعرفين هذا؟".

لم تكن تعرفه. بالطبع لم تكن تعرفه. أغمضت عينيها وشَعَرت بالدموع الدافئة تتقطَّر عبر رموشها. *لم "يتألم" الكذّاب اللعين*، فكّرت في سرّها، ولو ظهر بوب أمامها، مادّاً يديه متوسّلاً الرحمة، لكانت

قتلته مرة أخرى.

"أبوه يعرف"، قال رمزي بهدوء. "وعليه أن يعيش مع هذه المعلومة عن الولد الذي أحبَّه كل يوم".

"يؤسفني هذا"، همَست. "يؤسفني جداً".

شعَرت به يُمسك يدها عبر الطاولة. "لم أقصد أن أزعجك".

أبعدته عنها بعنف. "بالطبع قصدتَ ذلك! لكن هل تعتقد أنني لم أنزعج؟ هل تعتقد أنني لم أنزعج، أيها... أيها العجوز الفضولي؟".

ضحك ضحكة خافتة، كاشفاً طقم أسنانه الاصطناعية المتلألئة. "لا. لا أعتقد ذلك أبداً. رأيته حالما فتَحتِ الباب". صمتَ قليلاً، ثم قال بتأنٍ: "رأيتُ كل شيء".

"وماذا ترى الآن؟".

نهض، وترنَّح قليلاً، ثم استعاد توازنه. "أرى امرأة شجاعة يجب أن تُترَك لوحدها لتدبِّر أعمالها المنزلية. ناهيك عن بقية حياتها".

نهضت أيضاً. "وأفراد عائلات الضحايا؟ أولئك الذين يستحقون إغلاق القضية؟" صمتت قليلاً، لأنها لم ترغب أن تقول الباقي. لكن كان عليها فعل ذلك. هذا الرجل تحمَّل ألماً كبيراً - وربما حتى ألماً مبرِّحاً - لكي يأتي إلى هنا، والآن كان يتركها وشأنها. على الأقل، اعتقَدت أنه يفعل ذلك. "ووالد روبرت شايفرستون؟".

"الفتى شايفرستون تُوفِّي، ووالده بُحكم المتوفى". تكلَّم رمزي بنبرة هادئة تقييمية تُدركها دارْسي. كانت النبرة التي يستخدمها بوب عندما يعرف أن أحد عملاء الشركة سيُستدعى إلى دائرة الإيرادات الداخلية، وسيسير الاجتماع بشكل سيئ. "لا يُبعِد فمه أبداً عن زجاجة الشراب من الصباح حتى المساء. هل معرفة أن قاتل إبنه - مشوَّه إبنه - تُوفِّي

سيغيِّر ذلك؟ لا أظن. هل سيعيد أياً من الضحايا إلى الحياة؟ لا. هل سيتعذَّب القاتل في الجحيم لجرائمه الآن، فيعاني من تشوّهات ستبقى تنزف دماً إلى ما لا نهاية؟ أرجو هذا من كل قلبي. شكراً على القهوة. سأضطر إلى التوقف في كل استراحة بين هنا وأوغستا في طريق العودة، لكنها كانت تستحق ذلك. فأنتِ تعدّين قهوة لذيذة".

مرافقةً له إلى الباب، أدركت دارْسي أنها شعَرت أنها تقف على الجهة الصحيحة للمرآة لأول مرة منذ أن تعثَّرت بذلك الصندوق في المرأب. كان من الجيد معرفة أنه كان قريباً جداً من أن يُقبَض عليه. من أنه لم يكن ذكياً مثلما ظنَّ نفسه.

"شكراً على زيارتك"، قالت بينما كان يرتدي قبعته. فتَحت الباب، فدخل النسيم البارد. لم تمانع ذلك. الشعور جيد على بشرتها. "هل سأراك مرة أخرى؟".

"لا. سأتوقف عن كل شيء اعتباراً من الأسبوع القادم. تقاعد كامل. سأذهب إلى فلوريدا. لن أبقى هناك طويلاً، وفقاً لطبيبي".

"يوسفني سماع هذ -"

احتضنها فجأة بين ذراعيها. كانتا نحيلتين، لكن مفتولتين وقويتين بشكل مدهش. جفلت دارْسي لكنها لم تخف. ارتطمت حافة قبعته الهومبرغ بصدغها بينما همَس لها في أذنها. "لقد فعَلتِ الصواب".

وقبَّل خدها.

- 20 -

سار ببطء وحذر على الجليد على الممر الخاص للمنزل. مشية رجل عجوز. *عليه حقاً أن يستخدم عصا*، فكَّرت دارْسي. كان

يستدير حول الجهة الأمامية لسيارته، ولا يزال مُخفِضاً نظره ليتحاشى بُقع الجليد، عندما نادت إسمه. استدار رافعاً حاجبَين كثيفين.

"عندما كان زوجي فتى، كان لديه صديق قُتِل في حادث".

"حقاً؟"، خرجت الكلمات من فمه في لهاث أبيض شتوي.

"نعم"، قالت دارْسي. "يمكنك البحث عما حصل. كان الأمر مأساوياً جداً، رغم أنه لم يكن فتى لطيفاً جداً، وفقاً لزوجي".

"لا؟".

"لا. كان فتى من النوع الذي يغذّي أوهاماً خطيرةً. كان إسمه براين ديلاهانتي، لكن عندما كانا صغيرَين، كان بوب يناديه ب.د.".

بقي رمزي يقف بجانب سيارته لعدة ثوانٍ، يفكِّر في كلامها. ثم أومأ برأسه. "هذا مثير للاهتمام جداً. قد أبحث عن القصص على كمبيوتري. أو ربما لا؛ حصل هذا منذ وقت طويل. شكراً على القهوة".

"شكراً على الزيارة".

راقَبته يقود حتى آخر الشارع (لاحَظت أنه يقود بثقة رجل أصغر سناً بكثير - على الأرجح لأن عينيه لا تزالان ثاقبتين) ثم دخلت إلى المنزل. شعَرت أنها أصغر سناً، أنها أخفّ وزناً. ذهَبت إلى المرآة في القاعة. لم تر فيها شيئاً سوى انعكاس صورتها، وهذا كان جيداً.

كلمة ختامية

القصص في هذا الكتاب قاسية. ربما تكون قد وجدتَ صعوبة في قراءتها في بعض الأماكن. إذا كان الأمر كذلك، فتأكد أنني وجَدتُ صعوبة أيضاً في كتابتها في بعض الأماكن. عندما يسألني الناس عن عملي، اعتدتُ أن أتجنَّب الإجابة بأن أسرد بعض النكات والروايات الشخصية الفكاهية (التي لا يمكنك أن تثق بصحّتها كلياً؛ لا تثق أبداً بأي شيء يقوله كاتب روايات خيالية عن نفسه). هذا نوعٌ من التحريف، وطريقة ديبلوماسية أكثر قليلاً من طريقة أسلافي الأميركيين الشماليين في الإجابة على هكذا سؤال: *هذا ليس من شأنك*. لكن خلف النكات، آخذ ما أفعله بجدية كبيرة، وقد بدأتُ هذا منذ أن كتَبتُ روايتي الأولى، *المسيرة الطويلة*، في سنّ الثامنة عشرة.

لا أطيق كثيراً الكتّاب الذين *لا* يأخذون عملهم على محمل الجدّ، ولا أطيق أبداً الأشخاص الذين يعتبرون فن الروايات الخيالية بالياً من أساسه. ليس بالياً، وليس ترفاً أدبياً. إنه إحدى الوسائل الحيوية التي نحاول بها إعطاء معنى لحياتنا، وفي أغلب الأحيان للعالم الفظيع الذي نراه حولنا. إنه الطريقة التي نُجيب بها على السؤال، *كيف يُعقَل حصول هكذا أشياء؟* القصص تقترح أحياناً - وليس دائماً - أن هناك سبباً.

من البداية - وحتى قبل أن يبدأ شابٌ بالكاد أستطيع أن أفهمه الآن بكتابة *المسيرة الطويلة* في غرفته في مبنى الطلبة - شعَرتُ أن أفضل رواية خيالية تكون دافعة وتهجّمية على حد سواء. عدوانية واستفزازية.

وتصرخ في وجهك أحياناً. ليس لديَّ اعتراض على الخيال الأدبي، الذي يهتمّ عادة بأشخاص استثنائيين في ظروف عادية، لكن بصفتي قارئاً وكاتباً، فإنني أهتمّ أكثر بكثير بأشخاص عاديين في ظروف استثنائية. أريد أن أستفزّ ردة فعلٍ عاطفية، وحتى أحشائية، من قرائي. فليس من شأني أن أجعلهم يفكِّرون *بينما يقرأون*. لقد كتبتُ هاتين الكلمتين مائلتين، لأنه إذا كانت الحكاية جيدة كفاية والشخصيات مُشرقة كفاية، فإن التفكير سيحل محل الإحساس بعدما تُروى الحكاية ويوضَع الكتاب جانباً (مع شعور بالارتياح أحياناً). يمكنني تذكُّر قراءة رواية جورج أورْويل *1984* في سنّ الثالثة عشرة برعب وغضب متزايدين، فكنتُ ألتهم الصفحات بأسرع ما يمكنني، وما العيب في ذلك؟ خاصة بما أنني لا أزال أفكِّر فيها حتى هذا اليوم عندما يحقِّق سياسيٌّ ما (إنني أفكِّر في سارة پالين وملاحظاتها العنيفة بشأن "لائحة الموت") بعض النجاح في إقناع عامة الناس أن الأبيض أسود حقاً، أو العكس بالعكس.

إليك شيئاً آخر مقتنع به: إذا كنتَ ستذهب إلى مكان مظلم جداً – مثل مزرعة وِيلف جايمس في القصة القصيرة "1922" – يجب أن تأخذ ضوءاً ساطعاً معك لتنيره على كل شيء. وإذا كنت لا تريد أن ترى، فلماذا تدخل الظلمة من الأصل؟ لطالما كان كاتب الطبيعة العظيم فرانك نوريس أحد الأدباء المفضَّلين لديَّ، وقد حفظتُ عن ظهر قلب ما قاله حول هذا الموضوع لأكثر من أربعين سنة: "لم أخنع أبداً؛ ولم أحترم الموضة أبداً أو أستعطي الآخرين. بل أخبَرتُهم الحقيقة".

لكنك يا ستيف، ستقول لي، كسبت المال الكثير من مهنتك، وبالنسبة للحقيقة... فهذه متغيّرة، أليس كذلك؟ نعم، لقد جنيتُ مالاً كثيراً من تأليف الروايات، لكن المال كان نتيجةً جانبيةً، ولم يكن هدفاً

أبداً. وكتابة روايات خيالية بهدف تجميع المال هو عمل غير مربح. وبالتأكيد أن الحقيقة في عين الناظر. لكن عندما تتعلق المسألة بروايات الخيال، تكون مسؤولية الكاتب الوحيدة هي البحث عن الحقيقة داخل قلبه. لن تكون حقيقة القارئ دائماً، أو حقيقة الناقد، لكن طالما أنها حقيقة *الكاتب* - طالما أنه لا يخنع، أو يحترم الموضة - فكل شيء على ما يرام. أما بالنسبة للكتّاب الذين يكذبون عن قصد، الذين يستبدلون طريقة تصرّف الناس الفعلية بسلوك بشري لا يُصدَّق، فليس لديَّ لهم سوى الازدراء. الكتابة السيئة هي أكثر من مجرد تركيب نحوي تافه ومراقبة معيوبة؛ الكتابة السيئة تنشأ عادة من رفضٍ عنيدٍ لتأليف قصصٍ عما يفعله الأشخاص في الواقع - لمواجهة الحقيقة، دعنا نقول، بأن القتلة يساعدون أحياناً السيدات العجائز على عبور الشارع.

لقد بذلتُ قصارى جهدي في "ظلام دامس، لا نجوم" لأدوِّن ما قد يفعله الأشخاص، وكيف قد يتصرّفون، في بعض الظروف المريعة. الأشخاص في هذه القصص لا يخلون من الأمل، لكنهم يدركون أن حتى أعز آمالنا (وأعز أمانينا لإخوتنا في الإنسانية والمجتمع الذي نعيش فيه) قد تكون عقيمة أحياناً. في أغلب الأحيان، حتى. لكنني أعتقد أنه يُقال أيضاً إن النبالة تكمن بالكامل ليس في النجاح بل في محاولة فعل الصواب... وأننا عندما نفشل في فعل ذلك، أو ننصرف بكامل إرادتنا عن مواجهة التحديات، تكون قد ألقينا أنفسنا في الجحيم.

استوحيتُ "1922" من قصة حقيقية في كتاب يدعى *رحلة موت ويسكنسن* (1973) تأليف مايكل ليزي ويتضمن صوراً فوتوغرافيةً التُقطت في المدينة الصغيرة بلاك ريفر فولز، ويسكنسن. أُعجِبتُ بالعزلة الريفية في تلك الصور الفوتوغرافية، والقسوة والحرمان على وجوه العديد من الأشخاص. أردتُ التعبير عن ذلك الشعور في قصتي.

في العام 2007، وبينما كنتُ مسافراً على الطريق بين الولايات 84 إلى جلسة توقيع أخرى في ماساتشوستس الغربية، توقَفتُ في استراحةٍ لأُحضِر وجبتي الصحية الاعتيادية: زجاجة مياه غازية ولوح شوكولا. عندما خرَجتُ من الاستراحة، رأيتُ امرأةً عجلة سيارتها مثقوبة وتتكلم بجدّية مع سائق شاحنة مركونة في الموقف المجاور لسيارتها. ابتسم لها وخرَج من شاحنته.

"هل تحتاج إلى أي مساعدة؟"، سألتُ.

"لا، لا، سأتدبّر الأمر"، قال سائق الشاحنة.

أنا أكيد أن عجلة السيدة تغيَّرت. حصلتُ على لوح الشوكولا وفكرة القصة التي أصبحت في نهاية المطاف "السائق الكبير".

في بانغور، حيث أعيش، هناك شارع يدعى هاموند ستريت إكستنشن يمتدّ محاذياً للمطار. أنا أسير ثلاثة أو ستة كيلومترات كل يوم، وإذا كنتُ في البلدة، أسير في ذلك الاتجاه في أغلب الأحيان. هناك رقعة حصى بجانب سور المطار عند حوالي منتصف ذلك الشارع، وقد نصبَ عدة باعة متاجر لهم بجانب الطريق على مر السنوات. متجري المفضَّل هو متجر يِسمّى محلياً "رجل كُرات الغولف"، ويظهر في الربيع دائماً. يذهب رجل كُرات الغولف إلى ملعب الغولف البلدي في بانغور عندما يتحسَّن الطقس، ويجمع مئات كُرات الغولف التي تركها اللاعبون خلفهم تحت الثلج. يرمي الكُرات السيئة حقاً ويبيع الباقي في بقعته الصغيرة على طول الشارع (زجاج سيارته الأمامي مزدحم بكُرات الغولف - لمسة لطيفة). عندما رأيتُه في أحد الأيام، خطرت على بالي فكرة "تطويل معقول". بالطبع أنني جعلتُ أحداث القصة تدور في دِيري، وهي بلدة المهرِّج المتوفى وغير المرئي پينيوايز، لأن دِيري هي فقط بانغور متنكّرة بإسم مختلف.

خطرت على بالي القصة الأخيرة في هذا الكتاب بعد قراءة مقال عن دينيس رايدر، القاتل المعروف بلقب btk (تقييد، تعذيب، قتل) الذي قتل عشرة أشخاص - أُغلبهم نساء، لكن اثنين من ضحاياه كانا ولدَين - على امتداد ست عشرة سنة تقريباً. وكان يرسل في حالات عديدة قِطعاً من هويات ضحاياه إلى الشرطة. بقيت پولا رايدر متزوجة من ذلك الوحش لأربع وثلاثين سنة، ورفض الكثيرون في منطقة ويتشيتا، حيث قتل رايدر ضحاياه، تصديق أنه يمكنها العيش معه وعدم معرفة ما كان يفعله. أنا أصدِّقها، وقد كتَبتُ هذه القصة لأستكشف ماذا يمكن أن يحصل في هكذا قضية إذا اكتشفت الزوجة فجأة هواية زوجها المريعة. وكتبتُها أيضاً لأستكشف فكرة أنه من المستحيل معرفة أي شخص بالكامل، حتى أكثر الأشخاص الذين نحبهم.

حسناً، أظن أننا بقينا في الظلام هنا لفترة طويلة كافية. هناك عالمٌ آخر بأكمله في الطابق العلوي. خذ يدي، أيها القارئ الدائم، وسيسرّني أن أعيدك إلى أشعة الشمس. أنا سعيد أن أعود إلى هناك، لأنني مقتنع أن معظم الأشخاص خيّرون في جوهرهم. أعرف أنني خيّرٌ شخصياً.

أنتَ مَن لستُ متأكداً منه كلياً.

بانغور، ماين

23 ديسمبر 2009

مكتبة

جديد الكتب والروايات

t.me/ktabpdf

تابعنا اضغط اللينك

t.me/ktabrwaya

facebook.com/newpdf

«ستيفن كينغ يعرف بالضبط ما هو أكثر شيء يخيفك (إسكواير)... ويقدِّمه لك باحترافية كبيرة، فيسبر أغوار الفساد البشري في "روايات خيالية مُقلقة» (بابليشرز ويكلي) مجمَّعة في

مكتبة 464 ظلام دامس، لا نجوم

أربع قصص قصيرة لا تُنسى من الكاتب الذي حقَّقت رواياته مرتبة الأكثر مبيعاً... «نظرة صريحة على حدود الطمع والانتقام وخداع الذات» (بُوكليست) من أبرع راوٍ في عصرنا الحالي.

«شنيعة بشكل رائع... الصفحات تقلب نفسها عملياً»

– يو أس آي توداي

«مجموعة رائعة وعديمة الرحمة بشكل مشوِّق»

– التلغراف (المملكة المتحدة)

«خلَّابة مثل رواياته الملحمية»

– سانت لويس بوست-ديسباتش

ألَّف ستيفن كينغ أكثر من خمسين كتاباً، نالت كلها مرتبة الأكثر مبيعاً في جميع أنحاء العالم. وأعماله الأخيرة تتضمن Sleeping Beauties (تعاون على تأليفها مع ابنه أوين كينغ)، وEnd of Watch، ومجموعة القصص القصيرة The Bazaar of Bad Dreams، وFinders Keepers، وMr. Mercedes (نالت جائزة إدغار لأفضل رواية، وهي الآن مسلسل تلفزيوني على محطة AT&T Audience Network)، وDoctor Sleep، وUnder the Dome. صُنِّفت روايته 11/22/63 – وقد تحوَّلت إلى مسلسل تلفزيوني على محطة هولو – من بين أفضل عشرة كتب للعام 2011 على قائمة New York Times Book Review، وفازت بجائزة كتاب لوس أنجلوس في فئة كتب التشويق والإثارة. تشكِّل روايته It وسلسلة رواياته «برج الظلام» الأساس لأفلام سينمائية رئيسية. نال ستيفن كينغ ميدالية الفن الوطني للعام 2014 وميدالية مؤسسة الكتاب الوطنية للعام 2003 على مساهمته المتميِّزة في الأدب الأميركي. يعيش في بانغور، ماين مع زوجته الكاتبة تابيثا كينغ.

ISBN: 978-614-01-2616-9

9 786140 126169

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت في مكتبة نيل وفرات. كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com